

الكامل

فى اللغة والأدب

لأبى العباس محمد بن يزيد المبرد

عارضه بأصوله وعلق عليه

محمد أبو الفضل إبراهيم

الجزء الأول

الطبعة الثالثة

١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م

ملتزم الطبع والنشر

دار الفكر العربى

٩٤ شارع عباس العقاد - مدينة نصر - القاهرة

ت: ٢٧٥٢٩٨٤ - فاكس: ٢٧٥٢٧٣٥

المبرد. أبو العباس محمد بن يزيد، نحو ٨٢٦ - ٨٩٨.

م ب ك أ

٤ جزء ؛ ٢٤ سم .

يشتمل على إرجاعات ببليوجرافية.

يشتمل على كشافات.

تدمك : ٥ - ٩٨٨ - ١٠ - ٩٧٧.

١ - اللغة العربية - مباحث عامة . الأدب العربي

٢- الأدب العربي - مباحث عامة . أ- محمد أبو الفضل

إبراهيم، محقق. ب - العنوان.

تصميم وإخراج فنى: محيى الشلودى

٩٧ / ٤٦٠٠	رقم الإيداع
977 - 10 - 0988-5	التقييم الدولي I. S. B. N

بيان

روجع هذا الكتاب على نسخة مخطوطة قيمة محفوظة بمكتبة الأسكريال فى أسبانيا تحت رقم ٢٢١، كتبها لنفسه أحد العلماء، وهو على بن عبد الله بن خلف بن محمد بن النعمة، سنة ٥١٢ هـ، وقد قوبلت على الأصل، وقرأها بعض العلماء على كاتبها المذكور.

وهذه النسخة مكتوبة بخط أندلسى مضبوط بالحركات، وبحواشيها تعليقات كثيرة، وتقع فى ١٧٢ ورقة، وفى كل صفحة ٢٧ سطرا، وبآخرها خرم يسير بين ورقتى ٤٥ و ٤٦. وقد اعتبرت هذه النسخة أساسا للمراجعة، ورمز إليها بلفظ الأصل.

ثم قوبل أيضا على النسخة الأوربية التى حققها الأستاذ رايت وتم طبعها فى سنة ١٨٨١ م، ورمز لها بالحرف «ر»، وأثبتت الزيادات التى فيها بالحاشية، كما قوبلت على النسخة التى طبعت بالآستانة سنة ١٢٨٦ هـ، ورمز لها بالحرف «س».

بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وسلم

أخبرنا^(١) أبو عثمان سعيد بن جابر^(٢) قال: حدثنا أبو الحسن علي بن سليمان الأخفش^(٣) قراءة عليه قال: قرئ لى هذا الكتاب على أبي العباس محمد ابن يزيد المبرد:

الحمد لله حمداً كثيراً يبلغُ رضاه، ويوجب مزيده، ويُجِيرُ به من سَخَطِهِ، وصلى الله على محمد خاتم النبيين، ورسول رب العالمين، صلاة تامة زاكية، تُؤدِّي حقّه، وتُزَلِّفُ^(٤) عند ربه.

قال أبو العباس: هذا كتاب ألّفناه يجمع ضروباً من الآداب، ما بين كلام منشور، وشعر مرصوف، ومثلٍ سائر، وموعظة بالغة، واختيار من خطبة شريفة، ورسالة بليغة.

والنّية فيه أن نُفسّر كلّ ما وقع فى هذا الكتاب من كلام غريب، أو معنى مُستغلق^(٥)، وأن نشرح ما يعرض فيه من الإعراب شرحاً وافياً، حتى يكون هذا الكتاب بنفسه مكتفياً، وعن أن يُرجع إلى أحد فى تفسيره مستغنياً، وبالله التوفيق والحوال والقوة، وإليه مَفْزَعُنَا فى درك كل طلبّة، والتوفيق لما فيه صلاح أمورنا من عمَلٍ بطاعته، وعقدٍ يرضاه، وقول صادق يرفعه عملٌ صالح، إنه على كل شىء قدير.

(١) ر، س: «حدثنا أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز قال أخبرنا أبو عثمان...». وأبو بكر محمد بن عمر هو المعروف بابن القوطية، كان إماماً فى العربية، وصحب أبا على القالى وتلمذ له، وهو أحد رواة الكامل بالأندلس، توفى سنة ٣٦٧. (وانظر ترجمته فى إنباه الرواة ١٧٨:٣).

(٢) هو سعيد بن جابر الكلاعى الأندلسى، توفى سنة ٣٢٦. (جدوة المقتبس ٢١٣) هـ.

(٣) هو على بن سليمان أبو الحسن المعروف بالأخفش الصغير، راوى كتاب الكامل وصاحب الحواشى التى فيه. سمع من المبرد وتعلّب، توفى سنة ٣١٥. (وانظر ترجمته فى إنباه الرواة ٢٧٦:٢).

(٤) ر: «وتزلفه».

(٥) س: «منغلق».

باب

[وصف رسول الله ﷺ للأَنْصار]

قال رسول الله ﷺ للأَنْصار^(١) في كلام جرى: «إِنكُمْ لَتَكْثُرُونَ عِنْدَ الْفَزَعِ، وَتَقْلُونَ عِنْدَ الطَّمَعِ».

الفزع في كلام العرب على وجهين: أحدهما ما تستعمله العامة تريد به الذعر، والآخر الاستنجاد والاستصراخ، من ذلك قول سلامة بن جندل:

كُنَّا إِذَا مَا أَتَانَا صَارِخٌ فَزَعٌ كَانَ الصَّرَاخُ لَهُ قَرَعُ الظَّنَائِبِ

يقول: إذا أتانا مُسْتَعِثٌ كانت إغاثته الجدّ في نصرته، يقال: قَرَعَ لذلِكَ الأمر ظُنْبُوبَهُ إذا جدّ فيه ولم يَفْتَر، وَيُسْتَقُّ من هذا المعنى أنه يقع «فزع» في معنى «أغاث»، كما قال الكلّبة اليربوعي:

[٢] قال أبو الحسن: الكلّبة لقبه، واسمه هُبَيْرَة، وهو من بنى عَرِين بن يَرْبُوع، والنسب إليه عَرِينِيّ، وكثير من الناس يقول: عُرْنِيّ وَلَا يَدْرِي، وعُرِينَة من اليمَن، قال جرير يهجو عَرِين بن يربوع:

عَرِينٌ مِنْ عُرِينَةٍ لَيْسَ مِنَّا بَرِثْتُ إِلَى عُرِينَةٍ مِنْ عَرِينٍ [٢]

فَقُلْتُ لِكَأْسٍ أَلْجَمِيهَا فَإِنَّمَا حَلَلْتُ الْكَثِيبَ مِنْ زَرُودَ لَأَفْزَعَا (٣)

يقول: لَأَغِيث. وكأس: اسم جارية، وإنما أمرها بإلجام فرسه ليغيث. والظُنْبُوبُ: مُقَدَّمُ السَّاقِ.

(١) جماعة منهم، وهم بنو عبد الأشهل، من ولد عمرو بن مالك بن أوس. (وانظر الفائق للزمخشري ٢٧٤: ٢).

(٢ - ٢) ما بين الرقمين لم يرد في الأصل، وأثبتناه عن ر.

(٣) زرود: موضع في طريق الحاج من الكوفة. والكثيب: القطعة من الرمل، مستطيلة محدودة.

[حديث: «ألا أخبركم بأحبكم إلي...»]

وقال رسول الله ﷺ: «ألا أخبركم بأحبكم إلي وأقربكم مني مجالس يوم القيامة؟ أحاسنكم أخلاقاً، الموطئون أكنافاً، الذين يَأْلِفُونَ وَيُؤْلَفُونَ، ألا أخبركم بأبغضكم إلي وأبعدكم مني مجالس يوم القيامة؟ الثرثارون المتفهبون».

قوله ﷺ: «الموطئون أكنافاً» مثل، وحقيقته أن التوطئة هي التذليل والتمهيد، يقال: دابةً وطئاً، يا فتى، وهو الذي لا يحرك ركبته في مسيره، وفرأش وطئاً إذا كان وثيراً لا يؤذي جنب النائم عليه، فأراد القائل بقوله: «موطأ الأكناف» أن ناحيته يتمكن فيها صاحبها غير مؤذي، ولا ناب به موضعه.

قال أبو العباس: حدثني العباس بن الفرَج الرِّياشيُّ قال: حدثني الأصمعيُّ قال: قيل لأعرابيٍّ - وهو المتَّجِع بن نَبهان^(١) -: ما السَّمِيعُ؟ فقال: السَّيِّد المُوَطَّأ الأكناف.

وتأويل الأكناف الجوانب، يقال: في المثل: فلان في كنف فلان، كما يقال: فلان في ظل فلان، وفي ذرى فلان، [وفي ناحية فلان،^(٢) وفي حيز فلان.

وقوله ﷺ: «الثرثارون» يعني الذين يكثرُونَ الكلام تكلُّفاً وتجاوزاً، وخروجاً عن الحق. وأصل هذه اللفظة من العين الواسعة من عيون الماء، يقال: عينٌ ثرثارةٌ، وكان يقال لنهر بعينه: الثرثار^(٣)، وإنما سمي به لكثرة مائه، قال الأخطل^(٤):

لَعَمْرِي لَقَدْ لَاقَتْ سُلَيْمٌ وَعَامِرٌ عَلَى جَانِبِ الثَّرَثَارِ رَاغِيَةَ الْبَكْرِ

قوله: «راغية البكر» أراد أن بكرَ ثمود رَغاً فيهم فأهْلَكُوا، فضربتَه العرب مثلاً، وأكثرَت فيه، قال عَلْقَمَةُ بن عَبْدَةَ الفحل:

رَغَا فَوْقَهُمْ سَقْبُ السَّمَاءِ فَدَاحِضٌ بِشَكَّتِهِ لَمْ يُسْتَلَبْ وَسَلِيبٌ^(٥)

(١) من طي؛ ذكره الزبيدي في الطبقة الأولى من اللغويين البصريين ص ١٧٥.

(٢) تكملة من ر.

(٣) الثرثار: موضع عند تكريت.

(٤) زيادات ر: «واسمه غياث بن غوث، يكنى أبا مالك، ويلقب بدوبل، والدوبل: الخنزير»، وكذلك في س.

(٥) زيادات ر: «السقب: ولد الناقة، والشكة: ما يلبس من السلاح، والسليب: من سلب سلاحه».

[قال أبو الحسن: الداحض: الساقط، والداحض أيضا: الزالق]
وكذلك إذا لم تُضَعَّفِ الثاء فقلت: عينٌ ثرةٌ: فإنما معناها غزيرة واسعة،
قال عنترة:

جَادَتْ عَلَيْهَا كُلُّ عَيْنٍ ثَرَّةً فَتَرَكَنَ كُلَّ حَدِيقَةٍ كَالدَّرْهِمِ^(١)

قال أبو العباس: وليست الثرة عند النحويين البصريين من لفظة الثرثرة،
ولكنها في معناها^(٢).

وقوله عَلَيْهَا: «المتفهيقون» إنما هو بمنزلة قوله: «الثرثرون» تأكيد له، ومُتَفَهِّقٌ
مُتَفَهِّعٌ، من قولهم: فَهَقَ الْغَدِيرُ يَفْهَقُ إذا امتلأ ماءً فلم يكن فيه موضع مزيد،
كما قال الأعشى:

نَفَى الدَّمَ عَنْ رَهْطِ الْمُحَلَّقِ جَفَنَةً كَجَابِيَةِ الشَّيْخِ الْعِرَاقِيِّ تَفْهَقُ

كَذَا يُنْشِدُهُ أَهْلُ الْبَصْرَةِ، وتأويله عندهم أن العراقي إذا تَمَكَّنَ من الماء ملأ
جأبيته لأنه حَضَرِيٌّ فلا يعرف مواقع الماء ولا محالَّه.

قال أبو العباس: وسمعت أعرابية تنشد - [قال أبو الحسن هي أم الهيثم
الكلابية من ولد المحلق، وهي راوية أهل الكوفة] -: «كجافية السَّيْح» تريد النهر
الذي يجرى على جأبيته، فماؤها لا ينقطع؛ لأن النهر يَمُدُّهُ. ومثل قول البصريين
فيما ذكروا به «العراقي الشيخ» قول الشاعر - [قال أبو الحسن هو ذو الرُّمَّة] -:

لَهَا ذَنْبٌ ضَافٌ وَذِفْرَى أَسِيلَةٌ وَخَدٌّ كِمْرَاءٍ الْغَرِيبَةِ أَسْجَحُ^(٣)

يقول: إن الغريبة لا ناصح لها في وجهها، لبعدها عن أهلها، فمِرَاتُهَا أَبَدًا
مَجْلُوءَةٌ، لفرط حاجتها إليها.

(١) قال في اللسان: «الحديقة من الرياض: كل أرض استدارت وأحْدَق بها حاجز، أو أرض مرتفعة». وفي
رواية التبريزي (شرح المعلقات ١٠٨): «كل قرارة كالدرهم».

(٢) س، وحواشي ر: «ويجب أن يكون من الثرة ثرارة».

(٣) ديوانه ٨٨. والذفرى: الموضع الذي يعرق من البعير خلف الأذن. وفي الديوان: «لها أذن حشر».
والأذن الحشر: المحددة.

وتصديق ما فسرناه من قول رسول الله ﷺ أنه يريد الصدق في المنطق والقصد، وترك ما لا يحتاج إليه، قوله لجرير بن عبد الله البجلي: «يا جرير، إذا قلت فأوجز، وإذا بلغت حاجتك فلا تتكلف».

[كلمة أبي بكر في مرضه لعبد الرحمن بن عوف]

قال أبو العباس: ومما يؤثر من حكيم الأخبار، وبارع الآداب، ما حدثنا به عن عبد الرحمن بن عوف، وهو أنه قال: دخلت يوما على أبي بكر الصديق رحمة الله عليه في علته التي مات فيها، فقلت له: أراك بارئًا يا خليفة رسول الله، فقال: أما إنني على ذلك لشديد الوجع، وكما لقيت منكم يا معشر المهاجرين أشد علي من وجعي. إنني وليت أموركم خيركم في نفسي، فكلكم ورم أنفه أن يكون له الأمر من دونه، والله لتتخذن نضائد الديباج، وستور الحرير، ولتألمن النوم على الصوف الأذري كما يألّم أحدكم النوم على حسك السعدان، والذي نفسي بيده لأن يقدم أحدكم فتضرب عنقه في غير حد خير له من أن يخوض غمرات الدنيا. يا هادي الطريق جرت، إنما هو والله الفجر، أو البجر. فقلت: خففص عليك يا خليفة رسول الله، فإن هذا يهيضك إلى ما بك، فوالله ما زلت صالحًا مصلحًا، لا تأس على شيء فاتك من أمر الدنيا، ولقد تخلّيت بالأمر وحدك فما رأيت إلا خيرًا.

قوله: «نضائد الديباج» واحدها نضيدة، وهي الوسادة وما ينضد من المتاع، قال الراجز:

وَقَرَّبْتُ خُدَامَهَا الْوَسَائِدَا حَتَّى إِذَا مَا عَلَوَا النَّضَائِدَا

سَبَّحْتُ رَبِّي قَائِمًا وَقَاعِدَا

وقد تسمى العرب جماعة ذلك النضد، والمعنى واحد، إنما هو ما نضد في البيت من متاع، قال النابغة:

* وَرَفَعَتْهُ إِلَى السَّجْفَيْنِ فَالْنَضْدِ (١) *

(١) ديوانه ٢٤، وصدده:

* خَلَّتْ سَبِيلَ أَتَى كَانَ يَحْبِسُهُ *

ويقال: نَضَدْتُ المتاع إذا ضمنت بعضه إلى بعض، فهذا أصله قال الله تبارك وتعالى: ﴿لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ﴾^(١)، وقال: ﴿فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ * وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ﴾^(٢)، ويقال: نَضَدْتُ اللَّبْنَ عَلَى الْمَيْتِ.

وقوله: «على الصوف الأذري»، فهذا منسوب إلى أذربيجان، وكذلك تقول العرب، قال الشَّماخ:

تَذَكَّرْتُهَا وَهَنَا وَقَدْ حَالَ دُونَهَا قُرَى أَذَرَبَيْجَانَ الْمَسَالِحِ وَالْجَالِ^(٣)

وقوله: «على حَسَكِ السَّعْدَانِ»، فالسَّعدان نَبْتُ كثير الحَسَكِ تأكله الإبل فتسمن عليه، ويغذوها غذاءً لا يوجد في غيره، فمن أمثال العرب: «مَرَعَى وَلَا كَالسَّعْدَانِ» تفضيلاً له، قال النابغة:

الْوَاهِبِ الْمِائَةِ الْأَبْكَارَ زَيْنَهَا سَعْدَانُ تَوْضِحَ فِي أُوْبَارَهَا اللَّبْدِ^(٤)

ويروى في بعض الحديث «أنه يُؤْمَرُ بالكافر يوم القيامة فَيُسْحَبُ عَلَى حَسَكِ السَّعْدَانِ»، والله أعلم بذلك.

[قال أبو الحسن: السَّعدان: نبت كثير الشوك - كما ذكر أبو العباس - ولا سَاقَ له، إنما هو مُنْفَرِشٌ عَلَى وجه الأرض. حدثنا أبو العباس أحمد بن يحيى الشَّيبَانِيُّ عن ابن الأعرابي، قال: قيل لرجل من أهل البادية - وخرج عنها -: أترجع إلى البادية؟ فقال: أمّا مادام السَّعدانُ مُسْتَلْقِيًا فلا. يريد أنه لا يرجع إلى البادية أبداً، كما أن السعدان لا يزول عن الاستلقاء أبداً.]

(١) سورة ق ١٠.

(٢) سورة الواقعة ٢٩، ٣٠.

(٣) المسالِح: مواضع المخافة، والجبال، ضبطت في الأصل بالفتحة والكسرة، وكذلك في إحدى النسخ التي قابل بها «رِيط» نسخته. وقال المصنف: «الجال: اسم لجماعة الخيل والإبل، أضاف أذربيجان إليهما إشعاراً بأنها مملوءة بهما». وانظر ديوان الشماخ ١١٧، ومعجم البلدان ١: ١٥٩، واللسان (سلح)، وتاج العروس (ذرب)، والمعرّب للجواليقي ٣٦.

(٤) توضح: من قرى اليمامة.

وقال أبو على البَصِير - واسمه الفضل بن جعفر، وإن لم يكن بحجة، ولكنه أجاد فذكرنا شِعْرَهُ هَذَا لِجَوْدَتِهِ لَا لِلْحَتَّاجِ بِهِ - يمدح عُبَيْدَ اللَّهِ بن يحيى ابن خاقان وآله فقال:

يَا وَزَرَءَ السُّلْطَانَ أَنْتُمْ وَأَلْ خَاقَانَ
كَبَعْضِ مَا رَوَيْنَا فِي سَالِفَاتِ الْأَزْمَانِ
مَاءٌ وَلَا كَصُدَى مَرْعَى وَلَا كَالسَّعْدَانِ

وهذه الأمثال ثلاثة، منها قولهم: «مَرْعَى وَلَا كَالسَّعْدَانِ»، و«فَتَى وَلَا كَمَالِكَ»، و«مَاءٌ وَلَا كَصُدَى»، تُضَرَّبُ هذه الأمثال للشيء الذى فيه فَضْلٌ وغيره أَفْضَلُ منه، كقولهم: «مَا مِنْ طَامَّةٍ إِلَّا فَوْقَهَا طَامَّةٌ»، أى مَا مِنْ دَاهِيَةٍ إِلَّا فَوْقَهَا دَاهِيَةٌ، ويقال: طَمَأَ الْمَاءُ وَطَمَّ إِذَا ارْتَفَعَ وَزَادَ.

ومالك الذى ذكروا هو مالك بن نُؤَيْرَةَ، أخو مُتَمِّم بن نُؤَيْرَةَ.

وصدَاءٌ يُمدُّ، وبعضهم يقول: صُدَى، فيضم أوله وَيَقْصُرُ، فأما أبو العباس محمد بن يزيد، فإنه قال: لم أسمع من أصحابنا إِلَّا صَدَاءً يَأْفَتِي، وهو اسم لماء، معرفة، وهما همزتان بينهما ألف، والألف لا تكون إِلَّا سَاكِنَةً، كأنك قلت: صَدَاعٌ يَا هَذَا^(١).

* * *

وقوله: «إِنَّمَا هُوَ وَاللَّهُ الْفَجْرُ أَوْ الْبَجْرُ» يقول: إِنِ انتظرتَ حَتَّى يُضِيَءَ لَكَ الْفَجْرُ الطَّرِيقَ أَبْصَرتَ قَصْدَكَ، وَإِنْ خَبَطَتِ الظُّلُمَاءُ، وَرَكِبْتَ الْعَشَوَاءَ هَجَمًا بِكَ عَلَى الْمَكْرُوهِ. وَضَرَبَ ذَلِكَ مَثَلًا لَغَمَرَاتِ الدُّنْيَا، وَتَحْيِيرِهَا أَهْلَهَا.

وقوله: «يَهِيضُكَ» مأخوذ من قولهم: هِيضَ الْعَظْمُ إِذَا جَبَرَ ثُمَّ أَصَابَهُ شَيْءٌ يُعْتِنُهُ فَأَذَاهُ فَكَسَرَهُ ثَانِيَةً، أَوْ لَمْ يَكْسِرْهُ، وَأَكْثَرُ مَا يَسْتَعْمَلُ فِي كَسَرِهِ ثَانِيَةً، ويقال: عَظْمٌ مَهِيضٌ، وَجَنَاحٌ مَهِيضٌ فِي هَذَا الْمَعْنَى، ثُمَّ يَشْتَقُّ لغير ذلك، وَأَصْلُهُ مَا ذَكَرْتَ لَكَ، فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَحِمَهُ اللَّهُ لَمَّا كَسَرَ يَزِيدَ بْنَ الْمُهَلَّبِ

(١) ما بين العلامتين لم يرد فى الأصل، وأثبتناه عن ر، س.

سَجْنَهُ وَهَرَبَ، فَكُتِبَ إِلَيْهِ: لَوْ عَلِمْتُ أَنَّكَ تَبْقَى مَا فَعَلْتُ، وَلَكِنَّكَ مَسْمُومٌ، وَلَمْ أَكُنْ لِأَضْعَ يَدِي فِي يَدِ ابْنِ عَاتِكَةَ^(١). فقال عمر: اللَّهُمَّ إِنَّهُ قَدْ هَاضَنِي فَهَضْهُ. فهذا معناه.

وقوله: «فكلّكم ورم أنفه»، يقول: امتلأ من ذلك غضبًا، وذكر أنفه دون السائر كما يقال: فلان شامخ بأنفه، يريد رافع، وهذا يكون من الغضب كما قال الشاعر:

* ولا يُهاجُ إذا ما أنفه ورمًا *

أى لا يكلم عند الغضب، ويقال للمائل برأسه كبرًا: مُتَشَاوِسٌ، وثاني عطفه، وثاني جسيده، إنما هذا كله من الكبرياء. قال الله عز وجل: ﴿ثَانِي عَطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾^(٢)، وقال الشماخ^(٣):

نُبِّئْتُ أَنَّ رُبِيْعًا أَنْ رَعَى إِبِلًا يَهْدِي إِلَى خَنَاهُ ثَانِي الْجِيدِ

وقوله: «أراك بارتًا يا خليفة رسول الله»^(٤) يكون من برئت من المرض وبرأت، كلاهما يقال: فمن قال برئت يقول: أبرأ^(٥) يافتي لا غير، ومن قال: برأت قال فى المضارع: أبرأ وأبرؤ، يافتي، مثل فرغ ويفرغ. والآية تُقرأ على وجهين: ﴿سَتَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ﴾^(٦)، و﴿سَتَفْرُغُ﴾، والمصدر فيهما «البرء» يا فتى.

[عهد أبي بكر بالخلافة إلى عمر]

ومما روى لنا عنه رضى الله عنه حيث عهد عند موته وهو:

بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما عهد به أبو بكر خليفة محمد رسول الله ﷺ، عند آخر عهده بالدنيا، وأول عهده بالآخرة، فى الحال التى يؤمن فيها الكافر، ويتقى فيها الفاجر. إني استعملت عليكم عمر بن الخطاب، فإن بر وعدك

(١) زيادات ر: «هو يزيد بن عبد الملك بن مروان، وأمه عاتكة بنت يزيد بن معاوية، ولى الملك بعد عمر بن عبد العزيز، ولا يعلم أحد أعرق فى الخلافة منه».

(٢) سورة الحج ٩.

(٣) زيادات ر: «يهجو الربيع بن علياء السلمى».

(٤) ر، س: «يا خليفة رسول الله ﷺ».

(٥) ر، س: «قال».

(٦) الرحمن ٣١.

فذلك علمى به، ورأى فيه، وإن جار وبدل فلا علم لى بالغيب، والخير أردت، ولكل أمرى ما اكتسب، وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون.

نصب «أى» بقوله «ينقلبون» ولا يكون نصبها بـ «سيعلم»؛ لأن حروف الاستفهام إذا كانت أسماء امتنعت مما قبلها كما يمتنع ما بعد الألف من أن يعمل فيه ما قبله، وذلك (١) قولك: «علمت زيدا منطلقاً» فإن أدخلت الألف قلت: «علمت أزيداً منطلقاً أم لا»، فأى بمنزلة زيد الواقع بعد الألف، ألا ترى أن معناها: إذا أم ذا. وقال الله عز وجل: ﴿لَنَعْلَمَ أَىَّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا﴾ (٢) لأن معناها: أهذا أم هذا؟ وقال تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا﴾ (٣) على ما فسرت لك، وتقول: أعلم أيهم ضرب زيدا، وأعلم أيهم ضرب زيد، تنصب أياً بـ «ضرب» لأن «زيداً» فاعل، فإنما هذا لما بعده، وكذلك ما أضيف إلى اسم من هذه الأسماء المستفهم بها، نحو: قد علمت غلاماً أيهم فى الدار، وقد عرفت غلاماً من فى الدار، وقد علمت غلاماً من ضربت، فتنصبه بـ «ضربت»، فعلى هذا مجرى الباب.

[أول خطبة خطبها عمر بن الخطاب]

ومما يؤثر من هذه الآداب ويقدم قول عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فى أول خطبة خطبها - حدثنا العتبي قال: لم أر أقل منها فى اللفظ، ولا أكثر فى المعنى - حمد الله وأثنى عليه وهو أهله، وصلى على نبيه محمد ﷺ ثم قال:

أيها الناس، إنه والله ما فيكم أحد أقوى عندى من الضعيف حتى أخذ الحق له، ولا أضعف عندى من القوى حتى أخذ الحق منه.

ثم نزل. وإنما حسن هذا القول مع ما يستحقه من قبل الاختيار، بما عضده به من الفعل المشاكل له:

(٤) [قال أبو الحسن: قد رويناه هذه الخطبة التى عزاها إلى عمر بن الخطاب عن

أبى بكر رضى الله عنهما، وهو الصحيح] (٤).

(١) ر، س: «وذلك نحو قولك».

(٢) الكهف: ١٢.

(٣) الكهف: ١٩.

(٤) - ٤) لم يرد فى الأصل، وأثبتناه عن ر، س.

[رسالة عمر في القضاء إلى أبي موسى الأشعري]

قال أبو العباس: ومن ذلك رسالته في القضاء إلى أبي موسى الأشعري، وهي التي جَمَعَ فيها جُمْلَ الأحكام، واختصرها بأجود الكلام، وجعل الناس بعده يتخذونها إماماً، ولا يجدُ مُحِقُّ عنها مَعْدِلاً، ولا ظالمٌ عن حدودها مَحِيصاً، وهي:

بسم الله الرحمن الرحيم: من عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين إلى عبد الله بن قيس. سلامٌ عليك، أما بعد، فإن القضاءَ فَرِيضَةٌ مُحْكَمَةٌ، وَسُنَّةٌ مَتَّبَعَةٌ، فَافْهَمُوا إِذَا أُدْلِيَ إِلَيْكُم، فَإِنَّهُ لَا يَنْفَعُ تَكَلُّمٌ بِحَقٍّ لَا نَفَازَ لَهُ. أَسِ بَيْنَ النَّاسِ بِوَجْهِكَ^(١)، وَعَدْلِكُم، وَمَجْلِسِكُم، حَتَّى لَا يَطْمَعَ شَرِيفٌ فِي حَيْفِكُم، وَلَا يَبْشُرَ ضَعِيفٌ مِنْ عَدْلِكُم. الْبَيِّنَةُ عَلَى مَنْ ادَّعَى، وَالْيَمِينُ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ، وَالصَّلَاحُ جَائِزٌ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، إِلَّا صَلَاحًا أَحَلَّ حَرَامًا، أَوْ حَرَّمَ حَلَالًا. لَا يَمْنَعُكَ قَضَاءُ قَضِيَّتِهِ الْيَوْمَ فَرَأَجَعْتَ فِيهِ عَقْلُكَ، وَهَدَيْتَ فِيهِ لِرُشْدِكَ، أَنْ تَرْجِعَ إِلَى الْحَقِّ، فَإِنَّ الْحَقَّ قَدِيمٌ، وَمَرَاجَعَةُ الْحَقِّ خَيْرٌ مِنَ التَّمَادِي فِي الْبَاطِلِ. الْفَهْمُ الْفَهْمُ فِيمَا تَلَجَّلَجَ فِي صَدْرِكَ مِمَّا لَيْسَ فِي كِتَابٍ وَلَا سُنَّةٍ، ثُمَّ اعْرِفِ الْأَشْبَاهَ وَالْأَمْثَالَ، فَقَسِ الْأُمُورَ عِنْدَ ذَلِكَ، وَاعْمُدْ إِلَى أَقْرَبِهَا إِلَى اللَّهِ، وَأَشْبِهَا بِالْحَقِّ، وَاجْعَلْ لِمَنْ ادَّعَى حَقًّا غَائِبًا أَوْ بَيِّنَةً أَمَدًا يَنْتَهَى إِلَيْهِ، فَإِنْ أَحْضَرَ بَيِّنَتَهُ أَخَذْتَ لَهُ بِحَقِّهِ، وَإِلَّا اسْتَحْلَلْتَ عَلَيْهِ الْقَضِيَّةَ، فَإِنَّهُ أَنْفَى لِلشَّكِّ، وَأَجْلَى لِلْعَمَى. الْمُسْلِمُونَ عُذُولٌ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا مَجْلُودًا فِي حَدٍّ، وَمُجْرِبًا عَلَيْهِ شَهَادَةُ زُورٍ، أَوْ ظَنِينًا فِي وِلَاءٍ أَوْ نَسَبٍ، فَإِنَّ اللَّهَ تَوَلَّى مِنْكُمْ السَّرَائِرَ، وَدَرَأَ بِالْبَيِّنَاتِ وَالْأَيْمَانِ. وَإِيَّاكَ وَالْغُلُقَ وَالضَّجَرَ، وَالتَّأْدِي بِالْخُصُومِ، وَالتَّنَكُّرَ عِنْدَ الْخُصُومَاتِ، فَإِنَّ الْحَقَّ فِي مَوَاطِنِ الْحَقِّ لِيُعْظَمَ^(٢) اللَّهُ بِهِ الْأَجْرَ، وَيُحْسِنُ بِهِ الذُّخْرَ، فَمَنْ صَحَّتْ نِيَّتُهُ، وَأَقْبَلَ عَلَى نَفْسِهِ كَفَاهُ اللَّهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ، وَمَنْ تَخَلَّقَ لِلنَّاسِ بِمَا يَعْلَمُ اللَّهُ أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ نَفْسِهِ شَأْنُهُ اللَّهُ، فَمَا ظَنُّكَ بِثَوَابٍ غَيْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي عَاجِلِ رِزْقِهِ وَخَزَائِنِ رَحْمَتِهِ، وَالسَّلَامُ.

(١) ر، س: «في وجهك».

(٢) ر س: «يعظم».

قال أبو العباس: قوله: «آس بين الناس فى وجهك وعدلك ومجلسك»، يقول: سَوَّ بينهم: وتقديره: اجعل بعضهم أَسْوَةً بعض، والتَّأَسَّى من ذَا أن يرى ذُو الْبَلَاءِ مَنْ به مِثْلُ بَلَاءِهِ، فيكون قد ساواه فيه، فَيُسَكِّنُ ذلك من وَجْهِهِ، قالت الخنساء:

فَلَوْلَا كَثْرَةُ الْبَاكِينَ حَوْلِي عَلَى إِخْوَانِهِمْ لَقَتَلْتُ نَفْسِي
وَمَا يَبْكُونَ مِثْلَ أَخِي وَلَكِنْ أَعَزَّى النَّفْسَ عَنْهُ بِالتَّأَسَّى
يُذَكِّرُنِي طُلُوعَ الشَّمْسِ صَخْرًا وَأَذْكُرُهُ لِكُلِّ غُرُوبِ شَمْسٍ

تقول: أذكره فى أَوَّلِ النهار للغارة، وفى آخره للضيَّفان، وتَمَثَّلَ مُصْعَبُ بن الزُّبَيْرِ يومَ قُتِلَ بهذا البيت:

وَأَنَّ الْأُلَى بِالطَّفِّ مِنْ آلِ هَاشِمٍ تَأَسَّوْا فَسَنُوا لِلْكَرَامِ التَّأَسِيَا^(١)

وقوله: «حتى لا يطمَع شريف فى حيفك»، يقول: فى مِيلِكَ معه لشرفه.

وقوله: «فيما تَلَجَّلَجَ فى صدرك» يقول: تَرَدَّدَ، وأصل ذلك الْمُضْغَةُ والأَكْلَةُ يُرَدِّدُهَا الرَّجُلُ فى فيه فلا تزال تتردد إلى أن يُسِيغَهَا أو يَقْذِفَهَا، والكلمة يرددها الرجل إلى أن يَصِلَهَا بِأُخْرَى، يقال لِلْعَبْيِ: لَجَلَجَ، وقد يكون من الآفة تَعْتَرِي اللسان، قال زهير:

تَلَجَّلَجَ مُضْغَةً فِيهَا أَنْيَضٌ أَصَلَّتْ، فَهِيَ تَحْتَ الْكَشْعِ دَاءٌ

وقوله: «أَنْيَضٌ» أى لم تَنْضَجْ^(٢). ومن أمثال العرب: الحقُّ أَبْلَجُ، والباطل لَجَلَجٌ. أى يتردد فيه صاحبه فلا يصيب مَخْرَجًا.

وقوله: «أَوْظَنِيَّ فى ولاء، أو نسب»، فهو الْمُتَّهَمُ، وأصله «مَظْنُون»، وهى ظننت التى تتعدى إلى مفعول واحد، تقول: ظننت بزيد، وظننت زيدا، أى اتَّهَمْتُ، ومن ذلك قول الشاعر - أحسبه عبد الرحمن بن حسان -:

فَلَا وَيمينِ اللَّهِ مَا عَنْ جِنَايَةٍ هَجَرْتُ، وَلَكِنَّ الظَّنَّ ظَنِينَ^(٣)

(١) البيت فى الأغاني (١٧ - ١٦٥) ونسبه إلى سليمان بن قته، وهو أيضا فى اللسان (أسا) من غير نسبة. قال ابن برى: «وتأسوا، من المؤاساة، كما ذكر الجوهري، لا من التأسى كما ذكر المبرد».

(٢) كذا ذكره المبرد، وهو يوافق ما فى شرح الديوان، وفى اللسان (أنض): «فيها أنيض أى تغير» واستشهد بالبيت، وهو الأوفق.

(٣) البيت فى اللسان (ظن). ونسبه أيضا إلى عبد الرحمن بن حسان، ثم ذكر أن ابن برى نسبه إلى نهار بن توسعة.

وفى بعض المصاحف: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِظَنِينٍ﴾^(١): وإنما قال عمر رضى الله عنه ذلك لما جاء عن النبي ﷺ: «مَلْعُونٌ مَلْعُونٌ مَنْ انْتَمَى إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ، أَوْ ادَّعَى إِلَى غَيْرِ مَوَالِيهِ»، فلما كانت معه الإقامة على هذا لم يره للشهادة موضعاً.

وقوله: «وَدَرَأَ بِالْبَيِّنَاتِ وَالْأَيْمَانِ» إنما هو دَفَعَ، من ذلك قول رسول الله ﷺ: «ادْرَأُوا الْحُدُودَ بِالشُّبُهَاتِ»، وقال الله عز وجل: ﴿قُلْ فَادْرَأُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(٢) وقال: ﴿فَادَارَأْتُمْ فِيهَا﴾^(٣)، أى تَدَأَفَعْتُمْ.

وأما قوله: «وإياك والغلق والضجر» فإنه ضيق الصدر، وقلة الصبر، يقال فى سوء الخلق: رجل غلق، وأصل ذلك من قولهم^(٤): غلق الرهن، أى لم يوجد له تخلص، وأغلقت الباب من هذا، قال زهير:

وَفَارَقْتُكَ بِرَهْنٍ لَا فَكَاكَ لَهُ يَوْمَ الْوَدَاعِ فَأَمْسَى الرَّهْنُ قَدْ غَلِقَا

وقوله: «ومن تَخَلَّقَ للناس»، يقول: أظهر للناس فى خلقه خلاف نيته.

وقوله: «تَخَلَّقَ» يريد أظهر^(٥) مثل تَجَمَّلَ يريد أظهر جمالاً وتَصَنَّعَ، وكذلك تَجَبَّرَ، إنما تأويله الإظهار، أى أظهر جبريةً، وإن شئت جبروتاً، وإن شئت جبروتى [وإن شئت جبروتاً]^(٦). ومن كلام العرب على هذا الوزن: رَهْبُوتى خير لك من رَحْمُوتى، أى^(٧) تُرْهَبُ خير لك من أن تُرْحَمَ^(٧). قال أبو العباس وأنشدونا عن أبى زيد^(٨):

(١) التكوير: ٢٤، وهو مصحف عبد الله بن مسعود، (وانظر الكشف).

(٢) سورة آل عمران: ١٦٨.

(٣) سورة البقرة: ٧٢.

(٤) ر: «وأصل ذلك من قولهم: أغلق عليه أمره إذا لم يتضح ولم يفتح، من ذلك قولهم: غلق الرهن...».

(٥) ر، س: «أظهر خلقاً».

(٦) تكملة من ر.

(٧ - ٧) ر، س «لأن ترهب خير لك من أن ترحم».

(٨) زيادات س: «الشعر لسالم بن وابصة الأسدى».

يَأْيُهَا الْمَتَحَلَّى غَيْرَ شِمَمَتِهِ
وَلَا يُؤَاتِيكَ فِيمَا نَابَ مِنْ حَدَثٍ
قَالَ: وَأَنْشَدْتَنِي أُمُّ الْهَيْثَمِ الْكِلَابِيَّةُ:
وَمَنْ يَتَّخِذْ خِيَمًا سِوَى خِيَمِ نَفْسِهِ
وَقَالَ ذُو الْإِصْبَعِ الْعَدَوَانِيُّ^(٣):

كُلُّ أَمْرِي رَاجِعٌ يَوْمًا لِشِمَمَتِهِ
وَأَمَّا قَوْلُهُ: «ثَوَابٌ»، فَاشْتِقَاقُهُ مِنْ ثَابَ يَثُوبُ إِذَا رَجَعَ، وَتَأْوِيلُهُ مَا يَثُوبُ
إِلَيْكَ مِنْ مُكَافَأَةِ اللَّهِ وَفَضْلِهِ.

[كِتَابُ عَثْمَانَ إِلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ حِينَ أَحْيَيْطَ بِهِ]

وَكُتِبَ عَثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ إِلَى عَلِيٍّ رَحِمَهُ اللَّهُ^(٤) حِينَ أُحْيَيْطَ بِهِ:
أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّهُ قَدْ جَاوَزَ الْمَاءَ الزَّبِيَّ، وَبَلَغَ الْحَزَامَ الطُّبْسَيْنِ، وَتَجَاوَزَ الْأَمْرُ بِي
قَدْرَهُ، وَطَمَعَ فِيَّ مَنْ لَا يَدْفَعُ عَنْ نَفْسِهِ
فَإِنْ كُنْتُ مَأْكُولًا فَكُنْ خَيْرَ أَكَلٍ
قَوْلُهُ: «قَدْ جَاوَزَ الْمَاءَ الزَّبِيَّ» فَالزَّبِيَّةُ مَصِيدَةُ الْأَسَدِ، وَلَا تَتَّخِذْ إِلَّا فِي قَلَةٍ أَوْ
رَابِيَةٍ أَوْ هَضْبَةٍ، قَالَ الرَّاجِزُ^(٥):

كَالَّذِ تَزْبِي زَبِيَّةً فَاصْطِيدَا

(١) الشعر في ر هكذا:

يَأْيُهَا الْمَتَحَلَّى غَيْرَ شِمَمَتِهِ
دَعِ التَّخْلُقَ يَبْعَدُ عَنْكَ أَوَّلُهُ
وَلَا يُؤَاتِيكَ فِيمَا نَابَ مِنْ حَدَثٍ
[وَمَنْ سَجِيَّتُهُ الْإِدْغَالُ وَالْمَلَقُ
إِنْ التَّخْلُقُ يَأْتِي دُونَهُ الْخُلُقُ
إِلَّا أَخُو ثِقَةٍ، فَانْظُرْ بَيْنَ تَثْقُ

وانظر رواية الأبيات في ديوان الحماسة ٢: ٢٣٦ - بشرح التبريزي.

(٢) البيت في اللسان (خيم) من غير نسبة.

(٣) زيادات ر: «ذو الإصبع اسمه حرثان بن الحارث بن محرث، وقيل له ذو الإصبع؛ لأن أفعى نهشت إصبعة».

(٤) ر: «علي بن أبي طالب رحمهما الله»، س: «علي بن أبي طالب رضي الله عنهما».

(٥) البيت للممزيq العبدى، واسمه شأس بن نهار، (وانظر المؤلف والمختلف للامدى ١٨٥).

(٦) قبله في زيادات ر:

* فَأَنْتَ وَالْأَمْرُ الَّذِي قَدْ كِيدَا *

وقال الطَّرِمَّاحُ:

يَاطِيئُ السَّهْلَ وَالْأَجْبَالَ (١)، مُوعِدُكُمْ كَمُبَغِي الصَّيْدِ أَعْلَى زُبْيَةِ الْأَسَدِ
وتقول العرب: «قد علا الماءُ الزُّبْيَ»، و«قد بلغ السَّكِينُ الْعَظْمَ»، و«بلغ
الحِزَامُ الطَّبِيْنَ»، و«قد انقطع السَّلَى في البطن».

فالسَّلَى من المرأة والشاة ما يَلْتَفُ فيه الولدُ في البطن، وقال العَجَّاجُ:

فَقَدْ عَلَا الْمَاءُ الزُّبْيَ فَلَا غَيْرَ

أى: قد جَلَّ الأمرُ عن أن يُغَيَّرَ ويُصْلَحَ.

وقوله: «وبلغ الحزام الطبيين»، فإن السَّبَاعَ والخيلَ يقال لموضع الأَخْلَافِ
منها: أَطْبَاءُ يَا فَتَى، واحدها طَبِيٌّ، كما يقال في الظِّلْفِ والخُفِّ: خَلْفٌ، هذا
مكانُ هذا، فإذا بلغ الحزامُ الطَّبِيْنَ فقد انتهى في المكروه، ومثل هذا من أمثالهم:
«التَّقَتْ حَلَقَتَا الْبَطَانِ» (٢): [ويقولون: التقت حلقتا البطان والحقب] (٣)، ويقال:
حَقَبَ الْبَعِيرُ إِذَا صَارَ الْحِزَامُ فِي الْحَقَبِ (٤)، قال الشاعر (٥):

إِذَا مَا حَقَبُ جَالٍ شَدَدْنَاهُ بِتَصْصَدِيرِ

وقال أَوْسُ بْنُ حَجَرٍ:

وَأَزْدَحَمْتُ حَلَقَتَا الْبَطَانِ بِأَقْـوَامٍ وَطَارَتْ نُفُوسُهُمْ جَزَعًا
وَتَمَثَّلَهُ بِالْبَيْتِ يَشَاكِلُ قَوْلَ الْقَائِلِ:

فَإِنْ أَكُّ مَقْتُولًا فَكُنْ أَنْتَ قَاتِلِي فَبَعْضُ مَنَائِي الْقَوْمِ أَكْرَمُ مِنْ بَعْضِ

(١) أجبال طيئ: أجا وسلمى والعوجاء.

(٢) البطن: حزام الرجل.

(٣) من ر، س.

(٤) الحقب: حزام يشد به رجل البعير.

(٥) ر: «قال أبو بكر: هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك، وأوله:

سَلِّمِي تِلْكَ فِي الْعَيْرِ	قَفَى إِنْ شِئْتَ أَوْ سِيرِي
قَلِمَا أَنْ بَدَا الصَّبِيحُ	بِأَصْوَاتِ الْعَصَافِيرِ
خَرَجْنَا نَبْتَغِي الصَّيْدَ	بِأَمْثَالِ الْيَعَافِيرِ
إِذَا مَا حَقَبُ جَالٍ	شَدَدْنَاهُ بِتَصْصَدِيرِ
زَجَرْنَا الْعَيْسَ فَارْمَدَتْ	بِإِهْذَابِ وَتَشْمِيرِ

[عتاب عثمان على بن أبي طالب]

ويروى عن قَبْرِ مَوْلَى عَلَى بن أَبِي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: دَخَلْتُ مَعَ عَلَى بن أَبِي طالب عَلَى عَثْمَانَ بنِ عَفَّانٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، فَأَحَبَّابًا الْخُلُوءَ، فَأَوْمَأَ إِلَيَّ عَلَىٌّ بِالتَّنَحِّي، فَتَنَحَّيْتُ غَيْرَ بَعِيدٍ، فَجَعَلَ عَثْمَانُ يَعَاتِبُ عَلِيًّا وَعَلَىٌّ مُطْرَقٌ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ عَثْمَانُ فَقَالَ: مَا بَالُكَ لَا تَقُولُ؟ فَقَالَ: إِنْ قُلْتُ لَمْ أَقُلْ إِلَّا مَا تَكْرَهُ، وَلَيْسَ لَكَ عِنْدِي إِلَّا مَا تُحِبُّ.

تأويل ذلك: إِنْ قُلْتُ اعْتَدَدْتُ عَلَيْكَ بِمَثَلِ مَا اعْتَدَدْتَ بِهِ عَلَيَّ فَلَدَعَكَ عِتَابِي، وَعَقَدِي أَلَا أَفْعَلُ - وَإِنْ كُنْتُ عَاتِبًا - إِلَّا مَا تُحِبُّ.

[خُطْبَةُ عَلَى بن أَبِي طَالِبٍ حِينَ بَلَغَهُ قَتْلُ عَامِلِهِ حَسَّانَ بنِ حَسَّانٍ]

وَتَحَدَّثَ ابْنُ عَائِشَةَ فِي إِسْنَادِ ذِكْرِهِ أَنَّ عَلِيًّا رَحِمَهُ اللَّهُ انْتَهَى إِلَيْهِ أَنْ خِيَلَا لِمَعَاوِيَةَ وَرَدَتِ الْأَنْبَارُ، فَقَتَلُوا عَامِلًا لَهُ يُقَالُ لَهُ: حَسَّانُ بنِ حَسَّانٍ، فَخَرَجَ مُغَضَّبًا يَجْرُ ثَوْبُهُ حَتَّى انْتَهَى (١) إِلَى النُّخَيْلَةِ، وَاتَّبَعَهُ النَّاسُ، فَرَفِيَ رِبَاوَةً مِنَ الْأَرْضِ، فَحَمِدَ اللَّهُ وَأَتْنَى عَلَيْهِ، وَصَلَّى عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ، ثُمَّ قَالَ:

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الْجِهَادَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، فَمَنْ تَرَكَهُ رَغْبَةً عَنْهُ أَلْبَسَهُ اللَّهُ الذِّلَّ، وَسِيْمَا الْخُسْفِ وَدَيْثَ الصَّغَارِ. وَقَدْ دَعَوْتُكُمْ إِلَى حَرْبِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَيْلًا وَنَهَارًا، وَسِرًّا وَإِعْلَانًا، وَقُلْتُ لَكُمْ: اغْزَوْهُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَغْزَوْكُمْ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا غَزَى قَوْمٌ قَطُّ فِي عَقْرِ دَارِهِمْ إِلَّا ذَلُّوا. فَتَخَاذَلْتُمْ وَتَوَاكَلْتُمْ، وَثَقُلَ عَلَيْكُمْ قَوْلِي، وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظَهْرِيًّا، حَتَّى شَنَّتْ عَلَيْكُمْ الْغَارَاتُ. هَذَا أَخُو غَامِدٍ، قَدْ وَرَدَتْ خَيْلُهُ الْأَنْبَارَ، وَقَتَلُوا حَسَّانَ بنَ حَسَّانٍ، وَرَجُلًا مِنْهُمْ كَثِيرًا وَنِسَاءً - وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّهُ كَانَ يُدْخَلُ عَلَى الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ وَالْمُعَاهِدَةِ، فَتُتَرَعُّ أَحْجَالُهُمَا وَرُءُوسُهُمَا - ثُمَّ انْصَرَفُوا مَوْفُورِينَ لَمْ يُكَلِّمْ مِنْهُمْ أَحَدٌ كَلِمًا. فَلَوْ أَنَّ أَمْرًا مُسْلِمًا مَاتَ مِنْ دُونِ هَذَا أَسَفًا مَا كَانَ عِنْدِي فِيهِ مَلُومًا، بَلْ كَانَ عِنْدِي بِهِ جَدِيرًا. يَاعَجِبَا كُلَّ الْعَجَبِ! [عَجَبٌ يَمِيتُ الْقَلْبَ، وَيَشْغَلُ الْفَهْمَ، وَيَكْثُرُ الْأَحْزَانُ] (٢) مِنْ تَصَافُرٍ

(١) ر: «حَتَّى أَتَى النُّخَيْلَةَ»، وَالنُّخَيْلَةُ: مَوْضِعٌ قَرِبَ الْكُوفَةِ.

(٢) مِنْ ر.

هؤلاء القوم على باطلهم، وفشلكم عن حركم، حتى أصبحتم غرضاً ترمون ولا ترمون، ويغار عليكم ولا تغيرون، ويعصى الله عز وجل فيكم وترضون. إذا قلت لكم: اغزوهم في الشتاء قلت: هذا أو أن قر وصر، وإن قلت لكم: اغزوهم في الصيف قلت: هذه حمارة القيظ، أنظرنا ينصرم الحر عنا. فإذا كنتم من الحر والبرد تفرّون، فأنتم من السيف أقر، يا أشباه الرجال ولا رجال! ويا طعام الأحلام، ويا عقول ربّات الحجال، والله لقد أفسدتم على رأيي بالعصيان، ولقد ملأتم جوفى غيظاً، حتى قالت قريش: ابن أبي طالب رجل شجاع، ولكن لا رأى له في الحرب. لله درهم! ومن ذا يكون أعلم بها منى، أو أشد لها مراساً! فوالله لقد نهضت فيها وما بلغت العشرين، ولقد نيفت اليوم على الستين. ولكن لا رأى لمن لا يطاع! - يقولها ثلاثاً.

فقام إليه رجل ومعه أخوه^(١)، فقال: يا أمير المؤمنين: أنا وأخى هذا كما قال الله عز وجل: ﴿رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي﴾^(٢) فمرنا بأمرك، فوالله لنتهين إليه، ولو حال بيننا وبينه جمر الغضا، وشوك القتاد. فدعا لهما بخير، ثم قال: وأين تقعان مما أريد! ثم نزل.

قال أبو العباس قوله: «سيما الخسف»، قال: هكذا حدثونا، وأظنه «سيم الخسف» يا هذا، من قول الله عز وجل: ﴿يَسْؤُمُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾^(٣) ومعنى قوله: «سيما الخسف» تأويله علامة، هذا أصل ذا، قال الله عز وجل: ﴿سَيِّمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾^(٤)، وقال عز وجل: ﴿يُعَرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسَيِّمَاهُمْ﴾^(٥).

(١) زيادات ر: «الرجل وأخوه يعرفان بابني عفيف من الأنصار» وفي حاشية الأصل: «هو جندب بن عفيف، وأخوه من الأزدي».

(٢) سورة المائدة ٢٥.

(٣) سورة البقرة ٤٩.

(٤) سورة الفتح ٢٩.

(٥) سورة الرحمن ٤١.

وقال أبو عبيدة فى قوله عز وجل: ﴿مُسَوِّمِينَ﴾ (١) قال: مُعْلَمِينَ (٢) واشتقاقه من السِّيمَا التى ذكرنا. ومن قال: ﴿مُسَوِّمِينَ﴾، فإنما أراد مُرْسِلِينَ: من الإبل السائمة، أى المُرسَلَة فى مراعيها، وإنما أخذ هذا من التفسير. وقال المفسرون فى قوله تعالى: ﴿وَالْخَيْلَ الْمُسَوَّمَةَ﴾ (٣) القولين جميعاً مع العلامة والإرسال، وأما فى قوله عز وجل: ﴿حِجَارَةً مِّن سَجِيلٍ مِّنْضُودٍ * مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ﴾ (٤) فلم يقولوا فيه إلا قولاً واحداً، قالوا: «مُعْلَمَةٌ»، وكان عليها أمثالُ الخواتيم، ومن قال: «سِيما» قَصَرَ. ويقال فى هذا المعنى: سِيَمِياء، ممدود، قال الشاعر (٥):

غَلَامٌ رَمَاهُ اللَّهُ بِالْحَسَنِ يَافِعاً لَهُ سِيَمِياءٌ لَا تَشُقُّ عَلَى الْبَصَرِ (٦)

وقوله رحمه الله: «وَقَتَلُوا حَسَّانَ بْنَ حَسَّانٍ»، مَنْ أَخَذَ حَسَّاناً مِنَ الْحُسَيْنِ صَرَفَهُ لِأَن وَزَنَهُ «فَعَالٌ» فالنون منه فى موضع الدال من «حَمَّادٍ»، ومن أَخَذَهُ مِنَ الْحُسَيْنِ لَمْ يَصْرِفْهُ لِأَنَّهُ حِينَئِذٍ فَعْلَانٌ فَلَا يَنْصَرِفُ فِي الْمَعْرِفَةِ، وَيَنْصَرِفُ فِي النِّكَرَةِ، لِأَنَّهُ لَيْسَتْ لَهُ «فَعْلَى»، فهو بمنزلة سَعْدَانَ وَسِرْحَانَ.

وقوله: «دَيْثٌ بِالصَّغَارِ»، تأويله: ذَلَّلَ يَقَالُ لِلْبَعِيرِ إِذَا ذَلَّلْتَهُ الرِّيَاضَةُ: بَعِيرٌ مُدَيَّثٌ، أَيْ مُذَلَّلٌ.

وقوله: «فِي عَقْرِ دَارِهِمْ»، أى فى أصل دارهم، والعَقْرُ: الأَصْل، وَمِنْ ثَمَّ قِيلَ: لِفُلَانٍ عَقَارٌ، أى أصل مال، وَيُرْوَى عَنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ بَاعَ داراً أَوْ عَقَاراً فَلَمْ يَرُدِّ ثَمَنَهُ فِي مِثْلِهِ فَذَلِكَ مَالٌ قَمَنَ أَلَّا يُبَارَكَ [لَهُ] (٧) فِيهِ». وقوله: قَمَنٌ يريد: خَلِيقٌ، وَيُقَالُ أَيْضاً: قَمِينَ وَقَمِنَ.

(١) سورة آل عمران ١٢٥.

(٢) المعلم، بكسر اللام: الفارس الذى أعلم مكانه فى الحرب بعلامة أعلم بها نفسه.

(٣) سورة آل عمران ١٤.

(٤) سورة هود ٨٢، ٨٣.

(٥) زيادات ر: «وهو ابن عتقاء الفزارى فى عميلة الفزارى».

(٦) بعده فى زيادات ر:

كان الثريا علقت فى جبينه وفى أنفه الشعرى وفى جيده القمر

(٧) من س.

[قال أبو الحسن: من قال: قَمَنْ لَمْ يُشْنْ وَلَمْ يَجْمَعْ، وَمَنْ قَالَ: قِمَنْ وَقَمِينَ ثَنَّى وَجَمَعَ] (١).

ويقال للرجل إذا اتخذ ضيعةً، أو داراً: تَأَثَّلَ فلان، أى اتخذ أصل مال.
وقوله: «وَتَوَاكَلْتُمْ»: إنما هو مشتق من وَكَلْتُ الأَمْرَ إِلَيْكَ ووَكَلْتَهُ إِلَى [أنت] (٢) أى: لَمْ يَتَوَلَّهُ واحدٌ منا دون صاحبه، ولكن أحوال به كل واحد منا على الآخر، ومن ذلك قول الحطيئة:

فَلَأَيًّا قَصَرْتُ الطَّرْفَ عَنْهُمْ بِجَسْرَةٍ أَمُونٌ إِذَا وَاکَلْتَهَا لَا تُوَاکِلُ (٣)
وقوله: «وَأَتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظَهْرِيًّا»، أى رَمَيْتُمْ به وراء ظهوركم، أى لم تلتفتوا إليه، يقال (٤) فى المثل: «لَا تَجْعَلْ حاجتى منك بظَهْرٍ»، أى لَا تَطْرَحْهَا غَيْرَ ناظرٍ إليها.

وقوله: «حتى شَنَنْتُ عليكم الغاراتُ»، يقول: صَبَّتُ، يقال: شَنَنْتُ الماءَ على رأسه، أى صَبَبْتُهُ، وشَنَنْتُ الشرابَ فى الإناءِ أى صَبَبْتُهُ، ومن كلام العرب: فلما لَقِيَ فلانٌ فلاناً شَنَّهُ السيفَ، أى صَبَّهُ عليه صَبًّا.

وقوله: «هذا أخو غامد»، فهو رجل مشهور من أصحاب معاوية، من بنى غامد بن نصر بن الأزد بن العوث، وفى هذه القبيلة يقول القائل (٥):

أَلَا هَلْ أَتَاهَا عَلَى نَائِيهَا بِمَا فَضَحَتْ قَوْمَهَا غَامِدُ
تَمْنِيْتُمْ مِائَتَى فَارِسٍ فَرَدَّكُمْ فَارِسٌ وَاحِدُ
فَلَيْتَ لَنَا بارتباط الخيو لِضَانَا لَهَا حَالِبٌ قَاعِدُ

وقوله: «فَتَنْتَرَعُ أحجالهما»، يعنى الخلاخيل، واحدها حِجْلٌ، ومن هذا قيل للدابة: مُحَجَّلٌ، ويقال للقيد: حِجْلٌ؛ لأنه يقع فى ذلك الموضع، قال جرير،

(١) من ر.

(٢) من ر.

(٣) الجسرة: الناقية الماضية فى سيرها، والأمون: الوثيقة الخلق. ورواية ديوانه ٩٨: «ذلول».

(٤) ر: «ويقال».

(٥) زيادات ر: «هو ربيعة بن مكدّم».

يُعِيرُ الْفَرَزْدَقَ حِينَ قَيْدٍ فَرَسِهِ، وَأَقْسَمَ أَلَّا يَحْلُهَا حَتَّى يَحْفَظَ الْقُرْآنَ، فَلَمَّا هَاجَى جَرِيرُ الْبَعِيثِ هَجَا [الفرزدق] (١) جَرِيرًا مُعَوْنَةً لِلْبَعِيثِ، وَذَبَّ عَنْ عَشِيرَتِهِ، فَقَالَ جَرِيرُ:

وَلَمَّا اتَّقَى الْقَيْنُ الْعِرَاقِيُّ بَاسْتِهِ فَرَعْتُ إِلَى الْعَبْدِ الْمُقَيَّدِ فِي الْحِجْلِ (٢)
مَعْنَى فَرَعْتُ عَمَدَتُ: قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ﴾ (٣) أَيْ سَنَعْمَدُ (٤).

وَقَوْلُهُ: «وَرُعُثُهُمَا» الْوَاحِدَةُ رَعُثَةٌ، وَجَمْعُهَا رِعَاثٌ، وَجَمْعُ الْجَمْعِ رُعْثٌ وَهِيَ الشُّنُوفُ.

وَقَوْلُهُ: «ثُمَّ انْصَرَفُوا مَوْفُورِينَ» مِنَ الْوَفْرِ، أَيْ لَمْ يُنَلْ أَحَدٌ مِنْهُمْ بِأَنْ يُرْزَأَ فِي بَدَنٍ وَلَا مَالٍ، يُقَالُ: فُلَانٌ مَوْفُورٌ، وَفُلَانٌ ذُو وَفَرٍ، أَيْ ذُو مَالٍ، وَيَكُونُ مَوْفُورًا فِي بَدَنِهِ إِذَا ذَكَرَ مَا أَصِيبَ بِهِ غَيْرُهُ فِي بَدَنِهِ. قَالَ حَاتِمُ الطَّائِي:

وَقَدْ عَلِمَ الْأَقْوَامُ لَوْ أَنَّ حَاتِمًا أَرَادَ ثَرَاءَ الْمَالِ أَمْسَى لَهُ وَفَرٌ
- وَيُرْوَى: «كَانَ لَهُ وَفَرٌ».

وَقَوْلُهُ: «لَمْ يَكَلِّمْ أَحَدٌ مِنْهُمْ كَلِمًا». يَقُولُ: لَمْ يُخَدِّشْ أَحَدٌ مِنْهُمْ خَدَشًا، وَكُلُّ جُرْحٍ صَغُرَ أَوْ كَبُرَ فَهُوَ كَلَمٌ، قَالَ جَرِيرُ:

تَوَاصَتْ مِنْ تَكْرُمِهَا قُرَيْشٌ بِرَدِّ الْخَيْلِ دَامِيَةِ الْكُلُومِ

وَقَوْلُهُ: «مَاتَ مِنْ دُونِ هَذَا أَسَفًا»: يَقُولُ: تَحَسَّرًا، فَهَذَا مَوْضِعُ ذَا. وَ[قَدْ] (٥) يَكُونُ الْأَسَفُ الْغَضَبُ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَلَمَّا أَسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ (٦) وَالْأَسِيفُ يَكُونُ الْأَجِيرَ، وَيَكُونُ الْأَسِيرَ، فَقَدْ قِيلَ فِي بَيْتِ الْأَعَشَى:

أَرَى رَجُلًا مِنْهُمْ أَسِيفًا كَأَنَّمَا يَضُمُّ إِلَى كَشْحِهِ كَفًّا مُخَضَّبًا

(١) مِنْ ر.

(٢) زِيَادَاتُ ر: «يَعْنِي بِقَوْلِهِ: «وَلَمَّا اتَّقَى الْقَيْنُ الْعِرَاقِيُّ بَاسْتَهُ» الْبَعِيثُ، وَسَمَاءُ الْقَيْنِ لِأَنَّهُ مِنْ رَهْطِ الْفَرَزْدَقِ».

(٣) سُورَةُ الرَّحْمَنِ ٢٤.

(٤) زِيَادَاتُ ر: «تَمِيمٌ يَقُولُ: فَرِغَ يَفْرِغُ [بِفَتْحِ الرَّاءِ فِيهِمَا] فَرَاغًا، وَأَهْلُ الْعَالِيَةِ - وَهُمْ قُرَيْشٌ وَمِنْ وَالَاهَا - يَقُولُونَ فَرِغَ يَفْرِغُ [بِالضَّمِّ فِيهِمَا] فَرُوغًا».

(٥) مِنْ ر.

(٦) سُورَةُ الزَّخْرَفِ ٥٥.

المشهور أنه من التأسّف لقطع يده، وقيل: بل هو أسير قد كُبلت يده، ويقال: قد جَرَحَهَا الْعُلُّ، والقول الأول هو الْمُجْتَمَع عليه، ويقال في معنى أسيفٍ عَسِيفٌ أَيْضاً.

وقوله: «من تَصَافِرِ هؤلاء القوم على باطلهم»، يقول: من تَعَاوَنَهُمْ وَتَظَاهَرَهُمْ.

وقوله: «وَفَشَلِكُمْ عَنْ حَقِّكُمْ»، يقال: فَشَلَ فلان عن كذا [وكذا] (١) إذا هابه فَنَكَلَ عنه، وامتنع من المضى فيه.

وقوله: «فلتم هذا أَوَّانٌ قُرٌّ وَصِرٌّ»، فالصِرُّ شدة البرد، قال الله عز وجل: ﴿كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ﴾ (٢).

وقوله: «هذه حَمَارَةٌ الْقَيْظِ»، فالقَيْظُ الصيف، وَحَمَارَتُهُ: اشتداد حره واحتدَامُهُ، وَحَمَارَةٌ مما لا يجوز أن يحتجّ عليه ببيت شعر؛ لأن [كل] (٣) ما كان فيه من الحروف التقاء ساكنين لا يقع في وَزْنٍ إِلَّا فِي ضَرْبٍ [منه] (٤) يقال له: الْمُتَقَارِبُ: [فإنه جَوَزَ فيه على بُعد التقاء الساكنين] (٥)، وهو قوله:

فَذَاكَ الْقِصَاصُ وَكَانَ التَّقَا صَّ فَرَضًا وَحَتْمًا عَلَى الْمُسْلِمِينَ

ولو قال: «وكان القصاص فرضاً وحتماً» كان أجود وأحسن، ولكن قد أجازوا هذا في هذه العروض، ولا نظير له في غيرها من الأعارض.

وقوله: «ويا طَغَامَ الأحلام» فمجازُ الطَّغَامِ عند العرب مَنْ لا عقل له، ولا معرفة عنده، وكانوا يقولون: طَغَامُ أهل الشام، كما قال:

* فَمَا فَضُلُ اللَّيْبِ عَلَى الطَّغَامِ (٦) *

(١) من ر، س.

(٢) سورة آل عمران ١١٧.

(٣) من ر، س.

(٤) من ر.

(٥) من ر.

(٦) قبله، كما في زيادات ر:

* إذا ما كان مثلهم رجاما *

وقوله: «ويا عقولَ رَبَّاتِ الْحِجَالِ» يَنْسُبُهُنَّ إِلَى ضَعْفِ النِّسَاءِ، وَهُوَ السَّائِرُ
فِي كَلَامِ الْعَرَبِ. وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى يَذْكُرُ الْبَنَاتِ: ﴿أَوْ مَنْ يَنْشَأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي
الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ (١).

(١) الزخرف ١٨.

باب

وقال أبو العباس: من كلام العرب الاختصار المفهم، والإطناب المفخم، وقد يقع الإيماء إلى الشيء فيُعْنَى عند ذوى الألباب عن كشفه، كما قيل: لَمْحَةٌ دَالَةٌ. وقد يُضْطَرُّ الشاعرُ المفلقُ، والخطيبُ المصنَّعُ، والكاتبُ البليغُ، فيقعُ في كلام أحدهم المعنى المُسْتَعْلَقُ، واللفظُ المُسْتَكْرَهُ، فإنْ انعطفتْ عليه جَنْبَتَا الكلامِ غَطَّتَا على عَوَارِهِ، وسَتَرَتَا من شَيْنِهِ. وإنْ شاء قائلُ أن يقول: بل الكلام القبيح في الكلام الحسن أظهر، ومجاورته له أشهر، كَانَ ذلك له، ولكن يغتفر السيئ (١) للحسن، والبعيد للقريب.

أمن ألفاظ العرب البيئة القريبة المفهمة

فمن ألفاظ العرب البيئة القريبة المفهمة، الحسنة الوصف، الجميلة الرصف، قول الحطيفة:

وَذَاكَ فَتَى إِنْ تَأْتَهُ فِي صَنِيعَةٍ إِلَى مَالِهِ لَا تَأْتِهِ بِشَفِيعٍ
وكذلك قول عنترة:

يُخْبِرُكَ مَنْ شَهِدَ الْوَقِيعَةَ أَنَّنِي أَغْشَى الْوَعَى وَأَعْفُ عِنْدَ الْمَغْنَمِ
وكما قال زهير:

عَلَى مُكْثَرِهِمْ رِزْقٌ (٢) مَنْ يَعْتَرِيهِمْ وَعِنْدَ الْمُقْلِينَ السَّمَاحَةُ وَالْبَذْلُ

أهما وقع من الكلام كالإيماء

ومما وقع كالإيماء قول الفرزدق:

ضَرَبْتُ عَلَيْكَ الْعَنْكَبُوتُ بِنَسْجِهَا وَقَضَى عَلَيْكَ بِهِ الْكِتَابَ الْمُنَزَّلُ

فتأويل هذا أن بيت جرير في العرب كالبيت الواهن (٣) الضعيف، فقال:

وقضى عليك به الكتاب المنزل: يريد به قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِنْ أَوْهَنَ الْبُيُوتُ لَبِيتُ الْعَنْكَبُوتُ﴾ (٤).

(١) س: «السين».

(٢) ر: «حق».

(٣) ر: «الواهي».

(٤) سورة العنكبوت ٤١.

ومن كلامه المُسْتَحْسَنِ قوله لجرير:

فَهَلْ ضَرْبَةُ الرُّومِيِّ جَاعِلَةٌ لَكُمْ
أَبَا عَنْ كُلِّبٍ أَوْ أَبَا مِثْلَ دَارِمٍ

ومن أقبح الضرورة، وأهجن الألفاظ، وأبعد المعاني قوله:

وَمَا مِثْلُهُ فِي النَّاسِ إِلَّا مُمْلَكًا أَبُو أُمِّهِ حَيُّ أَبُوهُ يُقَارِبُهُ

مَدَحَ بهذا الشعر إبراهيم بن هشام بن إسماعيل بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وهو خال هشام بن عبد الملك، فقال:

* وما مثله في الناس إلا مُمْلَكًا *

يعنى بالمُملَك هشامًا، أبو أمّ ذلك المُملَك أبو هذا الممدوح، ولو كان هذا الكلام على وجهه لكان قبيحًا، وكان يكون إذا وَضَعَ الكلام في موضعه أن يقول: وما مثله في الناس حَيُّ يُقَارِبُهُ إِلَّا مُمْلَكٌ، أبو أمّ هذا المُملَك أبو هذا الممدوح، فدلَّ على أنه خاله بهذا اللفظ البعيد، وهَجَنَهُ بما أوقع فيه من التقديم والتأخير: حتى كأنَّ هذا الشعر لم يجتمع في صدر رجل واحد مع قوله حيث يقول:

تَصَرَّمَ مِنِّي وَدُّ بَكْرٍ بِنِ وَأَثَلِ وَمَا كَادَ مِنِّي وَدُّهُمْ يَتَصَرَّمُ
قَوَارِصُ تَأْتِينِي وَيَحْتَقِرُونَهَا وَقَدْ يَمْلَأُ الْقَطْرُ الْإِنَاءَ فَيَفْعَمُ^(١)

وكانه لم يقع ذلك الكلام لمن يقول:

وَالشَّيْبُ يَنْهَضُ فِي السَّوَادِ كَأَنَّهُ لَيْلٌ يَصِيحُ بِجَانِبَيْهِ نَهَارُ
فهذا أوضح معنى، وأقرب مأخذ.

وليس لقدم العهد يُفْضَلُ القائل، ولا لحدثان عهد يُهْتَضَمُ المصيب. ولكن يُعْطَى كلُّ ما يستحق، ألا ترى كيف يفضل قولُ عَمَارَةَ^(٢) على قرب عهده:

تَبَحَّثْتُمْ سُخْطِي فغَيَّرَ بَحْثَكُمْ نَخِيلَةَ نَفْسٍ كَانَ نَصْحًا ضَمِيرُهَا
وَلَكِنْ يَلِثُ التَّخْشِينُ نَفْسًا كَرِيمَةً عَرِيكَتُهَا أَنْ يَسْتَمِرَّ مَرِيرُهَا^(٣)
وَمَا النَّفْسُ إِلَّا نُطْفَةٌ بِقَرَارَةٍ إِذَا لَمْ تُكْدَرْ كَانَ صَفْوًا غَدِيرُهَا

(١) زيادات ر: «القارصة: الكلمة المؤذية».

(٢) هو عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير بن عطية الخطفي، من شعراء الدولة العباسية، والأبيات في معجم

المرواني ٢٤٧ عن المبرد.

(٣) التخشين: إيغار الصدر، ويستمر: يقوى.

فهذا كلام واضح، وقول عَذْبٌ، وكذلك قوله أيضاً:

بَنِي دَارِمٍ إِنْ يَفْنَ عُمْرِي فَقَدْ مَضَى حَيَاتِي لَكُمْ مِنْ ثَنَاءٍ مُخَلَّدٌ
بَدَأْتُمْ فَأَحْسَنْتُمْ فَأَتْنَيْتُ جَاهِدًا وَإِنْ عُدْتُمْ أَتْنَيْتُ، وَالْعَوْدُ أَحْمَدُ

[هما يفضل من أقوال الشعراء لتخليصه من التكلف]

ومما يُفَضَّلُ لِتَخْلُصِهِ مِنَ التَّكْلُفِ، وسلامته من التَّزْيِدِ، وبُعده من الاستعانة
قولُ أَبِي حَيَّةَ النَّمِيرِيِّ:

رَمَتْنِي وَسِتْرُ اللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا عَشِيَّةَ آرَامِ الْكِنَاسِ رَمِيمٌ^(١)
أَلَا رَبَّ يَوْمٍ لَوْ رَمَتْنِي رَمِيَّتْهَا وَلَكِنَّ عَهْدِي بِالنِّضَالِ قَدِيمٌ^(٢)
يقول: رَمَتْنِي بَطْرَفُهَا، وَأَصَابَتْنِي بِمَحَاسِنِهَا، وَلَوْ كُنْتُ شَابًا لَرَمَيْتُ كَمَا
رُمِيتُ، وَفَتَنْتُ كَمَا فُتِنْتُ، وَلَكِنْ قَدْ تَطَاوَلَ عَهْدِي بِالشَّبَابِ. فهذا كلام واضح.

[قال أبو الحسن: أنشدنا أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب البيتين
عن عبد الله بن شبيب: وروى:

* عَشِيَّةَ أَحْجَارِ الْكِنَاسِ رَمِيمٌ *

وزاد فيه بيتاً:

رَمِيمٌ الَّتِي قَالَتْ لِحَارَاتِ بَيْتِهَا ضَمِنْتُ لَكُمْ أَلَا يَزَالُ يَهِيمُ
الْكِنَاسُ وَالْمَكْنَسُ: الْمَوْضِعُ الَّذِي تَأْوِي إِلَيْهِ الطُّبَّاءُ، وَجَمْعُ الْكِنَاسِ
كُنُسٌ، وَجَمْعُ الْمَكْنَسِ مَكَانَسٌ. ورَمِيمٌ: اسم جارية: مأخوذ من العظام الرَّمِيمِ،
وهي البالية، وكذلك الرَّمَّةُ، والرَّمَّةُ: القطعة البالية من الحبل، وكلُّ ما اشتق من
هذا فإليه يرجع].

(١) زيادات ر: «قيل في ستر الله الإسلام، وقيل فيه أنه الشيب، وقيل ما حرم الله عليهما».

(٢) زيادات ر بعد هذا البيت:

يرى الناس أنى قد سلوت وإننى لرمى أحناء الضلوع سقيم

[الاستحانة في الكلام]

قال أبو العباس: وأما ما ذكرناه من الاستحانة ، فهو أن يُدْخَلَ في الكلام ما لا حاجة بالمستمع إليه ليُصَحَّحَ به نَظْمًا [أو وزنًا] ^(١) إن كان في شعر، أو ليتذكر به ما بعده إن كان في كلام منثور، كنحو ما تسمعه في كثير من كلام العامة قولهم: أَلَسْتَ تَسْمَعُ؟ أَفَهَمْتَ؟ أين أنت؟ وما أشبه هذا، وربما تشاغل العبيُّ بقتل إصبعه ومسّ لحيته، وغير ذلك من بدنه، وربما تتحنح. وقد قال الشاعر يعيب بعض الخطباء في شعر:

مَلَىءٌ بِبُهِرٍ وَالتِّفَاتِ وَسَعْلَةٍ وَمَسْحَةٍ عَشُونٍ وَقَتْلِ الْأَصَابِعِ
وقال رجل ^(٢) من الخوارج يصف خطيباً منهم بالجبن، وأنه مُجِيدٌ لولا أن الرُّعْبَ أَذْهَلَهُ:

نَحْنَحُ زَيْدٌ وَسَاعِلٌ لَمَّا رَأَى وَقَعَ الْأَسْلَ
وَيَلْمُـهُ إِذَا ارْتَجَلَ ثُمَّ أَطَالَ وَأَحْتَفَلَ ^(٣)

ومما يشاكل هذا المعنى ويُجَانِسُ هذا المذهب ما كان من خالد بن عبد الله الْقَسْرِيِّ، فإنه كان متقدماً في الخطابة ومُتَنَاهِيًا في البلاغة، فخرج عليه المغيرة بن سَعِيدٍ بالكوفة في عشرين رجلاً، فَعَطَعُوا ^(٤) به، فقال خالد: «أطعموني ماءً»، وهو على المنبر، فَعَيَّرَ بذلك، فَكَتَبَ به هِشَامٌ إليه في رسالة يُوبِخُهُ فيها، سنذكرها ^(٥) في موضعها إن شاء الله. وعيره يحيى بن نَوْفَلٍ فقال:

لَأَعْلَاجٍ ثَمَانِيَةٍ وَعَبِيدٍ لَيْسِمِ الْأَصْلُ فِي عَدَدِ يَسِيرِ
هَتَفَتْ بِكُلِّ صَوْتِكَ: أَطْعَمُونِي شَرَابًا ثُمَّ بُلْتُ عَلَى السَّرِيرِ

(١) من ر.

(٢) ذكر المحاظ أنه الأشل الأزرقى من بعض أحوال عمران بن حطان يصف زيد بن جندب الإيادى خطيب الأزارقة، (البيان والتبيين ١: ٤١، ٤٢).

(٣) زيادات ر: «وقال رجل يصف رجلاً من إباد بالعى، وكان أبوه خطيباً وخاله: جَمَعَتْ صُنُوفُ الْعَمَى مِنْ كُلِّ وَجْهَةٍ وَكَنتَ مَلِيئًا بِالْبَلَاغَةِ مِنْ كَثْبِ أَبوكَ مَعَمٌ فِي الْكَلَامِ وَمُخَوَّلٌ وَخَالِكَ وَثَابُ الْجَرَائِمِ فِي الْخُطْبِ»

(٤) العطعة: تتابع الأصوات واختلافها.

(٥) ر: «وسنذكرها».

فهذا عارضٌ. وقال آخر (١) يُعِيرُهُ:

بَلَّ الْمَنَابِرَ مِنْ خَوْفٍ وَمِنْ وَهْلٍ وَأَسْتَطَعَمَ الْمَاءَ لَمَّا جَدَّ فِي الْهَرَبِ
وَأَلْحَنَ النَّاسَ كُلَّ النَّاسِ قَاطِبَةً وَكَانَ يُولَعُ بِالتَّشْدِيقِ فِي الْخُطْبِ

[الأعرابي من بني كلاب]

ومما يُسْتَحْسَنُ [لفظه] (٢) وَيُسْتَغْرَبُ معناه، وَيُحْمَدُ اخْتِصَارُهُ قولُ أعرابيٍّ من بني كلاب:

فَمَنْ يَكُ لَمْ يَغْرَضْ فَإِنِّي وَنَاقَتِي بِحَجَرٍ إِلَى أَهْلِ الْحِمَى غَرَضَانِ (٣)
تَحِنْ قُبْدِي مَا بِهَا مِنْ صَبَابَةٍ وَأُخْفِي الَّذِي لَوْلَا الْأَسَى لَقَضَانِي (٤)

يريد: لَقَضَى عَلَيَّ، فأخرجه لفصاحته وعلمه بجوهر الكلام أحسنَ مُخْرَجٍ، قال الله عز وجل: ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ (٥) والمعنى إذا كَالُوا لَهُمْ أَوْ وَزَنُوا لَهُمْ، أَلَا تَرَى [أَنْ] (٦) أَوَّلُ الْآيَةِ: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾ فهو لاء أَخَذُوا مِنْهُمْ ثُمَّ أَعْطَوْهُمْ، وقال الله عز وجل: ﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا﴾ (٧) أَيْ مِنْ قَوْمِهِ، وقال الشاعر (٨):

أَمَرْتُكَ الْخَيْرَ فَأَفْعَلُ مَا أَمَرْتُ بِهِ فَقَدْ تَرَكْتُكَ ذَا مَالٍ وَذَا نَشَبٍ

(١) هو أيضا يحيى بن نوفل، (وانظر البيان والتبيين ٢: ١٦٧).

(٢) من ر، س.

(٣) حجر: هي مدينة اليمامة وأم قراها، ويريد بالحمى حمى ضرية، وكان حمى كليب (وانظر ياقوت). ومن زيادات ر بعد هذا البيت:

هوى ناقتي خلفي وقدامي الهوى وإنى وإياها لمختلفان
(٤) ر: «أنشد صاعد بعدهما زياد» فيهما:

فيا كبدينا أجملًا قد وجدنا بأهل الحمى مالم يجد كبدان
إذا كبدانا خافتا وشك نية وعاجل بين ظلتا تجبان
(٥) سورة المطففين ٢.

(٦) من ر.

(٧) سورة الأعراف ١٥٥.

(٨) زيادات ر: «هو أعشى طرود، واسمه إياس بن عامر».

أى أَمَرْتُكَ بِالْخَيْرِ، وَمِنْ ذَلِكَ (١) قَوْلُ الْفَرَزْدَقِ:

وَمِنَّا الَّذِي (٢) اخْتِيرَ الرِّجَالُ سَمَاحَةً وَجُودًا إِذَا هَبَّ الرِّيحُ الزَّعَازِعُ

أى مِنَ الرِّجَالِ، فَهَذَا الْكَلَامُ الْفَصِيحُ.

وَتَقُولُ الْعَرَبُ: أَقَمْتُ ثَلَاثًا مَا أَذُوقُهُنَّ طَعَامًا وَلَا شَرَابًا، أَى مَا أَذُوقُ

فِيهِنَّ، وَقَالَ الشَّاعِرُ:

وَيَوْمًا شَهِدْنَاهُ سُلَيْمًا وَعَامِرًا قَلِيلًا سِوَى الطَّعْنِ النَّهَالِ نَوَافِلُهُ (٣)

[قال أبو الحسن: قوله: «لَمْ يَغْرَضْ»، أَى لَمْ يَشْتَقْ، يُقَالُ: غَرَضْتُ إِلَى لِقَائِكَ، وَحَنَنْتُ إِلَى لِقَائِكَ، وَعَطَشْتُ إِلَى لِقَائِكَ، وَجَعْتُ إِلَى لِقَائِكَ أَى أَشْتَقْتُ، أَخْبَرْنَا بِذَلِكَ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى عَنْ ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ، وَأَنْشَدَنَا عَنْهُ:

مَنْ ذَا رَسُولٌ نَاصِحٌ فَمُبَلِّغٌ عَنِّي عَلَيْهِ غَيْرَ قَوْلِ الْكَاذِبِ

أَنِّي غَرَضْتُ إِلَى تَنَاصُفٍ وَجْهَهَا غَرَضَ الْمَحَبِّ إِلَى الْحَبِيبِ الْغَائِبِ

التَّنَاصُفُ: الْحُسْنُ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ: «لَقَضَانِي» فَإِنَّمَا يُرِيدُ: لَقَضَى عَلَى الْمَوْتِ، كَمَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ﴾ (٤)، فَالْمَوْتُ فِي النِّيَّةِ، وَهُوَ مَعْلُومٌ بِمَنْزِلَةٍ مَا نَطَقْتُ بِهِ،

فَلِهَذَا نَاسِبٌ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَأَخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ﴾. وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿كَالْوَهْمِ﴾

فَالشَّيْءُ الْمَكِيلُ مَعْلُومٌ، فَهُوَ بِمَنْزِلَةٍ مَا ذُكِرَ فِي اللَّفْظِ، وَلَا يَجُوزُ: مَرَرْتُ زَيْدًا وَأَنْتَ

تُرِيدُ: مَرَرْتُ بِزَيْدٍ، لِأَنَّهُ لَا يَتَعَدَّى إِلَّا بِحَرْفِ جَرٍّ؛ وَذَلِكَ أَنَّ فِعْلَ الْفَاعِلِ فِي

نَفْسِهِ، وَلَيْسَ فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى الْمَفْعُولِ نَفْسِهِ، وَلَيْسَ هَذَا بِمَنْزِلَةٍ مَا يَتَعَدَّى إِلَى

(١) ر، س: «وَمِنْ ذَا».

(٢) س: «وَمِنَّا»، وَعَلَى رَوَايَةِ الْأَصْلِ فِي الْبَيْتِ خَرَمَ.

(٣) الْبَيْتُ أَوْرَدَهُ سَيَبُويه فِي الْكِتَابِ ١: ٩٠، قَالَ الْأَعْلَمُ فِي شَرْحِهِ: «النَّوَافِلُ هُنَا الْغَنَائِمُ، يَقُولُ: يَوْمَ لَمْ نَضْمَ فِيهِ إِلَّا الْنفُوسَ لَمَّا أَوَّلَيْنَاهُمْ مِنْ كَثَرَةِ الطَّعْنِ، وَالنَّهَالُ الْمُرْتَوِيَةُ بِالدَّمِ، وَأَصْلُ النَّهْلِ أَوَّلُ الشَّرْبِ، وَالطَّعْنُ هُنَا: جَمْعُ طَعْنَةٍ».

(٤) سُورَةُ سَبَأٍ ١٤.

مفعولين، فيتعدى إلى أحدهما بحرف جرٍّ، وإلى الآخر بنفسه، لأنَّ قولَكَ: اخْتَرْتُ الرِّجَالَ زَيْدًا، قَدْ عَلِمَ بِذِكْرِكَ «زَيْدًا» أن حرف الجر محذوف من الأول، فأما قول الشاعر - هو جرير - وإنشادُ أهل الكوفة له، وهو قوله:

تَمُرُّونَ الدِّيَارَ وَلَمْ تَعُوجُوا كَلَامُكُمْ عَلَى إِذَا حَرَامٌ

ورواية بعضهم له: «أَتَمُّضُونَ الدِّيَارَ» فليسا بشيء لما ذَكَرْتُ لك، والسماع الصحيح والقياس المطرِدُ لا تَعْتَرِضُ عليه الروايةُ الشاذة.

أخبرنا أبو العباس محمد بن يزيد قال: قرأت على عُمَارَةَ بن عَقِيل بن بلال ابن جرير:

* مَرَرْتُمْ بِالْدِّيَارِ وَلَمْ تَعُوجُوا *

فهذا يدلُّك على أن الرواية مُغَيَّرَةٌ.

فأما قولهم: أَقَمْتُ ثَلَاثًا مَا أَذُوقُهُن طَعَامًا وَلَا شَرَابًا، وقولُ الراجز:

قَدْ صَبَّحَتْ صَبَّحَهَا السَّلَامُ^(١) بِكَيْدٍ خَالَطَهَا سَنَامٌ

* فِي سَاعَةٍ يُحِبُّهَا الطَّعَامُ *

يريد في ساعة يُحِبُّ فيها الطَّعَامُ، وكذلك الأوَّل، معناه: ما أَذُوقُ فيهنَّ، فليس هذا عندى من باب قوله جَلَّ وَعَلَا: «وَأَخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ» إلا في الحذف فقط؛ وذلك أن ضمير الظرف تجعله العربُ مفعولاً على السَّعَةِ، كقولهم: يَوْمُ الْجُمُعَةِ سَرَّتُهُ، ومكانُكُمْ قَمَّتُهُ، وشَهْرُ رَمَضَانَ صُمَّتُهُ، فهذا يُشَبِّهُ فِي السَّعَةِ بقولك: زَيْدٌ ضَرَبْتُهُ وما أَشَبَّهُه، فهذا بَيْنٌ.

[لِلْأَعْرَابِيِّ مِنْ بَنِي سَعْدٍ وَقَدْ نَزَلَ بِهِ أَضْيَافًا]

قال أبو العباس: ومما يُسْتَحْسَنُ وَيُسْتَجَادُ قولُ أَعْرَابِيٍّ^(٢) مِنْ بَنِي سَعْدٍ بن زَيْدٍ مَنَاءَ بن تَمِيمٍ، وَكَانَ مُمْلِكًا^(٣)، فَنَزَلَ بِهِ أَضْيَافًا فَمَقَامٌ إِلَى الرَّحَى فَطَحَنَ لَهُمْ،

(١) صبحت: أتت بالتصحيح، تريد به الغذاء.

(٢) هو الهذلول بن كعب العنبري، ذكره أبو تمام في الحماسة بشرح المازني ٦٩٥ - ٧٠١.

(٣) من الإملاك، وهو عقد النكاح.

فَمَرَّتْ بِهِ زَوْجَتُهُ فِي نِسْوَةٍ، فَقَالَتْ لَهْنٍ: أَهَذَا بَعْلِي؟ فَأَعْلِمَ بِذَلِكَ فَقَالَ - [قال أبو الحسن: أَخْبَرْنَا بِهِ عَنْ أَبِي مُحَلَّمٍ لَهُ يَعْنِي السَّعْدِيُّ] -:

تَقُولُ وَصَكَّتْ صَدْرَهَا بِيَمِينِهَا: أَبْعَلِي هَذَا بِالرَّحَى الْمُتَقَاعِسُ!
فَقُلْتُ لَهَا: لَا تَعْجِبِي وَتَبَيَّنِي بِلَاثِي إِذَا التَّقَّتْ عَلَى الْفَوَارِسُ
أَلَسْتُ أَرُدُّ الْقِرْنَ يَرْكَبُ رَدْعَهُ وَفِيهِ سِنَانٌ ذُو غَرَارَيْنِ يَابِسُ
إِذَا هَابَ أَقْوَامٌ تَجَشَّمْتُ هَوْلَ مَا يَهَابُ حُمَيَّاهُ الْأَلْدُ الْمُدَاعِسُ
لَعَمْرُ أَبِيكَ الْخَيْرِ إِنِّي لَخَادِمٌ لَضِيفِي، وَإِنِّي إِنْ رَكِبْتُ لِفَارِسُ

قوله: «المتقاعس» إنما هو الذي يُخْرِجُ صَدْرَهُ وَيُدْخِلُ ظَهْرَهُ، ويقال: عِزَّةٌ قَعَسَاءٌ، وإنما هذا مَثَلٌ، أى لا تَضَعِ ظَهْرَهَا إِلَى الْأَرْضِ. وقوله: «بالرحى المتقاعس»، لو أراد: الذي يَتَقَاعَسُ بِالرَّحَى لَمْ يَجُزْ، لَأَنَّ قَوْلَهُ: «بالرحى» مِنْ صِلَةِ الذِّى، وَالصِّلَةُ تَمَامُ الْمَوْصُولِ، فَلَوْ قَدَمَهَا قَبْلَهُ لَكَانَ لَحْنًا وَخَطَأً فَاحِشًا، وَكَانَ كَمَنْ جَعَلَ آخِرَ الْأَسْمِ قَبْلَ أَوَّلِهِ، وَلَكِنَّهُ جَعَلَ «المتقاعس» اسْمًا عَلَى وَجْهِهِ، وَجَعَلَ قَوْلَهُ: «بالرحى» تَبْيِينًا بِمَنْزِلَةِ «لَكَ» الَّتِي تَقَعُّ بَعْدَ «سَقِيًّا»، وَبِمَنْزِلَةِ «بِكَ» الَّتِي تَقَعُّ بَعْدَ قَوْلِكَ: «مَرْحَبًا» فَإِنَّ قَدَمَتَهَا فَذَلِكَ جَيِّدٌ بِالْغِ، تَقُولُ: بِكَ مَرْحَبًا وَأَهْلًا وَتَقُولُ: لَكَ حَمْدًا، وَلَزِيدٌ سَقِيًّا، فَأَمَّا قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَأَنَا عَلَى ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾^(١) وَكَذَلِكَ ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾^(٢) فَيَكُونُ تَفْسِيرُهُ عَلَى وَجْهَيْنِ: أَحَدُهُمَا أَنْ يَكُونَ: إِنِّي نَاصِحٌ لَكُمَا، وَأَنَا شَاهِدٌ عَلَى ذَلِكُمْ، ثُمَّ جَعَلَ «مِنَ الشَّاهِدِينَ» وَ «لَمِنَ النَّاصِحِينَ» تَفْسِيرًا لِشَاهِدٍ وَنَاصِحٍ، وَيَكُونُ عَلَى مَا فُسِّرْنَاهُ يَرَادُ التَّبَيَّنِ، فَلَا يَدْخُلُ فِي الصِّلَةِ، وَيَكُونُ عَلَى مَذْهَبِ الْمَازَنِيِّ.

قال أبو العباس: وهو الذى أختار، على أن الألف واللام للتعريف لا على معنى الذى، ألا ترى أنك تقول: نعم القائم زيد، ولا يجوز: نعم الذى قام زيد، وإنما هو بمنزلة قولك: نعم الرجل زيد، وهذا الذى شرحناه متصل فى هذا الباب كله مَطْرَدٌ عَلَى الْقِيَاسِ.

(١) الأنبياء ٥٦.

(٢) الأعراف ٢١.

وقوله:

* أَلَسْتُ أَرُدُّ الْقَرْنَ يَرْكَبُ رَدْعَهُ *

فإنما اشتقاقه من السهم يقال: ارتدع السهم إذا رجع متأخرا، ويقال: ركب البعير رَدْعَهُ إذا سقط، فدخل عُنْقُهُ^(١) في جوفه، والكلام مُشْتَقٌّ بَعْضُهُ مِنْ بَعْضٍ، وَمُبَيَّنٌ بَعْضُهُ بَعْضًا، فيقال من هذا في المثل: ذهب فلان في حاجتي فارتدع عنها، أي رجع، وكذلك: فلان لا يَرْتَدِعُ عن قبيح، والأصل ما ذكرتُ أولاً.

ومثل هذا قولهم: فلان على الدابة، وعلى الجبل، أي فوق كل واحد منهما، ثم تقول: فلان عليه دينٌ تمثيلاً، وكذلك رَكِبَهُ دِينَ، وإنما يريد أن الدينَ علاه وقهره، وكذلك فلان على الكوفة إذا كان والياً عليها، وكذلك: علا فلان القوم، إذا علاهم بأمره وقهرهم، أو جعل في هذا الموضع.

وقوله:

* وَفِيهِ سِنَانٌ ذُو غِرَارَيْنِ يَابَسُ *

فالغرار هاهنا الحد، وللغرار مواضع.

قال أبو العباس: وحدثني الرياشي في إسناد له قال: قال جبر بن حبيب - وذكر الراعي -: أخطأ الأعور - قال: ولم يعلم الحاكي عنه أن الراعي كان أعور إلا من هذا الخبر - في قوله:

فَصَادَفَ سَهْمُهُ أَحْجَارَ قَفٍّ كَسَرَنَ الْعَيْرَ مِنْهُ وَالْغِرَارَ^(٢)

وجبر بن حبيب هو المخطئ؛ لأن الغرار هاهنا هو الحد، وذهب جبر إلى أنه المثل. وقد يكون المثل، وليس ذلك بممانعه من أن يحتمل معاني، يقال: بنوا بيوتهم على غرار واحد، أي على مثال واحد، كما قال عمرو بن الأحمر [الباهلي]^(٣):

وَضِعْنَ^(٤) وَكَلُّهِنَّ عَلَى غِرَارٍ هِجَانَ اللَّوْنِ قَدْ وَسَقَتْ جَنِينَا

(١) ر «فدخلت عنقه»، والعنق تذكر وتؤنث.

(٢) القف: حجارة بعضها فوق بعض. وغير النصل: ما تنأى في وسطه.

(٣) من ر، س.

(٤) كذا ضبطت في الأصل بالبناء للمجهول. وفي زيادات ر: [الرواية عن أبي العباس: «وضعن» بفتح الضاد والواو، والصحيح: «وضعن» بضم الواو وكسر الضاد].

ويقال: لِسُوقِنَا دِرَّةً وَغِرَارًا، أى نَفَاقٌ وَكَسَادٌ، فهذا معنى آخر، وإنما تأويل الغرار فى هذا المعنى الأخير أنه شىء بعد شىء، ومن هذا: غَارَ الطَّائِرُ فَرَحَهُ، لأنه إنما يعطيه شيئاً بعد شىء، وكذلك غَارَتِ الناقة فى الحلب، ويقال من هذا: ما نَمَتَ إلا غِرَارًا، قال الشاعر:

مَا أَذُوقُ النَّوْمَ إِلَّا غِرَارًا مِثْلَ حَسْوِ الطَّيْرِ مَاءِ الثَّمَادِ
فَكَشَفَ فى هذا البيت معنى الغرار وأوضحه.

وقوله:

* يَهَابُ حُمِيَّاهُ الْأَلْدُ الْمُدَاعِسُ *

فأصل الحميّا إنما هى صَدْمَةُ الشىء، يقال: فلان حامى الحميّا، ويقال: صَدَمَتْهُ حُمِيًّا الْكَأْسُ، يراد بذلك سَوْرَتُهَا.

وقوله: «الألد» فأصله الشديد الخصومة، يقال خَصِمَ الْأَدُّ، أى لا يثنى عن خصمه. قال الله عزّ وجل: ﴿وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لَدًّا﴾^(١) كما قال: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾^(٢)، وقال مُهَلِّهْل:

إِنَّ تَحْتَ الْأَحْجَارِ حَزْمًا وَجُودًا وَخَصِيمًا أَلْدًا ذَا مِعْلَاقٍ
ويروى: «مِعْلَاق»، فمن رَوَى ذلك فتأويله أنه يُغْلَقُ الْحِجَّةُ الْخَصِمُ، ومن قال: «ذا مِعْلَاقٍ»، فإنما يريد أنه إذا عَلِقَ خَصِمًا لَمْ يَتَخَلَّصْ مِنْهُ، وجعل السعدى الألد الذى لا يثنى عن الحرب تشبيهاً بذلك، والمداعس: الْمُطَاعِنُ، يقال: دَعَسَهُ بِالرَّمْحِ إِذَا طَعَنَهُ، قال عُمَيْرُ بْنُ الْحُبَابِ السُّلَمِيُّ:

أَنَا عُمَيْرٌ وَأَبُو الْمَغْلَسِ وَبِالْقَنَاءِ مَازِنِي مُدْعَسُ

[قال أبو الحسن: تأويل قول السعدى:

* أَبْعَلَى هَذَا بِالرَّحَى الْمُتَقَاعِسُ *

(١) مريم ٩٧.

(٢) الزخرف ٥٨.

«بالرحى» تبیین ولم یوضحه، فإن تقدیر ما كان من هذا الضرب أنه إذا قال: «أبعلى هذا بالرحى المتقاعس»، فإن المتقاعس يدل على أن تقاعساً وقع، فكأنه قال: وقع التقاعس بالرحى، ولم يرد أن يعمل «المتقاعس» فى قوله: «بالرحى»، لأنه فى الصلة، والصلة من الموصول بمنزلة الدال من زيد أو الياء، فكما لا يجوز أن يتقدم حروف الاسم بعضها على بعض، لم يجوز أن تتقدم الصلة على الموصول، فأما قول الله عز وجل: ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّى لَكُمَا لَمَنِ النَّاصِحِينَ﴾ وكذلك: ﴿وَأَنَا عَلَىٰ ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ فإنه يكون على التبيين الذى قدمنا ذكره وهو قول البصريين أجمعين، إلا أن أبا عمر الجرمي أجاز أن يجعل «لكما»، و«على ذلكم» معلقين بشيئين محذوفين دلّ عليهما «من الناصحين»، و«من الشاهدين»؛ لأن «من» مبغضة، فكأنه قال - والله أعلم -: وقاسمهما إني ناصح لكما من الناصحين، وأنا شاهد على ذلكم من الشاهدين.

وأما اختياره وذكره أنه قول المازني، وجعله الألف واللام للعهد مثلهما فى الرجل وما أشبهه، فإن هذا القول غير مرضى عندي، لأنك إذا قلت: نعم القائم زيد، فجعلت الألف واللام كالألف واللام الداخلتين على ما لم يؤخذ من الفعل كالإنسان والفرس وما أشبهه، فإنه إذا كان هكذا دخل فى باب الأسماء الجامدة، وهى التى لم تؤخذ من أمثلة الفعل، وامتنع من أن يعمل مؤخرًا إلا على حيلة ووجه بعيد من التبيين الذى ذكرنا. وإذا كان فى التأخير لا يعمل بنفسه، فكيف يعمل إذا تقدم عليه الظرف! وهذا مستحيل لا وجه له. وأما إنشاده:

* لَا أَذُوقُ النَّوْمَ إِلَّا غَرَارًا *

فإن هذه أبيات أربعة أنشدناها عن الزبائدي، وذكر أنه كان يستحسنها وهى لأعرابي قال:

وَلَجَنِبِي نَابِيًا عَنْ وَسَادِي	مَا لِعَيْنِي كُحِلَتْ بِالسُّهَادِ
مِثْلَ حَسْوِ الطَّيْرِ مَاءِ الثَّمَادِ (١)	مَا أَذُوقُ النَّوْمَ إِلَّا غَرَارًا
وَهِيَ تَسْعَى جُهْدَهَا فِى فَسَادِي	أَبْتَغِي إِصْلَاحَ سَعْدِي بِجُهْدِي
رُبَّمَا أَفْسَدَ طُولُ التَّمَادِي	فَتَتَارَكُنَا عَلَى غَيْرِ شَيْءٍ

(١) ر، س: «لا أذوق».

* وَضِعْنَ وَكُلَّهْنَ عَلَى غِرَارٍ *

فإن البيت لعَمَرُو بن أَحمر بن العَمَرَدِ البَاهِلِيِّ.

الطخيم بن أبي الطخماء الأسدي يمدح قوماً من أهل الحيرة

قال أبو العباس : ومن سَهَلِ الشَّعْرَ وَحَسَنَهُ قول طُخَيْم بن أبي الطخماء
الأسدي يمدح قوماً من أهل الحيرة من بنى امرئ القيس بن زيد مناة بن تميم ، ثم
من رَهْط عدي بن زيد العبادي ، قال :

وَبِالْقَصْرِ ظِلٌّ دَائِمٌ وَصَدِيقٌ ^(١)	كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ يَوْمَ بَزُورَةٍ صَالِحٌ
شَرَابٌ مِنَ الْبُرُوقَتَيْنِ عَتِيقٌ ^(٢)	وَلَمْ أَرِدِ الْبَطْحَاءَ يَمْزُجُ مَاءَهَا
إِذَا مَا سَرَتْ فِيهِ الْمُدَامُ فَنِيقُ	مَعِيَ كُلُّ فَضْفَاضِ الْقَمِيصِ كَأَنَّهُ
لَهُ فِي الْعُرُوقِ الصَّالِحَاتِ عُرُوقُ	بَنُو السَّمْطِ وَالْحُدَاءِ ، كُلُّ سَمِيدَعٍ
وَيَرْتَاحُ قَلْبِي نَحْوَهُمْ وَيَتَوَقُّ	وَإِنِّي وَإِنْ كَانُوا نَصَارَى أَحِبُّهُمْ

قال أبو العباس : أَنَشَدَنِي هَذَا الشَّعْرَ أَبُو مُحَلَّم ، ثُمَّ أَنَشَدَنِيهِ رَجُلٌ نَصْرَانِيٌّ
يَكْنَى أَبَا يَحْيَى ، شَاعِرٌ مِنْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الَّذِينَ مُدِحُوا بِهِ ، وَذَكَرَ أَنَّهُ يَذْكُرُ طُخَيْمًا ،
وَهُوَ يَتَرَدَّدُ إِلَيْهِمْ وَيَظَلُّ عَنْدهُمْ . قَالَ هَذَا النِّصْرَانِيٌّ - وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي الْحُدَاءِ -
قَالَ : أَذْكُرُهُ وَأَنَا صَغِيرٌ جَدًّا ، وَالسُّلْطَانُ يُطْلِبُهُ لِقَوْلِهِ :

* لَهُ فِي الْعُرُوقِ الصَّالِحَاتِ عُرُوقُ *

يقول : أَتَقُولُ هَذَا الْقَوْمُ مِنَ النِّصَارَى ! وَكَانَ هَذَا النِّصْرَانِيٌّ قَدْ قَارَبَ مِائَةَ سَنَةٍ
فِيمَا ذُكِرَ .

(١) زورة : موضع قرب الكوفة ، ضبطه ياقوت بفتح الزاي ، وقال : «وقرأته بخط بعض أعيان أهل الأدب
«زورة» بضم الزاي» ، وأورد الأبيات .

(٢) البروقتان : موضع قرب الكوفة ، وضبطه ياقوت بواوين ، الأولى مضمومة ، وأورد البيت .

وقوله: «معى كل فضفاض القميص» يريد أن قميصه ذو فضول، وإنما يقصد إلى ما فيه من الخيلاء، كما قال زهير:

يَجْرُونَ الذُّيُولَ وَقَدْ تَمَشَّتْ حُمَيَّا الكَأْسِ فِيهِمْ وَالْغِنَاءُ

ويقال: إن تأويل قول رسول الله ﷺ: «فُضِّلُ الإِزَارِ فِي النَّارِ» إنما أراد معنى الخيلاء، وقال الشاعر:

وَلَا يُنْسِينِي الْحَدَّثَانُ عِرْضِي وَلَا أُرْخِي مِنَ الْمَرْحِ الإِزَارَا

وقد روى عن النبي ﷺ أنه قال لأبي تميمه الهُجَيْمِيَّ: «إِيَّاكَ وَالْمَخِيلَةَ» فقال: يا رسول الله، نحن قومٌ عربٌ، فما المَخِيلَةُ؟ فقال ﷺ: «سَبَلُ الإِزَارِ»، والحديث يعرض لما يجرى في الحديث قبله، وإن لم يكن من بابه، ولكن يُذكر به.

قال أبو العباس: روى لنا أن رجلاً من الصالحين كان عند إبراهيم^(١) بن هشام، فأشدد إبراهيم قول الشاعر:

إِذْ أَنْتَ فِينَا لِمَنْ يَنْهَاكَ عَاصِيَةٌ وَإِذْ أَجْرُ إِلَيْكُمْ سَادِرًا رَسَنِي

فقام ذلك الرجل فرمى بشقِّ رِدائه، وأقبل يسحبه حتى خرج من المجلس، ثم رجع على تلك الحال فجلس، فقال له إبراهيم بن هشام: ما بك؟ فقال: إنني كنتُ سمعتُ هذا الشعر فاستحسنته، فآليتُ ألا أسمعَهُ إلا جَرَرْتُ رِدَائِي كما ترى، كما سحبَ هذا الرجل رَسَنَهُ.

وأما الفَنِيقُ فإنه الفحل من الإبل^(٢)، وإنما أراد خطرَانه بذنبه من الخيلاء، فشبه الرجل من هؤلاء إذا أنتشى بالفحل، وهو إذا خطرَ ضربَ بذنبه يَمَنَةً وشَامَةً، قال ذو الرُّمَّة:

وَقَرَّبَنَ بِالزُّرْقِ الْجَمَائِلَ بَعْدَمَا تَقَوَّبَ عَنْ غُرْبَانٍ أَوْرَاكِهَا الْخَطَرُ^(٣)

(١) كان والى المدينة، والشاعر هو الأصوص، والخبر في الأغاني (٢١٦: ٤٠) طبعة الدار.

(٢) سقطت كلمة «الإبل» من ر، س.

(٣) الزرق: أكشبة بموضع يقال له الدهناء. والجمائل: جمع جمل، كذا ذكره صاحب اللسان واستشهد بالبيت. والغربان هنا: رؤوس الأوراك، وتقوب: تقطع، يريد أن خطر الجمال بأوراكها أحدث فيها قوبا فتقطعت. (وانظر ديوانه ٢٠٩).

[قول مخيس بن أوطاة الأعرجي لرجل من بني حنيفة]

ومن حسن الشعر وما يقرب مأخذه قولُ مخيس بن أوطاة الأعرجي - والأعرج الحارث بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم - لرجل من بني حنيفة يقال له يحيى، وكان يصير إلى امرأة في قرية من قرى اليمامة يقال لها: بقعاء: - [قال أبو الحسن: أنشدته عن الرياشي: «نقعاء»^(١)، وسألت رجلاً من أهل اليمامة فصيحاً من بني حنيفة عن هذا، فقال: ما نعرفه^(٢) إلا «نقعاء»]-^(٣):

عَرَضْتُ نَصِيحَةً مِنْى لِيَحْيَى	فَقَالَ: غَشَشْتَنِي وَالنُّصْحُ مُرٌّ
وَمَا بِي أَنْ أَكُونَ أَعِيبُ يَحْيَى	وَيَحْيَى طَاهِرُ الْأَثْوَابِ ^(٤) بَرٌّ
وَلَكِنْ قَدْ أَتَانِي أَنَّ يَحْيَى	يُقَالُ عَلَيْهِ فِي بَقْعَاءَ شَرٌّ
فَقُلْتُ لَهُ: تَجَنَّبْ كُلَّ شَيْءٍ	يُعَابُ عَلَيْكَ، إِنَّ الْحَرَّ حُرٌّ

فهذا كلام ليس فيه فضلٌ عن معناه.

وقوله: «إن الحرَّ حرٌّ» إنما تأويله أن الحرَّ على الأخلاق التي عاهدت في الأحرار، ومثل ذلك:

* أَنَا أَبُو النَّجْمِ وَشِعْرِي شِعْرِي^(٥) *

أى شِعْرِي كما بلغك، وكما كنتَ تعهدُ، وكذلك قولهم: الناسُ الناسُ، أى الناس كما كنتَ تعهدُهم. [قال أبو الحسن: ومنه قول الله عز وجل: ﴿فَغَشِيَهُمْ مِنْ آلِيمٍ مَا غَشِيَهُمْ﴾]^(٦).

وقوله:

فَقُلْتُ لَهُ تَجَنَّبْ كُلَّ شَيْءٍ يَعَابُ عَلَيْكَ ...

(١) ر: «نقعاء، بالنون».

(٢) ر: «ما أعرفه».

(٣) س: «نقعاء، بالنون». ر: «بقعاء، بالباء».

(٤) ر: «الأخلاق».

(٥) بعده:

* اللَّهُ دَرَى مَا يَجْنُ صَدْرِي *

(وانظر معاهد التنصيص ١: ١٩)

(٦) سورة طه ٨٧.

كقول عمرو بن العاص لمعاوية حين وَصَفَ عَبْدَ الْمَلِكِ [بن مروان] ^(١) فقال :
 آخِذْ بثلاث، تاركٌ لثلاث : آخِذْ بقلوب الرجال إذا حَدَّثَ ، وبِحَسَنِ الاستماع إذا
 حَدَّثَ ، وبأيسر الأمرين عليه إذا خُولِفَ ، تاركٌ للمراء ، تاركٌ لمقاربة اللثيم ، تاركٌ
 لما يُعْتَدَرُ منه ، كقوله :

.... تَجَنَّبُ كُلَّ شَيْءٍ يُعَابُ عَلَيْكَ إِنَّ الْحُرَّ حُرٌّ

[قول ابن ميادة لرياح بن عثمان المري]

ومما يُسْتَحْسَنُ إنشأه من الشعر لصحة معناه، وجزالة لفظه، وكثرة تردُّد
 ضربه من المعاني بين الناس، قولُ ابن ميادة لرياح بن عثمان بن حيَّان المري ^(٢) ،
 من مرة غطفان، يقوله في فتنة ^(٣) محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن، وكان
 أشار عليه بأن يعتزل القوم فلم يفعل فقتل، فقال ابن ميادة :

أَمَرْتُكَ يَا رِيَّاحُ بِأَمْرِ حَزْمٍ فَقُلْتُ: هَشِيمَةٌ مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ
 نَهَيْتُكَ عَنْ رِجَالٍ مِنْ قَرِيشٍ عَلَى مَحْبُوكَةِ الْأَصْلَابِ جُرْدٍ
 وَوَجَدًا مَا وَجَدْتُ عَلَى رِيَّاحٍ وَمَا أَغْنَيْتُ شَيْئًا غَيْرَ وَجْدِي

وقوله ^(٤) :

* فَقُلْتُ هَشِيمَةٌ مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ ^(٥) *

تأويله ضَعْفَةٌ، وأصل الهشيم النَّبْتُ إذا وَلَّى وَجَفَّ وَتَكَسَّرَ، فَذَرَتْهُ الرِّيحُ
 يَمِينًا وَشِمَالًا. قال الله عز وجل : ﴿فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ﴾ ^(٦) والنَّجْدُ
 أَعَالَى الْأَرْضِ .
 وقوله :

* عَلَى مَحْبُوكَةِ الْأَصْلَابِ جُرْدٍ *

(١) من ر ، س .

(٢) كان واليا على المدينة من قبل أبي جعفر المنصور سنة ١٤٤ (وانظر زامبور ١ : ٣٦) .

(٣) ذكر ابن الأثير هذه الفتنة مفصلة في حوادث سنة ١٤٤ . والخبر والأبيات في الأغاني ٢ : ٣٣٧ ، ٣٣٨ (طبعة الدار)، واللسان (هشم) عن المبرد .

(٤) ر : «قوله» س : «قوله» .

(٥) في اللسان : «ضعف» .

(٦) الكهف ٤٥ .

فَالْمَحْبُوكُ الَّذِي فِيهِ طَرَائِقُ، وَاحِدُهَا حَبَاكٌ، وَالْجَمَاعَةُ حَبْكٌ، وَكَذَلِكَ
الطَرَائِقُ الَّتِي عَلَى جَنَاحِ الطَّائِرِ: مِنْ ذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ (١): ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ
الْحَبْكَ﴾ (٢).

[قال أبو الحسن: ابن مِيَادَةَ اسْمُهُ الرَّمَّاحُ، وَأُمُّهُ مِيَادَةُ، وَأَبُوهُ أَبْرَدٌ، وَكَانَ
عَاقًا بِأُمِّهِ، وَلَهَا يَقُولُ:

* أَعْرَنْزِمِي مِيَادَ لِقَوَافِي (٣) *

وَأَصْلُ الْأَعْرَنْزَامِ التَّجَمُّعُ وَالتَّقَبُّضُ، يَقُولُ: اسْتَعِدِّيْ لَهَا وَتَهَيَّئِي.
وَأُنْشَدَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ لَهُ:

وَنَوَاعِمٍ قَدْ قَلَنْ يَوْمَ تَرْحَلِي قَوْلَ الْمَجْدِ وَهْنٌ كَالْمُزَاحِ
يَالَيْتَنَا مَنْ غَيْرِ أَمْرِ فَادِحٍ طَلَعَتْ عَلَيْنَا الْعَيْسُ بِالرَّمَّاحِ
فِي أَبِيَاتِ لَهُ، يَعْنِي نَفْسَهُ.

قال أبو الحسن: وتمام الأبيات:

بَيْنَا كَذَاكَ رَأَيْتَنِي مُتَعَصِّبًا بِالْخَزَرِ فَوْقَ جُلَالَةِ سَرْدَاكِ (٤)
فِيهِنَّ صَفَرَاءُ الْمَعَاصِمِ طَفْلَةٌ بِيَضَاءٍ مِثْلُ غَرِيضَةِ الثُّفَّاحِ (٥)
رَيْشُنَ حِينَ أَرَدْنَا أَنْ يَرْمِينِنِي نَبْلًا بِلَا رِيَشٍ وَلَا بِقِدَاحِ
وَنَظَرُنَ مَنْ خَلَّلَ السُّتُورَ بِأَعْيُنٍ مَرَضَى مُحَاظَهَا السَّقَامُ صِحَاحِ

(١) ر: «تبارك وتعالى».

(٢) الذاريات ٧.

(٣) حاشية الأصل: بعده:

* واستسمعيهن ولا تخافي *

وفى ر:

واستسمعيهن ولا تخافي ستجدين ابنك ذا قذاف

(٤) الجلالة: الناقة الضخمة. والسرداح: الناقة الطويلة.

(٥) صفرَاءُ المعاصم: هى التى طليت بالزعفران. والطفلة: الناعمة. والغريضة: الطرى.

[نبذة من أقوال الحكماء]

قال أبو العباس: ثم نذكر من كلام الحكماء وأمثالهم وآدابهم صدراً، ونعود^(١) إلى المقطعات إن شاء الله.

[يروى عن ابن عمر أنه كان يقول: إنا معشر قريش، كنا نعدّ الجود والحلم السؤدد، ونعدّ العفاف وإصلاح المال المروءة]^(٢).

قال الأحنف بن قيس: كثرة الضحك تذهب الهيبة، وكثرة المزح تذهب المروءة، ومن لزم شيئاً عرف به.

وقيل لعبد الملك بن مروان: ما المروءة؟ فقال: موالاة الأكفاء، ومداواة الأعداء.

وتأويل المداواة المداواة، أى لا تظهر لهم ما عندك من العداوة، وأصله من الدجى، وهو ما ألبسك الليل من ظلمته.

وقيل لمعاوية: ما المروءة؟ فقال: احتمال الجريرة، وإصلاح أمر العشيرة. ف قيل له: وما النبى؟ فقال: الحلم عند الغضب، والعفو عند القدرة.

وكان أبو سفيان إذا نزل به جاراً قال له: يا هذا، إنك قد اخترتني جاراً، واخترت دارى داراً، فجناية يدك على دونك، وإن جنت عليك يد فاحتكم على حكم الصبى على أهله.

وذلك أن الصبى قد يطلب ما لا يوجد إلا بعيداً، ويطلب ما لا يكون ألبتة، قال الشاعر^(٣):

وَلَا تَحْكُمَا حُكْمَ الصَّبِيِّ فَإِنَّهُ كَثِيرٌ عَلَى ظَهْرِ الطَّرِيقِ مَجَاهِلُهُ

وروى^(٤) أن معاوية بن أبى سفيان لما نصب يزيد لولاية العهد أقعده فى قبة حمراء، فجعل الناس يسلمون على معاوية، ثم يميلون إلى يزيد، حتى جاء رجل

(١) ر: «ثم نعود».

(٢) ما بين العلامتين تكملة من ر.

(٣) زيادات ر: «هو الأعرج المعنى».

(٤) ر: «ويروى».

ففعل ذلك، ثم رجع إلى معاوية، فقال: يا أمير المؤمنين، اعلم أنك لو لم تولّ هذا أمور المسلمين لأضعتها - والأحنف جالس - فقال له معاوية: ما بالك لا تقول يا أبا بحر! قال: أخاف الله إن كذبت، وأخافكم إن صدقت. فقال: جزاك الله عن الطاعة خيراً! وأمر له بألوف، فلما خرج الأحنف لقيه الرجل بالباب، فقال: يا أبا بحر، إنى لأعلم أن شر من خلق الله هذا وابنه، ولكنهم قد استوثقوا من هذه الأموال بالأبواب والأقفال، فلسنا نطمع في استخراجها إلا بما سمعت، فقال الأحنف: يا هذا أمسك عليك^(١)، فإن ذا الوجهين خليف ألا يكون عند الله وحيها.

[الرجل يهجو بلال بن البعير المحاربي]

وقال رجل يهجو بلال بن البعير المحاربي^(٢):

يقولون أبناء البعير وماله سنّام ولا في ذروة المجد غارب
أرادت - وذاكم من سفاهة رأيها لأهجوها - لما هجنتي محارب
معاذ إلهي إننى بعشيرتى ونفسي عن هذا المقام لراغب

[أبى الطمحا القيني يفخر بقوله]

وقال أبو الطمحا القيني^(٣):

وإنى من القوم الذين هم هم نجوم سماء كلما غار كوكب
إذا مات منهم سيد قام صاحبه بدا كوكب تأوى إليه كواكبه
أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه
وما زال منهم حيث كانوا مسود تسير المنيا حيث سارت كتائبه

(١) كلمة «عليك» ساقطة من ر، س.

(٢) زيادات ر: «الشاعر الرماح بن ميادة»، ورواية الأغاني (٢): ٣٣٠ - طبعة الدار للبيتين الأخيرين عن أبى حذافة السهمي:

أظنت سفاهة من سفاهة رأيها أن اهجوها - لما هجنتي محارب
فلا وأبيها إننى بعشيرتى ونفسي عن ذاك المقام لراغب

(٣) زيادات ر: «اسمه حفظة بن الشرقى، والطمحان فعلان، من طمح بأنفه وبصره إذا تكبر، والقين: الحداد، وكل صانع قين، والقين أيضا: مواضع القيد من البعير».

[إلياس بن الوليد يمدح قومه]

وقال إلياس بن الوليد يمدح قومه:

إِنِّي وَجَدْتُكَ مِنْ قَوْمٍ إِذَا طَلَبُوا بَعْدَ النَّسِيبَةِ دَيْنًا أَحْسَنُوا الطَّلَبَا
لَا تَحْسِبُوا هَجْمَ أَبْيَاتِي عَلَانِيَةً وَلَا اسْتِلَابَ سِلَاحِي ذَاهِبًا لِعَبَا
تَبَقَى الْمَعَايِرُ بَعْدَ الْقَوْمِ بَاقِيَةً وَيَذْهَبُ الْمَالُ فِيمَا كَانَ قَدْ ذَهَبَا

[الرجل يهجو]

وقال آخر:

لَيْسُوا لِعَمْرٍو غَيْرَ تَأْشِيبِ نَسَبَةٍ وَلَكِنَّ عَمْرًا غَيَّبَتْهُ الْمَقَابِرُ
إِذَا عَيَّرُوا قَالُوا مَقَادِيرُ قُدِّرَتْ وَمَا الْعَارُ إِلَّا مَا تَجَرُّ الْمَقَادِرُ

[الرجل من بني نهشل بن دارم ينأى بنفسه]

وقال رجل من بني نهشل بن دارم:

إِذَا مَوْلَاكَ كَانَ عَلَيْكَ عَوْنًا أَتَاكَ الْقَوْمُ بِالْعَجَبِ الْعَجِيبِ
فَلَا تَخْنَعْ إِلَيْهِ وَلَا تُرِدْهُ وَرَامَ بِرَأْسِهِ عُرْضَ الْجُبُوبِ
فَمَا لِشَافَةِ مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ إِذَا وَلَّى صَدِيقُكَ مِنْ طَبِيبِ

قوله:

* ورام برأسه عرض الجبوب *

يريد الأرض - وهو اسم من أسمائها - أنشدني التَّوَزِيُّ لرجل من بني مرة

يرثى ابنه:

بُنِيَ عَلَى عَيْنِي وَقَلْبِي بِكَانِهِ ثَوَى بَيْنَ أَحْجَارٍ وَرَهْنِ جُبُوبِ

وقوله: «فما لشافة» يقول: لبغض، يقال: شَفَتُ الرجلَ أَشَافُهُ شَافَةً

وشَافًا، وقد يقال في هذا المعنى شَفَفْتُهُ، قال الرَّاجِزُ:

لَمَّا رَأْنِي أُمُّ عَمْرٍو صَدَقَتْ وَمَنْعَتْنِي خَيْرَهَا وَشَفَتْ^(١)

(١) اليتان في اللسان (شنف).

وقال آخر:

* وَلَمْ تُدَاوِ غُلَّةَ الْقَلْبِ الشَّنْفُ (١) *

[النبهائى بن عكى فى النسيب]

وقال نبهان بن عكى العبشمي:

يُقِرُّ بَعَيْنِي أَنْ أَرَى مِنْ مَكَانِهِ ذُرًّا عَقِدَاتِ الْأَبْرَقِ الْمَتَقَاوِدِ
وَأَنْ أَرَدَ الْمَاءَ الَّذِي شَرِبْتَ بِهِ سُلَيْمِي، وَقَدْ مَلَ السُّرَى كُلُّ وَاجِدِ
وَأُلْصِقَ أَحْشَائِي بِيَرْدِ تَرَابِهِ وَإِنْ كَانَ مَخْلُوطًا بِسَمِّ الْأَسَاوِدِ

قوله: «ذُرًّا عَقِدَاتِ»، فالذروة من كل شيء أعلاه، فذروة السنام أعلاه، وذروة المجد أرفعه وأسناه، ويقال: فلان فى ذروة قوميه إذا كان فى الموضع الرفيع منهم، وأما قول لبيد:

مُدْمِنٌ يَجْلُو بِأَطْرَافِ الذَّرَا دَنَسَ الْأَسْوُقِ عَنْ عَضْبٍ أَفْلٍ
فإنما يقول: هذا رجل يعرقب الإبل لينحرها ثم يمسح ذرا أسنمتها بسيفه، ليجلوا ما عليه من دم الأسوق.

وقوله: «عَضْبٌ» أى قاطع، ومن ذلك رجل عضبُ اللسان، وجعله أَفْلٌ لكثرة ما يُقَارَعُ به الحروب، كما قال النابغة:

وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سِيُوفَهُمْ بِهِنَ فَلُولٍ مِنْ قِرَاعِ الْكَتَائِبِ
وقوله: «عَقِدَاتِ» فهو ما انعقد وصلب من الرمل، والواحدة عِقْدَةٌ، وأعقادٌ أيضاً وعَقِدَاتٌ، قال ذو الرمة لهلال بن أخوز المازني يمدحه:

رَفَعْتَ مَجْدَ تَمِيمٍ يَا هَلَالَ لَهَا رَفَعَ الطَّرَافِ عَلَى الْعَلْيَاءِ بِالْعَمَدِ (١)
حَتَّى نِسَاءُ تَمِيمٍ وَهِيَ نَازِحَةٌ بِقُلَّةِ الْحَزَنِ فَالْصَّمَّانِ فَالْعَقْدِ
لَوْ يَسْتَطِيعَنَّ إِذَا ضَافَتْكَ مُجْحَفَةٌ وَقَلْبُكَ الْمَوْتَ بِالْأَبَاءِ وَالْوَلَدِ

(١) البيت فى اللسان (شنف)، ورواه «علة القلب» بالمهمله.

(٢) الطرف: بيت من جلد، والعلياء: المكان المرتفع.

وقوله: «الأبرق» فالأبرق حجارة يخلطها رملٌ وطين، يقال لتلك: برقة، وأبرق، وبرقاء، يافتى، كما يقال: الأمعز والمعزاء، وهى الأرض الكثيرة الحصباء، ومثل ذلك الأبطح والبطحاء، وهو ما انبطح من الأرض، فمن قال: أبرق فإنما أراد المكان، ومن قال: برقاء فإنما أراد البقعة.

وقوله: «المتقاود» يريد المنقاد المستقيم، ومن ذلك قولهم: قُدَّتْهُ أى جَرَّتْهُ على استقامة، وكذلك طريق مُنْقَاد، وفلان قائد الجيش، قال حاتم بن عبد الله الطائى: يضرب هذا مثلاً:

إِنَّ الْكَرِيمَ مَنْ تَلَفَّتْ حَوْلُهُ وَإِنَّ اللَّئِيمَ دَائِمُ الطَّرْفِ أَقْوَدُ^(١)

وقوله:

* ولو كان مخلوطاً بسم الأسود *

يريد جمع أسود سالخ، وجمعه على أساود؛ لأنه يجرى مجرى الأسماء، وما كان من باب «أفعل» اسماً فجمعه على أفاعِلَ، نحو أفكَل وأفالك^(٢)، والأكبر والأكابر، وكذلك كل ما سميت به رجلاً، تقول: أحمد وأحامد، وأسلم وأسالِم، فإن كان نعتاً فجمعه «فعل»^(٣) نحو أحمر وحمر، وأصفر وصفر، ولكن أسود إذا عنيته به الحية، وأدهم إذا عنيته به^(٤) القيد، وأبطح إذا عنيته^(٥) المكان المنبطح، والأبرق^(٦) إذا عنيته المكان، مضارعة للأسماء، لأنها تدل على ذات الشيء، وإن كانت فى الأصل نعتاً محضاً^(٧)، تقول فى جمعها: الأباطح والأبارق والأداهم والأساود، فإن أردت نعتاً محضاً يتبع المنعوت، قلت: مررت بشياب سود، وبخيل دهم، وكل ما أشبه هذا فهذا مجراه، قال جرير:

هُوَ الْقَيْنُ وَابْنُ الْقَيْنِ لَا قَيْنَ مِثْلُهُ لِفَطْحِ الْمَسَاحِي أَوْ لِحَدَلِ الْأَدَاهِمِ^(٨)

(١) حاشية الأصل: «الأقود من الرجال: الذى لا يلتفت».

(٢) الأفكل: اسم لردة من برد أو خوف.

(٣) ر، س: «فجمعه على فعل».

(٤) ر، س: «إذا عنيته به القيد».

(٥) ر: «إذا عنيته المكان».

(٦) ر: «وأبرق إذا عنيته به المكان».

(٧) ساقطة من ر.

(٨) المساحى: «جمع مسحاة، وهى المنجرفة من حديد يجرف بها الطين عن وجه الأرض».

وقال الأشهب بن رُمَيْلة - [قال أبو الحسن: رميلة اسم أمه] - (١):

أُسُودُ شَرِّى لَاقَتْ أُسُودَ خَفِيَّةٍ تساقَت (٢) عَلَى حَرْدٍ دِمَاءَ الْأَسَاوِدِ
قوله: «على حرد» يقول: على قَصْد، فأما قولُ الله عز وجل: ﴿وَعَدُوا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ﴾ (٣)، فإن فيه قولين: أحدهما ما ذَكَرْنَا من القصد، قال الشاعر (٤):

قَدْ جَاءَ سَيْلٌ جَاءَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ يَحْرِدُ حَرْدَ الْجَنَّةِ الْمُغَلَّةِ (٥)
وقالوا: «على حرد»: أى على مَنَع، من حارَدَتِ السَّنةُ إذا مَنَعَتْ قَطَرَهَا، وحارَدَتِ الناقةُ إذا مَنَعَتْ دَرَهَا.

[قال أبو الحسن: رواية أبي العباس: «يُقَرُّ بعينى» يريد يُقَرُّ عينى، ثم أتى بالباء تأكيداً، وقال لنا: هكذا سمعته، ويقال: أَقَرَّ اللَّهُ عَيْنَهُ يَقَرُّهَا، وَقَرَّتْ عَيْنُهُ تَقَرُّ، وَقَرَّرْتُ بِالْمَكَانِ أَقَرُّ، وقال الأصمعى: قَرَّتْ عَيْنُهُ مِنَ الْقُرِّ وهو البرد، أى جَمَدَتْ فلم تدمع، وهو بِحِذَاءِ سَخِنَتْ عَيْنُهُ. وأجودُ مما رَوَى عندي: «يَقَرُّ بعينى»، وهو الأصل، والباء فى موضعها غيرُ مؤكدة.

وقال أبو العباس: الذى رَوَيْتُ: «وقد ملَّ السَّرى كُلُّ واحد»، وهو المنفرد فى السير المُتَوَحِّدُ به، وَرَوَى غيره: «كلُّ واحد»، أى عاشق، وَرَوَى أيضاً: «كل واحد»، وهو من الوَحْدِ والوَخْدَانِ، وهو السير الشديد، والوَخْدُ المصدر، والوَخْدَانُ الاسم].

(١) ما بين العلامتين من ر ، س .

(٢) ر ، س: «تسافوا».

(٣) سورة القلم ٢٥ .

(٤) س: «قيل: هو قطرب».

(٥) زيادات ر: «قال أبو حاتم: هذه صنعة من لا أحسن الله ذكره - يعنى قطربا»، وفيها «قطربا» تصحيف .

اللقّات الكلابي يفخر بنفسه وقومه

وقال القتال الكلابي^(١)، واسمه عبيد بن مضر حي:

أَنَا ابْنُ أَسْمَاءَ أَعْمَامِي لَهَا وَأَبِي إِذَا تَرَامَى بَنُو الْإِمْوَانِ بِالْعَارِ
لَا أَرْضِعُ الدَّهْرَ إِلَّا ثَدْيِي وَأَضِحَةٌ لَوَاضِحُ الْخَدِّ يَحْمِي حَوْزَةَ الْجَارِ
مِنْ آلِ سَفْيَانٍ أَوْ وَرَقَاءَ يَمْنَعُهَا تَحْتَ الْعَجَاجَةِ ضَرْبُ غَيْرِ عَوَارِ
يَالَيْتَنِي وَالْمَنَى لَيْسَتْ بِنَافِعَةٍ لِمَالِكٍ أَوْ لِحِصْنٍ أَوْ لِسَيَّارِ
طَوَالَ أَنْضِيَةِ الْأَعْنَاقِ لَمْ يَجِدُوا رِيحَ الْإِمَاءِ إِذَا رَاحَتْ بِأَزْفَارِ

قوله:

* إذا ترامى بنو الإموان بالعار *

فالإموان: جمع أمة، وأصل أمة «فَعَلَّةٌ» متحركة العين، وليس شيء من الأسماء على حرفين إلا وقد سقط منه حرف يُسْتَدَلُّ عليه بجمعه، أو بتثنيته، أو بفعل إن كان مشتقاً منه، لأن أقل الأصول ثلاثة أحرف، ولا يلحق التصغير ما كان أقل منها، فأمة قد علمنا أن الذهاب منها واو بقولهم: «إموان»، كما علمنا أن الذهاب من أب وأخ الواو بقولهم أبوان وأخوان، وعلمنا أن أمة «فَعَلَّةٌ» متحركة بقولهم في الجميع: أم، فوزن هذا أفعل، كما قالوا: أكمة وأكم، ولا تكون فعلة على أفعل، ثم قالوا إموان: كما قالوا في المذكر الذي هو منقوص مثله: إخوان، واستوى المذكر والمؤنث؛ لأن الهاء زائدة، كما استويا في «فعل» الساكن العين، تقول: كلب وكلاب، وكعب وكعاب، كما تقول في المؤنث: طلحة وطلّاح، وجفنة وجفان، وصحفة وصحف. ونظير ذلك من غير المعتل وركل^(٢) وورلان، وبرق وبرقان وخرب وخربان، وهو ذكر الحباري، والبرق الحمل. ومن أنشد:

(١) ر، س: «وقال أبو العباس، قال القتال ...».

والأبيات في أمالي القتالي (٢: ٢٢٥، ٢٢٦)، وذكر فيها: «نارع القتال الكلابي - وهو عبيد بن المضر حي - رجلا من قومه، فقال له الرجل: أنت كل على قومك، والله إنك لحامل الذكر والحسب، ذليل النفر، خفيف على كاهل خصمك، كل على ابن عمك»، فقال هذه الأبيات.

(٢) الورل: دابة على خلقة الضب، إلا أنه أعظم منه، يكون في الصحارى.

«أُمَوَان» فقد غلط، لأنه يَحْتَجُّ بقولهم: حَمَلٌ وَحُمْلَانٌ، وَفَلَقٌ وَفُلْقَانٌ، وهذا إنما يحمل على ما كان معتلاً مثله، نحو أخ وأخوان. وقد رَوَى أبو زيد: أُخْوَان، فإلى هذا ذهبوا، والقياس المطرد لا تَعْتَرِضُ عَلَيْهِ الرواية الضعيفة.

وقوله: «لا أَرْضِعِ الدَّهْرَ» فهذا على لغته، لأن قِيسًا تقول: رَضِعَ يَرْضِعُ، وأهل الحجاز يقولون: رَضَعَ يَرْضَعُ، وَيُنْشِدُونَ بيت عبد الله بن هَمَام [السلولى]^(١) على وجهين، وهو:

إِذَا نَصَبُوا لِلْقَوْلِ قَالُوا فَأَحْسِنُوا وَلَكِنَّ حُسْنَ الْقَوْلِ خَالَفَةُ الْفَعْلِ
وَذَمُّوا لَنَا الدُّنْيَا وَهُمْ يَرْضِعُونَهَا أَفَأَوَيْقَ حَتَّى مَا يَدِرُّ لَهَا ثُعْلُ^(٢)
وبعضهم يقول: «يَرْضِعُونَهَا».

وقوله:

« لا أَرْضِعُ الدَّهْرَ إِلَّا ثُدَىً وَاضِحَةً »

يقول: إِنَّمَا تُرَضِّعُنِي أُمِّي، وليست غير كريمة، كما قال الأَعَشَى:

يَا خَيْرَ مَنْ يَرْكَبُ الْمَطِيَّ وَلَا يَشْرَبُ كَأْسًا بِكَفٍّ مَنْ بَخِلَا
يقول: إِنَّمَا تَشْرَبُ بِكَفِّكَ، وَلَسْتَ بِبَخِيلٍ، ومثل هذا قول التَّمِيمِ لِنَجْدَةَ بن عامر الحَنْفِيِّ الخارِجِيِّ^(٣):

مَتَى تَلْقَ الْحَرِيشَ حَرِيشَ سَعْدٍ وَعَبَّادًا يَقُودُ الدَّارِعِينَا
تَبَيَّنَ أَنَّ أُمَّكَ لَمْ تَوْرَكْ وَلَمْ تُرَضِّعْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَا^(٤)

وقوله: «واضحة» أى خالصة فى نَسَبِهَا، وليست بأمة، وهذا تأكيد لبيته الأول، وقد أنشد بعضهم: «لواضح الجدِّ» والمعنى قريب.

(١) من و. وفى س «بيتى ابن همام».

(٢) الثعل، مثله: خلف زائد صغير فى أخلاف الناقة.

(٣) هو نجدة بن عامر الحنفى، من رءوس الخوارج، كان ممن لقبوه بأمر المؤمنين قتل سنة ٧٢.

(وانظر تاريخ الطبرى ٧: ١٩٤).

(٤) هو الحريش بن هلال القريعى الشاعر، وعباد بن علقمة المازنى، وسيأتى ذكرهما فى أخبار الخوارج.

وقوله: «يَحْمِي حَوْزَةَ الْجَارِ» أى ما يَحُوزُهُ، يقال: فلان مانع لحوزَتِهِ، أى لما صار فى حَيْزِهِ، وَيُرَوَّى عن عَلِيٍّ بنِ أَبِي طالب رَحِمَهُ اللهُ عَلَيْهِ (١) أَنَّهُ قَالَ: لِلأَزْدِ أَرْبَعٌ لَيْسَتْ لِحَيٍّ، بَذَلٌ لِمَا مَلَكَتْ أَيْدِيهِمْ، وَمَنْعٌ لِحَوْزَتِهِمْ، وَحَيٌّ عِمَارَةٌ (٢) لَا يَحْتَاجُونَ إِلَى غَيْرِهِمْ، وَشُجْعَانٌ لَا يَجِبُونُ.

وقوله:

* لِمَالِكٍ، أَوْ لِحِصْنٍ، أَوْ لِسَيَّارٍ *

فهؤلاء بيت فزارة، وبيوتات العرب فى الجاهلية ثلاثة، فبيت تميم بنو عبد الله ابن دارم، ومركزه بنو زُرارة، وبيت قَيْسِ بنو فزارة ومركزه بنو بدر، وبيت بكر بن وائل شيبان ومركزه بنو ذى الجدين.

وقوله: «طَوَالَ أَنْضِيَةِ الْأَعْنَاقِ» فَالَنْضِيُّ مُرَكَّبُ النَّصْلِ فى السِّنَخِ، وَضَرْبُهُ مَثَلًا، وَإِنَّمَا أَرَادَ طَوَالَ الْأَعْنَاقِ، كَمَا قَالَ الْأَعشى:

الْوَأْطِئِينَ عَلَى صُدُورِ نِعَالِهِمْ يَمْشُونَ فى الدَفْعِيِّ وَالْأَبْرَادِ (٣)
يُرِيدُ السُّودَدَ وَالنَّعْمَةَ وَلَمْ يَخْصُصِ الصُّدُورَ، وَإِنَّمَا أَرَادَ النِّعَالَ كُلَّهَا، وَقَالَ الشَّاعِرُ (٤):

يُشَبَّهُونَ مُلُوكًا فى تَجَلَّتِهِمْ وَطُولِ أَنْضِيَةِ الْأَعْنَاقِ وَاللِّمَمِ
إِذَا بَدَأَ الْمِسْكُ يَنْدَى فى مَفَارِقِهِمْ رَاحُوا كَأَنَّهُمْ مَرَضَى مِنَ الْكِرَمِ

[قال أبو الحسن: وغيره يروى: يُشَبَّهُونَ قَرِيشًا فى تَجَلَّتِهِمْ].

وقوله: «بِأَزْفَارٍ» فَالزَّفَرُ الْحَمْلُ، وَيُضْرَبُ مَثَلًا لِلرَّجُلِ، فيقال: إِنَّهُ لَزَفَرٌ، أى حَمَالٌ لِلْأَثْقَالِ، وَيُقَالُ: أَتَى حَمَلَهُ فَازْدَفَرَهُ، قَالَ أَبُو قُحَافَةَ أَعْشى بَاهِلَةً:

أَخُو رَغَائِبٍ يُعْطِيهَا وَيُسَالِهَا يَأْبَى الظُّلَامَةَ مِنْهُ التَّوْفَلَ الزُّفْرُ

(١) ر: «رضى الله عنه».

(٢) العمارة هنا: الحى العظيم يمكنه الانفراد بنفسه، يفتح العين وكسرهما. قال ابن الأثير: «فمن فتح فلا لتفاف بعضهم على بعض كالعمارة والعمامة، ومن كسر فلان بهم عمارة الأرض» (وانظر النهاية ١٢٨: ٣).

(٣) الدفئى: ضرب من الثياب، قيل هى المخططة.

(٤) زيادات ر: «هو الشمردل بن شريك اليربوعى، عن ابن قتيبة».

وإنما يريد بعينه، كقولك: لئن لقيت فلانا ليلقيَنَّك منه الأسدُ.
وقوله: «النَّوْفُلُ» من قولهم: إنه لذو فضل ونوافل.

[الرجل من بنى عبس، وكان عروة بن الورد قد شتمه]

وقال رجل من بنى عبس، يقوله لعروة بن الورد: (١)
لا تَشْتُمْنِي يَا بْنَ وَرْدٍ فَلِإِنِّي تَعُودُ عَلَيَّ مَالِي الْحَقُوقُ الْعَوَائِدُ
وَمَنْ يُؤْثِرِ الْحَقَّ النَّوْبَ تَكُنْ بِهِ خَصَاصَةٌ جِسْمٍ، وَهُوَ طَيَّانٌ مَاجِدُ (٢)
وَإِنِّي أَمْرٌ عَافِي إِنَائِي شِرْكَةٌ وَأَنْتَ أَمْرٌ عَافِي إِنَائِكَ وَاحِدُ (٣)
أُقَسِّمُ جِسْمِي فِي جُسُومٍ كَثِيرَةٍ وَأَحْسُو قَرَّاحَ الْمَاءِ وَالْمَاءُ بَارِدُ
قوله: «النَّوْبَ» يريد الذي ينوبه، وكل واو انضمت لغير علة فأنت في
همزها وتركها بالخيار، تقول في جمع دار: أدور، وإن شئت لم تهمز، وكذلك
النَّوْبَ والقَوُولُ لانضمام الواو، فأما الواو الثانية فإنها ساكنة قبلها ضمة، وهي
مَدَّةٌ فلا يُعْتَدُّ بها، ولو التقت واوان في أول كلمة، وليست إحداها مَدَّةٌ لم يكن
بَدْءٌ مِنْ هَمْزٍ أَوَّلِي، تقول في تصغير واصل وواقد: أَوَيْصَلٌ وَأَوَيْقَدٌ، لا بُدَّ مِنْ
ذلك، فأما وَجُوهٌ فَإِنْ شِئْتَ هَمَزْتَ فَقُلْتَ: أَجُوهٌ وَإِنْ شِئْتَ لَمْ تَهْمِزْ، قال الله
عزَّ وجل: ﴿وَإِذَا الرُّسُلُ أَقْبَتْ﴾ (٤) والأصل وَقَّتَتْ، ولو كان في غير القرآن لجاز
إظهار الواو إن شئت. وقوله عز وجل (٥): ﴿مَا وَوَرَى عَنْهُمَا﴾ (٦) والواو الثانية
مَدَّةٌ فلا يُعْتَدُّ بها، ولو كان في غير القرآن لجاز الهمز لانضمام الواو.

وقولي: «إذا انضمت لغير علة»، فالعلة أن تكون ضمتها إعراباً، نحو هذا
عَزَوْا يَا فَتَى، ودَلُّوا كَمَا تَرَى، فهذا مما لا يجوز هَمْزُهُ؛ لأن الضمة للإعراب
فليست بلازمة، أو تَنْضَمُّ لالتقاء الساكنين، فذلك أيضاً غير لازم، فلا يجوز

(١) ر، س: «قال أبو الحسن: يقوله لعروة بن الورد».

(٢) الخصاصة: سوء الحال. والطيان: الجائع.

(٣) العافي: طالب المعروف.

(٤) سورة المرسلات ١١.

(٥) ر، س: «وقوله تعالى».

(٦) سورة الأعراف، ٢٠.

همزه: نحو اخشَوْا الرجل، و﴿لَتَبْلُوَنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ﴾^(١) و﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾^(٢) وَمَنْ هَمَزَ مِنْ هَذَا شَيْئًا فَقَدْ أَخْطَأَ.

[الرجل من بنى تميم يهجو تعلقة بن مسافرا]

وقال رجل من بنى تميم:

أَلْبَانُ إِبِلِ تَعْلَةٍ بِنِ مُسَافِرٍ	مَادَامَ يَمْلِكُهَا عَلَى حَرَامٍ
وَطَعَامُ عِمْرَانَ بْنِ أَوْفَى مِثْلُهَا	مَادَامَ يَسْلُكُ فِي الْبُطُونِ طَعَامٍ
إِنَّ الَّذِينَ يَسُوعُغُ فِي أَعْنَاقِهِمْ	زَادُ يَمَنُّ عَلَيْهِمْ لَلِثَامِ
لَعَنَ إِلَاهُ تَعْلَةٍ بِنِ مُسَافِرٍ	لَعْنَا يُشْنُ عَلَيْهِ مِنْ قُدَّامٍ

وهذا كلام فصيح جداً.

قوله: «يسوغ في أعناقهم» يريد حُلُوقَهُمْ؛ لأن العنق يحيط بالخلق، ويشبه هذا الاتساع في الفصاحة لا في المعنى قول القطامي:

لَمْ تَرَ قَوْمًا هُمْ شَرٌّ لِإِخْوَتِهِمْ	مِنَّا عَشِيَّةً يَجْرِي بِالدِّمِ الْوَادِي
نَقْرِيهِمْ لَهْذَمِيَّاتٍ نَقْدُ بِهَا	مَا كَانَ خَاطَ عَلَيْهِمْ كُلُّ زَرَادٍ

لأن الخياطة تَضُمُّ خِرْقَ الْقَمِيصِ، وَالسَّرْدُ يَضُمُّ حَلَقَ الدَّرْعِ، فَضَرَبَهُ مَثَلًا فَجَعَلَهُ خِيَاطَةً.

[قال أبو الحسن: رَوَى أَبُو الْعَبَّاسِ:

* وطعام عمران بن أوفى مثلها *

رَدَّ الْهَاءَ وَالْأَلْفَ عَلَى الْأَلْبَانِ، وَهَذَا لَا نَظَرَ فِيهِ، وَرَوَى أَيْضًا مِثْلَهُ لِأَنَّ الْأَلْبَانَ تَجْرَى مُجْرَى اللَّبَنِ، فَحَمَلَهُ عَلَى الْمَعْنَى. وَقَدْ يَجُوزُ أَنْ تَجْعَلَ الْأَلْبَانَ جَمْعًا فَتَذَكَّرَ لِتَذْكِيرِ الْجَمْعِ. وَرَوَى أَيْضًا.

* مَادَامَ يَسْلُكُ فِي الْخُلُوقِ طَعَامٌ *

(١) سورة آل عمران ١٨٦.

(٢) سورة التكاثر ٦.

وَرَوَى الْفَرَاءُ فِي هَذَا الشَّعْرِ:

❖ إِنَّ الَّذِينَ يَسُوءُ فِي أَحْلَاقِهِمْ ❖

وإنما كان ينبغي أن يكون: «فِي أَحْلَاقِهِمْ» كقولك: فَلَسٌ وَأَفْلَسٌ، وما أشبهه ولكنه شَبَّهَ باب «فَعَلٍ» بباب «فَعَلٍ»، كما قالوا: زَنْدٌ وَأَزْنَادٌ، وَفَرَحٌ وَأَفْرَاحٌ، قال الحُطَيْيَةُ لِعُمَرَ بن الخطاب رضى (١) الله عنه:

مَاذَا تَقُولُ لِأَفْرَاحٍ بِذِي مَرَحٍ حُمُرِ الْخَوَاصِلِ لَا مَاءٌ وَلَا شَجَرٌ
فَفَعَلُوا هَذَا تَشْبِيهًا بِبَابِ «فَعَلٍ» كَمَا شَبَّهُوا فَعَلًا بِفَعَلٍ فِي الْجَمْعِ، فَقَالُوا:
جَبَلٌ وَأَجْبَلٌ، وَزَمَنٌ وَأَزْمَنٌ، كَمَا قَالَ:

إِنِّي لَاكْنِي بِأَجْبَالٍ عَنْ أَجْبَلِهَا وَبِأَسْمٍ أَوْدِيَةٍ حُبًّا لَوَادِيهَا
فَأَتَى بِهِ عَلَى الْأَصْلِ، وَتَشْبِيهًا بغيره عَلَى مَا أَخْبَرْتُكَ، قَالَ ذُو الرِّمَّةِ:
أَمَنْزِلَتِي مَيِّ سَلَامٌ عَلَيْكُمَا هَلِ الْأَزْمَنُ اللَّائِي مَضَيْنَ رَوَاجِعُ!
والباب «أزمان» كما قال رؤبة:

أَزْمَانٌ لَا أَدْرِي وَإِنْ سَأَلْتُ مَا فَرَقَ بَيْنَ جُمُعَةٍ وَسَبْتٍ
وَرَوَى أَبُو الْعَبَّاسِ الْبَيْتَ الْأَخِيرَ مُقَوًى، وَجَعَلَهُ نَكْرَةً، وَهُوَ قَوْلُهُ: «مَنْ
قُدَّامٌ، كَمَا تَقُولُ: جِئْتُكَ مِنْ قَبْلٍ، وَمِنْ بَعْدٍ، وَمِنْ عَلٍ، وَمَا أَشْبَهَهُ، كَمَا قَرَأَ
بَعْضُهُمْ: ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلٍ وَمِنْ بَعْدٍ﴾» (٢)، كَمَا تَقُولُ: أَوَّلًا وَآخِرًا، وَرَوَاهُ الْفَرَاءُ:
«مَنْ قُدَّامٌ»، وَجَعَلَهُ مَعْرِفَةً، وَأَجْرَاهُ مُجْرَى الْغَايَاتِ، نَحْوُ: «قَبْلُ وَبَعْدُ» كَمَا قَالَ
[طَرَفَةُ بن الْعَبْدِ] (٣):

ثُمَّ تَقْرَى اللَّحْمَ مِنْ تَعْدَائِهَا فَهِيَ مِنْ تَحْتِ مُشِيحَاتِ الْحَزْمِ
وَكَمَا قَالَ عَتَّى بن مَالِكِ الْعَقِيلِيُّ، أَنشَدَهُ الْفَرَاءُ أَيْضًا:
إِذَا أَنَا لَمْ أَوْمَنْ عَلَيْكَ وَلَمْ يَكُنْ لِقَاؤُكَ إِلَّا مِنْ وَرَاءُ وَرَاءُ

(١) ر، س: «العمر رحمه الله».

(٢) سورة الروم ٤.

(٣) من ر، وعجز هذا البيت صدر لبیت آخر، ورواية الديوان ٥٩.

وخل الصنعة في مشتاتها وتقرى اللحم من تعدائها
فهى من تحت مشيحات الحزم وتعالى فهى قب كالعجم

فهذا الضرب مما وقع معرفة على غير جهة التعريف، وجهة التعريف أن يكون مُعرِّفًا بنفسه، كزيد وعمرو، أو يكون مُعرِّفًا بالألف واللام أو بالإضافة، فهذه جهة التعريف، وهذا الضرب إنما هو مُعرِّفٌ بالمعنى، فلذلك بُنى إِذْ خَرَجَ من الباب، وَيُرَوَّى: «لَعْنًا يَسْنُ عَلَيْهِ» بالسين، وَيَسْنُ وَيُسْنُ واحد، أَيْ يُصَبُّ، إِلَّا أَنْ بَعْضُهُمْ قَالَ: السَّنُّ: الصَّبُّ عَلَى جِهَةٍ وَاحِدَةٍ، وَقَالُوا: سَنَنْتُ عَلَيْهِ الْمَاءَ، وَسَنَنْتُ عَلَيْهِ الدَّرْعَ لَا غَيْرَ، وَقَالُوا: سَنَنْتُ عَلَيْهِ الْغَارَةَ لَا غَيْرَ.

[اللقطامي يفتخر]

قال أبو العباس، وقال القُطاميُّ:
فَمَنْ تَكُنَّ الْحِصَارَةُ أَعْجَبَتْهُ
وَمَنْ رَبَطَ الْجَحَاشَ فَإِنَّ فِينَا
وَكُنَّ إِذَا أَعْرَنَ عَلَى قَبِيلٍ (٢)
أَعْرَنَ مِنَ الضَّبَابِ عَلَى حِلَالٍ
وَأَحْيَانًا عَلَى بَكْرٍ أَخِينَا
إِذَا مَا لَمْ نَجِدْ إِلَّا أَخَانًا
فَأَيَّ رَجَالٍ بَادِيَةٍ تَرَانَا!
قَنَا سُلْبًا وَأَفْرَاسًا حَسَانًا (١)
فَأَعُوزَ هُنَّ كَوْزٌ حَيْثُ كَانَا (٣)
وَضَبَّةً، إِنَّهُ مَنْ حَانَ حَانَا
إِذَا مَا لَمْ نَجِدْ إِلَّا أَخَانًا

قوله: «الحِصَارَةُ» يريد الأمصارَ، وتقول العرب: فلانٌ بادٍ، وفلانٌ حاضرٌ، وفي الحديث: «وَلَا يَبِيعَنَّ حَاضِرٌ لِبَادٍ»، وتأويلُ ذلك أن البادِيَ يَقْدَمُ وقد عرف أسعار ما معه وما مقدار ربحه، فإذا جاءه الحاضرُ عرفه سَنَةَ الْبَلَدِ فَأَغْلَى على الناس. ومثلُ ذلك النهي عن تَلَقَّى الْجَلَبِ، ومثله: دَعَا عِبَادَ اللَّهِ يُصَبُّ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ. ويقال: حَى حِلَالٌ، إِذَا كَانُوا مُتَجَاوِرِينَ مُقِيمِينَ، وأنشد الأَصمعيُّ:
أَقَوْمٌ يَبْعَثُونَ الْعِيرَ تَجَرًّا أَحَبُّ إِلَيْكَ أَمْ حَى حِلَالٌ

(١) القنا: جمع قناة، وهى الرمح: السلب: الطوال، واحده سلب، بفتحتين.

(٢) القبيل: الجماعة من الناس.

(٣) كوز: رجل من أسد. وفي ر: «كون» تحريف وانظر الديوان ٥٨.

باب

انبؤ من أقوال الحكماء

قيل لمعاوية رحمة الله عليه: ما النبؤ؟ فقال: الحلم عند الغضب، والعفو عند القدرة. ويروى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ألا أخبركم بشراكم؟»^(١): من أكل وحده، ومنع رفده، وضرب عبده. ألا أخبركم بشر من ذلكم؟ من لا يقبل عشرة، ولا يقبل معذرة، ولا يغفر ذنباً، ألا أخبركم بشر من ذلكم؟ «من يبغض الناس ويبغضونه». ويروى عنه عليه السلام أنه قال: «المسلمون تتكافأ دماؤهم، ويسعى بذمتهم أدناهم، وهم يد على من سواهم، والمرء كثير بأخيه».

قوله ﷺ: «تتكافأ دماؤهم»، من قولك: فلان كفء لفلان، أى عديله، وموضوع بحذائه، قال الله عز وجل: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ ويقال: فلان كفء فلان، وكفىء فلان، وكفء فلان.

ويروى أن الفرزدق بلغه أن رجلاً من الحبطات بن عمرو بن تميم خطب امرأة من بنى دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيدة مائة بن تميم، فقال الفرزدق: بنو دارم أكفاؤهم آل مسمع وتنكح فى أكفائها الحبطات فآل مسمع بيت بكر بن وائل فى الإسلام، وهم من بنى قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن على بن بكر بن وائل، والحبطات هم بنو الحارث بن عمرو ابن تميم. فقله: «أكفاؤهم» إنما هو جمع كفء يا فتى، فقال رجل من الحبطات ينجيه:

أما كان عبأد كفيئاً لدارم! بلى ولأبيات بها الحجرات
يعنى بنى هاشم، من قول الله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ينادونك من وراء الحجرات﴾^(٢).

وقال على بن أبى طالب رحمه الله: من لانت كلمته، وجبت محبته. وقال: قيمة كل امرئ ما يحسن.

(١) ر: «ألا أخبركم بشراكم؟ قالوا: بلى، قال من أكل وحده...».

(٢) سورة الحجرات ٤.

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه: ثلاثٌ يُثَبِّتَنَّ لَكَ الْوُدَّ فِي صَدْرِ أَخِيكَ: أَنْ تَبْدَأَهُ بِالسَّلَامِ، وَتُوسِّعَ لَهُ فِي الْمَجْلِسِ، وَتَدْعُوهُ بِأَحَبِّ الْأَسْمَاءِ إِلَيْهِ. وقال: كَفَى بِالْمَرْءِ غِيًّا أَنْ تَكُونَ فِيهِ خَلَّةٌ مِنْ ثَلَاثٍ: أَنْ يَعِيبَ شَيْئًا ثُمَّ يَأْتِيَ مِثْلَهُ، أَوْ يَبْدُو لَهُ مِنْ أَخِيهِ مَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْ نَفْسِهِ، أَوْ يُؤْذِيَ جَلِيسَهُ فِيمَا لَا يَعْنِيهِ.

وقال عبد الله بن العباس لبعض اليمانية: لكم من السماء نَجْمُهَا، ومن الكعبة رُكْنُهَا، ومن السيوف صَمِيمُهَا. يعنى سَهْلًا من النجوم، والرُّكْنَ اليماني، وصَمَصَامَةً عمرو بن معدى كَرَب.

ويروى أن عمر بن الخطاب رحمه الله قال يوما: مَنْ أَجُودُ الْعَرَبِ؟ فَقِيلَ لَهُ: حَاتِمٌ، قَالَ: فَمَنْ شَاعِرُهَا؟ قِيلَ: أَمْرُؤُ الْقَيْسِ بْنِ حُجْرٍ، قَالَ: فَمَنْ فَارِسُهَا؟ قِيلَ: عَمْرُو بْنُ مَعْدَى كَرَب. قَالَ: فَأَيُّ سِوْفِهَا أَمْضَى؟ قِيلَ: الصَّمَصَامَةُ.

وقال معاوية بن أبى سفيان رحمه الله للأحنف بن قيس وجارية بن قدامة ورجال من بنى سعدَ معهما كلامًا أحفظهم، فَرَدُّوا عَلَيْهِ جَوَابًا مُقَدِّعًا، وَبنت قَرْظَةَ فِي بَيْتٍ يَقْرُبُ مِنْهُ، فَسَمِعَتْ ذَلِكَ، فَلَمَّا خَرَجُوا قَالَتْ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، لَقَدْ سَمِعْتُ مِنْ هَؤُلَاءِ الْأَجْلَافِ كَلَامًا تَلَقَّوْكَ بِهِ فَلَمْ تُنْكِرْ، فَكَدْتُ أَخْرُجُ إِلَيْهِمْ فَأَسْطُو بِهِمْ. فَقَالَ لَهَا مُعَاوِيَةُ: إِنَّ مُضَرَ كَاهِلُ الْعَرَبِ، وَتَمِيمًا كَاهِلُ مُضَرَ، وَسَعْدًا كَاهِلُ تَمِيمٍ، وَهَؤُلَاءِ كَاهِلُ سَعْدٍ.

وكان معاوية يقول: إِنِّي لَا أَحْمِلُ السَّيْفَ عَلَى مَنْ لَا سَيْفَ مَعَهُ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ إِلَّا كَلِمَةً يَشْتَفِي بِهَا مُشْتَفٍ جَعَلْتُهَا تَحْتَ قَدَمِي، وَدَبَّرَ أُذُنِي. الْمُقْدَعُ: الَّذِي فِيهِ إِقْدَاعٌ، وَهُوَ السَّيِّئُ مِنَ الْقَوْلِ.

[الرجل من بنى سعد يرثى رجلاً]

قال أبو العباس: قال رجل - أحسبه من بنى سعد - يرثى رجلاً:

وَمُحْتَضِرِ الْمَنَافِعِ أُرِيحِيَّ	نَبِيلٍ فِي مَعَاوِزَةٍ طَوَالِ
عَزِيزِ عِزَّةٍ فِي غَيْرِ فُحْشٍ	ذَلِيلٍ لِلذَّلِيلِ مِنَ الْمَوَالِي
جَعَلْتُ وَسَادَهُ إِحْدَى يَدَيْهِ	وَتَحْتَ جَمَائِهِ خَشَبَاتُ ضَالِ
وَرِثْتُ سِلَاحَهُ، وَوَرِثْتُ ذُودًا	وَحُزْنًا دَائِمًا أُخْرَى اللَّيَالِي

قوله: «أُرِيحِيَّ» هو الذى يَرْتَاحُ لِلْمَعْرُوفِ، أى يَخْفُ لهُ، ويقال: أَخَذْتُ فلاناً أُرِيحِيَّةً، أى خَفَّةً وَحِرْكََةً لِفِعْلِ الْمَعْرُوفِ. والمَعَاوِزُ: الثياب التى يَتَبَدَّلُ فيها الرجل، وهى دون الثياب التى يَتَجَمَّلُ بها، واحداها مِعْوَزٌ، قال الشَّامُخُ فى نعت القَوْسِ:

إِذَا سَقَطَ الْأَنْدَاءُ صِينَتْ وَأُشْعِرَتْ حَبِيرًا وَلَمْ تُدْرَجْ عَلَيْهَا الْمَعَاوِزُ^(١)

وقوله: «فِي مَعَاوِزَةٍ»: فَرَّادُ الْهَاءِ، فَإِنَّمَا يُفْعَلُ ذَلِكَ لِتَحْقِيقِ التَّأْنِيثِ، لِأَنَّ كُلَّ جَمْعٍ مُؤَنَّثٍ، كَمَا تَقُولُ فى جَمْعِ صَيْقَلٍ صَيَاقِلٍ وَصَيَاقِلَةٍ، وَكَذَلِكَ جَوَارِبٍ وَجَوَارِبَةٍ، إِلَّا أَنَّ أَكْثَرَ الْأَعْجَمِيِّ يَخْتَصُّ بِالْهَاءِ، وَهُوَ فى الْعَرَبِيِّ جَيِّدٌ، وَفى الْعَجَمِيِّ أَكْثَرُ اسْتِعْمَالًا نَحْوُ الْمَوَازِجَةِ^(٢)، فَإِنْ كَانَ مَنْسُوبًا كَانَ الْبَابُ فِيهِ إِثْبَاتُ الْهَاءِ، وَتَرْكُهَا جَائِزٌ، نَحْوُ الْمَهَالِبَةِ وَالْأَحَامِرَةِ، وَقَالُوا: السَّبَابِجَةُ^(٣) لِأَنَّهُ قَدْ اجْتَمَعَ فِيهِ النَّسَبُ وَالْعُجْمَةُ.

(١) الْأَنْدَاءُ: جَمْعُ النَّدى، وَهُوَ مَا يَسْقُطُ لَيْلًا. وَأُشْعِرَتْ: أَلْبَسْتَ الشَّعَارَ، وَهُوَ الثَّوبُ الَّذِى يُلَى الْجَسَدَ. وَالْحَبِيرُ: الْبَرْدُ الْمَوْشَى.

(٢) الْمَوَازِجَةُ: جَمْعُ مَوْزَجٍ، وَهُوَ الْخَفِّفُ، وَأَصْلُهُ: «مَوْزَةٌ». (وَانْظُرِ الْمَرْبَ ٣١١).

(٣) قَالَ فى اللِّسَانِ: السَّبَابِجَةُ: قَوْمٌ ذُووُ جِلْدٍ مِنَ السِّنْدِ وَالْهِنْدِ يَكُونُونَ مَعَ رِئِيسِ السَّفِينَةِ الْبَحْرِيَّةِ، وَاحِدُهُمْ سَبِيجِي، وَدَخَلَتْ فى جَمْعِهِ الْهَاءُ لِلْعُجْمَةِ وَالنَّسَبِ، كَمَا قَالُوا: الْبَرَابِرَةُ.

وقوله: «تحت جَمَاته» يعنى شخصه، والضال: السدرُ البرى، وما كان من السدرِ على الأنهار فليس بضال، ولكن يقال له: عُبْرى. قال ذو الرمة: «عُبْرِيَا وضالا» (١).

وقوله:

* وَرِثْتُ سِلَاحَهُ وَوَرِثْتُ ذُوْدًا *

يصف قُرْبَ نَسَبِهِ مِنْهُ، والدُّود: القطعة من الإبل، وأكثر ما يُستعمل ذلك فى الإناث، ويجوز فى السائر، ومنه قولهم: الدُّود إلى الدُّودِ إبل، ثم قال:

* وَحَزْنًا دَائِمًا أُخْرَى اللَّيَالَى *

كما قال الأول - وَغَبِطَ بِمِراثِ وَرِثَةِ مِنْ أَحَدِ أَهْلِهِ:

يَقُولُ جَزْءٌ - وَلَمْ يَقُلْ جَلَلًا - إِنِّى تَزَوَّجْتُ نَاعِمًا جَدَلًا

إِنْ كُنْتُ أَرْنُتْنِى بِهَا كَذِبًا جَزْءٌ، فَلَا قِيَتَ مِثْلَهَا عَجَلًا

أَغْبَطُ أَنْ أَرْزَأَ الْكَرَامَ وَأَنْ أُورِثَ ذُوْدًا شَصَائِصًا نَبَلًا

قوله: «ولم يقل جلالاً» أى صغيراً، والجللُ يكون للصغير، ويكون للكبير، ومن ذلك قوله:

* كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ جَلَلٌ *

أى صغير، وقال لبيد فى الكبير:

وَأَرَى أَرْبَدَ قَدْ فَارَقَنِى وَمِنْ الْأَرْزَاءِ رُزْءٌ ذُو جَلَلٍ

وقوله: «شصائصاً»، يعنى حقيرةً دَمِيمَةً. وزعم التَّوْزِىُّ أَنَّ النَّبَلَ مِنْ الْأَضْدَادِ، يكون للجليل والحقير، واحتجَّ بهذا البيت الذى ذكرناه، قال: يريد هاهنا الحقيرة.

وقوله: «أَرْنُتْنِى». أى قَرَفْتَنِى وَنَسَبْتَنِى إِلَيْهِ، يقال: فلان يُزِّنُ بكذا وكذا،

أى يُسَمِّى بِهِ، وَيُنَسِّبُ إِلَيْهِ، قال امرؤ القيس بن حُجْر:

كَذَبْتُ، لَقَدْ أَصْبَى عَلَى الْمَرْءِ عِرْسَهُ وَأَمْنَعُ عِرْسٍ أَنْ يُزِنَ بِهَا الْخَالِى

(١) ر: «قال ذو الرمة»:

قطعت إذا تجوفت العواطى ضروب السدر عُبْرِيًا وضالا
والعواطى: الطباءة تمد أعناقها إلى الشجر. (وانظر ديوانه ٤٤٠).

وفى معنى قوله: «ورثت سلاحه» قولُ الشاعر:

يَفْرَحُ الْوَارِثُ بِالْمَالِ إِذَا وَرِثَ الْمَالَ وَيَبْكِي إِنْ غَضِبَ
ومثله قول نعلمة الفزاري:

* يَحْبِذُ التَّرَاثُ لَوْلَا الذَّلَّةُ *

[الجميل بن معمر فى النسب]

وقال جميلُ بن معمر:

مَا صَائِبٌ مِنْ نَائِلٍ قَذَفَتْ بِهِ
لَهُ مِنْ خَوَافِي النَّسْرِ حُمٌ نَظَائِرُ
عَلَى بُعَّةٍ زَوْرَاءَ، أَيْمًا خِطَامُهَا
بَأَوْشَكَ قَتْلًا مِنْكَ يَوْمَ رَمَيْتَنِي
كَأَنَّ لَمْ نُحَارِبَ يَابُثِينَ لَوْ أَنَّهَا
يَدٌ، وَمُمَرُّ الْعُقْدَتَيْنِ وَثِيقُ
وَنَصْلٌ كَنَصْلِ الزَّاعِبِيِّ فَتِيقُ
فَمَنْ، وَأَيْمًا عُدُودَهَا فَعَتِيقُ
نَوَافِذَ لَمْ تُعَلِّمْ لَهُنَّ خُرُوقُ
تَكْشِفُ غُمَّاهَا وَأَنْتَ صَدِيقُ

قوله: «ما صائب» يريد قاصداً، يقال: صاب يصوب إذا قصد، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ﴾^(١) وقد قالوا: النازل، والقصد أحكم كما قال بشر بن أبي خازم الأسدي:

[تَوَمَّلْ^(٢) أَنْ أَوْوبَ لَهَا بَغْنُم]

وقوله: «وممرُّ العقْدَتَيْنِ» يعنى وترّاً، والممرُّ: الشديد الفتل.

وقوله: «من خوافي النسْرِ حُمٌ نَظَائِرُ» يريد ريش السهم، والحُمُّ: السود، وذلك أخلصه وأجوده، وجعلها نظائر فى مقاديرها، لأنه أقصد للسهم، وإذا كانت الريشات بطن الواحدة منها إلى ظهر الأخرى فهو الذى يُختار، وهو الذى يقال له اللؤام، وإنما أخذ من قولهم: ملئتم. وإن كان ظهر الواحدة إلى ظهر الأخرى، وبطنها إلى بطن الأخرى فذلك مكروه، يقال له اللُغَاب.

(١) سورة البقرة ١٩.

(٢) ر: «صدر البيت عن أبى الحسن».

وقوله: «كنصل الزاعبي»، شبه نصل السهم بنصل الرمح الزاعبي، وهو منسوب إلى رجل من الخزرج، يقال له زاعب، كان يعمل الأسنة، هذا قول قوم، وأما الأصمعي فكان يقول: الزاعبي: الذي إذا هز فكأن كعوبه يجرى بعضها في بعض ليلنه وتثنيه، يقال: مر يزعب بحمله إذا مر به مرًا سهلاً.

وقوله: «فتيق» يعني حاداً رقيقاً، ويقال: فتيق الشفرتين، وتأويله أنه يفتق ما عمد به له. و«فعليل» يقع أسما للفاعل، ويقع للمفعول، فأما الفاعل فمثل رحيم وعليم وحكيم وشهيد، وأما ما كان للمفعول، فنحو جريح وقتيل وصريع. وقوله: «زوراء» يريد معوجة، وكلما كانت القوس أشد انعطافاً كان سهمها أمضى.

وقوله: «على نبعة»، يعني قوساً، وأكرم القسي ما كان من النبع. وقوله: «أيماً» إنما يريد «أماً»، واستثقل التضعيف، فأبدل الياء من إحدى الميمين، وينشد بيت ابن أبي ربيعة:

رَأَتْ رَجُلًا، أَيَّمَا إِذَا الشَّمْسُ عَارَضَتْ فَيَضْحَى، وَأَيَّمَا بِالْعَشَى فَيَخْصُرُ
وهذا يقع، وإنما بابه أن تكون قبل المضاعف كسرة فيما يكون على فعال، فيكروهون التضعيف والكسر، فيبدلون من المضعف الأول الياء للكسرة، وذلك قولهم: دينارٌ وقيراطٌ وديوانٌ وما أشبه ذلك، فإن زالت الكسرة وانفصل أحد الحرفين عن الآخر رجع التضعيف، فقلت: دنانير وقراريط ودواوين، وكذلك إن صغرت قلت قريريط وذننير.

وقوله: «وأيماً عودها فتيق»، يصف كرم هذه القوس وعتقها، ويحمد منها أن تترك ولحاؤها عليها بعد القطع حتى تشرب ماءه، كمال قال الشماخ:

فَمَطَّلَعَهَا حَوْلَيْنِ مَاءَ لِحَائِهَا وَيَنْظُرُ مِنْهَا أَيُّهَا هُوَ غَامِزُ
مَطَّلَعَهَا: شَرَبَهَا^(١).

(١) زيادات ر: «قوله: «فمطلعها حولين»، أي تركها في الظل حولين حتى تشرب ماء اللحاء، يقال: تمطع الرجل الظل إذا تحول من مكان إلى مكان».

وقوله: «بَأَوْشَكَ قَتْلًا مِنْكَ»، يقول: بأسرع، يقال: أُمِرُّ وَشِيكَ أَى سَرِيع،
ويقال: يُوشِكُ فلان أن يفعل كذا، أَى يَقَارِبُ ذلك، وَيُوشِكُ يفعل، كذا بطرح
«أَنْ» كلّ ذلك جيّد، قال (١):

يُوشِكُ مَنْ فَرَّ مِنْ مَنِيَّتِهِ فِي بَعْضِ غِرَّاتِهِ يُوَأْفِقُهَا
مَنْ لَمْ يَمُتْ عِبْطَةً يَمُتْ هَرَمًا لِلْمَوْتِ كَأْسٌ فَالْمَرءُ ذَائِقُهَا

[قال أبو الحسن: هذه أبيات أربعة، وهى لرجل من الخوارج قَتَلَهُ الْحَجَّاجُ:]

مَا رَغَبَةُ النَّفْسِ فِي الْحَيَاةِ وَإِنْ عَاشَتْ قَلِيلًا فَالْمَوْتُ لَاحِقُهَا
وَأَيَقَنْتُ أَنَّهَا تَعُودُ كَمَا كَانَ بَرَاهَا بِالْأَمْسِ خَالِقُهَا]

قوله: «عِبْطَةٌ»، أى شابًا، يقال: اعتبِطَ الرجل، إذا مات شابًا من غير
مرض، وأصل العبيط الطرىُّ من كل شىء.
وقوله:

* نَوَافِدَ لَمْ تُعْلَمَ لَهُنَّ خُرُوقُ *

معنى طَريفٌ، وقد أخذه أبو حيةً منه فكشفه فى أبيات مختارة، وهى (٢):

وَإِنَّ دَمًّا - لَوْ تَعْلَمِينَ - جَنِيَّتِهِ عَلَى الْحَيِّ جَانِيٍّ مِثْلِهِ غَيْرُ سَالِمٍ
أَمَّا إِنَّهُ لَوْ كَانَ غَيْرَكَ أَرْقَلْتُ إِلَيْهِ الْقَنَّا بِالرَّاعِفَاتِ اللَّهَازِمِ (٣)
وَلَكِنْ لَعَمْرُ اللَّهِ مَا طَلَّ مُسْلِمًا كَغُرِّ الثَّنَائِيَا وَاضِحَاتِ الْمَلَاعِمِ
إِذَا هُنَّ سَاقَطْنَ الْحَدِيثَ كَأَنَّهُ سِقَاطُ حَصَى الْمَرْجَانِ مِنْ سِلْكِ نَازِمٍ

(١) زيادات ر: «هو أُمِيَّة بن أبى الصلت»، وكذا فى حاشية الأصل أيضا.

(٢) زيادات ر: «اسم أبى حية الهيثم بن الربيع» وفى س: وهو قول أبى حية النميرى.

(٣) اللهاذم: القواطع.

رَمِينَ فَأَقْصَدَنَ الْقُلُوبَ فَلَمْ نَجِدْ دَمًا مَائِرًا إِلَّا جَوَى فِي الْحَيَازِمِ^(١)

[قال أبو الحسن: وأول هذه الأبيات المختارة أنشدناه غيره:

وخبرك الواشون أن لن أحبكُم بلى وستور الله ذات المحارم^(٢)
أصد وما الصد الذي تعلمينه شفاء لنا إلا اجتراع العلاقم]

قال أبو العباس: فهذا مأخوذ من ذلك.

وقوله:

* ولكن لعمّر الله ماطلّ مسلماً *

يقول: ماطلّ دمه، يقال: دمّ مطلول، إذا مضى هدرًا، كما قال الراجز:

* بغير عقلٍ ودمٍ مطلول *

وحدثني التّوزيُّ قال: قال يحيى بن يعمر لرجل نازعته امرأته عنده: أن طالبتك بثمانٍ شكرها وشبرك أنشأت تطلّها وتضهلّها !

قوله: «ثمانٍ شكرها» فإنما يعنى الرضاع، والشبر: النكاح، والشكر: الفرج.

وقوله: «أنشأت تطلّها» أى تسعى فى بطلان حقها.

وقوله: «تضهلّها»، أى تغطيها الشىء بعد الشىء: يقال: بثر ضهل إذا كان

ماؤها يخرج من جرابها شيئاً بعد شىء، وجرابها جوائبها، وإنما يغزّر ماؤها إذا خرج من قرارتها فتعظم جمتها^(٣).

(١) زيادات ر: «الكاف فى قوله: «كغر» فاعلة بقوله: «طل»، ومنه قول الأعشى:
أنتهون ولكن ينهى ذوى شططٍ كالطعن يذهب فيه الزيت والفتل
وقول امرئ القيس:

وانك لم يفخر عليك كفاخير ضعيف، ولم يغلبك مثل مغلب
ر: ذكر بعده عن أبى الحسن:

حياء وبقيا أن تشيع غيمة بناديكُم، أف لاهل النمائ !
وأورد هذا البيت فى حاشية الأصل عن أبى على.

(٣) الجمّة: كثرة الماء.

وقوله: «واضحات الملاغم»، يريد العوَارض، قال الفرَزْدَق:

سَقَّتْهَا خُرُوقٌ فِي الْمَسَامِعِ لَمْ تَكُنْ عِلَاطًا وَلَا مَخْبُوطَةً فِي الْمَلَاعِمِ

يقول: عَلِمَ أَرَبَابُ الْمَاءِ لِمَنْ هِيَ فَسَقَاهَا مَا سَمِعُوهُ مِنْ ذِكْرِ أَصْحَابِهَا لِعِزِّهِمْ
وَمَنْعَتِهِمْ، وَلَمْ تَحْتَجْ أَنْ تَكُونَ بِهَا سِمَةً.

وَالْعِلَاطُ: وَسَمٌ فِي الْعُنُقِ وَالْخَبَاطُ فِي الْوَجْهِ.

باب

[نبذة من أقوال الحكماء]

قال أبو العباس^(١): قال بعض الحكماء: مَنْ أَدَبَ وَلَدَهُ صَغِيرًا سر به كبيرًا.
وكان يقول: مَنْ أَدَبَ وَلَدَهُ أَرْغَمَ حَاسِدُهُ.

وقال رجل لعبد الملك بن مروان: إني أريد أن أُسَرَّ إليك شيئًا، فقال
عبد الملك لأصحابه: إذا شئتم، فَهَضُّوْا، فأراد الرجلُ الكلامَ، فقال له عبدُ الملك
قف، لَا تَمْدَحْنِي، فَأَنَا أَعْلَمُ بِنَفْسِي مِنْكَ، وَلَا تَكْذِبْنِي، فَإِنَّهُ لَا رَأْيَ لِمَكْذُوبٍ،
وَلَا تَغْتَبْ عِنْدِي أَحَدًا. فقال الرجل: يا أمير المؤمنين، أفتأذن لي في الانصراف؟
قال له: إذا شئت.

وقال بعض الحكماء: ثلاثٌ لَا غُرْبَةَ مَعَهُنَّ: مَجَانِبَةُ الرَّيْبِ، وَحُسْنُ الْأَدَبِ،
وَكَفُّ الْأَذَى.

وقال عمرو بن العاص لدهقان^(٢) نهر تيرى^(٣): بِمَ يَنْبُلُ الرَّجُلُ عِنْدَكُمْ؟
فقال: بترك الكذب، فإنه لَا يَشْرَفُ إِلَّا مَنْ يُوَثَّقُ بِقَوْلِهِ، وَبِقِيَامِهِ بِأَمْرِ أَهْلِهِ، فإنه
لَا يَنْبُلُ مَنْ يَحْتَاجُ أَهْلَهُ إِلَى غَيْرِهِ، وَبِمَجَانِبَةِ الرَّيْبِ، فإنه لَا يَعِزُّ مَنْ لَا يُؤْمَنُ إِلَّا
يُصَادَفَ عَلَى سَوَاءٍ، وَبِالْقِيَامِ بِحَاجَاتِ النَّاسِ، فإنه مَنْ رُجِيَ الْفَرْجُ لَدَيْهِ كَثُرَتْ
غَاشِيَتُهُ.

وقال بزرجمهر: مَنْ كَثُرَ أَدَبُهُ كَثُرَ شَرَفُهُ، وَإِنْ كَانَ قَبْلُ وَضِيعًا، وَبَعْدَ صِيَتِهِ
وَإِنْ كَانَ خَامِلًا، وَسَادَ وَإِنْ كَانَ غَرِيبًا، وَكَثُرَتْ الْحَاجَةُ إِلَيْهِ وَإِنْ كَانَ مُقْتَرًا.

وكان يقال: عَلَيْكُمْ بِالْأَدَبِ، فإنه صاحبٌ فِي السَّفَرِ، وَمُؤْنَسٌ فِي الْوَحْدَةِ،
وَجَمَالٌ فِي الْمَحْفَلِ، وَسَبَبٌ إِلَى طَلَبِ الْحَاجَةِ.

وقال عمر بن الخطاب رحمه الله: مِنْ أَفْضَلِ مَا أُعْطِيَتْهُ الْعَرَبُ الْأَيَّاتُ
يُقَدِّمُهَا الرَّجُلُ أَمَامَ حَاجَتِهِ. فَيَسْتَعْظِفُ بِهَا الْكَرِيمَ، وَيَسْتَنْزِلُ بِهَا اللَّئِيمَ.

(١) ساقطة من ر.

(٢) الدهقان: زعيم فلاحي العجم، ويطلق على رئيس الإقليم.

(٣) نهر تيرى: موضع بناحية الأهواز.

وكان شُعْبَةُ بن الحجاج، أو سِمَاكُ بن حَرْبٍ - [قال أبو الحسن: هو سِمَاكُ بلا شك] - (١) إذا كانت له إلى أمير حاجة أَسْتَنْزَلَهُ بأبيات يقولها فيه.

وقال بعض الملوك لبعض وُزَرَائِهِ - وأراد مُحَنَّتَهُ -: ما خَيْرٌ ما يَرْزُقُهُ العبدُ؟ قال: عَقْلٌ يَعِيشُ بِهِ. قال: فَإِنْ عَدِمَهُ؟ قال: فَادَّبٌ يَتَحَلَّى بِهِ. قال: فَإِنْ عَدِمَهُ؟ قال: فَمَالٌ يَسْتَرُهُ. قال: فَإِنْ عَدِمَهُ؟ قال: فَصَاعِقَةٌ تَحْرِقُهُ، فَتُرِيحُ مِنْهُ الْعِبَادَ والِبِلَادَ.

وقيل لرجل من ملوك العجم: متى يكونُ الْعِلْمُ شَرًّا من عَدِمِهِ؟ قال: إِذَا كَثُرَ الْأَدَبُ، وَنَقَصَتِ الْقَرِيبَةُ.

وقال أَرْدَشِيرُ: مَنْ لَمْ يَكُنْ عَقْلُهُ أَغْلَبَ خِلَالَ الْخَيْرِ عَلَيْهِ، كَانَ حَتْفُهُ فِي أَغْلَبِ خِلَالَ الْخَيْرِ عَلَيْهِ.

وقال محمد بن عليّ بن عبد الله بن العباس - وذكر رجلاً من أهله: إني لأُكْرَهُ أَنْ يَكُونَ لِعِلْمِهِ فَضْلٌ عَلَى عَقْلِهِ، كَمَا أُكْرَهُ أَنْ يَكُونَ لَلْسَانِهِ فَضْلٌ عَلَى عَمَلِهِ.

وقال محمد بن عليّ بن الحسين: جَمِيعُ التَّعَايُشِ والتَّنَاصُفِ والتَّعَاشُرِ فِي مِلءِ مَكْيَالٍ، ثَلَاثَةُ فِطْنَةٍ، وَثَلَاثُ تَغَافُلٍ. فَلَمْ يَجْعَلْ لَغَيْرِ الْفِطْنَةِ نَصِيبًا مِنَ الْخَيْرِ، وَلَا حَظًّا فِي الصَّلَاحِ؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَتَغَافَلُ إِلَّا عَنْ شَيْءٍ قَدْ عَرَفَهُ وَفَظَنَ بِهِ.

(١) من ر: وحاشية الأصل.

باب

[الرجل من بنى عبد الله بن غطفان، وكان قد جاور في طيئ]

قال أبو العباس^(١): قال رجل^(٢) من بنى عبد الله بن غطفان وجاور في طيئ وهو خائف:

جَزَى اللَّهُ خَيْرًا طَيِّئًا مِنْ عَشِيرَةٍ وَمِنْ صَاحِبٍ تَلَقَّاهُمْ كُلٌّ مَجْمَعٍ
هُمْ خَلَطُونِي بِالنَّفُوسِ وَدَافَعُوا وَرَأَيْتُ بَرْكُنَ ذِي مَنَاكِبٍ مَدْفَعٍ^(٣)
وَقَالُوا تَعْلَمُ أَنَّ مَالَكَ إِنْ يُصَبَّ نَفْدُكَ، وَإِنْ تُحْبَسَ نَزْرُكَ وَنَشْفَعُ

[الرجل من بنى سلامان يمدح طيئًا]

وقال رجل من بنى سلامان بن سعد هذيم^(٤) من قضاة، وجاور في طيئ:

كَأَنَّ الْجَارَ فِي شَمَجَى بْنِ جَرْمٍ^(٥) لَهُ نَعْمَاءٌ أَوْ نَسَبٌ قَرِيبٌ
يُحَاطُ ذِمَّارُهُ وَيُدَبُّ عَنْهُ وَيَحْمِي سَرَحَهُ أَنْفٌ غَضُوبٌ^(٦)
أَلْفَتْ مَسَاكِينَ الْجَبَلَيْنِ إِنِّي رَأَيْتُ الْغَوْثَ يَأْلُفُهَا الْغَرِيبُ^(٧)

[العبيد بن العرنديس الكلابي يصف قوما نزل بهم]

قال أبو العباس^(٨): وأنشدني عبد الوهاب بن جنبه الغنوي لعبيد بن العرنديس الكلابي يصف قوما نزل بهم:

(١) ساقطة من ر.

(٢) نسبه أبو تمام إلى ابن دارة، (وانظر الوحشيات ٢٠٣).

(٣) قال المصنف في شرح البيت: «بركن، يريد بجيش يعتصم به، تشبها بركن الجبل، والمناكب في الأصل: جمع المنكب، وهو ما ارتفع من الأرض، شبهه بها مبالغة في الاعتصام، ومدفع، كمنبر: اسم آلة الدفع، يريد أنه قوى في الدفاع».

(٤) حاشية الأصل: «سعد هذيم أضيف إلى عبد كان لأبيه يحتضنه».

(٥) شمعى بن جرم: قبيلة من قضاة.

(٦) الذمار: ما يلزم الإنسان حمايته من عرض ومال. والسرْح: ما يسام في المرعى من الأنعام.

(٧) زيادات ر: «جبلان: سلمى وأجأ، وهما لطيئ، والغوث: قبيلة من طيئ».

(٨) ساقط من ر، س.

هَيْنُونٌ لَيْنُونٌ أَيْسَارٌ ذُووُ يَسَرٍ
لَا يَنْطَقُونَ عَلَى الْعَمِيَاءِ إِنْ نَطَقُوا
سُوَاسُ مَكْرَمَةٍ أَبْنَاءُ أَيْسَارٍ (١)
وَلَا يُمَارُونَ إِنْ مَارَوْا بِأَكْثَارٍ
مِثْلُ النُّجُومِ الَّتِي يَسْرِى بِهَا السَّارِى

[قال أبو الحسن: حدثنا أبو العباس أحمد بن يحيى قال: حَدَّثْتُ عَنْ أَبِي
الْفَضْلِ الْعَبَّاسِ بْنِ الْفَرَجِ الرِّيَّاشِيِّ قَالَ: قَصَدَ رَجُلٌ (٢) مِنَ الشُّعْرَاءِ ثَلَاثَةَ مِنْ غَنَى،
إِخْوَةَ وَكَانُوا مُقْلِينَ، فَامْتَدَحَهُمْ، فَجَعَلُوا لَهُ عَلَيْهِمْ فِي كُلِّ سَنَةٍ ذُودًا ! فَكَانَ يَأْتِي
فِيَأْخُذُ الذُّودَ. وَالشُّعْرُ الَّذِي امْتَدَحَهُمْ بِهِ قَوْلُهُ:

يَا دَارُ بَيْنَ كُلِّيَّاتٍ وَأَظْفَارٍ
عَلَى تَقَادُومِ مَا قَدْ مَرَّ مِنْ عَصْرِ
عَنَّا (٣) غَنِيَتْ بِذَاتِ الرَّمْثِ مِنْ أَجَلِي (٤)
وَقَدْ نَرَى بِكَ وَالْأَيَّامُ جَامِعَةً
فِيهِنَّ عَثْمَةٌ لَا يَمْلَنُ عَشْرَتَهَا
إِذْ يَحْسَبُ النَّاسُ أَنْ قَدْ نَلَتْ نَائِلَهَا
بَلْ أَيُّهَا الرَّكَّابُ الْمُفْنَى شَبِيبَتُهُ
خَبِرَ ثَنَاءَ بَنَى عَمُرُو فَإِنَّهُمْ
هَيْنُونٌ لَيْنُونٌ أَيْسَارٌ ذُووُ كَرَمٍ
وَالْحَمَّتَيْنِ، سَقَاكَ اللَّهُ مِنْ دَارٍ
مَعَ الَّذِي مَرَّ مِنْ رِيحٍ وَأَمْطَارٍ
وَالْعَهْدُ مِنْكَ قَدِيمٌ مُنْذُ أَغْصَارٍ
بِيضًا عَقَائِلَ مِنْ عَيْنٍ وَأَبْكَارٍ (٥)
وَلَا عَلِمْنَ لَهَا يَوْمًا بِأَسْرَارٍ
قَدَمًا وَأَنْتَ عَلَيْهَا عَاتِبٌ زَارٍ
يَبْكِي عَلَى ذَاتِ خَلْخَالٍ وَأَسْوَارٍ
أَوَّلُو فُضُولٍ وَأَنْفَالٍ وَأَخْطَارٍ (٦)
سُوَاسُ مَكْرَمَةٍ أَبْنَاءُ أَيْسَارٍ

(١) هينون لينون قال في اللسان (هين) عن ابن الأعرابي: «العرب تمدح بالهين اللين (مخفف)، وتذم بالهين
واللين (مثقل)، وقال النبي ﷺ: «المسلمون هينون لينون» جعله مدحا لهم، وعن غير ابن الأعرابي أنهما
بمعنى واحد.

(٢) ذكر البكري في معجم ما استعجم ٨٦٢ أنه عقيل بن العرنديس، وأورد أبياتا منها.

(٣) حاشية الأضل: «يريد أنى». وفي ر: «أراد أنى» فقلب الهمزة عينا وقال الموصفي: «هذه لغة قيس،
وأسد وتميم يقلبون همزة «أن» المفتوحة عينا، شددت النون أو خففت و«أنى» كذلك».

(٤) غنيت: أقمت، والرمث: الكلال. وأجلى: موضع. وفي س: «أجل». وفي حاشيتها (من نسخة):
«أجا».

(٥) عين: جمع عينا، وهى الواسعة العين، ومن نسخة بحاشية الأصل: «عون»، وتكون جمع عون، وهى
المرأة النصف فى سنه.

(٦) الأنفال: العطايا. والأخطار: المنازل الرقيقة، جمع خطر بالتحريك.

وَلَا يُعَدُّ نَثًا خَزَى وَلَا عَارًا (١)
وَلَا يُمَارُونَ إِنْ مَارَوْا بِأَكْثَارٍ
كَشَفَتْ أَذْمَارَ حَرْبٍ غَيْرِ أَغْمَارٍ (٢)
فَالْجُهْدُ يَكْشِفُ مِنْهُمْ طِيبَ أَخْبَارٍ
مِثْلَ النُّجُومِ الَّتِي يَسْرِى بِهَا السَّارَى

فِيهِمْ وَمِنْهُمْ يُعَدُّ الْمَجْدُ مُتَلَدًا
لَا يَظْعَنُونَ عَلَى الْعَمِيَاءِ إِنْ ظَنُّوا
وَأِنْ تَلَيَّنَتْهُمْ لَانُوا وَإِنْ شَهِمُوا
إِنْ يُسْأَلُوا الْعُرْفَ يُعْطُوهُ وَإِنْ جُهِدُوا
مَنْ تَلَقَّ مِنْهُمْ تَقَلَّ لَأَقِيْتُ سَيِّدَهُمْ

[للمكعبير النخعي يمدح بني مازن ويذم بني العنبر]

قال أبو العباس: وكان قوم نزلوا ببني العنبر بن عمرو بن تميم، والقوم من بني ضبة، فأغبر عليهم، فاستغاثوا جيرانهم فلم يغيثوهم، وجعلوا يدافعونهم حتى خافوا قوتها، فاستغاثوا بني مازن بن مالك بن عمرو بن تميم، فركبوا فردها عليهم، فقال المكعبير (٣) الضبي في ذلك:

فَلَيْسَ لِدَهْرٍ الطَّالِبِينَ فَنَاءُ
يُلْهَى بِهِ الْحُرُوبُ وَهُوَ عَنَاءُ
كَمَا فِي بَطُونِ الْحَامِلَاتِ رَجَاءُ
وَلَوْ شِئْتُ قَالَ الْمُخْبِرُونَ أَسَاءُوا
وَهَلْ كُفَلَاتِي فِي الْوَفَاءِ سَوَاءُ
وَإِنْ كَانَ قَدْ شَفَّ الْوُجُوهَ لِقَاءُ
وَبَعْضُ الرِّجَالِ فِي الْحُرُوبِ غَنَاءُ

أَبْلَغُ طَرِيقًا حَيْثُ شَطَّتْ بِهَا النَّوَى
كُسَالَى إِذَا لَأَقِيَتْهُمْ غَيْرَ مَنْطِقٍ
وَإِنِّي لَأَرْجُوكُمْ عَلَى بُطْءِ سَعْيِكُمْ
أَخْبِرُ مَنْ لَأَقِيْتُ أَنْ قَدْ وَفَيْتُمْ
فَهَلَّا سَعَيْتُمْ سَعَى أُسْرَةِ مَالِكٍ
كَأَنَّ دَنَانِيرًا عَلَى قَسِمَاتِهِمْ
لَهُمْ أَذْرُعُ بَادٍ نَوَاشِرُ لَحْمِهَا

(١) المجد المتلد: القديم المؤثّل. والنثا: إشاعة حديث.

(٢) شهموا: أفزعوا. والأذمار: جمع ذمر وهو الشجاع.

(٣) ضبط في الأصل بفتح الباء وكسرهما معا. وفي حاشية الأصل: «قال أبو الحسن: حفظي: المكعبير [بكسر الباء]. وفي زيادات ر: «اسمه حريث بن عفوظ».

والأبيات في حماسة أبي تمام (٤ : ٣٠) - بشرح التبريزي منسوبة إلى محرز بن المكعبير الضبي، وأولها بروايته:

أَبْلَغُ عَدِيًّا حَيْثُ صَارَتْ بِهَا النَّوَى . وَلَيْسَ لِدَهْرٍ الطَّالِبِينَ فَنَاءُ

قال التبريزي: «كان محرز بن المكعبير جارا لبني عدى بن جندب بن العنبر بن عمرو بن تميم، فأغار بنو عمرو بن كلاب على إبله فذهبوا بها، فطلب إليهم أن يسعوا له، فوعده أن يفعلوا، فلما طال ذلك عليه ورأهم لا يصنعون شيئا أتى المخارق والمساحق ابني شهاب المازنيين - وهما من بني خزاعة - فسعيا له بإبله، فرداها عليه»، فأنشد الأبيات.

قوله: «حيث شَطَّتْ بها النَّوى»، معنى شَطَّتْ: تباعدت، ويقال: أَشَطَّ فلان فى الحكم إذا عدَلَ عنه متباعدًا، قال عز وجل: ﴿وَلَا تُشْطِطْ﴾. (١)
وقال الأَخوصُ:

أَلَا يَالْقَوْمِى قَدْ أَشْطَّتْ عَوَازِلِى وَيَزَعْمَنَ أَنَّ أَوْدَى بِحَقِّى بَاطِلِى
وَيَلْحَيْنِى فِى اللَّهْرِ أَلَّا أَجِبْهُ وَلِلَّهِوَ دَاعٍ دَائِبٌ غَيْرُ غَافِلِى
وَالنَّوى: البُعد، ويقال: شَطَّتْ بِهِمْ نِيَّةٌ قَذَفَ، أى رَحَلَةً بعيدة، قال الشاعر (٢):

* وَصَحْصَحَانَ قَذَفٍ كَالْتُرْسِ *

وليس بمأخوذ من «نأيت» فى اللفظ، ولكنه مثله فى المعنى.
وقوله:

* فَلَيْسَ لِدَهْرِ الطَّالِبِينَ فَنَاءُ *

يقول: الطالب فى إثرِ طَلَبَتِهِ أَبَدًا. وَيُرَوَّى أَنَّ رجلاً من قُرَيْشٍ بَعَثَ إِلَى رجل منهم - وكان أَخَذَ لَهُ غلامًا - : يا هذا، إن الرجل ينام على الثُّكُلِ ولا ينام على الخَرَبِ، فإِذَا رَدَدْتُهُ، وإِذَا عَرَضْتُ أَسْمَكَ على الله فى كل يوم وليلة خمس مرات.

[قال أبو الحسن: الرجل الذى أخذ منه الغلام هو جعفر بن محمد بن على ابن الحسين، والأخذ سليمان بن على بن عبد الله بن العباس].

ومن أمثال العرب: «لا ينام إلا مَنْ أثارَ». ويقال لِمَنْ أدرك ثأراً نَبِيلاً: أصاب ثأراً مُنِيماً، وأنشد:

(١) سورة ص ٢٢.

(٢) هو العجاج، والصحصحان: المكان المستوى الأملس، وللماسته شبهه بالترس. (وانظر مشارف الأفاويز - ١).

تَقُولُ لِي ابْنَةُ الْبَكْرِىِّ عَمْرٍو لَعَلَّكَ لَسْتَ بِالثَّأْرِ الْمَنِيمِ
وقوله:

وَإِنِّى لَأَرْجُوكُمْ عَلَى بَطْءِ سَعْيِكُمْ كَمَا فِى بَطُونِ الْحَامِلَاتِ رَجَاءُ
يقول: هذا رجاءٌ غيرُ صادقٍ ولا موقوفٍ عليه، كما أن هذه الحوامل لا
يُعلمُ ما فى بطونها وليس بميثُوسٍ منه، وإنما يتَّهَكَّمُ بهم وهو يعلمُ أنَّ سَعْيَهُمْ غيرُ
كائنٍ، ألا تراه يقول:

أُخْبِرُ مَنْ لَأَقِيتُ أَنْ قَدْ وَفَيْتُمْ وَلَوْ شِئْتُ قَالَ الْمُخْبِرُونَ أَسَاءُوا
وقوله:

* كَأَنَّ دَنَائِرًا عَلَى قَسِمَاتِهِمْ *

زعم أبو عبيدة أن القَسِمَاتِ مَجَارَى الدُّمُوعِ، واحداً قَسِمَةً، وقال
الأَصْمَعِيُّ: القَسِمَاتُ أَعَالَى الْوَجْهِ، وَلَمْ يَبَيِّنْهُ بِأَكْثَرٍ مِنْ هَذَا. وقول أبى عبيدة
مَشْرُوحٌ، ويقال من هذا: رَجُلٌ قَسِيمٌ، وَرَجُلٌ مُقَسَّمٌ، وَوَجْهُ قَسِيمٌ وَمُقَسَّمٌ، قال
الشاعر:

وَيَوْمًا تُوَافِينَا يَوْجَهُ مُقَسَّمٍ كَأَنَّ ظَبْيَةً تَعْطُو إِلَى وَارِقِ السَّلَمِ
قوله: «تعطو» أى تتناول، ويقال: عَطَا يَعْطُو إِذَا تَنَاوَلَا، وَأَعْطَيْتُهُ أَنَا، أَى
ناولته، قال امرؤ القيس:

وَتَعْطُو بِرَخْصٍ غَيْرِ شَنْ كَأَنَّهُ أَسَارِيعُ ظَبْيٍ أَوْ مَسَاوِيكُ إِسْحَلٍ^(١)
وَالسَّلَمُ: شَجَرٌ بَعِينُهُ كَثِيرُ الشَّوْكِ، فَإِذَا أَرَادُوا أَنْ يَحْتَضِبُوهُ شَدَّوْهُ ثُمَّ قَطَعُوهُ،
فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ الْحَجَّاجِ: وَاللَّهِ لَأَحْزِمَنَّكُمْ حَزْمَ السَّلَمَةِ، وَلَا أَضْرِبَنَّكُمْ ضَرْبَ غَرَائِبِ
الْإِبِلِ^(٢).

(١) برخص، أى ببنان رخص، والرخص: الناعم. والشن: الغليظ الخشن. ظبى: اسم رملة، والأساريع،
دود مفصل الألوان بياضا وحمرة، تشبه به أصابع النساء. والإسحل: شجر يستاك بعيدانه.
(٢) غرائب الإبل: هى الإبل الغريبة التى تدخل بين الإبل حال ورودها الماء، فتضربها الرعاء ضربا
شديدا.

قال: وحديثي التَّوَزَّى عن أبي زيد قال: سمعت العرب تُنْشِدُ هذا البيتَ
فتنصب «الظَّيَّة» وترفعها وتخفضها.

قال أبو العباس: أما رفعها فعلى الضمير، وعلى هذا قوله تعالى: ﴿عَلِمَ أَنَّ
سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضًى﴾^(١) وهذا الباب قد شرحناه في الكتاب «المُقْتَضَب» في باب
«إِنْ وَأَنَّ» بجميع علله، وَمَنْ نَصَبَ فعلى غير ضمير، وأَعْمَلَهَا مخففة عَمَلَهَا
مُثْقَلَةٌ؛ لأنها تَعْمَلُ لَشَبْهٍهَا بالفعل، فإذا خُفِّضَتْ عَمَلَتْ عَمَلُ الفعل المحذوف،
كقولك: لم يَكُ زيدٌ منطلقاً، فالفعل إذا حذَفَ يَعْمَلُ عَمَلَهُ تاماً، فيصير التقدير:
كَأَنَّ ظَبِيَّةً تَعْطُو إِلَى وارق السَّلم هذه المرأة. وحذَفَ الخبر لما تقدم من ذكره. ومن
قال: «كَأَنَّ ظَبِيَّةً» جَعَلَ «أَنَّ» زائدةً، وأَعْمَلَ الكاف، أراد: كظبية، وزاد «أَنَّ» كما
تزيدها في قولك: لَمَّا أَنْ جَاءَ زيدٌ كَلَّمْتُهُ، ووالله أَنْ لو جِئْتِي لأعطيتك.
وقوله:

* لَهُمْ أَذْرُعٌ بَادٍ نَوَاشِرٌ لِحِمِهَا *

فكلُّ شَيْءٍ كان على «فَعَالٍ» من المؤنث فَجَمَعَهُ أَفْعُلُ، وكذلك فَعَالٌ تقول:
ذِرَاعٌ وَأَذْرُعٌ، وَكَرَاعٌ وَأَكْرَعٌ، لَأَنَّهُمَا مؤنثتان، ومن أنث اللسان قال: أَلْسُنٌ، ومن
ذَكَرَهُ قال أَلْسِنَةٌ، وَشِمَالٌ وَأَشْمَلٌ، كما قال الشاعر:^(٢)

* يَأْتِي لَهَا مِنْ أَيْمَنِ وَأَشْمَلِ *

فأما المذكر فعلى أَفْعَلَةٍ في أدنى العَدَدِ وفُعُلٌ في الكثير، يقال: حِمَارٌ
وأَحْمَرَةٌ وَحُمْرٌ، وَفِرَاشٌ وَأَفْرِشَةٌ وَفُرُشٌ. والنَّوَاشِرُ: ما يظهر من العُرُوقِ في ظَهْرِ
الذَّرَاعِ مما يُدَانِي «المِعْصَمَ»، وذلك الموضع يقال له أَسْلَةُ الذَّرَاعِ، قال زهير:

وَدَارُ لَهَا بِالرَّقَمَتَيْنِ كَأَنَّهَا مَرَّاجِعٌ وَشَمٌّ فِي نَوَاشِرِ مِعْصَمٍ^(٣)

(١) المزمل ٢٠.

(٢) زيادات ر: «هو أبو النجم العجلي»، وبعده:

* وهى حِيَالُ الْفَرْقَدَيْنِ تَعْتَلِي *

وانظر الطرائف الأدبية ٦٣.

(٣) الرقمتان: روضتان بناحية الضمان.

وقوله :

* وَبَعْضُ الرِّجَالِ فِي الْحُرُوبِ غُثَاءٌ *

فَالْغُثَاءُ: مَا يَسَّ مِنْ الْبَقْلِ حَتَّى يَصِيرَ حُطَامًا، وَيَنْتَهَى فِي الْيُبْسِ فَيَسُودَ،
فَيُقَالُ لَهُ: غُثَاءٌ وَهَشِيمٌ وَدَنْدَنٌ وَثَنٌ، عَلَى قَدَرِ اخْتِلَافِ أَجْنَاسِهِ، وَيُقَالُ لَهُ:
الدَّرِينُ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى﴾^(١)، وَقَالَ: ﴿فَأَصْبَحَ هَشِيمًا
تَذَرُوهُ الرِّيحُ﴾^(٢)، وَقَالَ الشَّاعِرُ يَصِفُ سَحَابًا: (٣)

إِذَا مَا هَبَّطْنَ الْأَرْضَ قَدْ مَاتَ عُودُهَا بَكَيْنَ بِهَا حَتَّى يَعِيشَ هَشِيمُ
وَقَالَ الرَّاجِزُ :

* تَكْفِي الْفَصِيلُ أَكْلَهُ مِنْ ثِنٍّ *

وَقَدْ يُقَالُ لِلشَّيْءِ الَّذِي لَا خَيْرَ فِيهِ: هَذَا غُثَاءٌ، أَيْ قَدْ صَارَ كَذَلِكَ الَّذِي
وَصَفَّاهُ، وَيُضْرَبُ هَذَا مَثَلًا لِلْكَلَامِ الَّذِي لَا وَجْهَ لَهُ.

الرجل تميمي في الرثاء

وَقَالَ رَجُلٌ أَحْسَبُهُ تَمِيمِيًّا^(٤):

لَوْ لَمْ يَفَارِقْنِي عَطِيَّةٌ لَمْ أَهِنْ وَلَمْ أُعْطِ أَعْدَائِي الَّذِي كُنْتُ أَمْنَعُ
شُجَاعٌ إِذَا لَاقَى، وَرَامٍ إِذَا رَمَى، وَهَادٍ إِذَا مَا أَظْلَمَ اللَّيْلُ مِصْدَعُ
سَابِكِيكَ حَتَّى تَنْفِدَ الْعَيْنُ مَاءَهَا وَيَشْفِي مِنِّي الدَّمْعُ مَا أَتَوَجَّعُ

أَحْسَنُ الْإِنْشَادَيْنِ عِنْدِي: «لَمْ أَهِنْ»، يَأْخُذُهُ مِنْ وَهْنٍ يَهِنْ، لِأَنَّهُ إِذَا قَالَ:

«لَمْ أَهِنْ» فَهُوَ مِنَ الْهَوَانِ، وَمَنْ قَالَ: «لَمْ أَهِنْ» فَإِنَّمَا هُوَ مِنَ الضَّعْفِ، وَهُوَ أَشْبَهُ

(١) الأعلى: ٥.

(٢) الكهف: ٤٥.

(٣) زيادات ر: «هو ابن ميادة، وقيله:

سحائب لا من صيف ذى صواعق ولا محركات ماؤهن حميم
(٤) نسب هذه الأبيات أبو علي القالي إلى حكيم بن معية أحد بنى ربيعة الجوع يرثي أخاه عطية بن معية.
وانظر ذيل الأمالي ١: ٧٥. وفي زيادات ر «هو الفرزدق»، قال المصنف: «يرثي صديقه ونديمه عطية بن
جعال، وكان من سادات تميم».

بقوله:

* وَلَمْ أُعْطِ أَعْدَائِي الَّذِي كُنْتُ أَمْنَعُ *

والآخر غير بعيد، يقول: لم أَهْنُ على أعدائي، وإذا قال «لم أَهْنُ» فالأصل: «لم أَوْهِنُ»، ولكن الواو إذا كانت في موضع الفاء من الفعل، وكان ذلك الفعل على «يَفْعَلُ»، فالواو محذوفة، وإنما تُحذف الواو لوقوعها بين ياء وكسرة، وتصير حروف المضارعة الباقية تابعة للياء، لثلاثا يختلف الباب، وهى التاء من قولك: «تَفْعَلُ» إذا عَنَيْتَ مخاطباً أو مؤنثاً غائباً، نحو: أنتَ تَعْدُ، وهى تَعَدُ، والهمزة إذا عَنَيْتَ نفسك، نحو: أنا أَعْدُ، والنون إذا أَخْبَرْتَ عن نَفْسِكَ ومَعَكَ غَيْرُكَ، نحو: نَحْنُ نَعْدُ.

فإن قال قائل: إنما هذا لأن الفعل المتعدي تحذف منه الواو، فإن كان غير مُتَعَدٍّ ثَبِتَتْ، فقد قال أَقْبَحُ قول؛ لأن التَّعَدَّى أو غيرَ التعدى لا يُحْدِثُ فى أنْفُسِ الأفعال شيئاً، ولو كان كما يقول لأُثْبِتَ الواو فى «وَهْنٌ يَهْنُ»، لأنك لا تقول: وَهَنْتُ زَيْدًا، وكذلك وَرِمَ يَرِمُ، وكف (١) البيتُ يَكْفُ، ونَمَ (٢) الذُّبَابُ يَنَمُ، وهذا أكثر من أن يُحْصَى. فإن لم تكن بعد الواو كسرة لم تُحذف، نحو وَحَلَ يَوْحَلُ، وَوَجَلَ يَوْجَلُ، وَوَجَعَ الرَّجُلُ يَوْجَعُ، وقد يجوز يَجْعَعُ وَيَجَاعُ وَيَجْعَعُ لما ذكره إذا جَرَى ذِكْرُ هذه المفتوحة إن شاء الله، فأما الحذف فلا يكون فيها.

فإن قال قائل: فما بالُ يَطَأُ وَيَسَعُ حذفتُ منهما الواو، ومثلهما ثَبِتَتْ فيه الواو، وإنما ذلك لأنه كان فَعِلَ يَفْعَلُ مثل وَلَى يَلَى، وَرِمَ يَرِمُ، فَفَتَحَتْهُ الهمزة والعين، والأصل الكسر، وإنما حذفت الواو مما يَلْزَمُ فى الأصل، ألا ترى أنك تقول: وَلَغَ السَّبْعُ يَلْغُ، فهذا فَعَلَ يَفْعَلُ والأصل يَفْعَلُ، ولكن فَتَحَتْهُ العين، لأن حروف الحلق تَفْتَحُ ما كانَ على يَفْعَلُ وَيَفْعُلُ، ولولا ذلك لم تقع فَعَلَ يَفْعَلُ. وحروف الحلق ستة: الهمزة، والهاء، والعين، والغين، والحاء، والخاء، وهُنَّ يُفْتَحْنَ إذا كُنَّ فى موضع العين واللام، فأما العين فنحو سَأَلَ يَسْأَلُ وَذَهَبَ

(١) وكف البيت: قطر منه الماء.

(٢) ونم الذباب: سلح.

يَذْهَبُ، وأما اللام فمثل قَرَأَ يَقْرَأُ، وَصَنَعَ يَصْنَعُ، وسائر هذا الباب على ما وَصَفْتُ لك.

وقوله:

* وَهَادِ إِذَا مَا أَظْلَمَ اللَّيْلُ مُصَدِّعُ *

فتأويل «مصدع» أى ماض فى الأمر، قال الله عز وجل: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾^(١) ويقال: أَحْزَمُ النَّاسُ مَنْ إِذَا وَضَحَ لَهُ الْأَمْرُ صَدَعَ بِهِ.

وقال أعرابى^(٢) يمدح سَوَّارَ بن عبد الله القاضى، وسَوَّارُ أحد بنى العنبر بن عمرو بن تميم:

وَأَوْقَفُ عِنْدَ الْأَمْرِ مَا لَمْ يَضِخْ لَهُ وَأَمْضَى إِذَا مَا شَكَ مَنْ كَانَ مَاضِيًا
فَاسْتَجْمَعَ فِي هَذَا الْمَدْحِ رَكَاةَ الْحَزْمِ، وَإِمْضَاءَ الْعَزْمِ، ومثله قول النابغة الجعدي:

أَبَى لِي الْبَلَاءُ وَأَنَّى امْرُؤٌ إِذَا مَا تَبَيَّنْتُ لَمْ أَرْتَبِ
ومن أمثال العرب السائرة الجيدة: «رَوَّ تَحْزُمُ»، فإذا اسْتَوْضَحْتَ فَاعْزِمُ» ومن أمثالهم: «قَدْ أَحْزَمُ لَوْ أَعَزَّمُ»، وإنما يكون هذا بعد التَّوَقُّفِ والتَّبَيُّنِ، فقد قال الشعبي: أَصَابَ مُتَأَمِّلٌ أَوْ كَادَ، وَأَخْطَأَ مُسْتَعْجِلٌ أَوْ كَادَ.

ومثل قوله:

* وَيَشْفَى مِنِّي الدَّمْعُ مَا أَتَوَجَّعُ *

قول الفرزدق:

أَلَمْ تَرَ أَنَّى يَوْمَ جَوَّ سُوَيْقَةَ^(٣) بَكَيْتُ فَنَادَتْنِي هُنَيْدَةُ: مَالِيَا!
فَقُلْتُ لَهَا: إِنَّ الْبُكَاءَ لِرَاحَةٍ بِهِ يَشْتَفَى مَنْ ظَنَّ أَلَّا تَلَاقِيَا

(١) الحجر ٩٤.

(٢) حاشية الأصل «هو سلمة بن عياش».

(٣) جو سويق: موضع بالصمان.

[قال أبو الحسن وَيَتْلُو هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ مِمَّا يُسْتَحْسَنُ :

قَعِيدُكُمْ مَا اللَّهُ الَّذِي أَنْتُمْ لَهُ أَلَمْ تَسْمَعَا بِالْبَيْضَتَيْنِ الْمُنَادِيَا! (١)

حَبِيبٌ دَعَا، وَالرَّمْلُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ فَأَسْمَعَنِي، سَقِيَا لَذَلِكَ دَاعِيَا !

يقال: قَعِيدُكَ اللَّهُ، وَقَعِيدُكَ اللَّهُ، وَنَشْدُكَ اللَّهُ، أَيْ سَأَلْتُكَ بِاللَّهِ، كَمَا قَالَ مُتَمَّمُ بْنُ نُؤَيْرَةَ، وَهُوَ مِنْ بَنِي يَرْبُوعَ:

قَعِيدُكَ أَلَّا تُسْمِعَنِي مَلَامَةً وَلَا تُتَكَيَّ قَرْحَ الْفُؤَادِ فَيَجْعَا

وَيُرَوِّ: «فَقَعِيدُكَ أَلَّا تُسْمِعَنِي»، وَالْبَيْضَتَانِ: مَوْضِعٌ مَعْرُوفٌ.

قال أبو العباس: وقال أبو بكر بن عَيَّاش: نَزَلَتْ بِي مُصِيبَةٌ أَوْجَعَتْنِي، فَذَكَرْتُ قَوْلَ ذِي الرُّمَّةِ:

لَعَلَّ أَنْحِدَارَ الدَّمْعِ يُعْقِبُ رَاحَةً
مِنْ الْوَجْدِ، أَوْ يَشْفِي نَجَى الْبَلَابِلِ
فَخَلَوْتُ فَبَكَيْتُ فَسَلَوْتُ.

[النضلة السلمي في يوم غول]

وقال نَضْلَةُ السُّلَمِيِّ^(٢) فِي يَوْمِ غَوْلٍ - وَكَانَ حَقِيرًا دَمِينًا، وَكَانَ ذَا نَجْدَةٍ
وَبَأْسٍ:

أَلَمْ تَسَلِ الْفَوَارِسُ يَوْمَ غَوْلٍ^(٣) بِنَضْلَةٍ، وَهُوَ مَوْتُورٌ مُشِيحٌ

(١) قَعِيدُكَ اللَّهُ، قَالَ الْجَوْهَرِيُّ: «هِيَ يَمِينُ الْعَرَبِ، وَهِيَ مَصَادِرُ اسْتَعْمَلَتْ مَنْصُوبَةً بِفَعْلٍ مُضْمَرٍ، (وَانْظُرِ
اللسان قعد).

(٢) الْأَبْيَاتُ فِي مَجَالِسِ ثَعْلَبٍ ٧ - ٨، رَوَى أَنَّهُ «مَرُّ قَوْمٍ مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ بِرَجُلٍ مِنْ مَزِينَةَ يُقَالُ لَهُ نَضْلَةُ فِي إِبِلٍ
لَهُ، فَاسْتَسْقَوْهُ لَبْنًا فَسَقَاهُمْ، فَلَمَّا رَأَوْا أَنَّهُ لَيْسَ فِي الْإِبِلِ غَيْرُهُ أَزْدَرَوْهُ، فَأَرَادُوا أَنْ يَسْتَأْقُوهُا، فَجَالَدَهُمْ
حَتَّى قَتَلَ مِنْهُمْ رَجُلًا، وَأَجْلَى الْبَاقِينَ عَنِ الْإِبِلِ، فَقَالَ فِي ذَلِكَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ «...»، وَأُورِدَ
الْأَبْيَاتُ. وَنَسَبَهَا الْجَاهِظُ فِي الْبَيَانِ (٣ : ٣٣٨) إِلَى أَبِي مُحَجَّجٍ الثَّقَفِيِّ، وَلَمْ تَرُدْ فِي دِيَوَانِهِ.

(٣) الْغَوْلُ: مَاءٌ لِلضَّبَابِ فِيهِ نَخْلٌ وَعَيُونٌ.

وَرَوَايَةُ ثَعْلَبٍ:

* أَلَمْ تَسَلْ فَوَارِسَ مِنْ سُلَيْمٍ *

وَرَوَايَةُ الْجَاهِظِ:

* أَلَمْ تَسَلِ الْفَوَارِسَ مِنْ سُلَيْمٍ *

رَأَوْهُ فَازْدَرَوْهُ وَهُوَ حُرٌّ^(١) وَيَنْفَعُ أَهْلَهُ الرَّجُلُ الْقَبِيحُ
فَشَدَّ عَلَيْهِمُ بِالسَّيْفِ صَلْتًا كَمَا عَضَّ الشَّبَا الْفَرَسُ الْجَمُوحُ
فَأَطْلَقَ غُلَّ صَاحِبِهِ وَأَرْدَى قَتِيلًا مِنْهُمْ وَنَجَا جَرِيحُ
وَلَمْ يَخْشَوْا مَصَالَتَهُ عَلَيْهِمْ وَتَحْتَ الرَّغْوَةِ اللَّيْنُ الصَّرِيحُ

قوله: «وهو مَوْتور مُشِيح»، فالمُشِيحُ الحاملُ الجادُّ، يقال: أَشَاحَ يَشِيحُ إِذَا حَمَلَ، وَأَشْدَنِي التَّوَزَّى قَالَ: أَشْدَنِي أَبُو زَيْدٍ - وهو لأبَى الْعِيَالِ الْهَذَلِيُّ: مُشِيحٌ فَوْقَ شِيحَانٍ
قال: وشيحيان اسم فرسه.

[قال أبو الحسن ويروى: «شِيحَان» [بفتح الشين] ^(٢)، وحقه ^(٣) على رواية أبي زيد ألا يَنْصَرِفَ لَأَنَّهُ فَعْلَان، فالألف والنون زائدتان، وهو معرفة، فَضَارَعَ عَطْشَان وَمَا جَرَى مَجْرَاهُ، وَإِنَّمَا اضْطَرَّ فَصَّرَفَهُ. وعن ^(٤) أبي زيد أيضًا يرويه: «شِيحَان»، وهو الجاد، وهو صفة شائعة، وليس كالأول، فالأول معرفة مشتق من النعت ^(٥)].

وقال ابن الإِظْنَابَةِ، واسمه عمرو:
وإِجْشَامِي عَلَى الْمَكْرُوهِ نَفْسِي وَضَرَبِي هَامَةَ الْبَطْلِ الْمُشِيحِ
ويقال في هذا المعنى: رجل شِيحٌ، كما يقال: ناقة نَقْضٌ، إِذَا كَانَتْ هَزِيلًا،
قال أبو ذؤَيْبٍ ^(٥):

* وَشَايَحْتَ قَبْلَ الْيَوْمِ إِنَّكَ شِيحٌ *

(١) ثعلب والجاحظ: «وهو خرق». والخرق: الفتى الكريم الخليفة.

(٢) من ر.

(٣) س: «وجب على رواية أبي زيد».

(٤ - ٤) ساقط من ر.

(٥) صدره:

* بَدَرْتُ إِلَى أَوْلَاهُمْ فَسَبَقْتُهُمْ *

وانظر ديوان الهذليين ١: ١١٦.

وقوله: «بالسيف صَلَّتْ» يقول: مُتَّصِي، ورجل صَلَّتُ الْجَيْشَ إِذَا كَانَ نَقِيَّةً.

وقوله: «كَمَا عَضَّ الشَّبَّ» يريد حَدَّ اللِّجَامِ، وَشَبَّ كُلُّ شَيْءٍ حَدًّا.

وقوله: «وَأَرَدَى» أَيْ أَهْلَكَ، يُقَالُ: رَدَى يَرْدِي إِذَا هَلَكَ، وَالرَدَى: الْهَلَاكُ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى﴾^(١)، قِيلَ فِيهِ قَوْلَانِ: إِحْدَاهُمَا إِذَا تَرَدَّى فِي النَّارِ، وَالْآخَرُ إِذَا مَاتَ، وَهُوَ «تَفَعَّلَ» مِنَ الرَدَى.

وقوله:

❖ وَلَمْ يَخْشَوْا مَصَالَتَهُ عَلَيْهِمْ ❖

فَهِيَ «مَفْعَلَةٌ» مِنْ صَالَ يَصُولُ، وَيُقَالُ: صَالَ الْبَعِيرُ إِذَا عَضَّ.

وَقِيلَ لِلْمَغِيرَةِ بَنِ شُعْبَةَ: إِنَّ بَوَائِكَ يَأْذُنُ لِأَصْحَابِهِ قَبْلَ أَصْحَابِكَ، فَقَالَ: إِنْ الْمَعْرِفَةُ لَتَنْفَعُ عِنْدَ الْكَلْبِ الْعَقُورِ، وَالْجَمَلِ الصَّوُولِ، فَكَيْفَ بِالرَّجُلِ الْكَرِيمِ!

وقوله:

❖ وَتَحْتَ الرِّغْوَةِ اللَّبَنُ الصَّرِيحُ ❖

يَقُولُ: إِذَا رَأَيْتَ الرِّغْوَةَ - وَهُوَ مَا يَرْغُو كَالْجِلْدَةِ فِي أَعْلَى اللَّبَنِ - لَمْ تَدْرُ مَا تَحْتَهَا، فَرَبَّمَا صَادَفْتَ اللَّبَنَ الصَّرِيحَ إِذَا كَشَفْتَهَا، أَيْ أَنَّهُمْ رَأَوْنِي فَازْدَرَوْنِي لِدِمَامَتِي، فَلَمَّا كَشَفُوا عَنِّي وَجَدُوا غَيْرَ مَا رَأَوْا. وَالصَّرِيحُ: الْمَحْضُ الْخَالِصُ، مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ: عَرَبِيٌّ صَرِيحٌ أَيْ خَالِصٌ، وَمَوْلَى صَرِيحٌ.

وَمِنْ أَمْثَالِ الْعَرَبِ: «إِنَّهُ لَيُسَرُّ حَسَوًا فِي ارْتِغَاءٍ»، وَمَعْنَى ذَلِكَ أَنَّهُ يُوهْمُكَ أَنَّهُ يَأْخُذُ بِفِيهِ تِلْكَ الْجِلْدَةَ عَنِ اللَّبَنِ لِيُصْلِحَهُ لَكَ، وَإِنَّمَا يَحْسُو مِنْ تَحْتِهَا، يُضْرَبُ هَذَا الْمَثَلُ لِمَنْ يُرِيكَ أَنَّهُ يُعِينُكَ، وَإِنَّمَا يَجْتَرُّ النِّفْعَ إِلَى نَفْسِهِ.

الْأَعْرَابِيُّ مِنْ بَنِي سَعْدِ فِي خِلَافِ الدِّمَامَةِ

وَقَالَ أَعْرَابِيٌّ - خُبِرْتُ أَنَّهُ مِنْ بَنِي سَعْدٍ - وَقَدْ تَمَثَّلَ بِهَذَا الشَّعْرِ الْخَنَوْتُ، وَهُوَ تَوْبَةُ بْنُ مُضَرَّسٍ، أَحَدُ بَنِي مَالِكِ بْنِ سَعْدِ بْنِ زَيْدِ مَنَاةَ بْنِ تَمِيمٍ، فِي خِلَافِ الدِّمَامَةِ:

(١) سورة الليل : ١١ .

وَلَمَّا التَقَى الصَّفَانِ وَاخْتَلَفَ الْقَنَا
تَبَيَّنَ لِي أَنَّ الْقَمَاءَ ذَلَّةٌ
نَهَالًا وَأَسْبَابُ الْمَنَايَا نِهَالَهَا
وَأَنَّ أَشَدَّاءَ الرَّجَالِ طَوَالَهَا
دَعَا: يَا لَسَعْدُ! وَأَنْتَمِينَا لَطِيئِي
أُسُودُ الشَّرَى إِقْدَامُهَا وَنَزَالَهَا

قوله: «نهالا»، يريد أنها قد وردت الدَّم مرة ولم تُثن، وذلك أن الناهل الذي يشرب أول شربة، فإذا شرب ثانية فهو غال، يقال: سقاه علًا بعد نهل، وعللا بعد نهل، وفي المثل: «سُمته سَوْمَ عَالَة» إذا عَرَضَتْ عليه عَرَضًا يستحي منه أن يقبل معه، والعالة لا حاجة بها إلى الشرب، وإنما يعرضُ عليها تعزيرًا. قال: «وَأَسْبَابُ الْمَنَايَا نِهَالَهَا»، أى أول ما يقع منها يكون سببًا لما بعده، وأنشدنى غير واحد:

* وَأَنَّ أَشَدَّاءَ الرَّجَالِ طِيَالَهَا *

وليس هذا بالجيد، وإنما قلب الواو ياء لوقوعها بين كسرة وألف كقولهم: ثيابٌ، وحياضٌ، وسياطٌ، والواحد ثوبٌ، وحوضٌ، وسوطٌ، وهذا جيد؛ لكون الواو فى الواحد، فأما فى مثل طوال، فإنما يجوز على التشبيه بهذا، وليس بجيد لتحرك الواو فى الواحد. وأنشدنى مسعود بن بشر المازنى:

لَهُمْ أَوْجُهُ بِيضٌ حِسَانٌ وَأَذْرُعُ
طِيَالٌ وَمَنْ سِيَمَا الْمُلُوكِ نِجَارٌ (٢)
ومجاز هذا فى النحو على ما وصفت لك.

[العرب تمدح الطول]

والعرب تمدح الطول، وتضع من القصير، فلا يذكره منهم إلا مُحْتَج عن نفسه، ولا يمدح به غيره، قال عنترة:

بَطْلٌ كَانَ ثِيَابُهُ فِى سَرَحَةٍ
يُحْدَى نَعَالِ السَّبْتِ لَيْسَ بِتَوَمٍ (٣)

يقول: لم يشارك فى الرَّحِم، وقال جرير:

تَعَالَوْا فَفَاتُونَا فَفِى الْحُكْمِ مَقْنَعٌ
إِلَى الْغُرِّ مِنْ أَهْلِ الْبَطَاحِ الْأَكَارِمِ (٤)
فَاتِنَى لِأَرْضَى عَبْدَ شَمْسٍ وَمَا قَضَتْ
وَأَرْضَى الطَّوَالَ الْبَيْضَ مَنَعَ آلِ هَاشِمٍ

(١) حاشية الأصل: «ذكر أبو رياش فى شرح الحماسة أن هذا الشعر لأنيف بن حكيم النبهانى» وانظر شرح التبريزى ١: ١٨٩.

(٢) النجار: الأصل.

(٣) السبت: الجلد المدبوغ بالقرظ.

(٤) فاتونا: حاكمونا.

وقال حَسَّان بن ثابت :

وَقَدْ كُنَّا نَقُولُ إِذَا رَأَيْنَا لَذِي جِسْمٍ يُعَدُّ وَذَى بَيَانٍ
كَأَنَّكَ أَيُّهَا الْمَعْطَى بَيَانًا وَجِسْمًا مِنْ بَنَى عَبْدِ الْمَدَانِ

ويقال إن عليَّ بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب كان إلى منكب عبد الله، وكان عبد الله إلى منكب العباس، وكان العباس إلى منكب عبد المطلب. وحدثني التَّوَزِيُّ قال: طافَ عليُّ بن عبد الله بالبيت، وهناك عَجُوزٌ قَدِيمَةٌ، وعليٌّ قد فَرَعَ النَّاسَ، كأنه رَاكِبٌ وَالنَّاسُ مُشَاةٌ، فقالت: مَنْ هَذَا الَّذِي فَرَعَ النَّاسَ؟ فَقِيلَ: عليُّ بن عبد الله بن عباس، فقالت: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، إِنْ النَّاسَ لَيُرْذَلُونَ! عَهْدِي بِالْعَبَّاسِ يَطُوفُ بِهَذَا الْبَيْتِ كَأَنَّهُ فُسْطَاطٌ^(١) أبيض.

وحدثني عليُّ بن القاسم بن عليَّ بن سُلَيْمَانَ بن عليَّ بن عبد الله بن العباس قال: كَانَ يُقَالُ: صَارَ شَبَهُ عَلِيَّ بن عبد الله فِي عَظَمِ الْأَجْسَامِ فِي الْعَلِيِّينَ - يَعْنِي عَلِيَّ بن أمير المؤمنين الْمَهْدِيَّ الْمُنْسُوبَ إِلَى أُمِّهِ رِيطَةً، وَعَلِيَّ بن سُلَيْمَانَ بن عليَّ.

وَيُرْوَى أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - وَهُوَ الْأُسُوءَةُ وَالْقُدُوءَةُ - كَانَ فَوْقَ الرَّبْعَةِ^(٢)، وَلَمْ يَكُنْ بِالطَّوِيلِ الْمَشْدَبِ^(٣)، وَكَانَ إِذَا مَشَى مَعَ الطَّوَالِ طَالَهُمْ. وَلَمْ يَخْتَلَفْ أَهْلُ الْحِكْمَةِ وَالنَّظَرُ مِنَ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ أَنَّ الْكَمَالَ فِي الْإِعْتِدَالِ، وَلَا يُقَالُ غَيْرُ هَذَا عَنْ حَكِيمٍ. وَأَبَيَّنَ مَا فِيهِ مَا اخْتَارَهُ اللَّهُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ.

وقد يقال: الْكَيْسُ فِي الْقَصْرِ. وَقَدْ قِيلَ فِي خَيْرِ قَصِيرٍ^(٤) وَكَيْدِهِ وَمَكْرِهِ مَا قَدْ سَارَ بِهِ الْمَثَلُ، وَاسْتَغْنَى عَنِ الْإِعَادَةِ.

[لِلْأَعْرَابِيِّ يَرْدُّ عَلَى مَخْنِيَةِ عَابَتِهِ بِالْقَصْرِ]

وحدثني العباس بن الفَرَجِ الرِّيَاشِيُّ قال: حَدَّثَنِي أَبُو عَثْمَانَ الْمَازِنِيُّ قَالَ: كَانَ أَعْرَابِيٌّ يَخْتَلِفُ إِلَى مُعَنِّيَةِ لَالِ سُلَيْمَانَ، فَأَشْرَفَتْ إِلَيْهِ^(٥) ذَاتَ مَرَّةٍ، فَأَوْمَأَتْ إِلَيْهِ بِيَدِهَا إِيمَاءً عَائِبٍ لَهُ بِالْقَصْرِ، فَأَنْشَأَ يَقُولُ:

(١) الفسْطَاط: ضَرْبٌ مِنَ الْأَبْنِيَةِ.

(٢) الرَّبْعَةُ: الرَّجُلُ بَيْنَ الطَّوْلِ وَالْقَصْرِ.

(٣) الْمَشْدَبُ: الْمَفْرُطُ فِي الطَّوْلِ.

(٤) هُوَ قَصِيرٌ بَنَى سَعْدَ اللَّخْمِيِّ، وَانْظُرْ خَبْرَهُ مَعَ جَذِيمَةَ بْنِ مَالِكٍ وَالزَّبَاءَ فِي مَجْمَعِ الْأَمْثَالِ: ٨٥.

(٥) ر: «عَلَيْهِ».

يَا جَعْفَرُ يَا جَعْفَرُ يَا جَعْفَرُ إِنَّ أَكْ رُبْعَةً فَأَنْتِ أَقْصَرُ
أَوْ أَكْ ذَا شَيْبٍ فَأَنْتِ أَكْبَرُ غَرَّكَ سِرْبَالٌ عَلَيْكَ أَحْمَرُ
وَمِقْنَعٌ مِنَ الْحَرِيرِ أَصْفَرُ^(١) وَتَحْتَ ذَاكَ سَوَاةٌ لَوْ تَذَكَّرُ

[قال أبو الحسن: أنشدني أبو العباس محمد بن الحسن الورَّاقُ الشعرَ الذي فيه قوله:

* وَلَمَّا اتَّقَى الصَّفَّانِ وَاخْتَلَفَ الْقَنَا *

بتمامه، وهو شعرٌ مختارٌ لرجلٍ من طيِّعٍ، ويدل على ذلك ما تسمعه في الشعر وهو قوله:

جَمَعْنَا لَهُمْ مِنْ حَيٍّ غَوْثٍ وَمَالِكٍ	كَتَّابٍ يُرْدِي الْمُقْرِفِينَ نِكَالَهَا
لَهُمْ عَجْزٌ بِالْحَزَنِ فَالرَّمْلُ فَاللَّوَى	وَقَدْ جَاوَزَتْ حَيٍّ جَدِيسَ رِعَالِهَا
وَتَحْتَ نَحُورِ الْحَيْلِ حَرَشَفُ رَجَلَةٍ	تُتَّاحُ لِحَبَّاتِ الْقُلُوبِ نِبَالُهَا
أَبَى لَهُمْ أَنْ يَعْرِفُوا الضَّيْمَ أَنَّهُمْ	بَنُو نَاتِقٍ كَانَتْ كَثِيرًا عِيَالُهَا
فَلَمَّا أَتَيْنَا السَّفْحَ مِنْ بَطْنٍ حَائِلٍ	بَحِيثٍ تَنَاصَى طَلْحُهَا وَسِيَالُهَا
دَعَا لِنَزَارِ وَأَنْتَمِينَا لَطِيئِي	كَأْسِدِ الشَّرَى إِقْدَامُهَا وَنِزَالُهَا
فَلَمَّا التَّقِينَا بَيْنَ السِّيفِ فِيهِمْ	لِسَائِلَةٍ عَنَّا حَفِيٍّ سُؤَالُهَا
وَلَمَّا عَصَيْنَا بِالرَّمَّاحِ تَضَلَّعَتْ	صُدُورُ الْقَنَا مِنْهُمْ وَعَلَتْ نِهَالُهَا
وَلَمَّا تَدَانَا بِالسُّيُوفِ تَقَطَّعَتْ	وَسَائِلُ كَانَتْ قَبْلُ سَلْمًا حِبَالُهَا
فَوَلَّوْا وَأَطْرَافُ الرَّمَّاحِ عَلَيْهِمْ	قَوَادِمُ مَرْبُوعَاتِهَا وَطَوَالَهَا

الكتائب جمع كتيبة، سميت كتيبة لاجتماعها وانضمام بعضها إلى بعض، يقال: تكتَّبَ القومُ إذا تضاموا، ومنه أخذ الكتابُ لانضمام حروفه، ولذلك قالوا:

(١) المِقْنَعُ: ما تغطي به المرأة رأسها وتستر محاسنها.

بَغْلَةٌ مَكْتُوبَةٌ إِذَا شُدَّ حَيَاؤُهَا وَضُمَّ . وَيُرْدَى : يَهْلِكُ ، يُقَالُ : رَدَى الرَّجُلُ إِذَا هَلَكَ ،
وَالرَدَى : الْهَلَكَ ، وَالْإِرْدَاءُ : الْإِهْلَاكُ . وَالْمُقْرِفُونَ : الَّذِينَ دَخَلُوا فِي الْفَسَادِ
وَالْعَيْثُ ، وَهُوَ فِي الْأَصْلِ الْهَجْنَةُ ، يُقَالُ : فَرَسٌ مُقْرِفٌ إِذَا كَانَ هَجِينًا ، ثُمَّ يَشِيعُ فِي
الْفَسَادِ .

وَالْعَجْزُ : مُؤَخَّرُ الْعَسْكَرِ هَاهُنَا ، وَهُوَ مُسْتَعَارٌ . وَالْحَزَنُ : مَا خَشِنَ مِنَ الْأَرْضِ
وَعُلْظُ ، وَاللَّوَى : مُسْتَدَقُّ الرَّمْلَةِ حَيْثُ يَنْقَطِعُ ، يُقَالُ أَلْوَيْتُمْ فَاَنْزَلُوا ، أَيْ صَرْتُمْ إِلَى
آخِرِ الرَّمْلَةِ ، وَهُوَ اللَّوَى . وَجَدَيْسُ : قَبِيلَةٌ مَعْرُوفَةٌ ، فَلِذَلِكَ لَمْ يَصْرِفْهَا . وَالرَّعَالُ :
الْجَمَاعَاتُ الْمَتَفَرِّقَةُ ، وَاحِدُهَا رَعْلَةٌ .

وَالْحَرَشَفُ : نَبْتٌ يَكْثُرُ فِي الْبَادِيَةِ ، وَإِنَّمَا شَبَّهَ النَّبْلَ بِهِ فِي الْكَثَرَةِ ، وَالرَّجَلَةُ :
الرَّجَالَةُ . وَتَنَاحٌ : تَقَدَّرُ ، يُقَالُ أَتَاحَ اللَّهُ لَهُ كَذَا وَكَذَا ، أَيْ قَدَّرَ لَهُ ، وَالنَّبَالُ جَمْعُ نَبْلٍ .
وَالنَّاتِقُ : الْوَلُودُ ، فَإِذَا أُسْرِقَتْ فِي ذَلِكَ وَكَثُرَ وَلَدُهَا جِدًّا قِيلَ مِتْنَقٌ .

وَالسَّفْحُ : أَصْلُ الْجَبَلِ مِنَ الْوَادِي . وَحَائِلٌ : مَوْضِعٌ . وَتَنَاصَى : تَقَابَلَ وَتَقَرَّبَ
حَتَّى يَغْلُقَ هَذَا بِهَذَا وَهَذَا بِهَذَا عِنْدَ هُبُوبِ الرِّيحِ ، يُقَالُ : تَنَاصَى الرَّجُلَانِ نِصَاءً
وَتَنَاصِيًّا إِذَا اقْتَتَلَا فَأَخَذَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِنَاصِيَةِ صَاحِبِهِ ، وَالطَّلْحُ وَالسِّيَالُ : ضَرْبَانِ
مِنَ الشَّجَرِ مَعْرُوفَانِ .

وَأَتَمَمَى وَنَمَى : أُنْتَسَبَ . وَالشَّرَى : مَوْضِعٌ كَثِيرُ السَّبَاعِ ، وَإِنَّمَا يُرِيدُ : كَأَقْدَامِ
أَسَدِ الشَّرَى إِقْدَامُهَا ، ثُمَّ حَذَفَ لَعَلَّمَ السَّامِعَ .
وَعَصَيْنَا : جَعَلْنَا الرِّمَاحَ كَالْعَصِيِّ . وَالْعَلَلُ : الشَّرْبُ الثَّانِي ، وَالنَّهْلُ : الْأَوَّلُ ،
يُرِيدُ أَنَا أَعَدْنَاهَا إِلَى الطَّعْنِ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى .

وَقَوَادِمُ : ذَاتُ إِقْدَامٍ ، فَجَاءَ بِهِ عَلَى الْأَصْلِ ، كَمَا قَالَ :

* يَخْرُجْنَ مِنْ أَجَوَازِ لَيْلٍ غَاضٍ (١) *

أَيْ مُغْضٍ ، فَجَاءَ بِهِ عَلَى الْأَصْلِ وَهُوَ كَثِيرٌ .

(١) الْبَيْتُ لِرُؤْيَا :

وَبَعْدَهُ :

* نَصُّو قَدَاحِ النَّابِلِ النَّوَاضِي *

وَانْظُرْ دِيْوَانَهُ ٨٢ .

والمربوعات: المعتدلة التي لم تبلغ أن تكون رُمحاً، وهو رفعٌ، كأنه قيل له: ما هي؟ فقال: هي مربوعاتٌ وطوالها، ولو خَفَضَ وجَعَلَهُ بدل البعض من الكلّ لكان حسناً، وكان يكون مُقَوّى، ولكن هكذا أنشدناه مرفوعاً على التقدير الذي ذكرناه].

باب

[حبرة بن شيمان عن معاوية]

قال أبو العباس: حَدَّثْتُ أَنَّ صَبْرَةَ بْنَ شَيْمَانَ الْخُدَّانِيَّ دَخَلَ عَلَى مُعَاوِيَةَ، وَالْوُفُودُ عِنْدَهُ، فَتَكَلَّمُوا فَأَكْثَرُوا، فَقَامَ صَبْرَةُ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّا حَيٌّ فِعَالٌ، وَلَسْنَا بِحَيٍّ مَقَالٍ، وَنَحْنُ بِأَدْنَى فِعَالِنَا عِنْدَ أَحْسَنِ مَقَالِهِمْ. فَقَالَ: صَدَقْتَ.

[كلمة يزيد بن أبي سفيان حين أرتج عليه]

وَحَدَّثْتُ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَلِيُّ يَزِيدَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ رُبْعًا مِنْ أَرْبَاعِ الشَّامِ، فَرَفَى الْمُنْبِرَ فَتَكَلَّمَ فَأَرْتَجَ عَلَيْهِ، فَاسْتَأْنَفَ فَأَرْتَجَ عَلَيْهِ، فَقَطَعَ الْخُطْبَةَ، فَقَالَ: سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا، وَبَعْدَ عَيٍّْ بَيَانًا، وَأَنْتُمْ إِلَى أَمِيرٍ فِعَالٍ أَحْوَجُ مِنْكُمْ إِلَى أَمِيرٍ قَوَالٍ.

فَبَلَغَ كَلَامُهُ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ، فَقَالَ: هُنَّ مُخْرِجَاتِي مِنَ الشَّامِ! اسْتَحْسَنًا لِكَلَامِهِ.

[جواب عامر بن قيس لعثمان بن عفان]

وقال عثمان بن عفان رحمه الله (١) لعامر بن عبد قيس العنبري - ورآه ظاهر الأعرابية: يا أعرابي، أين ربك؟ فقال بالمرصاد!

[جواب علي بن أبي طالب حين سئل: أين ربنا؟]

وقال قائل لعلي بن أبي طالب رحمه الله: أين كان ربنا قبل أن يَخْلُقَ السماوات والأرض؟ فقال علي: أين، سؤالٌ عن مكان، وكان الله ولا مكان.

[للحسن البصري في المواعظ]

وَحَدَّثْتُ أَنَّ رَاهِبِينَ دَخَلَا الْبَصْرَةَ مِنْ نَاحِيَةِ الشَّامِ، فَنَظَرَا إِلَى الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: مَلْنَا بِنَا إِلَى هَذَا الَّذِي كَانَتْ سَمَتُهُ سَمْتُ الْمَسِيحِ، فَعَدَلَا إِلَيْهِ، فَأَلْفَيَاهُ مُفْتَرِشًا بِذَقْنِهِ ظَاهَرَ كَفِّهِ، وَهُوَ يَقُولُ: يَا عَجَبًا لِقَوْمٍ قَدِ امْرَأُوا

(١) س: «رضي الله عنه».

بالزاد، وأوذِنُوا بالرحيل، وأقام أولهم على آخرهم! فليت شعري
ما الذي ينتظرون؟

وَنَظَرَ الْحَسَنُ إِلَى النَّاسِ فِي مُصَلَّى الْبَصْرَةِ يَضْحَكُونَ وَيَلْعَبُونَ فِي يَوْمِ عِيدٍ،
فَقَالَ الْحَسَنُ: إِنَّ اللَّهَ جَعَلَ الصَّوْمَ مَضْمَارًا لِعِبَادِهِ لِيَسْتَبِقُوا إِلَى طَاعَتِهِ، فَسَبَقَ أَقْوَامٌ
فَفَازُوا، وَتَخَلَّفَ آخَرُونَ فَخَابُوا، وَلَعَمْرِي لَوْ كُشِفَ الْغَطَاءُ لَشُغِلَ مُحْسِنٌ بِإِحْسَانِهِ،
وَمُسِيءٌ بِإِسَاءَتِهِ عَنْ تَجْدِيدِ ثَوْبٍ، أَوْ تَرْطِيلِ شَعْرٍ.

قوله: «ترطيل شعر» إنما هو تليين الشعر بالدهن وما أشبهه، ويقال للرجل
إذا كان فيه لينٌ وتوضيع: رجل رطلٌ، والذي يُوزَنُ به ويُكَالُ يقال له: رطلٌ،
بكسر الراء.

وكان الحسن يقول: أَجْعَلِ الدُّنْيَا كَالْقَنْطَرَةِ تَجُوزُ عَلَيْهَا وَلَا تَعْمُرُهَا.
قوله: «القنطرة» يعنى هذه المعقودة المعروفة عند الناس، والعرب تسمى كل
أَزَجٍ (١) قنطرة، قال طرفة بن العبد:

كَقَنْطَرَةِ الرُّومِيِّ أَقْسَمَ رَبُّهَا لَتُكْتَنَفَا حَتَّى تُشَادَ بِقَرْمَدٍ
قوله: «حتى تشاد»، يقول: تُطْلَى، وكلُّ شيء طَلِيَتْ به البناء من جصٍّ أو
جِيارٍ. وهو الكلس، فهو المشيد، يقال: دار مُشِيدَةٌ، وَقَصْرٌ مَشِيدٌ، قال الله
عزَّ وجل: ﴿وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشِيدَةٍ﴾ (٢)، وقال الشماخ:

لَا تَحْسِنِي وَإِنْ كُنْتُ أَمْرًا غَرًّا كَحَيَّةِ الْمَاءِ بَيْنَ الطَّيْنِ وَالشَّيْدِ
وقال عدي بن زيد العبادي:
شَادَهُ مَرْمَرًا وَجَلَّلَهُ كِلْسًا فَلِلطَّيْرِ فِي ذَرَاهُ وَكُورُ
والمُقرَّمَدُ: المَطْلِيُّ أيضًا، فمن ثَمَّ قال: «حتى تشاد بقرمَد» في معنى حتى
تُطْلَى، ومن ذلك قول النابغة:

* رَبَّيْ الْمَجَسَّةَ بِالْعَبِيرِ مُقَرَّمَدٍ (٣) *

(١) الأزج: نوع من الأبنية يطول بناؤه.

(٢) سورة النساء ٧٨.

(٣) قبله:

* وَإِذَا طَعَنْتَ طَعَنْتَ فِي مُسْتَهْدَفٍ *

وانظر ديوانه ٣٢.

وقال الحسن: تَلَقَّى أَحَدَهُمْ أبيضُ بضاً، يَمْلَخُ في الباطل مَلَخاً، يَنْفُضُ مَذْرُوءِيهِ، وَيَضْرِبُ أَصْدَرِيهِ، ويقول: هأنذا فاعْرِفُونِي. قد عَرَفْنَاكَ، فَمَقَّتَكَ اللهُ، وَمَقَّتَكَ الصالحون.

قوله: «أبيض بضاً» فالبضُّ الرقيقُ اللون، الذي يُؤثِّرُ فيه كلُّ شيء.

وفي الحديث أن معاويةَ قَدِمَ على عمر بن الخطَّابِ رحمهما اللهُ (١) من الشام وهو أَبْضُ النَّاسِ، فَضَرَبَ عَمْرُ بِيده على عَضْدِهِ، فَأَقْلَعَ عن مثل الشَّرَابِ، أو مثل الشَّرَاكِ، فقال: هذا والله لَتَشَاغُلَكَ بِالْحَمَّامَاتِ، وَذُو الْحَاجَاتِ تُقَطِّعُ أَنْفُسَهُمْ حَسَرَاتٍ على بابك!

وقال حميدُ بن ثورٍ الهَلَالِيُّ:

مُنْعَمَةٌ بِيضَاءٍ لو دَبَّ مُحُولٌ عَلَى جِلْدِهَا بَضَّتْ مَدَارِجُهُ دَمًا

وقوله: «يَمْلَخُ في الباطل مَلَخاً»، يقول: يَمُرُّ مرّاً سَرِيعاً، يقال: بَكْرَةٌ مَلُوخٌ إذا كانت سَهْلَةً المَرِّ.

وقوله: «يَضْرِبُ أَصْدَرِيهِ وَأَزْدَرِيهِ»، فإنما يقال ذلك للفارغ، يقال: جاء فلانٌ يَضْرِبُ أَصْدَرِيهِ وَأَزْدَرِيهِ، وَلَا يُتَكَلَّمُ مِنْهُ بِوَاحِدٍ، ويقال: فلانٌ يَنْفُضُ مَذْرُوءِيهِ، وهما ناحيتاه، وإنما يوصف بالخِلاء، وقال عَنَتَرَةُ:

أَحَوْلِي تَنْفُضُ أُسْتُكَ مِذْرُوءِيهَا لَتَقْتُلَنِي، فهأنذا عَمَاراً

ولا واحد لهما، ولو أَفْرَدْتَ لَقُلْتَ في الثَّيْنَةِ مِذْرِيَّانِ، لأن ذواتِ الواو إذا وَقَعَتْ فِيهِنَّ الواو رابعةٌ رَجَعَتْ إلى الياء، كما تقول في مَلْهَى: مَلْهِيَّانِ، وهو من لَهَوْتُ، وفي مَغْزَى: مَغْزِيَّانِ، وهو من غَزَوْتُ، وإنما فعلت ذلك؛ لأنَّ فَعْلَهُ تَرْجِعُ فيه الواو إلى الياء إذا كانت رابعةً فصاعداً، نحو غزوت، فإذا أَدَخَلْتَ فِيهِ الألف قلت: أَغْزَيْتُ، وكذلك غَايَيْتُ وَأُسْتَغْزَيْتُ، وإنما وجب هذا لانقلابها في المضارع، نحو يُغْزِي، وَيُسْتَغْزِي، وَيُغَايِزِي، وإنما أنقلبَتْ لانكسار ما قبلها.

(١) ر، س: «رحمه الله».

فإن قال قائلٌ: فَمَا بِالْ يُتَرَجَّى وَيَتَغَاذَى، يكونان بالياء، نحو: هُمَا يَتَغَاذِيَانِ وَيَتَرَجِّيَانِ، فإنما ذلك لأنهما في الأصل: رَجَى يَرْجَى، وَغَاذَى يُغَاذَى، ثم لَحَقَتْ التَّاءُ بعد ثَبَاتِ الياءِ. والدليلُ على ذلك أن التَّاءَ إِنَّمَا تَلْحَقُهُ عَلَى مَعْنَاهُ، فَقَوْلُكَ: مَذْرُوعَانِ لَا وَاحِدَ لَهُ لَمَّا أَعْلَمْتَك، وَثَبَاتِ الْوَاحِدِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ أَحَدَهُمَا لَا يُفْرَدُ مِنَ الْآخَرِ، فَلِذَلِكَ جَاءَ عَلَى أَصْلِهِ (١).

(١) انظر أمالي المرتضى ١ : ١٥٦.

باب

[لِيزِيدِ بْنِ الصَّقِيلِ، وَكَانَ يَسْرِقُ الْإِبِلَ ثُمَّ تَابَ]

قال أبو العباس: قال يزيد بن الصَّقِيلِ الْعُقَيْلِيُّ - وكان يَسْرِقُ الْإِبِلَ ثُمَّ تَابَ، وَقُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ:

أَلَا قُلْ لِّلْأَرْبَابِ الْمَخَائِضِ: أَهْمِلُوا فَقَدْ تَابَ مِمَّا تَعْلَمُونَ يَزِيدُ
وَأَنَّ أَمْرًا يَنْجُو مِنَ النَّارِ بَعْدَ مَا تَزَوَّدَ مِنْ أَعْمَالِهَا لَسَعِيدُ
وفى هذا الشعر^(١):

إِذَا مَا الْمَنَائِي أَخْطَأْتُكَ وَصَادَفْتُ حَمِيمَكَ فَأَعْلَمْتُ أَنَّهَا سَتَعُودُ

١. قوله: «أَلَا قُلْ لِّلْأَرْبَابِ الْمَخَائِضِ»، فإن الناقة إِذَا لَفَحَتْ قِيلَ لَهَا خَلِيفَةٌ، وللجميع مخاضٌ، وهذا جَمْعٌ عَلَى غير واحد، إنما هو بمنزلة امرأة ونساء، ثم جَمَعَ الْجَمْعَ فَقَالَ: مَخَائِضُ، كقولك في رِسَالَةٍ: رِسَائِلُ، وكما تقول في قوم: أَقْوَامٌ، فَتَجَمَعَ الْاسْمُ الَّذِي هُوَ لِلْجَمْعِ، وكذلك أَغْرَابٌ وَأَعَارِبُ، وَأَنْعَامٌ وَأَنْعَامٌ.

وقوله: «أَهْمِلُوا»: أَيْ اسْرَحُوا إِبِلَكُمْ، وَالْهَمْلُ مَا كَانَ غَيْرَ مَحْظُورٍ، وَهُوَ السُّدَى، وَيُرْوَى فِي مِثْلِ قَوْلِهِ:

إِذَا مَا الْمَنَائِي أَخْطَأْتُكَ وَصَادَفْتُ حَمِيمَكَ فَأَعْلَمْتُ أَنَّهَا سَتَعُودُ

عن بعض الصالحين^(٢) أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: إِذَا مَاتَ لَهُ جَارٌ أَوْ حَمِيمٌ: أَوْلَى لِي! كَدْتُ وَاللَّهِ أَكُونُ السَّوَادَ الْمُخْتَرَمَ^(٣).

[لِابْنِ حَبْنَاءِ التَّمِيمِيِّ فِي مَكَارِمِ الْإِخْلَاقِ]

وقال ابن حَبْنَاءِ التَّمِيمِيُّ:

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ حَالٍ تُزَيِّنُ لِي لَوْمَ الْعَشِيرَةِ أَوْ تُدْنِي مِنَ النَّارِ

(١) س: «وفى هذا الشعر يقول».

(٢) حاشية الأصل: «هو محمد بن الحنفية»، وهو من زيادات ر.

(٣) يقال: اخترقن المنية، أى أخذته من بين أصحابه.

لا أَقْرَبُ الْبَيْتِ أَحَبُّ مِنْ مُؤَخَّرِهِ وَلَا أَكْسَرُ فِي ابْنِ الْعَمِّ أَظْفَارِي
 إِنَّ يَحْجُبِ اللَّهُ أَبْصَارًا أَرَأَيْبُهَا فَقَدْ يَرَى اللَّهُ حَالَ الْمُدْلِجِ السَّارِي
 قوله:

* لا أَقْرَبُ الْبَيْتِ أَحَبُّ مِنْ مُؤَخَّرِهِ *

يقول: لا آتية لريبة. ومثل ذلك قول الشاعر (١):

وَكُنْتُ بِصَادِرٍ مِنْ بَيْتٍ جَارِي كَفِعْلِ الْعَيْرِ غَمْرَهُ الْوُرُودُ
 يقول: لا أخرجُ خروجَ الخائف، لأنه إنما يقال: تَغَمَّرَ الشارب إذا لم يرو،
 ويقال للقدح الصغير: الغمر من هذا.
 وقوله:

* وَلَا أَكْسَرُ فِي ابْنِ الْعَمِّ أَظْفَارِي *

يقول: لا أعتابه، وهذا مثلٌ كما قال الحطيئة:

مَلَّوْا قِرَاهُ وَهَرَّتْهُ كِلَابُهُمْ وَجَرَّحُوهُ بِأَنْيَابٍ وَأَضْرَاسٍ
 وقوله:

* فَقَدْ يَرَى اللَّهُ حَالَ الْمُدْلِجِ السَّارِي *

فالمُدْلِجُ: الذى يسير من أول الليل، يقال: أدلجتُ، أى سرتُ من أول
 الليل، وأدلجتُ، أى سرت فى السَّحَرِ، قال زهير:

* بَكَرْنَ بُكُورًا وَأَدْلَجْنَ بِسُحْرَةٍ (٢) *

والسُّرَى لا يكون إلا سير الليل، قال الله عز وجل: ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ﴾ (٣) مِنْ
 قَوْلِكَ أَسْرَيْتُ، وهى اللغة القرشية، وغيرهم من العرب يقول سَرَيْتُ، وقد جاءت
 هذه اللغة فى القرآن، وقال الله عز وجل: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسَرَ﴾ (٤) فهذا من سَرَى،

(١) زيادات ر: «وهو عقيل بن علفة»، والبيت من كلمة له فى حماسة أبى تمام (١: ١٥١، ١٥٢) - طبعة
 الرافعى.

(٢) رواية الديوان ١٠: «واستحرن بسحرة»، وبقية:

* فهن ووادى الرس كالكيد فى الفم *

(٣) سورة الحجر ٦٥.

(٤) سورة الفجر ٤.

ولو كان من «أسرى» لكان «يسرى»، كما قال لبيد:

فَبَاتَ وَأُسْرَى الْقَوْمُ آخِرَ لَيْلِهِمْ وَمَا كَانَ وَقَافًا بغير مُعَصَّرٍ

والمُعَصَّرُ المُلْجَأُ، والسارى إنما هو من قولك سَرَى، كبقولك: قَضَى فهو قاض، ومن أسرى يقال للفاعل: مُسِرٌّ كما تقول: أعطى فهو مُعْطٍ، كما قال الأخطل:

نَازَعَتْهُمْ طَيْبَ الرَّاحِ الشَّمُولِ وَقَدْ صَاحَ الدَّجَاجُ وَحَانتَ وَقْعَةُ السَّارِي

والدجاج ها هنا: الديوك، يريد وقت السحر، لأنه يقال للديك: هذا دجاجة، فإن أردت الأنثى قلت: هذه، وكذلك هذا بقرة، وهذا بطة، وهذا حمامة إذا أردت الذكر، ولهذا باب يُذَكَّرُ فيه إن شاء الله.

قال جرير:

لَمَّا تَذَكَّرْتُ بِالْدَّيْرَيْنِ أَرْقَنِي صَوْتُ الدَّجَاجِ وَقَرَعُ النَّوَاقِيسِ

قوله: «أرقنى صوت الدجاج»، والأرق لا يكون فى آخر الليل وإنما يكون فى جميعه.

وكذلك النواقيس لا تقرع أيضاً إلا فى السحر وإنما أراد: أرقنى انتظارى هذا الوقت؛ لأنه وعد فيه وعداً فهو منتظر له.

[قال أبو الحسن: أنشدنا أبو العباس أحمد بن يحيى الأبيات الرائية المتقدمة بتمامها على ما أذكره لك عن أبى عبد الله بن الأعرابى، وهى لأحد أبنى حَبْنَاءَ - أَحْسَبُهُ صَخْرًا - وهما من بنى تميم، وكانا من الأزارقة. قال:

إِنِّى هَزَيْتُ مِنْ أُمِّ الْعَمْرِ إِذْ هَزَيْتُ
بَشِيبِ رَأْسِي، وَمَا بِالشَّيْبِ مِنْ عَارٍ
مَا شَقَوَةَ الْمَرْءِ بِالِإِقْتَارِ يُقْتَرُهُ
وَلَا سَعَادَتُهُ يَوْمًا بِإِكْثَارِ (١)
إِنَّ الشَّقِيَّ الَّذِي فِي النَّارِ مَنْزِلُهُ
وَالْفَوْزُ فَوْزُ الَّذِي يَنْجُو مِنَ النَّارِ

(١) زيادات ر: «يقتره، الهاء تعود على الإقتار».

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ أَمْرٍ يُزِينُ لِي لَوْمَ الْعَشِيرَةِ أَوْ يُدْنِي مِنَ الْعَارِ
وَحَيْرٍ دُنْيَا يُنْسِي شَرَّ آخِرَةٍ وَسَوْفَ يُنْبِئُنِي الْجَبَّارُ أَخْبَارِي
ثم يتفقان بعد في الرواية، وكان ربما أنشدنا: «إِنِّي هَزَأْتُ مِنْ أُمِّ الْغَمْرِ».

[لأعرابي من بني الحارث بن كعب]

قال أبو العباس: وقال أعرابي من بني الحارث بن كعب:

رَمِيتُ لِسَلَمَى بَوَّ ضَيْمٍ وَإِنِّي قَدِيمًا لِأَبِي الضَّيْمِ وَابْنُ أَبَاةٍ
فَقَدْ وَقَفْتَنِي بَيْنَ شَكٍّ وَشُبْهَةٍ وَمَا كُنْتُ وَقَافًا عَلَى الشُّبُهَاتِ
فِيَا بَعْلُ سَلَمَى كَمْ وَكَمْ بِأَذَاتِهَا عَدَمْتُكَ مِنْ بَعْلٍ تُطِيلُ أَذَاتِي
بِنَفْسِي حَبِيبٌ حَالٌ بِأَبُكَ دُونَهُ تَقَطَّعَ نَفْسِي دُونَهُ حَسَرَاتِ
وَوَاللَّهِ لَوْلَا أَنْ تُسَاءَ لِرُعْتِهِ بِمَا لَيْسَ بِالْمَأْمُونِ مِنْ فَتَكَاتِي

قوله: «رَمِيتُ لِسَلَمَى بَوَّ ضَيْمٍ» فإنما هذا مثلٌ، وأصله أن الناقة إذا أَلْقَتْ سَقَبَهَا فَخِيفَ انْقِطَاعَ لَبْنِهَا أَخَذُوا جِلْدَ حُورٍ (١) فَحَشَوْهُ تَبْنًا، وَلَطَخُوهُ بِشَيْءٍ مِنْ سَلَاهَا، ثُمَّ حَشَوْا أَنْفَهَا بِخَرْقَةٍ، فَتَجِدَ لَذَلِكَ كَرْبًا، وَيُقَالُ لِلْخَرْقَةِ الَّتِي تُجْعَلُ فِي أَنْفِهَا: الْغِمَامَةُ، ثُمَّ تُسَلُّ تِلْكَ الْخَرْقَةُ مِنْ أَنْفِهَا فَتَجِدُ رَوْحًا، وَتَرَى ذَلِكَ الْبَوَّ تَحْتَهَا، وَهُوَ جِلْدُ الْحُورِ الْمَحْشُوءُ فَتَرَاهُ، فَإِنْ دَرَّتْ عَلَيْهِ قِيلَ: نَاقَةٌ دُرُورٌ، وَتَرَاهُ تَشْمُهُ، وَيُقَالُ فِي هَذَا الْمَعْنَى: نَاقَةٌ ظُتُورٌ، فَيَنْتَفِعُ بِلَبْنِهَا، وَيُقَالُ: نَاقَةٌ رَائِمٌ وَرُومٌ إِذَا كَانَتْ تَرَامُ وَلَدَهَا أَوْ بَوَّهَا، فَإِنْ رَمِمَتْ وَلَمْ تَدَّرْ عَلَيْهِ فَتِلْكَ الْعُلُوقُ، وَلَا خَيْرَ عِنْدَهَا.

وأنشدونا عن أبي عمرو - وكان يقرأ: «ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوءَى» (٢) على «فعلَى» (٣):

(١) الحوار: ولد الناقة من حين تضعه إلى أن ينظم.

(٢) الروم: ١٠.

(٣) زيادات ر: «لأفنون التغلبي»، والبيتان في أمالي القالي: ٢ - ٥١، وشواهد المغني للسيوطي ٥٤.

أَنَّى جَزَوْا عَامِرًا سَوَى بِفِعْلِهِمْ أَمْ كَيْفَ يَجْزُونَنِي السَّوَى مِنَ الْحَسَنِ
 أَمْ كَيْفَ يَنْفَعُ مَا تُعْطَى الْعُلُوقُ بِهِ رِثْمَانُ أَنْفٍ إِذَا مَا ضُنَّ بِاللَّبَنِ (١)
 فقولوه: «رثمتُ لسلمى بَوَّ ضيم»، أى أقمْتُ لها على الضَّيم، ويقال: فلان
 رءومٌ للضَّيم، إذا كان ذليلاً راضياً بالخسْفِ.

[لُحْدُ الْأَعْرَابِ]

وقال أعرابى - أحسبه تميمياً:

وَدَاهِيَةٌ دَاهَى بِهَا الْقَوْمَ مُفْلَقٌ شَدِيدٌ بِعُورَانِ الْكَلَامِ أَزُومُهَا
 أَصْخَتْ لَهَا حَتَّى إِذَا مَا وَعَيْتُهَا رَمَيْتُ بِأُخْرَى يَسْتَدِيرُ أَمِيمُهَا
 تَرَى الْقَوْمَ مِنْهَا مُطَرِّقِينَ كَأَنَّمَا تَسَاقَوْا عَقَارًا لَا يَبْلُ سَلِيمُهَا
 فَلَمْ تَلْقَنِ فَهَّا، وَلَمْ تَلَقْ حُجَّتِي مُلْجَلَجَةً أَبْغَى لَهَا مَنْ يُقِيمُهَا

قوله: «وداهية» يعنى حُجَّةٌ داهى بها القوم. مُفْلَقٌ: يريد عَجِيبةً، والفلقُ:
 اسم من أسماء الدواهي، ويقال: فُلِقَ فى هذا المعنى، ويقال: داهية فُلِقَ، وجاء
 القوم بالفَلِقِ، وهذا مشهور كثير فى الكلام، ومنه قول خَلْفِ الْأَحْمَرِ:

* مَوْتُ الْإِمَامِ فَلَقَةٌ مِنَ الْفَلَقِ *

وَأُنْشَدَنِي مُنْشَدٌ:

إِذَا عَرَضَتْ دَوِيَّةٌ مُدُّ لَهَا مَهْمَةٌ (٢) وَغَرَّدَ حَادِيهَا عَمِلَنَ بَنًا فَلَقًا (٣)

بفتح الفاء.

(١) فى حاشية الأصل: «قال ثعلب: اجتمع الكسائى والأصمعى بحضرة الرشيد، وكانا ملازمين له، يرحلان
 برحله ويقيمان بإقامته، فأنشد الكسائى: «أنى جزوا عامراً... البيتين» فقال الأصمعى: إنما هو
 «رثمان» بالنصب، فقال له الكسائى: اسكت! ما أنت! وهذا! يجوز فيه الرفع والنصب والخفض، أما
 الرفع فعلى الرد على «ما» لأنها فى موضع رفع بـ «ينفع»، والنصب بـ «تعطى»، والخفض على الرد
 على الهاء فى «به». قال ثعلب: فسكت الأصمعى». وانظر المعنى ٤١:١.
 وفى أمالى القالى: «العلوق: التى ترام بأنفسها وتمنع درها، يقول: فأنتم تحسنون القول ولا تعطون شيئاً
 فكيف ينفعنى ذلك!». .

(٢) شطر هذا البيت لم يذكر فى س، وفى ر بين علامتى الزيادة، ورواه: «داوية».

(٣) عرض: تعرض. وغرد حاديها: طرب فى حدائه. والبيت فى إصلاح المنطق لابن السكيت ٣٢، ٢٦٤،
 وروايته فيه: «فريين بها فلقا». وقال فى شرحه: «أى عملن بها داهية من شدة سيرهن. والفلق:
 القضب يشق فيعمل منه قوسان، ويقال لكل واحدة فلق». وهو أيضاً فى اللسان (فلق).

وقوله: «شديدُ بُعُورانِ الكلامِ»، العُوراءُ هي القبيحة، قال حاتم بن عبد الله الطائي:

وعوراءَ قدْ أعرضتُ عنها فلمْ تضرْ وذى أودٍ قومتهُ فتقومَا
وأزومُها: إمساكُها^(١)، يقال: أزمَ به إذا عَضَّ به فأمسكه بين ثنيتيه. وفي الحديث أن أبا بكر رحمه الله قال في يوم أحد: فنظرتُ إلى حلقة من درع قد نَشِبتُ في جبينِ رسولِ الله ﷺ، فأنكبتُ لأنزعها فأقسم على أبو عبيدة، فأزمَ بها أبو عبيدة بثنيتيه، فجذبها جذبًا رقيقًا، فانتزعها، وسقطت، ثم نظرتُ إلى أخرى فأردتها فأقسم على أبو عبيدة، ففعل فيها ما فعل في الأولى، وكان مُشفقًا من تحريكها لئلا يؤذى بذلك رسول الله ﷺ، فكان أبو عبيدة أهتم.

وقوله: «فأزمَ بها»، يقال: أزمَ يَأزمُ، وأزمَ يَأزمُ.

وقوله: «أصحتُ لها»: يقول استمعتُ لها، قال العبدى^(٢):

يُصِيخُ لِلنَّبَاةِ أَسْمَاعُهُ إِصَاخَةَ النَّاشِدِ لِلْمُنْشِدِ
والإصاخة: الاستماع، والناشد: الطالب، والمنشد: المَعْرِفُ، يقال نَشَدْتُ الضالة إذا طلبتها، وأَنَشَدْتُها: إذا عَرَفْتُها. والنَّبَاةُ: الصوت، قال ذو الرمة:
وقَدْ تَوَجَّسَ رِكَزًا مُقْفَرٌ نَدَسٌ بِنَبَاةِ الصَّوْتِ مَا فِي سَمْعِهِ كَذِبٌ^(٣)
وقوله: «حتى إذا ما وعيتها»، يقول: جَمَعْتُها في سَمْعِي، يقال: وعيتُ العلمَ، وأوعيتُ المتاعَ في الوعاء، قال الله عز وجل: ﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَى﴾^(٤)، وقال الشاعر^(٥):

الْخَيْرُ يَبْقَى وَإِنْ طَالَ الزَّمَانُ بِهِ وَالشَّرُّ أَخْبَثُ مَا أَوْعَيْتَ مِنْ زَادٍ

وقوله:

* رَمَيْتُ بِأُخْرَى يَسْتَدِيرُ أَمِيمُهَا *

(١) قال المرصفي: «أخطأ أبو العباس في تفسير الوصف بالمصدر والصواب: مسكها».

(٢) زيادات ر: «وهو المثقب».

(٣) توجس: تسمع. والركز: الصوت الخفى. مقفر: أخو قفرة. والندس: السريع الاستماع للصوت الخفى، يصف الصائد.

(٤) المعارج ١٨.

(٥) زيادات ر: (هو عبيد بن الأبرص).

يريد يستدير، من الدُّوار، ويقال فى هذا المعنى: يستديم، ومنه سميت الدُّوامة^(١)، وفى الحديث: «كُرِهَ البول فى الماء الدائم»؛ لأنه كالمستدير فى موضعه، قال جرير:

عَوَى الشُّعْرَاءُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَلَى فَقْدِ أَصَابَهُمْ انْتِقَامُ
إِذَا أُرْسِلَتْ صَاعِقَةٌ عَلَيْهِمْ رَأَوْا أُخْرَى تَحَرَّقُ فَاسْتَدَامُوا^(٢)

وقوله: «أميمها» يريد المأموم بها، ويقال: أميمٌ ومأموم، كقولك: قَتِيلٌ ومقتولٌ، ومَجْرُوحٌ وجريحٌ، ويقال: للشَّجَّةِ التى قد وَصَلَتْ إلى أُمِّ الدِّمَاغِ - وأُمُّ الدِّمَاغِ جُلْدَةٌ رَقِيقَةٌ تُحِيطُ بِالدِّمَاغِ - فإذا وَصَلَ إلى تلك فَالشَّجَّةُ أَمَةٌ ومأمومة، قال الشاعر:

يَحْجُجُ مَأْمُومَةٌ فِى قَعْرِهَا لَجَفٌ فَاسْتُ الطَّيِّبِ قَذَاهَا كَالْمَغَارِيدِ^(٣)
المغاريد: صغار الكُمَّاة.

وقوله: «فى قعرها لجف»، أى تَقَلَّعَ، يقال: تَلَجَّفَتِ البُتْرُ، إذا انقلع طُيْهَا من أسفلها، وَلَجَفَ الْقَوْمُ مَكْيَالَهُمْ، إذا وَسَّعَوْهُ من أسفلهِ.

وقوله: «تَسَاقَوْا عُقَارًا» يريد: كأنهم سُكَارَى لما نالهم من تلك الحُجَّةِ. وَالْعُقَارُ: اسم من أسماء الخمر، وإنما سميت عُقَارًا لِمُعَاقَرَتِهَا الدَّنَّ. وقوله: «ما يَبِلُّ» يقال: بَلَّ وَأَبَلَّ من مرضه، وكذلك اسْتَبَلَّ.

وَالسَّلِيمُ الْمَلْسُوعُ، وقيل له سَلِيمٌ على جهة التَّفَاؤُلِ، كما يقال لِلْمَهْلِكَةِ مَقَازَةٌ، وَلِلْغُرَابِ: الْأَعُورُ على الطَّيْرَةِ منه لَصِيحَةٌ بَصْرِهِ.

وقوله: «فلم تلفنى فها» يقول: ضَعِيفًا، يقال: فَهَ فُلَانٌ عَنْ حُجَّتِهِ إذا ضَعُفَ عنها، ويقال: رَجُلٌ مُفْهَةٌ إذا كان عاجزًا.

وقوله: «مُلَجَّلَجَةٌ»، وهو أَنْ يُرَدِّدَهَا فى فيه، وقد مضى تفسيره.

(١) الدوامة: فلكة يرميها الصبى بخيط فتدور.

(٢) استداموا: أخذهم الدوام، وهو الدور.

(٣) البيت فى اللسان (غرد) ونسبه المرفضى إلى غدار بن دارة السنائى.

[لأبى مخزوم النهشلى يفخر بقومه]

وقال رجل يُكنى أبا مخزوم، من بنى نهشل بن دارم^(١):

إنا بنى نهشل لا ندعى لأب
 إن تبدر غايه يومًا لمكرمة
 وليس يهلك منا سيد أبدًا
 إني لمن معشر أفنى أوائلهم
 لو كان فى الألف منا واحد فدعوا:
 ولا ترأهم وإن جلت رزيتهم
 إنا لنرخص يوم الروع أنفسنا
 إذا الكمأة تنحوا أن ينالهم
 فرض على مكثرينا نيل بذلهم
 إني ومن كأبى يحيى وعترته
 عنه، ولا هو بالأبناء يشرينا
 تلق السوابق منا والمصلينا
 إلا افتلينا غلامًا سيدًا فينا
 قيل الكمأة: إلا أين المحامونا؟
 من فارس؟ خالهم إياه يعنونا
 مع البكاة على من مات يئكونا
 ولو نسأ بها فى الأمن أغلينا
 حد الأطباء وصلناها بأيدينا
 والجود والبذل فى طبع المقلينا
 لا فخر إلا لنا أم من يوازينا

قوله: «إنا بنى نهشل»، يعنى نهشل بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك ابن زيد مئة بن تميم، ومن قال: «إنا بنو نهشل»، فقد خبرك، وجعل «بنو» خبر «إن»، ومن قال: «بنى»، إنما جعل الخبر

إن تبدر غايه يومًا لمكرمة
 تلق السوابق منا والمصلينا
 ونصب «بنى» على فعل مضمر للاختصاص، وهذا أمدح ومثله:

* نحن بنى ضبة أصحاب الجمل^(٢) *

(١) زيادات ر: «هو بشامة بن حزن النهشلى». والأبيات أوردها أبو تمام منسوبة إلى بعض بنى قيس بن ثعلبة، مع اختلاف فى الرواية وترتيب الأبيات وعددها، وانظر الحماسة ١: ٩٧ - بشرح التبريزى.

(٢) من رجز رواه ابن جرير الطبرى لعمرو بن يثربى الضبى قاله فى وقعة الجمل، وبعده:

ننزل بالموت إذا الموت نزل
 القتل أحلى عندنا من العسل
 نئى ابن عفان بأطراف الأسل
 ردوا علينا شيخنا ثم بجل
 وانظر تاريخ الطبرى، وحوادث ٣٦.

أراد نحن أصحاب الجمل، ثم أبان مَنْ يَخْتَصُّ بهذا، فقال: أعنى بنى ضبة. وقرأ عيسى بن عمر: ﴿وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ (١) أراد وامرأته. ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ ثم عرّفها بحمالة الحطب، وقوله: ﴿وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ﴾ بعد قوله: ﴿لَكِنَّ الرَّاْسَخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ (٢) إنما هو على هذا، وهو أبلغ في التعريف، وسنشرحه على حقيقة الشرح في موضعه إن شاء الله.

وأكثر العرب يُشَدُّ (٣):

إِنَّا بَنِي مَنَقَرٍ قَوْمٌ ذُو حَسَبٍ فِينَا سَرَاةٌ بَنِي سَعْدٍ وَنَادِيهَا

وقرأ بعض القراء: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ﴾ (٤).

وقوله: «يشرينا» يريد يبيعنا، يقال: شراه يشريه إذا باعه، فهذه المعروفة، قال الله عز وجل: ﴿وَشَرُّهُ بَثْمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمٍ﴾ (٥). وقال ابن مفرغ الحميري:

شَرَيْتُ بُرْدًا وَلَوْلَا مَا تَكَنَّفَنِي مِنْ الْحَوَادِثِ مَا فَارَقْتُهُ أَبَدًا (٦)

ويكون «شريت» في معنى اشتريت، وهو من الأضداد، وأنشدني التوزي:

أَشْرُوا لَهَا خَاتِنًا وَأَبْغُوا لِحَنَّتِهَا (٧) مَوَاسِيًا أَرْبَعًا فِيهِنَّ تَذْكِيرٌ (٨)

وقوله:

* تَلَقَّ السَّوَابِقَ مِنَّا وَالْمَصْلِيَّنَا *

فالمصلي الذي في إثر السابق وإنما سمي مصليًا؛ لأنه مع صلوَي السابق، وهما عرقان في الردف، قال الشاعر:

تَرَكْتُ الرُّمَحَ يَعْمَلُ فِي صَلَاةٍ كَأَنَّ سِنَانَهُ خُرْطُومُ نَسِيرٍ

(١) سورة المسد ٤ ، ٥ .

(٢) سورة النساء ١٦٢ .

(٣) زيادات ر: هو (لعمرو بن الأهتم المنقري). وانظر...

(٤) سورة المؤمنون ١٤ .

(٥) سورة يوسف ٢٠ .

(٦) بعده في س وزيادات ر:

يَا بُرْدُ مَا مَسَّنَا دَهْرٌ أَضَرَّ بَنَّا مِنْ قَبْلِ هَذَا، وَلَا بَعْنَا لَهُ وَلَدًا

(٧) كذا في الأصل. وفي ر: «لختنتها»، وهي المرة من الخنت. وفي الزيادات: «كان ابن جابر يروى:

«لختنتها» [بضم الحاء وتاءين]، ويقول: الخنت: «العقل». والعقل: لحم نبت في قبل المرأة.

(٨) تذكير: صلاية وحدة.

وقوله:

* إِلَّا أَفْطَلَيْنَا غَلَامًا سَيِّدًا فِينَا *

مأخوذ من قولهم: فَلَوْتُ الْفُلُوءَ^(١) يَا فَتَى، إِذَا أَخَذْتَهُ عَنْ أُمِّهِ، قَالَ الْأَعَشَى:

مُلْمِعٍ لَاعَةِ الْفُؤَادِ إِلَى جَحْشٍ فَلَاهُ عَنْهَا، فَبُئْسَ الْفَالَى^(٢).
وأخذ هذا المعنى من قول أَبِي الطَّمَحَانِ الْقِنِّي:

* إِذَا مَاتَ مِنْهُمْ سَيِّدٌ قَامَ صَاحِبُهُ *

وقوله:

لَوْ كَانَ فِي الْأَلْفِ مِنَّا وَاحِدٌ فَدَعَوْا: مَنْ فَارَسٌ؟ خَالَهُمْ إِيَّاهُ يَعْنُونَا

مأخوذ من قول طَرْفَةَ:

إِذَا الْقَوْمُ قَالُوا: مَنْ فَتَى؟ خِلْتُ أَنَّنِي عُنَيْتُ، فَلَمْ أَكْسَلْ وَلَمْ أَتَبَلَّدِ

ومن قول مُتَمِّمِ بْنِ نُؤَيْرَةَ:

إِذَا الْقَوْمُ قَالُوا: مَنْ فَتَى لِعَظِيمَةٍ فَمَا كُلُّهُمْ يُدْعَى، وَلَكِنَّهُ الْفَتَى

وقوله: «حَدُّ الظُّبَاتِ» فالظُّبَةُ الْحَدُّ بَعِينُهُ، يُقَالُ: أَصَابَتْهُ ظُبَّةُ السَّيْفِ، وَظُبَّةُ

النَّصْلِ، وَجَمَعَهُ ظُبَاتٌ. وَأَرَادَ بِالظُّبَةِ هَاهُنَا مَوْضِعَ الْمَضْرِبِ مِنَ السَّيْفِ. وَأَخَذَ

هذا المعنى من قول كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ:

نَصِلُ السُّيُوفِ إِذَا قَصُرْنَ بِخَطُونَا قُدُّمًا، وَنَلْحِقُهَا إِذَا لَمْ تَلْحَقِ

وقوله:

* إِنَّا لَنُرْخِصُ يَوْمَ الرُّوعِ أَنْفُسَنَا *

(١) الفلؤ: المهر.

(٢) البيت في وصف الناقة، ملمع: في ضرعها لمع سود. واللاعة: المتلعة. والفالى: الطارد.

أخذه من قول الهمدانيّ - وهو الأجدع (١) - أبو مسروق بن الأجدع الفقيه:

لَقَدْ عَلِمْتَ نِسْوَانَ هَمْدَانَ أَنَّنِي لَهْنٌ غَدَاةَ الرَّوْعِ غَيْرُ خَذُولٍ
وَأَبْذُلُ فِي الْهَيْجَاءِ وَجْهِي وَإِنَّنِي لَهُ فِي سِوَى الْهَيْجَاءِ غَيْرُ بَذُولٍ
وَمِنَ الْقَتَالِ الْكِلَابِيُّ حَيْثُ يَقُولُ:

أَنَا ابْنُ الْأَكْرَمِينَ بَنِي قُشَيْرٍ وَأَخْوَالِي الْكِرَامُ بَنُو كِلَابٍ
نُعْرَضُ لِلطَّعَانِ إِذَا التَّقِينَا وَجُوهًا لَا تُعْرَضُ لِلْسَّبَابِ

(١) هو الأجدع بن مالك بن أمية الوداعي، من بني نوف بن حمدان. فارس شاعر، أدرك الإسلام، وبقي إلى زمن عمر بن الخطاب. (المؤتلف والمختلف للآمدى ٤٩).

باب

[من كلام عمر بن عبد العزيز]

قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله: ثلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ فَقَدْ كَمَلَ: مَنْ لَمْ يُخْرِجْهُ غَضَبُهُ^(١) عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ، وَلَمْ يَسْتَنْزِلْهُ رِضَاهُ إِلَى مَعْصِيَةِ اللَّهِ، وَإِذَا قَدَّرَ عَفَا وَكَفَّ.

[من كلام الحسن البصري]

قال الحسن: نِعِمَّ اللَّهُ أَكْثَرُ مَنْ أَنْ تُشْكَرَ إِلَّا مَا أَعَانَ عَلَيْهِ، وَذُنُوبُ ابْنِ آدَمَ أَكْثَرُ مَنْ أَنْ يَسْلَمَ مِنْهَا إِلَّا مَا عَفَا اللَّهُ عَنْهُ.

[كلام عمر بن ذر حينما دخل على ابنه وهو يجود بنفسه]

وقال عمر بن ذر^(٢) - ودخل على ابنه وهو يجود بنفسه، فقال: يَا بُنَيَّ، إِنَّهُ مَا عَلَيْنَا مِنْ مَوْتِكَ غُضَاظَةٌ، وَلَا بَنَا إِلَى أَحَدٍ سِوَى اللَّهِ حَاجَةٌ. فَلَمَّا قَضَى وَصَلَّى عَلَيْهِ وَوَارَاهُ وَقَفَ عَلَى قَبْرِهِ، فَقَالَ:

يَا ذَرُّ، إِنَّهُ قَدْ شَغَلَنَا الْحُزْنُ لَكَ عَنِ الْحُزْنِ عَلَيْكَ؛ لَأَنَّا لَا نَدْرِي مَا قُلْتَ وَلَا مَا قِيلَ لَكَ، االلَّهُمَّ إِنِّي قَدْ وَهَبْتُ لَهُ مَا قَصَّرَ فِيهِ مِمَّا افْتَرَضْتَ عَلَيْهِ مِنْ حَقِّي، فَهَبْ لَهُ مَا قَصَّرَ فِيهِ مِنْ حَقِّكَ، وَاجْعَلْ ثَوَابِي عَلَيْهِ لَهُ، وَزِدْنِي مِنْ فَضْلِكَ، إِنِّي إِلَيْكَ مِنَ الرَّاعِبِينَ.

وَسُئِلَ: مَا بَلَغَ مِنْ بَرِّهِ بِكَ؟ فَقَالَ: مَا مَشَى مَعِيَ بِنَهَارٍ قَطُّ إِلَّا قَدَّمَنِي، وَلَا لَيْلٍ إِلَّا تَقَدَّمَنِي، وَلَا رَقِيَ سَطْحًا وَأَنَا تَحْتَهُ.

[جواب أبي دلالة حينما سأله المنصور عما أعده ليوم القيامة]

وماتت بنت عمّ للمنصور، فَحَضَرَ جَنَازَتَهَا، وَجَلَسَ لِدَفْنِهَا، وَأَقْبَلَ أَبُو دُلَامَةَ الشَّاعِرُ، فَقَالَ لَهُ الْمَنْصُورُ: وَيْحَكَ! مَا أَعَدَدْتَ لِهَذَا الْيَوْمِ؟ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، ابْنَةُ عَمِّكَ هَذِهِ الَّتِي وَارَيْتَهَا قَبِيلُ! قَالَ: فَضَحِكَ الْمَنْصُورُ حَتَّى اسْتَغْرَبَ^(٣).

(١) ر: «من».

(٢) هو عمر بن ذر بن عبد الله الهمداني، من أقران أبي حنيفة وابن عيينة، وكان رأساً في الإرجاء، توفي سنة ٥٠. (تهذيب التهذيب ٧: ٤٤٥).

(٣) استغرب في الضحك: أكثر منه.

[الفرزدق في سجن مالك بن المنذر بن الجارود]

ودخل لَبْطَةُ بن الفرزدق على أبيه وهو محبوس في سجن مالك بن المنذر ابن الجارود^(١)، ومالك عاملٌ على البصرة لخالد بن عبد الله القسري، فقال: يا أبت، هذا عمر بن يزيد الأسدي، ضربَ ألفَ سَوَوطٍ فماتَ فَشُدَّ على حمار، فقال الفرزدق: كأنك والله يا بُنيَّ بمثل هذا الحديث قد تُحدثُ به عن أبيك - والحسن^(٢) إذ ذاك عند محبوس له - فقال: يا أبا فراس: ما عندك إن كان ذلك؟ فقال: والله يا أبا سعيد، لله أحبُّ إليَّ من سمعي وبصري، ومن مالى وولدى، ومن أهلى وعشيرتى، أَفْتَرَاهُ يَخْذُلْنِي! فقال الحسن: لا.

[الفرزدق حين قتل عمر بن يزيد الأسدي]

وكان عمر بن يزيد الأسدي شقيقاً، حدثني التَّوَزِيُّ عن أبي عبيدة قال: كان رجلٌ أهلُ البصرة عمر بن يزيد الأسدي، ورجلٌ أهل الشام عمر بن هُبيرة الفزاري، ورجلٌ أهل الكوفة بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري، فقبل ذلك لعمر بن عبد العزيز، فقال: أجل، لولا خب^(٣) في بلال، فقال بلالٌ لَمَّا بلغه ذلك: «رَمَتْنِي بدائها وانسلت» وقتله مالك^(٤) بن المنذر تعصباً فيما تذكره المضريَّة. فلما دُخِلَ بمالك على هشام أقبلَ على أصحابه، فقال: أما رأيتم عمر بن يزيد؟ أما إنى ما تمنيتُ أن تكون أُمى ولدتُ رجلاً من العرب غيره. ثم قال لمالك: قَتَلْتَ والله خيراً منك حسباً، ونسباً، وریشاً^(٥)، وعقباً! فقال: وكيف يا أمير المؤمنين! أَلَسْتُ ابنَ المنذر بن الجارود، وابنَ مالك بن مسمع! - وكان جدُّ أبا أمه - وجعل عمر والسيَّاطُ تأخذه ينادى: يا هشاماه! ففى ذلك يقول الفرزدق:

أَلَمْ يَكْ مَقْتُلُ الْعَبْدِيِّ ظُلْمًا أَبَا حَفْصٍ مِنَ الْكُبَرِ الْعِظَامِ
قَتِيلُ جَمَاعَةٍ فِي غَيْرِ حَقٍّ يَقْطَعُ وَهُوَ يَدْعُو: يَا هِشَام!

(١) حاشية الأصل: «كان السبب في سجن الفرزدق أنه كان قد هجا خالد بن عبد الله القسري، فكتب خالد إلى مالك بن المنذر يأمره بحبسه، فأمر مالك أبووب بن عيسى الضبي فأتاه به، فأمر به إلى السجن، ففى ذلك يقول الفرزدق يهجو أبووب بن عيسى:

فَلَوْ كُنْتُ قَيْسِيًّا إِذَا مَا حَبَسْتَنِي وَلَكِنْ زَنْجِيًّا غَلِيظًا مَشَاغِرُهُ
مَتَّ لَه بِالرَّحْمِ بَيْنِي وَبَيْنَهُ فَأَلْفَيْتُهُ مَتَّى بَعِيدًا وَأَوَّاصِرُهُ

(٢) هو الحسن البصري.

(٣) الخب: الخداع والمكر.

(٤) أى قتل مالك عمر بن يزيد الأسدي.

(٥) الریش: اللباس والزينة. وفى ر، س: «ودينا».

[لقاء الحسن البصري والفرزدق في جنازة]

وَأَلْتَقَى الْحَسَنُ وَالْفَرَزْدَقُ فِي جَنَازَةٍ، فَقَالَ الْفَرَزْدَقُ لِلْحَسَنِ: أَتَدْرِي مَا يَقُولُ النَّاسُ يَا أَبَا سَعِيدٍ؟ قَالَ: وَمَا يَقُولُونَ؟ قَالَ: يَقُولُونَ: اجْتَمَعَ فِي هَذِهِ الْجَنَازَةِ خَيْرُ النَّاسِ وَشَرُّ النَّاسِ! فَقَالَ الْحَسَنُ: كَلَّا، لَسْتُ بِخَيْرِهِمْ، وَلَسْتُ بِشَرِّهِمْ، وَلَكِنْ مَا أَعَدَدْتُ لِهَذَا الْيَوْمِ؟ فَقَالَ: شَهَادَةٌ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مَذً^(١) سِتُّونَ سَنَةً، وَخَمْسَ نَجَائِبَ لَا يُدْرِكُنَّ - يَعْنِي الصَّلَوَاتُ الْخَمْسَ - فَيَزِعَمُ بَعْضُ التَّمِيمَةِ أَنَّ الْفَرَزْدَقَ رَأَى فِي النَّوْمِ، فَقِيلَ لَهُ: مَا صَنَعَ بِكَ رَبُّكَ؟ فَقَالَ: غَفَرَ لِي. فَقِيلَ لَهُ: بِأَيِّ شَيْءٍ؟ فَقَالَ: بِالْكَلِمَةِ الَّتِي نَازَعَنِي فِيهَا الْحَسَنُ.

[الفرزدق وأولاد بني تميم]

وَحَدَّثَنِي الْعَبَّاسُ بْنُ الْفَرَجِ فِي إِسْنَادٍ لَهُ ذَكَرَهُ قَالَ: كَانَ الْفَرَزْدَقُ يَخْرُجُ مِنْ مَنْزِلِهِ فَيُرَى بَنِي تَمِيمٍ وَالْمَصَاحِفَ فِي حُجُورِهِمْ، فَيَسُرُّ بِذَلِكَ وَيَجْدُلُ بِهِ، وَيَقُولُ: إِيهِ فِدَى لَكُمْ أَبِي وَأُمِّي! كَذَا وَاللَّهِ كَانَ آبَاؤُكُمْ.

[قَالَ أَبُو الْحَسَنِ: إِنَّمَا هُوَ فِدَاءٌ لَكُمْ، لَكِنَّهُ قَصَرَ الْمَمْدُودُ عَلَى هَذِهِ الرِّوَايَةِ].

[الفرزدق وأبو هريرة الدؤسي]

وَنَظَرَ إِلَيْهِ أَبُو هُرَيْرَةَ الدَّؤْسِيُّ، فَقَالَ [لَهُ] (٢): مَهْمَا فَعَلْتَ فَقَنَطَكَ النَّاسُ، فَلَا تَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، ثُمَّ نَظَرَ إِلَى قَدَمَيْهِ فَقَالَ: إِنِّي أَرَى لَكَ قَدَمَيْنِ لَطِيفَتَيْنِ، فَابْتَغِ لِهَمَّا مَوْقِعًا صَالِحًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

يُقَالُ: قَطَطَ يَقْنَطُ، وَقَنَطَ يَقْنَطُ، وَكِلَاهُمَا فَصِيحٌ، فَاقْرَأْ بِأَيُّهِمَا شِئْتَ، وَكَذَلِكَ نَقِمَ يَنْقِمُ، وَنَقَمَ يَنْقِمُ.

(١) ر: «منذ».

(٢) من ر، س.

[قول الفرزدق، حينما تعلق، بإستار الكعبة]

والفرزدق يقول فى آخر عُمرِهِ حين تَعَلَّقَ بِإِسْتَارِ الكعبة، وعاهدَ اللهُ أَلَّا
يَكْذِبَ، ولا يَشْتِمَ مُسْلِمًا:

أَلَمْ تَرِنِى عَاهَدْتُ رَبِّى وَإِنِّى لَبَّيْنَ رِتَاجٍ قَائِمًا وَمَقَامٍ
عَلَى حَلْفَةٍ لَا أَشْتِمُ الدَّهْرَ مُسْلِمًا ولا خَارِجًا مِنْ فِى زُورٍ كَلَامٍ
وفى هذا الشعر:

أَطَعْتُكَ يَا إِبْلِيسُ تَسْعِينِ حِجَّةً فَلَمَّا انْقَضَى عُمْرِى وَتَمَّ تَمَامِى
رَجَعْتُ إِلَى رَبِّى وَأَيَقَنْتُ أَنِّى مُلَاقٍ لَأَيَّامِ الْمُتُونِ حِمَامِى

قوله: «لَبَّيْنَ رِتَاجٍ»، فالرِتَاجُ غَلَقُ الباب، ويقال: باب مُرْتَجٍ، أى مُعَلَّقٌ،
ويقال: أُرْتِجَ عَلَى فلان، أى أُغْلِقَ عَلَيْهِ الكلامُ، وقولُ العامة: «ارْتِجْ عَلَيْهِ»، ليس
بشيء، إلا أن التَّوَزَّى حدثنى عن أبى عُبَيْدَةَ، قال: يقال: أُرْتِجَ عَلَيْهِ، ومعناه وَقَعَ
فِى رَجَّةٍ، أى فى اخْتِلَاطٍ، وهذا معنى بعيد جدًا.

وقوله: «ولا خَارِجًا» إنما وَضَعَ اسمَ الفاعِلِ فى موضعِ المصدر، أراد: لا
أَشْتِمُ الدَّهْرَ مُسْلِمًا، ولا يَخْرُجُ خُرُوجًا مِنْ فِى زُورٍ كَلَامٍ، لأنه على ذَا أَقْسَمَ،
والمصدر يقع فى موضعِ اسمِ الفاعِلِ، يقال: ماءٌ غَوْرٌ، أى غائرٌ، كما قال اللهُ
عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا﴾^(١)، ويقال: رجلٌ عَدَلٌ، أى عادلٌ، ويومٌ
غَمٌّ، أى غامٌّ، وهذا كثيرٌ جدًا، فعلى هذا جاء المصدر على فاعِلٍ، كما جاء اسمُ
الفاعل على المصدر، يقال: قُمْ قائمًا، فيوضع فى موضعِ قولك: قُمْ قِيَامًا، وجاء
من المصدر على لفظ «فاعلٍ» حروفٌ منها: فَلَاحَ، فَالَجَا، وَعُوفَى عَافِيَةً، وَأَحْرَفُ
سوى ذلك يسيرة. وجاء على «مفعولٍ»، نحو رجلٍ ليس له مَعْقُولٌ، وخُذْ
مَيْسُورَهُ، ودَعْ مَعْسُورَهُ، لدخولِ المفعول على المصدر، يقال: رجلٌ رَضًا، أى
مَرْضِيٌّ، وهذا درهمٌ ضَرَبَ الأَمِيرُ، أى مَضْرُوبٌ، وهذه دراهمٌ وزن سَبْعَةٍ، أى
مُوزَوْنَةٌ. وكان عيسى بن عمر يقول: إنما قوله: «لا أَشْتِمُ» حال، فأراد: عَاهَدْتُ
رَبِّى فى هذه الحال وأنا غير شاتِمٍ ولا خَارِجٍ مِنْ فِى زُورٍ كَلَامٍ، ولم يَذْكُرْ الذى
عاهدَ عليه.

(١) سورة الملك ٣٠.

وقال الفرزدق في أيام نسكه :

أَخَافُ وَرَاءَ الْقَبْرِ إِنْ لَمْ يُعَافِنِي أَشَدَّ مِنَ الْقَبْرِ التَّهَابًا وَأَضِيقًا
إِذَا قَادَنِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَائِدٌ عَنِيفٌ، وَسَوَاقٌ يَسُوقُ الْفَرَزْدَقَا
لَقَدْ خَابَ مِنْ أَوْلَادِ آدَمَ مَنْ مَشَى إِلَى النَّارِ مَغْلُولُ الْقِلَادَةِ أَزْرَقَا (١)
إِذَا شَرَبُوا فِيهَا الْحَمِيمَ رَأَيْتَهُمْ يَذُوبُونَ مِنْ حَرِّ الْحَمِيمِ تَمَزُّقًا

[للفرزدق حين طلق النوار]

وحدثني بعض أصحابنا عن الأصمعيّ عن المُعْتَمِرِ بْنِ سُلَيْمَانَ عَنْ أَبِي مَخْزُومٍ عَنْ أَبِي شَفْقَلٍ رَاوِيَةَ الْفَرَزْدَقِ، قَالَ: قَالَ لِي الْفَرَزْدَقُ يَوْمًا: امض بنا إِلَى حَلَقَةِ الْحَسَنِ، فَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَطْلُقَ النَّوَارَ، فَقُلْتُ: إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكَ أَنْ تَتَّبِعَهَا نَفْسُكَ، وَيَشْهَدَ عَلَيْكَ الْحَسَنُ وَأَصْحَابُهُ، فَقَالَ: امض بنا فَجِئْنَا حَتَّى وَقَفْنَا عَلَى الْحَسَنِ، فَقَالَ: كَيْفَ أَصْبَحْتَ يَا أَبَا سَعِيدٍ، فَقَالَ: بِخَيْرٍ، كَيْفَ أَصْبَحْتَ يَا أَبَا فَرَّاسٍ؟ قَالَ: تَعَلَّمَنْ أَنَّ النَّوَارَ مَنِي طَالِقٌ ثَلَاثًا، فَقَالَ الْحَسَنُ وَأَصْحَابُهُ: قَدْ سَمِعْنَا، قَالَ: فَانْطَلَقْنَا، قَالَ: فَقَالَ لِي الْفَرَزْدَقُ: يَا هَذَا، إِنْ فِي قَلْبِي مِنَ النَّوَارِ شَيْئًا، فَقُلْتُ: قَدْ حَدَرْتُكَ، فَقَالَ:

نَدِمْتُ نَدَامَةً الْكُسْعِيِّ لَمَّا (٢) غَدَتَ مِنِّي مُطَلَّقَةً نَوَارُ (٣)
وَكَاثَتْ جَنَّتِي فَخَرَجْتُ مِنْهَا كَادَمَ حِينَ أَخْرَجَهُ الضَّرَارُ
وَلَوْ أَنِّي مَلَكَتُ يَدِي وَنَفْسِي لَكَانَ عَلَيَّ لِلْقَدَرِ الْخِيَارُ

قال الأصمعيّ: ما روى المعتمر هذا الشعر إلا من أجل هذا البيت.

(١) ر: «موثقاً».

(٢) الكسعيّ: رجل من كسع، حي من اليمن، اسمه غامد بن الحارث، وكان اتخذ قوساً وخمسة أسهم وكنى في طريق قطع، فرمى حماراً منه، فنفذ فيه السهم وصدّم الجبل، فأورى نارا فظن أنه أخطأ، فرمى ثانيا وثالثا إلى آخرها وهو يظن خطأه، فعمد إلى قوسه فكسرها، ثم بات، فلما أصبح نظر فإذا الحمر مطرحة مصرعة، وأسهمه بالدم مضرجة، فندم وقطع إبهامه، وأشد:

نَدِمْتُ نَدَامَةً لَوْ أَنَّ نَفْسِي تَطَاوَعَنِي إِذَا لَقِطَعْتُ خُمُسِي
تَبَيَّنَ لِي سَفَاهُ الرَّأْيِ مِنِّي لَعَمْرُ أَبِيكَ حِينَ كَسَرْتُ قَوْسِي

وانظر مجمع الأمثال (٢: ٢٧٤).

(٣) في زيادات ر بعد هذا البيت:

وَكُنْتُ كِفَاقِي عَيْنِهِ عَمْدًا فَأَصْبَحَ لَا يَضِيءُ لَهُ النَّهَارُ
وَمَا فَارَقْتُهَا شَبَعًا وَلَكِنْ رَأَيْتُ الزَّهْدَ يَأْخُذُ مَا أَعَارُ

باب

[ما قيل في الخمر]

قال لقيط بن زرارة:

شربتُ الخمرَ حتَّى خلتُ أنى
أبو قابوسَ أو عبدُ المدانِ
أمشيتُ في بنى عُدسٍ بنِ زيدٍ
رَخى البَالِ منطلقَ اللسانِ

وحدثني أبو عثمان المازني قال أسر رجلٌ يومَ الحُسَيْنِ بنِ علي رضي الله عنه
فأتى به يزيد بنُ معاوية فقال له: أليس أبوك القائل:

أرجلُ جُمَّتِي وأجرُ ذيلي
وتحملُ شَكَّتِي أفقُ كُميتُ
أمشيتُ في سِرةِ بنى عُطيفٍ
إذا ما سامني ضيمُ أبيتُ

قال: بلى. فأمر به فقتل.

[خبر هانئ بن عروة المرادي مع معاوية]

قال أبو العباس: ونمى إلى أن معاوية ولّى كثير بن شهاب المذحجي خراسانَ
فأختانَ مالا كثيراً، ثم هرب فاستتر عندَ هانئ بن عروة المرادي، فبلغ ذلك
معاوية، فنذرَ دمَ هانئ، فخرج هانئ فكانَ في جوار معاوية، ثم حضرَ مجلسه
ومعاوية لا يعرفه، فلمَّا نهضَ الناسُ ثبتَ مكانه، فسأله معاوية عن أمره، فقال:
أنا هانئ بنُ عروة، فقال: إنَّ هذا اليومَ ليسَ بيومٍ يقول فيه أبوك: أرجلُ
جُمَّتِي... الشعر، فقال له هانئ: أنا اليومَ أعزُّ مني ذلكَ اليومَ، فقال له: بمَ
ذاك؟ فقال: بالإسلام يا أمير المؤمنين، فقال له: أينَ كثيرُ بن شهاب؟ قال: عندي
في عسكري يا أمير المؤمنين. فقال له معاوية: انظره إلى ما اختانه فخذْ منه بعضاً،
وسوِّغه بعضاً.

[نبذ من أقوال الشعراء في الخمر وشاربيها]

وقال أعرابي:

ولقد شربتُ الراحَ حتَّى خلَّتني
قَابوسَ أو عمرو بنَ هندٍ ماثلاً
لمَّا خرجتُ أجرُ فضلِ المنزِرِ
يُجبي له ما دونَ دَارَةِ قَيْصَرِ

وقال آخر:

شَرِبْنَا مِنَ الدَّادِيَّ حَتَّى كَأَنَّا
فَلَمَّا انْجَلَتْ شَمْسُ النَّهَارِ رَأَيْنَا
مُلُوكُ لَهُمْ بَرُّ الْعِرَاقَيْنِ وَالْبَحْرِ
تَوَلَّى الْغَنَى عَنَّا وَعَاوَدَنَا الْفَقْرُ

وقال آخر، وهو عبد الرحمن بن الحكم:

وَكَأْسٍ تَرَى بَيْنَ الْإِنَاءِ وَبَيْنَهَا
تَرَى شَارِبِيهَا حِينَ يَعْتَوِرَانَهَا
قَذَى الْعَيْنِ قَدْ نَازَعْتُ أُمَ أَبَانَ
يَمِيلَانِ أَحْيَانًا وَيَعْتَدِلَانِ
وَبَدَاءَ خَوْدٍ حِينَ يَلْتَقِيَانِ
فَمَا ظَنِّي ذَا الْوَاشِي بِأَرْوَعٍ مَا جِدَ

وقال آخر:

دَعَتْنِي أَخَاهَا أُمُّ عَمْرٍو وَلَمْ أَكُنْ
دَعَتْنِي أَخَاهَا بَعْدَ مَا كَانَ بَيْنَنَا
أَخَاهَا وَلَمْ أَرْضَعْ لَهَا بَلْبَانَ
مِنَ الْأَمْرِ مَا لَا يَفْعَلُ الْأَخْوَانُ

وقال آخر (أنشده أبو عليّ لأم ضيغم البلوية):

فَبِتْنَا فَوَيْقَ الْحَيِّ لَا نَحْنُ مِنْهُمْ
وَبَاتَ يَقِينَا سَاقِطَ الطَّلِّ وَالْتَدَى
وَلَا نَحْنُ بِالْأَعْدَاءِ مَخْتَلِطَانِ
مِنَ اللَّيْلِ بُرْدًا يُمَنِّعُ عَطْرَانَ
إِذَا كَانَ قَلْبَانَا بِنَا بُرْدَانِ
نَعْدَى بِذِكْرِ اللَّهِ فِي ذَاتِ بَيْنَنَا

قال أبو الحسن: وزادني فيه غير أبي العباس:

وَنَصْدُرُ عَنْ زِيِّ الْعَفَافِ وَرَبَّمَا
قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ: نَعْدَى أَى نَصْرِفُ الشَّرَّ بِذِكْرِ اللَّهِ، يُقَالُ: فَعَدَّ عَمَّا تَرَى، أَى
انْصَرَفَ إِلَى غَيْرِهِ. وَيُقَالُ: لَا يَعْدُونُكَ هَذَا الْحَدِيثُ، أَى لَا يَتَجَاوَزُكَ إِلَى غَيْرِكَ.

قال أبو العباس: وقال رجلٌ من قريش:

مَنْ تَقَرَّعَ الْكَأْسُ اللَّثِيمَةَ سَنَهُ
وَلَمْ أَرْ مَطْلُوبًا أَحْسَّ غَنِيمَةً
فَلَا بَدَّ يَوْمًا أَنْ يَسَىءَ وَيَجْهَلَ
وَأَوْضَعَ لِلْأَشْرَافِ مِنْهَا وَأَخْمَلَ
وَأَجْدَرَ أَنْ تَلْقَى كَرِيمًا يَذْمُهَا
فَوَ اللَّهُ مَا أَدْرَى أَخْبَلَ أَصَابَهُمْ
أَمِ الْعَيْشُ فِيهَا لَمْ يَلْأَقُوهُ أَشْكَلا

وقال آخر:

إذا صدمتني الكأسُ أبدت محاسني ولم يخشَ ندماني أذاتى ولا بُخلِي
ولستُ بفحَّاشٍ عليه وإن أسَا وما شكلُ من آذى نداماه من شكلي

وقال آخر:

كلُّ هنيئًا وما شربتَ مريئًا ثمَّ قُمْ صاغراً فغَيْرُ كَرِيمٍ
لا أحبُّ النديمَ يومِضٌ بالعي من إذا ما انتشى لعرسِ النديمِ

الإيماض: تفتحُ البرقُ ولمحهُ، يُقالُ: أومضت المرأة إذا ابتسمت، وإنما ذلك تشبيهٌ لللمع ثنائياً بتبسمِ البرقِ، فأراد أنه فتح عينه ثم غمضها بغمزٍ.

قال حسان بن ثابت:

كأنَّ سبيئَةً من بيتِ رأسٍ يكونُ مزاجها عسلٌ وماءُ
إذا ما الأشرباتُ ذكرنَ يوماً فهنَّ لطيبُ الرَّاحِ الفداءُ
نولِّيها الملامَةَ إن أَلَمْنَا إذا ما كانَ مَغْثٌ أو لَحَاءُ
ونشربها فتتركنا ملوكاً وأُسُداً ما يُنهنهنَّ اللَّقاءُ

المغثُ: المماغة باليد، واللحاءُ: الملاحاة باللسان، يقول: يعتذرُ المسيءُ بأن يقول: كنتُ سكراناً فيُعذرُ.

وقوله: كأنَّ سبيئَةً، يقالُ: سبأتها إذا اشتريتها سبَاءً، يعنى الخمرَ، والسَّابِيُّ: الخَمَّارُ.

وقوله: «من بيتِ رأسٍ»، يعنى موضعاً، كما يُقالُ: حارثُ الجولانِ.

باب

[نبذة من أقوال الحكماء]

قال أبو العباس: قال الأحنفُ بن قيس: ألا أدلُّكم على المحمَّدة بلا مرزئة؟ الخلقُ السَّجِيحُ^(١)، والكفُّ عن القبيح، ألا أخبرُكم بأدوِّ الداء؟ الخلقُ الدَّنيءُ، واللسانُ البديءُ.

وقال الأحنف: ثلاثٌ فيَّ ما أقولُهنَّ إلا ليَعتبرَ مُعْتَبِرٌ: ما دَخَلت بين اثنين حتى يُدْخِلاني بينهما، ولا أُتيتُ بابَ أحدٍ من هؤلاء ما لم أدعُ إليه، - يعني السُّلطانَ - ولا حَلَلْتُ حُبوتِي إلى ما يَقُومُ إليه الناسُ.

تَكسرُ الحياءُ وتضمُّها إذا أردتَ الاسمَ، وتفتحُها إذا أردتَ المَصْدَرَ، أنشدني عُمارةُ بن عَقيِلٍ لجرير:

قُتِلَ الزُّبَيْرُ، وَأَنْتَ عَاقِدُ حُبوةٍ قُبْحًا لِحُبُوتِكَ الَّتِي لَمْ تَحُلِلِ !
ويقال في جمعِ حُبوةٍ: حَبًّا وَحَبًّا، مقصوران.

وقال عبيد الله بن عبد الله بن عتبة: ما أَحْسَنَ الحَسَنَاتِ في آثارِ السيِّئاتِ! وأَقْبَحَ السيِّئاتِ في آثارِ الحَسَنَاتِ! وأَقْبَحُ من ذا وأَحْسَنُ من ذاك السيِّئاتِ في آثارِ السيِّئاتِ، والحَسَنَاتِ في آثارِ الحَسَنَاتِ.

والعَرَبُ تَلْفُ الخبرين المختلفين، ثم ترمى بتفسيرهما جُمْلَةً، ثقةٌ بأن السامعَ يَرُدُّ إلى كلِّ خَبَرِهِ. وقال الله عز وجل: ﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾^(٢).

وقال رجلٌ لِسَلَمَ بن نوْفَلٍ: ما أَرَخَصَ السُّودُّدَ فيكم! فقال سَلَمٌ: أَمَّا نَحْنُ فلا نَسُودُّ إِلَّا مَنْ بَدَّلَ لَنَا مَالَهُ، وَأَوْطَانًا عَرِضَهُ، وَامْتَهَنَ في حاجتنا نفسه. فقال الرجل: إن السُّودُّدَ فيكم لَغَالٍ. وَلِسَلَمٍ يقول القائل:

يُسَوِّدُ أَقْوَامٌ وَلَيْسُوا بِسَادَةٍ بَلِ السَّيِّدُ الْمَعْرُوفُ سَلَمٌ بْنُ نَوْفَلٍ

(١) الخلق السجيج: السهل.

(٢) سورة القصص ٧٣.

وقال معاوية رحمه الله لَعْرَابَةَ بن أَوْس بن قَيْظِيّ الْأَنْصَارِيّ: بِمَ سُدَّتْ قَوْمُكَ؟ فَقَالَ: لَسْتُ بِسَيِّدِهِمْ، وَلَكِنِّي رَجُلٌ مِنْهُمْ، فَعَزَمَ عَلَيْهِ فَقَالَ: أُعْطِيتُ فِي نَائِبَتِهِمْ، وَحَلُمْتُ عَنْ سَفِيهِهِمْ، وَشَدَدْتُ عَلَى يَدَيَّ حَكِيمَهُمْ، فَمَنْ فَعَلَ مِنْهُمْ مِثْلَ فَعَلِي فَهُوَ مِثْلِي، وَمَنْ قَصَرَ عَنْهُ فَأَنَا أَفْضَلُ مِنْهُ، وَمَنْ تَجَاوَزَهُ فَهُوَ أَفْضَلُ مِنِّي.

[مدح الشماخ لعرابة بن أوس]

قال أبو العباس: وكان سبب ارتفاع عرابة أنه قدم من سفر، فجمعه الطريق والشماخ بن ضرار المري، فتحدثا، فقال له عرابة: ما الذي أقدمك المدينة؟ قال: قدمت لأمتار منها، فملا له عرابة رواحله برأ وتمرا، وأتحفه بغير ذلك، فقال الشماخ:

رَأَيْتُ عَرَابَةَ الْأَوْسِيَّ يَسْمُو	إِلَى الْخَيْرَاتِ مُنْقَطِعَ الْقَرِينِ
إِذَا مَا رَايَةً رُفِعَتْ لِمَجْدٍ	تَلَقَّيَاهَا عَرَابَةُ بِالْيَمِينِ
إِذَا بَلَّغْتَنِي وَحَمَلْتُ رَحْلِي	عَرَابَةُ، فَاشْرِقِي بِدَمِ الْوَتِينِ
وَمِثْلَ سَرَاةِ قَوْمِكَ لَمْ يُجَارُوا	إِلَى رُبْعِ الرَّهَانِ وَلَا الثَّمِينِ ^(١)

قوله: «تَلَقَّيَاهَا عَرَابَةُ بِالْيَمِينِ»، قال أصحاب المعاني: معناه بالقوة، وقالوا مثل ذلك في قول الله عز وجل: ﴿وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾^(٢).

وقد أحسن كل الإحسان في قوله:

إِذَا بَلَّغْتَنِي وَحَمَلْتُ رَحْلِي
عَرَابَةُ فَاشْرِقِي بِدَمِ الْوَتِينِ
يقول: لَسْتُ أحتاج إلى أن أرحل إلى غيره.

وقد عاب بعض الرواة قوله: «فاشرقي بدم الوتين»، وقال: كان ينبغي أن ينظر لها مع استغنائه عنها، فقد قال رسول الله ﷺ للمأسورة بمكة وقد نجت على ناقة رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، إِنِّي نَذَرْتُ أَنْ نَجُوتُ عَلَيْهَا أَنْ أَنْحَرَهَا. فقال رسول الله ﷺ: «لَبِئْسَ مَا جَزَيْتَهَا»، وقال: «لَا نَذَرَ فِي مَعْصِيَةٍ، وَلَا نَذَرَ لِلْإِنْسَانِ فِي غَيْرِ مِلْكِهِ».

(١) الرهان: ما يوضع من المال في مسابقة الخيل، والثمين: الثمن.

(٢) الزمر ٦٧.

(٣) ذكر ابن هشام أنها امرأة رجل من غفار. (وانظر خبر أسرها مع زوجها في السيرة ٣: ٣٢٣ - ٣٢٧).

ومما لم يُعَبَّ في هذا المعنى قول عبد الله بن رَوَاحَةَ الأَنْصَارِيِّ لما أَمَرَهُ رَسُولُ
الله ﷺ بعد زَيْدٍ وَجَعَفَرٍ عَلَى جَيْشِ مُؤْتَةَ (١):

إِذَا بَلَغْتَنِي وَحَمَلْتَ رَحْلِي مَسِيرَةَ أَرْبَعِ بَعْدَ الْحِسَاءِ
فَشَأْنُكَ فَانْعَمِي وَخَلَائِكَ ذِمٌّ وَلَا أَرْجِعْ إِلَى أَهْلِي وَرَأْيِي

الحِسَاءُ: جمع حَسِيٍّ، وهو موضع رَمَلٍ تحته صَلَابَةٌ، فإذا مَطَرَتِ السَّمَاءُ
عَلَى ذَلِكَ الرَّمْلِ نَزَلَ الْمَاءُ، فَمَنَعَتْهُ الصَّلَابَةُ أَنْ يَغِيضَ، وَمَنَعَ الرَّمْلُ السَّمَاءَ أَنْ
تُنَشِّفَهُ، فَإِذَا بُحِثَ ذَلِكَ الرَّمْلُ أَصِيبَ الْمَاءُ، يُقَالُ: حَسِيٌّ وَأَحْسَاءٌ وَحِسَاءٌ، ممدودة.

وقوله: «ولا أَرْجِعْ إِلَى أَهْلِي وَرَأْيِي» مجزوم لأنه دعاء، فقوله: «لا» يعني
الجازمة، ومعناه: اللهم لا أَرْجِعْ، كما تقول: زَيْدٌ لَا تَغْفِرْ لَهُ (٢)، فهذا الدعاء
يَنْجَزُ بِمَا يَنْجَزُ بِهِ الْأَمْرُ وَالنَهْيُ، كما تقول: زَيْدٌ لِيَقُمْ، وزَيْدٌ لَا يَبْرَحْ.

وقد اتَّبَعَ ذُو الرُّمَّةِ الشَّمَّاحَ فِي قَوْلِهِ:

إِذَا ابْنُ أَبِي مُوسَى بَلَغَتْهُ فَقَامَ بِفَأْسٍ بَيْنَ وَصْلِكَ جَاوِرِ
الْوَصْلِ: الْفَصْلُ بِمَا عَلَيْهِ مِنَ اللَّحْمِ، يُقَالُ: قَطَعَ اللهُ أَوْصَالَهُ، وَيُقَالُ:
وَصِلٌ، وَكِسْرٌ وَجَدْلٌ، فِي مَعْنَى وَاحِدٍ.

(١) مؤتة: اسم قرية بالشام، موضع الغزوة المشهورة.

(٢) ر: «لا يغفر الله له».

باب

[لرجل من رجاز بنى تميم فى وقعة الجفرة]

قال أبو العباس: أنشدنى التوزيُّ لرجل من رُجَازِ بنى تميم فى وقعة الجفرة (١).

نَحْنُ ضَرَبْنَا الْأَزْدَ بِالْعِرَاقِ وَالْحَى مِنْ رِيْعَةِ الْمُرَاقِ
وَأَبْنُ سُهَيْلٍ قَائِدُ النَّفَاقِ بِلَا مَعُونَاتٍ وَلَا أَرْزَاقِ
إِلَّا بِقَايَا كَرَمِ الْأَعْرَاقِ لَشِدَّةِ الْخَشْيَةِ وَالْإِشْفَاقِ
* مِنَ الْمَخَازِي وَالْحَدِيثِ الْبَاقِي *
الأعرَاق: جمع عِرْق، يقال: فلان كريم العِرْقِ ولثيم العِرْقِ، أى الأصل.

[أقوال فى قلة النوم]

وقال آخر يَصِفُ ابنه:

أَعْرِفْ مِنْهُ (٢) قِلَّةَ النَّعَاسِ وَخِفَّةَ فِى رَأْسِهِ مِنْ رَأْسِي
* كَيْفَ تَرَيْنَ عِنْدَهُ مِرَاسِي *
يخاطب أم ابنه. فقلوه: «أعرف منه قلة النعاس»، أى الذكاء والحركة.

وكان عبد الملك بن مروان يقول لِمُؤَدِّبِ ولده: عَلِّمَهُمُ الْعَوْمَ، وَهَذِّبْهُمْ بِقِلَّةِ النوم.

وكذا قال أبو كبير (٣) الَهْدَلِيُّ:

فَأَتَتْ بِهِ حُوشَ الْجَنَانِ مُبْطِنًا سُهْدًا إِذَا مَا نَامَ لَيْلُ الْهَوَجَلِ (٤)

(١) الجفرة: موضع بالبصرة كانت به وقعة بين خالد بن عبد الله بن أسيد - وكان من قبل عبد الملك بن مروان - وبين أهل البصرة، من أصحاب مصعب بن الزبير، سنة ٧٠. وانظر الخبر مفصلاً فى (معجم البلدان ١١٦: ٣).

(٢) س: «أعرف فيه».

(٣) س: «أبو بكير»، تصحيف.

(٤) حوش الجنان: حديد القلب. مبطناً: ضامر البطن خميصه. والهوجل: الأحمق.

وقال آخر:

فَجَاءَتْ بِهِ حُوشُ الْفُؤَادِ مُسَهْدًا وَأَفْضَلَ أَوْلَادِ الرَّجَالِ الْمُسَهْدُ
وقال رسول الله ﷺ: «عَيْنِي تَنَامَانِ وَلَا يَنَامُ قَلْبِي».

[لعروة بن الورد]

وقال عروة بن الورد العَبْسِيُّ، وهو عروة الصَّعَالِيكُ (١):

لَحَا (٢) اللَّهُ صُعْلُوكًا إِذَا جَنَّ لَيْلُهُ مُصَافِي الْمَشَاشِ أَلْفًا كُلَّ مَجْزَرٍ (٣)
يَنَامُ ثَقِيلًا ثُمَّ يُصْبِحُ قَاعِدًا يَحْتُ الْحَصَى عَنْ جَنْبِهِ الْمُتَعَفَّرِ (٤)
يُعِينُ نِسَاءَ الْحَيِّ مَا يَسْتَعْنَهُ فَيُضْحِي طَلِيحًا كَالْبَعِيرِ الْمُحْسَرِ (٥)
وَلَكِنْ صُعْلُوكًا صَفِيحَةً وَجْهَهُ كَضَوْءِ سِرَاجِ الْقَابِسِ الْمُتَنَوِّرِ (٦)
مُطْلَا عَلَى أَعْدَائِهِ يَزْجُرُونَهُ بِسَاحَتِهِمْ زَجَرَ الْمَنِيحِ الْمُشْهَرِ (٧)
وَأِنْ بَعُدُوا لَا يَأْمَنُونَ اقْتِرَابَهُ تَشَوُّفَ أَهْلِ الْغَائِبِ الْمُتَنْظِرِ
فَذَلِكَ إِنْ يَلْقَى الْمَنِيَّةَ يَلْقَاهَا حَمِيدًا، وَإِنْ يَسْتَعْنِ يَوْمًا فَأَجْدَرِ (٨)

[قال أبو الحسن: كذا أنشده، «فذلك» لأنه لم يروِ أوَّلَ الشعر، والصواب كسر الكاف، لأنه يخاطب امرأة، ألا تراه قال:

أَقْلَى عَلَى اللَّوْمِ يَابِتَةَ مَالِكٍ وَنَامِي، وَإِنْ لَمْ تَشْتَهِي ذَاكَ فَاسْهَرِي (٩)]

(١) لقب عروة الصعاليك؛ لأنه كان يجمع الفقراء الذين لا مال لهم - وهم الصعاليك - فيقوم بأمرهم وينفق عليهم.

(٢) لحا الله: دعاء عليه. والمشاش: العظام الرقيقة. والمجزر: موضع الجزر.

(٣) زيادات ر بعد هذا البيت:

(٤) يَحْتُ الْحَصَى: يفركه. يَحْتُ الغنى من نفسه كل ليلة أصاب قراها من صديقٍ مُسَرٍّ

(٥) طليحا: من الطليح، وهو الإعياء.

(٦) صفيحة وجهه: بشرة جلده. والقابس الآخذ شعلة من النار على طرف عود. والمتنور: الذي يبصر النار من بعيد.

(٧) مطلا على أعدائه: مشرقا عليهم. يزجرونه: يصيحون به. المنيح: من قدادح الميسر، يستعار من صاحبه للتيمن بفوزه المشتهر.

(٨) زيادات ر بعد هذا البيت:

(٩) ما بين العلامتين تكملة من ر. يريح على الليل أضياف ماجد كريم ومالي سارحا مال مقتر

قوله :

* يَحْتُ الْحَصَى عَنْ جَنِّهِ الْمُتَعَفِّرِ *

يريد المتترَّب، والعَفَرُ والعَفَرُ: أَسْمَان للتراب، من ذلك قولهم: عَفَرَ اللهُ خَدَّهُ، ويقال للظبية: عَفْرَاءُ إذا كانت يَضْرِبُ بياضُها إلى حُمْرَة، وكذلك الكَثِيبُ الأَعْفَرُ.

وقوله: «كالبعير المحسّر» هو المعْيى، يقال: جَمَلٌ حَسِيرٌ، وناقَة حَسِيرٌ، قال الله عزّ وجل: ﴿يَنْقَلِبُ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ (١).

وقوله :

* وَإِنْ بَعْدُوا لَا يَأْمَنُونَ اقْتِرَابَهُ *

على التقديم والتأخير، أراد: لا يَأْمَنُونَ اقْتِرَابَهُ وَإِنْ بَعْدُوا، وهذا حسن في الإِعْرَاب إذا كان الفعل الأول في المجازاة ماضياً، كما قال زهير:

وإن (٢) أَتَاهُ خَلِيلٌ يَوْمَ مَسْأَلَةٍ يَقُولُ: لَا غَائِبٌ مَالِي وَلَا حَرَمٌ

فإن كان الفعل الأول مجزوماً لم يَجْزُ رفع الثاني إلا ضرورة، فسيبويه (٣) يذهب إلى أنه على التقديم والتأخير، وهو عندي على إرادة الفاء، لِعِلَّةِ تَلْزَمُهُ فِي مَذْهَبِهِ، نَذَرُهَا قِي بَابِ الْمَجَازَاةِ إِذَا جَرَى فِي هَذَا الْكِتَابِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى، فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ:

يَا أَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ يَا أَقْرَعُ إِنَّكَ إِنْ يُصْرَعُ أَخُوكَ تُصْرَعُ

أراد سيبويه: إِنَّكَ تُصْرَعُ إِنْ يُصْرَعُ أَخُوكَ. وهو عندي على قوله: إِنْ يُصْرَعُ أَخُوكَ فَأَنْتَ تُصْرَعُ يَا فَتَى، وَنَسْتَقْصِي هَذَا فِي بَابِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

وقوله :

* كَيْفَ تَرَيْنَ عِنْدَهُ مِرَاسِي *

(١) سورة الملك ٤.

(٢) الكتاب ١: ٤٣٦.

(٣) نسبه سيبويه إلى جرير بن عبد الله البجلي، ونقل المصنف عن كتاب قرحة الأديب أن صواب نسبه إلى عمرو بن خثارم البجلي، يحض الأفرع على أن يحكم بالفضل لجرير. (وانظر رغبة الأمل).

يقول للمرأة: عَزَّتْنِي^(١) على شَبَّهه، ويقال: أَنْجَبُ الأولاد ولدُ الفارك؛ وذلك لأنها تُبْغِضُ زوجها، فَيَسْبِقُهَا بِمائه. فَيَخْرُجُ الشَّبَّهُ إليه، فيخرج الولد مُذَكَّرًا. وكان بعض الحكماء يقول: إذا أردت أن تَطْلُبَ ولد المرأة فأغْضِبْها، ثم قَعْ عليها. فإنك تَسْبِقُها بالماء، وكذلك ولد الفَرْعَة، كما قال أبو كَبِير الهذلي:

مِمَّنْ حَمَلْنَ بِهِ وَهْنٌ عَوَاقِدُ حُبُّكَ النَّطَاقِ فَشَبَّ غَيْرَ مُهْبِلٍ^(٢)
حَمَلَتْ بِهِ فِي لَيْلَةٍ مَزْءُودَةٍ كَرَهَا، وَعَقَدُ نِطَاقِهَا لَمْ يُحْلَلِ

مزءودة: ذات زُودٍ، وهو الفَرْعُ، فمن نصب «مزءودة» فإنما أراد المرأة. ومن خفض فإنه أراد الليلة، وجعل الليلة ذات فَرْعٍ، لأنه يُفْرَعُ فيها، قال الله عز وجل: ﴿بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾^(٣) والمعنى: بل مَكْرُكُمْ في الليل والنهار.

وقال جرير:

لَقَدْ لُمْتُنَا يَا أُمَّ غِيلَانَ فِي السُّرَى وَنَمْتُ، وَمَا لَيْلُ الْمَطِيِّ بِنَائِمٍ
وقال آخر:

* فَنَامَ لَيْلَى وَتَجَلَّى هَمِّي^(٤) *

وهذا الرجزُ ضدُّ ما قال الآخر في ولده، فإنه أقر بأن امرأته غَلَبَتْهُ على شَبَّهه، وذلك قوله:

* نَمْتُ وَعَرِقُ الْخَالِ لَا يَنَامُ *

يقول: عَزَّتْنِي أُمُّهُ على الشَّبَّه، فذهبت به إلى أخواله. وقال آخر:

لَقَدْ بَعَثْتُ صَاحِبًا مِنَ الْعَجَمِ بَيْنَ ذَوَى الْأَحْلَامِ وَالْبَيْضِ اللَّمَمِ^(٥)
* كَانَ أَبُوهُ غَائِبًا حَتَّى فُطِمَ *

(١) عززتنى: غلبتنى.

(٢) الحبك: جمع حباك، وهو ما يشد به النطاق، والنطاق: شقة تلبسها المرأة ترسل أعلاها إلى الركبة بعد شد وسطها بالحباك، وتدع الأسفل ينجر على الأرض. والمهبل: الكثير اللحم، أو المدعو عليه بالهبل وهو الثكل.

(٣) سورة سبأ ٣٣.

(٤) هو رؤية وقبله:

* حارثٌ قد فرَّجت عني غَمِّي *

(٥) ذو الأحلام: واحده حلم، وهو العقل. واللمم: جمع لمة، وهى ما ألم بالمنكب من شعر الرأس.

يقول: لم يُسَقَّ غَيْلاً. وقال رسول الله ﷺ: «هَمَمْتُ أَنْ أَنْهِيَ أُمَّتِي عَنِ الْغَيْلَةِ حَتَّى عَلِمْتُ أَنَّ فَارِسَ وَالرُّومَ تَفْعَلُ ذَلِكَ بِأَوْلَادِهَا، فَلَا تُضَيِّرُ أَوْلَادَهَا». وَالْغَيْلَةُ: أَنْ تُرْضِعَ الْمَرْأَةُ وَهِيَ حَامِلٌ، أَوْ تُرْضِعَ وَهِيَ تُغْشَى. وَيَزْعُمُ أَهْلُ الطَّبِّ مِنَ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ أَنَّ ذَلِكَ الْكَلْبَ دَاءٌ. وَقَالَتْ أُمُّ تَابِطٍ شَرًّا: وَاللَّهِ مَا حَمَلْتُهُ تُضْعًا - وَوَضَعَا أَيْضًا - وَلَا وَضَعْتُهُ يَتْنًا، وَلَا سَقَيْتُهُ غَيْلاً، وَلَا أَبْتُهُ مَيْقًا. وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ: وَلَا أَبْتُهُ عَلَى مَاقَةٍ.

قولها: «ما حملته تُضْعًا»، يقال إذا حملت المرأة عند مُقْتَبِلِ الْحَيْضِ، حَمَلْتُهُ وَضْعًا وَتُضْعًا، وَإِذَا خَرَجَتْ رَجُلًا الْمَوْلُودُ مِنْ قَبْلِ رَأْسِهِ قِيلَ: وَضَعْتُهُ يَتْنًا، قَالَ الشَّاعِرُ:

فَجَاءَتْ بِهِ يَتْنًا يَجْرُ مَشِيمَةً^(١) تُسَابِقُ رِجْلَاهُ هُنَاكَ الْأَنَامِلَا

ويقال للرجل إذا قَلَبَ الشَّيْءَ عَنْ جِهَتِهِ: جَاءَ بِهِ يَتْنًا. قَالَ عِيسَى بْنُ عَمْرِو: سَأَلْتُ ذَا الرِّمَّةَ عَنْ مَسْأَلَةٍ، فَقَالَ لِي: أَتَعْرِفُ الْيَتْنَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: فَمَسَأَلْتُكَ، هَذِهِ يَتْنٌ. قَالَ: وَكُنْتُ قَدْ قَلَبْتُ الْكَلَامَ.

وَالْغَيْلُ مَا فَسَرَنَاهُ.

وَأَمَّا قَوْلُهَا: «وَلَا أَبْتُهُ مَيْقًا»، تقول: لَمْ أَبْتُهُ مَغِيظًا؛ وَذَلِكَ أَنَّ الْخَرْقَاءَ تَبِيْتُ وَلَدَهَا جَائِعًا مَغْمُومًا، لِحَاجَتِهِ إِلَى الرِّضَاعِ، ثُمَّ تَحْرُكُهُ فِي مَهْدِهِ حَتَّى يَغْلِبَهُ الدَّوَارُ فَيَنُومَ، وَالْكَيْسَةُ تُشْبِعُهُ وَتُغْنِيهِ فِي مَهْدِهِ، فَيَسْرِى ذَلِكَ الْفَرْحُ فِي بَدَنِهِ مِنَ الشَّبَعِ كَمَا سَرَى ذَلِكَ الْغَمُّ وَالْجُوعُ فِي بَدَنِ الْآخَرِ.

وَمِنْ أَمْثَالِ الْعَرَبِ: «أَنَا تَتَّقُ، وَصَاحِبِي مَيْقُ، فَكَيْفَ نَتَّقِي؟»

التَّتَقُّ: الْمَمْلُوءُ غِيظًا وَغَضَبًا، وَالْمَيْقُ: الْقَلِيلُ الْإِحْتِمَالِ، فَلَا يَقَعُ الْإِنْفَاقُ.

(١) المشيمة: ما يكون فيه الولد.

باب

[من كلام ابن عباس]

قال أبو العباس: قال ابن عباس رضى الله عنهما: لا يُزهدَنَّكَ في المعروف كُفْرُ مَنْ كفره، فإنه يشكركُ عليه مَنْ لم تصطنعهُ إليه.

[من كلام عبد الله بن جعفر]

وأنشد عبد الله بن جعفر قول الشاعر:

إِنَّ الصَّنِيعَةَ لَا تَكُونُ صَنِيعَةً حَتَّى تُصِيبَ بِهَا طَرِيقَ الْمَصْنَعِ
فقال: هذا رجل يريد أن ييخُلَ الناسَ، أمطرَ المعروفَ مطراً، فإن صادف موضعاً فهو الذى قصدتَ له، وإلا كنتَ أحقَّ به.

[قال أبو الحسن الأخفش: حدثنا المبرد في غير الكامل قال: قال الحسن والحسين رضوان الله عليهما لعبد الله بن جعفر: إنك قد أسرفتَ في بذلِ المال، قال: بأبى أنتما وأمى! إن الله عودنى أن يفضِّلَ علىّ، وعودتهُ أن أفضِّلَ علىّ عباده، فأخاف أن أقطعَ العادةَ فتقطعَ عني].

[ليزيد بن المهلب وقد مر بأعرابية عند خروجه من سجنه]

ومرَّ يزيدُ بنُ المهلبِ بأعرابية في خروجه من سجنِ عمر بن عبد العزيز يريد البصرة، فقرته عتراً، فقبلها، وقال لابنه معاوية: ما معك من النفقة، فقال: ثمانمائة دينار، قال: فادفعها إليها. قال ابنه: إنك تريد الرجال، ولا يكون الرجال إلا بالمال، وهذه يرضيها اليسير، وهى بعدُ لا تعرفك فقال له: إن كانت ترضى باليسير، فأنا لا أرضى إلا بالكثير، وإن كانت لاتعرفنى، فأنا أعرف نفسى، ادفعها إليها.

[حديث للأصمعي عن ضرار بن القحقاع]

وزعم الأصمعي أن حرباً كانت بالبادية، ثم اتصلت بالبصرة فتفاقم الأمر فيها، ثم مشى بين الناس بالصُّلح، فاجتمعوا في الجامع، قال: فبعثتُ وأنا غلام

إلى ضرار بن القَعْقَاع من بنى دارم، فاستأذنتُ عليه، فأذنَ لى، فدخلتُ، فإذا به فى شَمْلَةٍ يَخْلُطُ بَزْرًا لِعَنْزٍ له حَلُوبٌ، فَخَبَّرْتُهُ بِمُجْتَمَعِ الْقَوْمِ، فَأَمْهَلَ حَتَّى أَكَلْتُ الْعَنْزَ، ثُمَّ غَسَلَ الصَّحْفَةَ وَصَاحَ: يَا جَارِيَةُ غَدَّيْنَا، قَالَ: فَأَتَتْهُ بَزِيتٌ وَتَمْرٌ، قَالَ: فَدَعَانِى فَقَدَّرْتُهُ^(١) أَنْ أَكُلَ مَعَهُ، حَتَّى إِذَا قَضَى مِنْ أَكْلِهِ حَاجَةً، وَتَبَّ إِلَى طِينٍ مُلْقَى فِى الدَّارِ، فَغَسَلَ بِهِ يَدَهُ، ثُمَّ صَاحَ: يَا جَارِيَةُ، اسْقِينِى مَاءً، فَأَتَتْهُ بِمَاءٍ، فَشَرِبَهُ، وَمَسَحَ فَضْلَهُ عَلَى وَجْهِهِ، ثُمَّ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، مَاءُ الْفُرَاتِ، بَتَمْرِ الْبَصْرَةِ، بَزِيتِ الشَّامِ، مَتَى نَوَدَّى شُكْرَ هَذِهِ النَّعْمِ! ثُمَّ قَالَ: يَا جَارِيَةُ، عَلَى بَرْدَائِى، فَأَتَتْهُ بِرِدَاءٍ عَدَنِيَّ، فَارْتَدَى بِهِ عَلَى تِلْكَ الشَّمْلَةِ.

قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: فَتَجَافَيْتُ عَنْهُ اسْتِقْبَاحًا لَزِيَّةً، فَلَمَّا دَخَلَ الْمَسْجِدَ صَلَّى رَكَعَتَيْنِ، ثُمَّ مَشَى إِلَى الْقَوْمِ، فَلَمْ تَبَقْ حُبَّةٌ^(٢) إِلَّا حُلَّتْ إِعْظَامًا لَهُ، ثُمَّ جَلَسَ، فَتَحَمَّلَ جَمِيعَ مَا كَانَ بَيْنَ الْأَحْيَاءِ فِى مَالِهِ وَانْصَرَفَ.

[بَيْنُ زِيَادَ بْنِ عَمْرٍو الْعَتَكِيِّ وَالْأَحْنَفِ بْنِ قَيْسِ التَّمِيمِيِّ]

وَحَدَّثَنِى أَبُو عَثْمَانَ [بَكْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ]^(٣) الْمَازِنِيُّ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ قَالَ: لَمَّا أَتَى زِيَادَ بْنَ عَمْرٍو الْمُرَيْدَ^(٤)، فِى عَقَبِ قَتْلِ مَسْعُودِ بْنِ عَمْرٍو الْعَتَكِيِّ^(٥)، جَعَلَ فِى الْمَيْمَنَةِ بَكْرُ بْنُ وَائِلٍ، وَفِى الْمَيْسَرَةِ عَبْدُ الْقَيْسِ - وَهُمْ لُكَيْزُ بْنُ أَفْصَى بْنِ دُعْمَى بْنِ جَدِيلَةَ بْنِ أَسَدَ بْنِ رَبِيعَةَ - وَكَانَ زِيَادُ بْنُ عَمْرٍو الْعَتَكِيُّ فِى الْقَلْبِ، فَبَلَغَ ذَلِكَ الْأَحْنَفُ، فَقَالَ: هَذَا غِلَامٌ حَدَثٌ، شَأْنُهُ الشُّهْرَةُ. وَلَيْسَ يُبَالِى أَيْنَ قَذَفَ بِنَفْسِهِ! فَتَدَبَّرَ أَصْحَابُهُ، فَجَاءَهُ حَارِثَةُ بْنُ بَدْرِ الْغُدَّانِيَّ، وَقَدْ اجْتَمَعَتْ بَنُو تَمِيمٍ، فَلَمَّا طَلَعَ قَالَ: قُومُوا إِلَى سَيِّدِكُمْ، ثُمَّ أَجْلَسَهُ فَنَاطَرَهُ، فَجَعَلُوا سَعْدًا وَالرَّبَّابَ فِى الْقَلْبِ، وَرَأْسَهُمْ عَبْسُ بْنُ طَلْقِ الطَّعَّانِ، الْمَعْرُوفُ بِأَخَى كَهْمَسٍ، وَهُوَ أَحَدُ بَنِي صَرِيمِ بْنِ

(١) س: «فقدرت».

(٢) الحبوة: أَنْ يَجْمَعَ الرَّجُلُ ظَهْرَهُ وَسَاقِيَهُ بِعِمَامَةٍ وَنَحْوِهَا.

(٣) مِنْ س.

(٤) الْمُرَيْدُ: سَوْقٌ بِالْبَصْرَةِ كَانَتْ تَبَاعُ فِيهَا الْإِبِلُ.

(٥) كَانَ مَسْعُودُ بْنُ عَمْرٍو مِنْ بَنِي عَتِكٍ، وَهُمْ بَطْنٌ مِنَ الْأَزْدِ، اسْتَخْلَفَهُ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ عَلَى الْبَصْرَةِ، بَعْدَ أَنْ هَرَبَ إِلَى الشَّامِ مَطَارِدًا. فَوَقَّفَ عَلَى الْمَنْبَرِ يَبِيعُ مِنْ أَتَاهُ، فَرَمَاهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ فَارَسَ فَقَتَلَهُ، وَعَلَى إِثْرِ ذَلِكَ شَاعَتِ الْفِتْنَةُ بَيْنَ النَّاسِ. فَرِيقٌ يَقُولُ: قَتَلَتْهُ الْخَوَارِجُ وَفَرِيقٌ يَقُولُ قَتَلَتْهُ تَمِيمٌ، (وَانْظُرْ تَفْصِيلَ الْخَبَرِ فِى تَارِيخِ الطَّبَرِيِّ، حَوَادِثُ سَنَةِ ٦٥).

يَرْبُوعٌ، فَجَعَلَ فِي الْقَلْبِ بِحِذَاءِ الْأَزْدِ، وَجَعَلَ حَارِثَةُ بْنُ بَدْرِ فِي بَنِي حَنْظَلَةَ بِحِذَاءِ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ، وَجَعَلَ عَمْرُو بْنُ تَمِيمٍ بِحِذَاءِ عَبْدِ الْقَيْسِ، فَذَاكَ حَيْثُ يَقُولُ حَارِثَةُ ابْنُ بَدْرِ لِلْأَحْنَفِ:

سَيَكْفِيكَ عَبْسٌ أَخُو كَهْمَسٍ مَقَارَعَةَ الْأَزْدِ بِالْمَرْبَدِ (١)
وَتَكْفِيكَ عَمْرُو عَلَى رِسْلِهَا (٢) لُكَيْزَ بْنَ أَفْصَى وَمَا عَدَدُوا
وَتَكْفِيكَ (٣) بَكْرًا إِذَا أَقْبَلَتْ بِضَرْبٍ يَشِيبُ لَهُ الْأَمْرَدُ

فلما توافقوا بعث إليهم الأحنف: يا معشر الأزْدِ وربعة من أهل البصرة، أنتم والله أحب إلينا من تميم الكوفة، وأنتم جيراننا في الدار، ويدنا على العدو، وأنتم بدأتمونا بالأمس، ووطئتم حريمنا، وحرقتم علينا. فدفعنا عن أنفسنا، ولا حاجة لنا في الشر ما أصبنا في الخير مسلّكًا، فتيمموا بنا طريقةً قاصدةً (٤).

فوجه إليه زياد بن عمرو: تخير حلّةً من ثلاث: إن شئت فانزل أنت وقومك على حُكْمِنا، وإن شئت فحلّ لنا عن البصرة وأرحل أنت وقومك إلى حيث شئتم، وإلا فدوا (٥) قتلانا، وأهدروا دماءكم، وليود مسعود دية المشعرة.

قال أبو العباس: وتأويل قوله: «دية المشعرة» يريد أمر الملوك في الجاهلية، وكان الرجل إذا قُتل وهو من أهل بيت المملّكة ودّى عشر ديات.

فبعث إليه الأحنف: سنختار: فانصرفوا في يومكم، فهزّ القوم راياتهم وانصرفوا، فلما كان الغد بعث إليهم: إنكم خيرتمونا خلالاً ليس فيها خيار، أما النزول على حُكْمِكُمْ فكيف يكون والكلم يقطر دمًا؟ وأما ترك ديارنا فهو أخو القتل، قال الله عز وجل: ﴿وَلَوْ أَنَا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ (٦)، ولكن الثالثة إنما هي حمل على المال، فنحن نبطل

(١) في البيت إقواء.

(٢) الرسل هنا: اللين والرفق.

(٣) ر: «تكفيك».

(٤) قاصدة: مستقيمة.

(٥) دوا قتلانا، من الدية.

(٦) النساء: ٦٦.

دماءنا، ونَدَى قَتْلَاكُم، وإِنَّمَا (١) مسعودُ رجل من المسلمين، وقد أَذْهَبَ اللهُ أمرَ الجاهلية.

فاجتمع القوم على أن يَقِفُوا أمر مسعود، وَيُغَمِّدَ السيفُ، وَيُودَى سائرُ القَتْلَى من الأزدِ وربيعة، فَضَمِنَ ذلك الأحنف، ودَفَعَ إِيَّاسَ بن قتادة المُجَاشِعِيَّ رهينةً حتى يُودَى هذا المالُ، فَرَضِيَ به القومُ، فَفَخَرَ بذلك الفرزدقُ فقال: (٢)

وَمِنَّا الَّذِي أَعْطَى يَدِيهِ رَهِينَةً لِعَاَرَى مَعَدٍّ، يَوْمَ ضَرْبِ الْجَمَاجِمِ (٣)
عَشِيَّةَ سَالِ الْمَرْبَدَانِ كِلَاهُمَا عَجَاجَةً مَوْتٍ بِالسُّيُوفِ الصَّوَارِمِ
هُنَالِكَ لَوْ تَبَغَى كُلِّيًّا وَجَدْتَهَا أَذَلَّ مِنَ الْقِرْدَانِ تَحْتَ الْمَنَاسِمِ (٤)
[قال أبو الحسن وكان أبو العباس ربما رواه: لغار (٥) معد]

ويقال: إن تَمِيمًا في ذلك الوقت مع باديتها وحُلَفَائِهَا من الأَسَاوِرَةِ (٦) والزُّطِّ (٧)، والسَّبَاجَةِ (٨) وغيرهم كانوا زُهاءَ سبعين ألفًا، ففى ذلك يقول جرير:

سَائِلُ ذَوَى يَمَنِ وَرَهْطُ مُحَرَّقٍ وَالْأَزْدُ إِذْ نَدَبُوا لَنَا مَسْعُودًا (٩)
فَأَتَاهُمْ سَبْعُونَ أَلْفَ مُدَجِّجٍ مُتَسَرِّبِلِينَ يَلَامَعُ (١٠) وَحَدِيدًا

قال الأحنفُ بن قيس: فَكَثُرَتْ عَلَى الدِّيَّاتِ، فلم أَجِدْهَا في حاضرة تميم، فخرجتُ نَحْوَ يَبْرِينَ (١١)، فسألتُ عن المقصود هناك، فَأَرشَدْتُ إِلَى قُبَّةٍ، فإذا شيخٌ

(١) س: «وأما مسعود».

(٢) من قصيدة يهجو فيها جريرا ويعرض بالبعيث، مطلعها:

وَدَّ جَرِيرُ اللَّؤْمِ لَوْ كَانَ عَانِيًا وَلَمْ يَدُنْ مِنْ زَارِ الْأَسْوَدِ الضَّرَاجِمِ

(٣) الغاران: مثنى غار، وهو الجيش، ومنه قول على يوم الجمل: «مَأْطُنْكَ بِأَمْرِي جَمَعَ بَيْنَ هَذَيْنِ الْغَارَيْنِ»!

(٤) يريد كليب بن يربوع، رهط الفرزدق. والقردان: جمع قراد، وهو دويبة تعض الإبل.

(٥) ر: «لغازى معد».

(٦) الأساورة: قوم من العجم بالبصرة نزلوها قديما، كالأحامرة. (اللسان).

(٧) الزط: جبل أسود من السند، وقيل هم من الهند. (اللسان).

(٨) السباجة: قوم ذوو جلد من السند والهند، يكونون مع رئيس السفينة البحرية ييذرقونها، واحدهم سبيجي، ودخلت الهاء في جمعه والنسب، كما قالوا: البرابرة. (اللسان).

(٩) المحرق: هو عمرو بن هند ملك الحيرة، وكان حرق يوم أواره تسعة وتسعين رجلا من دارم، قبيلة الفرزدق.

(١٠) اليلامع: جمع يلمع، وهو الدرع هنا. وفي ر: «يلامقا»، جمع يلمق، وهو القباء.

(١١) يبرين: قرية كثيرة النخل في بلاد البحرين.

جالس بفنائها، مُتَزَرِّ بِشَمْلَةٍ، مُحْتَبِّ بِحَبْلٍ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، وَانْتَسَبْتُ لَهُ فَقَالَ: مَا فَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟ فَقُلْتُ: تُوَفِّيَّ صَلَوَاتِ اللَّهِ عَلَيْهِ! قَالَ: فَمَا فَعَلَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ الَّذِي كَانَ يَحْفَظُ الْعَرَبَ وَيَحُوطُهَا؟ قُلْتُ لَهُ: مَاتَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى! قَالَ: فَأَيُّ خَيْرٍ فِي حَاضِرَتِكُمْ بَعْدَهُمَا! قَالَ: فَذَكَرْتُ لَهُ الدِّيَّاتِ الَّتِي لَزِمْتَنَا لِلْأَزْدِ وَرَبِيعَةَ. قَالَ: فَقَالَ لِي: أَقِمِّي، فَإِذَا رَأَيْتَ قَدْ أَرَّاحَ أَلْفَ بَعِيرٍ، فَقَالَ: خُذْهَا، ثُمَّ أَرَّاحَ عَلَيْهِ آخَرَ مِثْلَهَا، فَقَالَ: خُذْهَا، فَقُلْتُ لَا أَحْتَاجُ إِلَيْهَا، قَالَ: فَانصرفت بِالْأَلْفِ عَنْهُ، وَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَنْ هُوَ إِلَى السَّاعَةِ!

قوله «الْمَنَاسِمِ» واحداها مَنْسَمٌ، وهو ظُفْرُ الْبَعِيرِ فِي مُقَدِّمِ الْخَفِّ، وَهُوَ مِنَ الْبَعِيرِ كَالسَّنْبَكِ مِنَ الْفَرَسِ. وقوله:

* عَشِيَّةً سَالَ الْمُرَبَّدَانِ كِلَاهُمَا *

يُرِيدُ الْمُرَبَّدَ وَمَا يَلِيهِ مِمَّا جَرَى مَجْرَاهُ، وَالْعَرَبُ تَفْعَلُ هَذَا فِي الشَّيْئِينَ إِذَا جَرَّيَا فِي بَابٍ وَاحِدٍ، قَالَ الْفَرَزْدَقُ:

أَخَذْنَا بِأَفَاقِ السَّمَاءِ عَلَيْكُمْ لَنَا قَمَرَاهَا وَالنَّجُومُ الطَّوَالِعُ
يُرِيدُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ: لِأَنَّهُمَا قَدْ اجْتَمَعَا فِي قَوْلِكَ، «النَّيْرَانِ»، وَغُلِبَ
الاسْمُ الْمَذْكُورُ، وَإِنَّمَا يُؤْثَرُ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْخَفَّةِ، وَقَالُوا: «الْعُمَرَانِ» لِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ
فَإِنْ قَالَ الْقَائِلُ: إِنَّمَا هُوَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَعُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، فَلَمْ يُصَبِّ، لِأَنَّ
أَهْلَ الْجَمَلِ نَادَوْا بَعْلَى بْنَ أَبِي طَالِبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ: أَعْطَانَا سَنَةَ الْعُمَرَيْنِ. فَإِنْ
قَالَ قَائِلٌ: فَلَمْ لَمْ يَقُولُوا: أَبَوَى بَكْرٍ، وَأَبُو بَكْرٍ أَفْضَلُهُمَا؟ فَلَأَنَّ عُمَرَ اسْمٌ مُفْرَدٌ،
وَإِنَّمَا طَلَبُوا الْخَفَّةَ، وَأَنْشَدَنِي التَّوَزِيَّ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ الْجَرِيرِ:

وَمَا لَتَغْلِبَ إِنْ عَدُّوا مَسَاعِيَهُمْ نَجْمٌ يَضِيءُ وَلَا شَمْسٌ وَلَا قَمَرٌ
مَا كَانَ يَرْضَى رَسُولُ اللَّهِ فِعْلَهُمْ وَالْعُمَرَانِ أَبُو بَكْرٍ وَلَا عُمَرُ
هَكَذَا أَنْشَدَنِيهِ (١):

وقال آخر (٢):

* قَدْنِي مِنْ نَصْرِ الْخَبِيِّينِ قَدِي *

(١) زيادات ر: «إِنَّمَا قَالَ هَكَذَا أَنْشَدَنِيهِ غَيْرَ التَّوَزِيَّ يَرْوِيهِ:

* وَالطَّيْبَانِ أَبُو بَكْرٍ وَلَا عُمَرُ *

(٢) زيادات ر: «هُوَ حَمِيدُ بْنُ الْأَرْقُطِ»، وَالْبَيْتُ فِي اللِّسَانِ (قَدَد)، وَإِصْلَاحُ الْمُنْطَقِ ٣٧٧، ٤٤٤، وَبَعْدَهُ:

* لَيْسَ الْإِمَامُ بِالشَّحِيحِ الْمَحْدَدِ *

يريد عبد الله ومُصْعَبًا ابني الزُبَيْرِ وإنما أبو خُبَيْبٍ عبد الله، وقرأ بعضُ
الْقُرَّاءِ: ﴿سَلَامٌ عَلَى الْيَاسِينَ﴾ (١) فَجَمَعَهُمْ عَلَى لَفْظِ الْيَاسِ، ومن ذا قولُ العربِ:
الْمَسَامِعَةُ، وَالْمَهَالِبَةُ، وَالْمَنَازِرَةُ، فَجَمَعَهُمْ عَلَى اسمِ الْأَبِ.
والمُشْعَرَةُ: اسمُ لِقَتلى الملوكة خاصةً، كانوا يُكَبِّرُونَ أن يقولوا: قُتِلَ فلان،
فيقولون: أُشْعِرَ فلانٌ، من إشعارِ الْبَدَنِ (٢).

ويروى أن رجلاً قال: حضرتُ المَوْقِفَ مع عمر بن الخطاب رضى الله عنه،
فصاح به صائح: يا خليفة رسول الله ﷺ. ثم قال: يا أمير المؤمنين. فقال رجلٌ
من خَلْفِي: دعاه باسم رجلٍ مَيِّتٍ (٣)، مات والله أمير المؤمنين. فَالْتَفَتُ فإذا رجل
من بنى لهبٍ، وهم من بنى نَصْرٍ بنِ الْأَرْدِ، وهم أَرْجَرٌ (٤) قوم، قال كثيرٌ:

سَأَلْتُ أَخَا لَهَبٍ لِيَزْجُرَ زَجْرَهُ وَقَدْ صَارَ زَجْرُ الْعَالَمِينَ إِلَى لَهَبٍ
قال: فلما وقفنا لرمى الجمار إذا حصاةٌ قد صَكَتْ صَلْعَةً عمر فأدْمَتُهُ، فقال
قائل: أُشْعِرَ والله أمير المؤمنين، والله لا يَقِفُ هذا المَوْقِفَ أَبَدًا. فَالْتَفَتُ فإذا بذلك
الْأَلْهَى بعينه، فَقُتِلَ عمرُ بن الخطاب رضى الله عنه قبل الحَوْلِ.

(١) سورة الصافات ١٣٠.

(٢) البدن، بالضم: جمع بدنة، وهى الناقة والبقرة وهذا البعير مما ينحر بمكة للهدى وإشعارها: أن يشق
جلدها أو سنامها بمبضع ونحوه حتى يظهر الدم، ليعلم أنه هدى.

(٣) يريد أبا بكر.

(٤) الزجر للطيور هو التيمن والتشاؤم بها، والتفاؤل بطيرانها وهو ضرب من الكهانة.

باب

[لذي الرمة في الزجر]

قال أبو العباس: أنشدني رجل من أصحابنا من بني سعد، قال: أنشدني
أعرابي في قصيدة ذي الرمة:

أَلَا يَا أَسْلَمَى يَا دَارَ مَيَّ عَلَى الْبَلَى وَلَا زَالَ مِنْهُلًا بِجَرَعَانِكَ الْقَطْرُ
بيتين لم تأت بهما الرواة، وهما:
رَأَيْتُ غُرَابًا سَاقِطًا فَوْقَ قَضْبَةٍ (١)
فَقُلْتُ: غُرَابٌ لَّا غُرَابَ، وَقَضْبَةٌ
مِنْ الْقَضْبِ لَمْ يَنْبُتْ لَهَا وَرَقٌ نَضْرُ
لِقَضْبِ النَّوَى، هَذِي الْعِيَافَةُ وَالزَّجْرُ
[لجذر العكلى]

وقال آخر - [قال أبو الحسن: هو جحدر العكلى، وكان لصًا] - :

وَقَدِمَا هَاجَنِي فَازْدَدْتُ شَوْقًا بُكَاءُ حَمَامَتَيْنِ تَجَاوَبَانِ
[«وقدما» عن أبي الحسن]
تَجَاوَبَتَا بِلَحْنٍ أَعْجَمِيٍّ عَلَى عُودَيْنِ مِنْ غَرَبٍ وَبَانَ (٢)
فَكَانَ الْبَانَ أَنْ بَانَتْ سُلَيْمَى وَفِي الْغَرَبِ أَغْتَرَابٌ غَيْرُ دَانَ
[هما قيل في المال]

وأنشدني أبو محمّل لرجل من ولد طلبة بن قيس بن عاصم:
وَكُنْتُ إِذَا خَاصَمْتُ خَصْمًا كَبَيْتُهُ عَلَى الْوَجْهِ، حَتَّى خَاصَمْتَنِي الدَّرَاهِمُ
فَلَمَّا تَنَازَعْنَا الْخُصُومَةَ غُلِبْتُ عَلَى، وَقَالُوا: قُمْ فَإِنَّكَ ظَالِمٌ
وقرأت على أبي الفضل العباس بن الفرّج الرياشي، عن أبي زيد الأنصاري:
وَلَقَدْ بَغَيْتُ الْمَالَ مِنْ مَبْغَاةِ وَالْمَالُ وَجْهٌ لِلْفَتَى مَعْرُوضُ
طَلَبَ الْغِنَى عَنْ صَاحِبِي لِيَحْبِنِي إِنَّ الْفَقِيرَ إِلَى الْغِنَى بَغِيضُ

(١) القضية: واحدة القضب، هو شجر له ورق كورق الكمثرى، إلا أنه أرق وأنعم.

(٢) الغرب والبان: ضربان من الشجر.

وقال آخر - أَنشَدَنِيهِ التَّوَزِيُّ عَنْ أَبِي زَيْدٍ - :

وَصَاحِبِ نَبْهَتِهِ لِيَنْهَضَا إِذَا الْكَرَى فِي عَيْنِهِ تَضْمَضَا
فَقَامَ عَجَلَانِ وَمَا تَأَرَّضَا يَمْسَحُ بِالْكَفَيْنِ وَجْهًا أَيْضَا
قوله : «وما تأرّضا» : أى لم يلزم الأرض .

[لشبيب بن البرطاء يفخر بكرمه]

وَأَنشَدَنِي التَّوَزِيُّ عَنْ أَبِي زَيْدٍ الْأَنْصَارِيِّ - [قال أبو الحسن هو شبيب بن البرصاء] - :

لَقَدْ عَلِمْتَ أُمَّ الصَّيِّينِ أَنَّنِي إِلَى الضَّيْفِ قَوَّامُ السَّنَاتِ خَرُوجُ
إِذَا الْمُرْغُثُ الْعَوْجَاءُ بَاتَ يَعْزُّهَا عَلَى ضَرْعِهَا ذُو تَوَمَّتَيْنِ لَهُوجُ
وَإِنِّي لِأُغْلِي اللَّحْمَ نِيًّا وَإِنِّي لِمَمَّنْ يَهِينُ اللَّحْمَ وَهُوَ نَضِيجُ

قوله : «قَوَّامُ السَّنَاتِ» يريد سريع الانتباه، والسَّنة : شدة النُّعَاسِ، وليس النوم بعينه، قال الله عز وجل . «لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ» (١)، وقال ابن الرِّفَاعِ العاملي :

لَوْلَا الْحَيَاءُ وَأَنْ رَأْسِي قَدْ عَسَا فِيهِ الْمَشِيبُ لَزُرْتُ أُمَّ الْقَاسِمِ
وَكَأَنَّهَا بَيْنَ النِّسَاءِ أَعَارَهَا عَيْنُهُ أَحْوَرُ مِنْ جَاذِرِ جَاسِمِ (٢)
وَسَنَانُ أَفْصَدَهُ النُّعَاسُ فَرَنَّقَتْ فِي عَيْنِهِ سِنَّةٌ، وَلَيْسَ بِنَائِمِ (٣)

معنى «رَنَّقَتْ» تهيأت، يقال رَنَّقَ النَّسْرُ، إِذَا مَدَّ جَنَاحَيْهِ لِيَطِيرَ، قال ذو الرِّمَّة (٤) :

* عَلَى حَدِّ قَوْسَيْنَا كَمَا رَنَّقَ النَّسْرُ *

(١) سورة البقرة ٢٥٥ .

(٢) جاسم : قرية بالشام، وفي ر : «عاسم»، وهو رمل لبنى سعد .

(٣) أَفْصَدَهُ : أَصَابَهُ .

(٤) قبله في زيادات ر :

* إِذَا ضَرَبَتْهُ الرِّيحُ رَنَّقَ فَوْقَنَا *

وانظر ديوانه ٢١٨ .

وقوله: «الرَّغِثُ»: يعنى التى تُرْضِعُ وتُرْغِثُ^(١) ولدها، ويقال لها رَغُوثٌ، قال طَرَفَةُ:

لَيْتَ لَنَا مَكَانَ الْمَلِكِ عَمُرٍ رَغُوثًا حَوْلَ قُبَّتِنَا تَخُورُ
وقوله: «يَعَزُّهَا»، أى يَغْلِبُهَا، وقال الله عز وجل: ﴿وَعَزَّنِي فِي
الْحِطَابِ﴾^(٢): يقول: غَلَبَنِي فِي الْمُخَاطَبَةِ، وأصله من قوله: كَانَ أَعَزَّ مِنِّي فِيهَا.
ومن أمثال العرب: «مَنْ عَزَّ بَزٌّ»، و تأويله: مَنْ غَلَبَ اسْتَلَبَ. وقال زُهَيْرٌ:
«وَعَزَّتْهُ يَدَاهُ وَكَاهَلُهُ»^(٣) يقول: كَانَ ذَلِكَ أَعَزَّ مَا فِيهِ، ويقال: لَهَجَ الْفَصِيلُ فَهُوَ
لَهُوجٌ إِذَا لَزِمَ الضَّرْعُ، ويقال: رَجُلٌ مُلْهَجٌ، إِذَا لَهَجَتْ فَصَالُهُ، فَيَتَّخِذُ خِلَالَ،
فَيَشْدُو عَلَى الضَّرْعِ، أَوْ عَلَى أَنْفِ الْفَصِيلِ، فَإِذَا جَاءَ لِيَرْضَعَ أَوْجَعَهَا بِالْخِلَالِ
فَضَرَحَتْهُ^(٤) عنها برجلها، قال الشَّمَاخُ يَصِفُ الْحِمَارَ:

رَعَى بَارِضَ الْوَسْمِيِّ حَتَّى كَانَمَا يَرَى بِسَفَا الْبُهْمَى أَخِلَّةً مُلْهَجٍ
البارضُ: أَوَّلُ مَا يَبْدُو مِنَ النَّبْتِ، وَالْبُهْمَى يَشْبَهُ السُّنْبُلَ، يَقُولُ: فَهُوَ لَمَّا
اعْتَادَ هَذَا الْمَرْعَى اللَّدْنَ اسْتَحْشَنَ الْبُهْمَى. وَسَفَاها: شَوَّكها. فيقول: كَأَنَّهُ مَخْلُولٌ
عَنِ الْبُهْمَى، أَى يراها كَأَلْأَخِلَّةٍ.

وقوله «ذو تومتين» فالتَّوْمَةُ فى الأَصْلِ الْحَبَّةُ^(٥)، ولكنها فى هذا الموضع التى
تُعَلَّقُ فى الأُذُنِ. وكالبيت الأخير قوله:

وَإِنِّى لَأُغْلِي لِحَمِّهَا وَهَى حِيَّةٍ وَيَرْخُصُ عِنْدِي لِحَمِّهَا حِينَ تَذْبَحُ
بِذَا فَاَنْدُبِينِى وَأَمْدَحِينِى فَإِنِّى فَتَى تَعْتَرِيهِ هِزَّةٌ حِينَ يَمْدَحُ

(١) ر: «يعنى التى ترضع ترغث»، س: «التي ترضع الرغث».

(٢) سورة ص ٢٣.

(٣) البيت بتمامه:

تَمِيمُ فُلُونَاهُ فأكْمَلَ صُنْعَهُ - فَتَمَّ، وَعَزَّتْهُ يَدَاهُ وَكَاهَلُهُ
وانظر ديوانه ١٣٠.

(٤) ضرحته: دفعته.

(٥) زيادات ر: «وقوله «الحبة» إنما معناه من حبات النظم».

باب

[لعمري بن عبد العزيز حينما سئل: أي الجهاد أفضل؟]

قيل لعمري بن عبد العزيز رحمه الله تعالى: أي الجهاد أفضل؟ فقال: جهادك هوأك.

[لرجل من الحكماء في مجاهدة النفس]

وقال رجل من الحكماء: اعصِ النساء وهواك واصنع ما شئت.

[لمحمد بن علي بن الحسين في الزهد]

وقال محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم: مالک من عيشك إلا لذة تزدلفُ بك إلى حمامك، وتقرّبُك من يومك، فأية أكلة ليس معها غصص! أو شرّبة ليس معها شرّق! فتأمل أمرک، فكأنک قد صرت الحبيب المفقود، والخيال المخترم. أهل الدنيا أهل سفر لا يحلّون عقد رحالهم إلا في غيرها.

قوله: «تزدلفُ بك إلى حمامك»، يقول: تقرّبك، ولذلك سميت المزدلفة. وقوله عز وجل: ﴿وَزُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ﴾^(١) إنما هي ساعات يقرب بعضها من بعض، قال العجاج:

نَاجِ طَوَاهُ الْأَيْنِ مِمَّا وَجَفَا طَيَّ اللَّيَالِي زُلْفًا فَزُلْفًا
* سَمَاوَةَ الْهَلَالِ حَتَّى أَحْقُوقًا *

ناج: سريع، والأين: الإعياء. والوجيف: ضرب من السير. ونصب «طيه الليالي» لأنه مصدر من قوله: «طواه الأين»، وليس بهذا الفعل، ولكن تقديره: طواه الأين طياً مثل طي الليالي، كما تقول: زيد يشرب شرّب الإبل، إنما التقدير يشرب شرباً مثل شرب الإبل، «فمثل» نعت، ولكن إذا حذفت المضاف استغنى بأن الظاهر بينه، وقام ما أضيف إليه مقامه في الإعراب، ومن ذلك قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ﴾^(٢)، نصب لأنه كان: «واسأل أهل القرية». وتقول:

(١) سورة هود ١١٤.

(٢) سورة يوسف ٨٢.

بنو فلان يَطْوُهُمُ الطريق، تريد أهل الطريق فحذفت «أهل» فرفعت «الطريق» لأنه في موضع مرفوع، فعلى هذا فقس إن شاء الله.

وقوله «سماوة الهلال» إنما هو أعلاه، ونَصَبَ «سماوة» بـ «طى»، يريد طواه الأين كما طَوَتِ الليالي سماوة الهلال. والشاهد على أنه يريد أعلاه قول طُفِيل:

سَمَاوَتُهُ أَسْمَالُ بَرْدٍ مُحَبَّرٍ وَسَائِرُهُ مِنْ أَنْحَمِيٍّ مُشْرَعَبٍ (١)

ويروى: «مُعَصَّب»، وإنما سماوته من قولك: سَمَاءٌ، فاعلم. فإذا وقع الإعراب على الهاء أظهرت ما تَبْنِيهِ على التأنيث على أصله، فإن كان من الياء أظهرت الياء، وإن كان من الواو أظهرت فيه الواو، تقول: شَقَاوَةٌ لَأَنهَا مِنَ الشَّقْوَةِ، وتقول: هذه أَمْرَأَةٌ سَقَايَةٌ: إذا أردت البناء على غير تذكير، فإن بنيته على التذكير قَلَبْتَ الياء والواو همزتين؛ لأن الإعراب عليهما يَقَعُ، فقلت: سَقَاءٌ وَغَزَاءٌ يافتى، فإن أَثَنْتُ قلت: سَقَاءَةٌ وَغَزَاءَةٌ، والأجودُ فيما كان له تذكير الهمز، وفيما لم يكن له تذكير الإظهار، وإنما السماء من الواو، لأن الأصل سَمَا يَسْمُو إذا ارتفع، وسماء كل شَيْءٍ سَقْفُهُ.

وقوله: «حتى أحقّوققا» يريد اعوجَّ، وإنما هو أفعوعَل من الحَقْف. والحقْف: النَّقَا من الرَّمْلِ يَعُوجُ وَيَدِقُّ، قال الله عز وجل: ﴿إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ﴾ (٢) أى بموضع هو هكذا.

[لعلى بن أبى طالب فى وصف الدنيا]

وقال رجل لعلى بن أبى طالب رحمة الله عليه (٣) وهو فى خطبته (٤):
يا أمير المؤمنين، صِفْ لَنَا الدُّنْيَا، فقال: مَا أَصِفُ مِنْ دَارٍ أَوَّلُهَا عَنَاءٌ. وَآخِرُهَا فَنَاءٌ، فِى حَلَالِهَا حِسَابٌ، وَفِى حَرَامِهَا عِقَابٌ، مَنْ صَحَّ فِيهَا أَمِنَ، وَمَنْ مَرَضَ فِيهَا نَدِمَ، وَمَنْ اسْتَغْنَى فِيهَا فُتِنَ، وَمَنْ افْتَقَرَ فِيهَا حَزَنَ.

(١) الأسمال: الأخلاق من الثياب. والمحبر: الموشى. والأنحَمِي: ضرب من البرود فيه خطوط. والمشرعِب، يريد أنه منسوب إلى الشرعية، وهى ضرب من البرود.

(٢) سورة الأحقاف ٢١. والأحقاف: رمال مشرفة على البحر بالشحر من اليمن، وهى مساكن عاد.

(٣) س: «رضى الله عنه».

(٤) ر، س: «وهو فى خطبته».

[مقدم الربيع بن زياد الحارثي على عمر بن الخطاب]

قال الربيع بن زياد الحارثي: كنتُ عاملاً لأبي موسى الأشعري على البحرين، فكتب إليه عمر بن الخطاب رحمه الله (١) يأمره بالقدوم عليه هو وعماله، وأن يستخلفوا جميعاً. قال: فلما قدمنا أتيت يرفاً (٢) فقلت: يا يرفاً، مسترشد وابن سبيل، أي الهيات أحب إلى أمير المؤمنين أن يرى فيها عماله؟ فأومأ إلى بالحشونة، فاتخذت حقيقتين مطارقين، ولبست جبة صوف، ولثت عمامتي على رأسي.

ودخلنا (٣) على عمر رحمه الله فصفا بين يديه، فصعد فينا وصوب، فلم تأخذ عينه أحداً غيري، فدعاني فقال: من أنت؟ قلت الربيع بن زياد الحارثي. فقال: وما تتولى من أعمالنا؟ قلت: البحرين، قال: كم ترتزق؟ قلت: ألفاً، قال: كثير، فما تصنع به؟ قلت: أنقوت منه شيئاً، وأعود به على أقارب لي. فما فضل عنهم فعلى فقراء المسلمين، قال: فلا بأس، ارجع إلى موضعك، فرجعت إلى موضعي من الصف، فصعد فينا وصوب، فلم تقع عينه إلا علي، فدعاني، فقال: كم سنك؟ قلت: خمس وأربعون سنة، قال: الآن حين استحكمت! ثم دعا بالطعام - وأصحابي حديث عهدهم بليلى العيش، وقد تجوعت له - فأتى بخبز وأكسار بعير، فجعل أصحابي يعافون ذلك، وجعلت أكل فأجيد، فجعلت (٤) أنظر إليه يلحظني من بينهم، ثم سبقت مني كلمة تمنيت أني سخت في الأرض، فقلت: يا أمير المؤمنين، إن الناس يحتاجون إلى صلاحك فلو عمدت إلى ألين من هذا! فزجرني، ثم قال: كيف قلت؟ فقلت: أقول: يا أمير المؤمنين أن تنظر إلى قوتك من الطحين، فيخبز لك قبل إرادتك إياه بيوم، ويطبخ لك اللحم كذلك، فتؤتى بالخبز ليئاً، واللحم غريضاً. فسكن من غربه وقال: أها هنا غرت؟ قلت: نعم، فقال: يا ربيع إنا لو نشاء ملأنا هذه الرحاب من صلائق، وسبائك،

(١) س: «رضى الله عنه».

(٢) يرفاً: مولى عمر بن الخطاب، يقال إنه أدرك الجاهلية. وحج مع عمر في خلافة أبي بكر، وكان حاجباً على بابه. (تاج العروس).

(٣) ر، س: «فدخلنا».

(٤) س: «ثم جعلت».

وصناب، ولكنى رأيتُ الله عز وجل نعى على قوم شهواتهم، فقال: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا﴾^(١)، ثم أمر أبا موسى بإقرارى، وأن يستبدل بأصحابى.

قوله: «فَلْتُثْمًا عَلَى رَأْسِي» يقول: أدبرت بعضَهَا عَلَى بعض عَلَى غير استواء يقال: رجل أَلُوْتُ إِذَا كَانَ شَدِيدًا، وَذَلِكَ مِنَ أَلُوْتُ، وَرَجُلٌ أَلُوْتُ إِذَا كَانَ أَهْوَجُ، وَهُوَ مَأْخُوذٌ مِنَ أَلُوْتُةٍ. وَحَدَّثَنِي عَبْدُ الصَّمَدِ بْنِ الْمَعْدَلِ قَالَ: سَأَلَ الْأَصْمَعِيُّ عَنِ الْمَجْنُونِ، الْمُسَمَّى قَيْسَ بْنِ مُعَاذٍ، فَثَبَّتَهُ وَقَالَ: لَمْ يَكُنْ مَجْنُونًا، وَلَكِنْ كَانَتْ بِهِ (٢) لُوثَةٌ كَلُوثَةُ أَبِي حَيَّةَ الشَّاعِرِ. وَقِيلَ لِلْأَشْعَثِ بْنِ قَيْسٍ بْنِ مَعْدَى كَرَبَ الْكَنْدِيِّ: بِمَ كُنْتُمْ تَعْرِفُونَ السُّودَّ فِي الصَّبِيِّ مِنْكُمْ؟ قَالَ: إِذَا كَانَ مَلُوثَ الْإِزْرَةِ^(٣)، طَوِيلَ الْغُرَّةِ^(٤)، سَائِلَ الْغُرَّةِ^(٥): كَأَنَّ بِهِ لُوثَةً، فَلَسْنَا نَشْكُ فِي سُودِّهِ.

وقوله: «تَوْتَى بِاللَّحْمِ غَرِيضًا» يقول: طَرِيًّا، وَيُقَالُ: لَحْمٌ غَرِيضٌ، وَشِوَاءٌ غَرِيضٌ، يُرَادُ بِهِ الطَّرَاءُ، قَالَ الْغَسَّانِيُّ^(٦):

إِذَا مَا فَاتَنِ لَحْمٌ غَرِيضٌ ضَرَبْتُ ذِرَاعَ بَكْرِي فَاشْتَوَيْتُ

وقوله: «صَلَاتُكُ» فَمَعْنَاهُ مَا عُمِلَ بِالنَّارِ طَبْخًا وَشَيْئًا، يُقَالُ: صَلَقْتُ الْجَنْبَ إِذَا شَوَيْتُهُ، وَصَلَقْتُ اللَّحْمَ إِذَا طَبَخْتَهُ عَلَى وَجْهِهِ.

وقوله: «سَبَائِكُ» يَرِيدُ مَا يُسَبَّكُ مِنَ الدَّقِيقِ فَيُؤْخَذُ خَالِصُهُ، يَرِيدُ الْحَوَارَى^(٧)، وَكَانَتِ الْعَرَبُ تُسَمِّي الرُّقَاقَ السَّبَائِكَ، وَأَصْلُهُ مَا ذَكَرْنَا.

وَالصَّنَابُ: صِبَاغٌ يَتَّخَذُ مِنَ الْخَرْدَلِ وَالزَّبِيبِ، وَمِنْ ذَلِكَ قِيلَ لِلْفَرَسِ صِنَابِيٌّ إِذَا كَانَ فِي ذَلِكَ اللَّوْنِ، وَكَانَ جَرِيرٌ أَشْتَرَى جَارِيَةً مِنْ رَجُلٍ يُقَالُ لَهُ زَيْدٌ مِنْ أَهْلِ

(١) سورة الأحقاف ٢٠.

(٢) ر، س: «فيه».

(٣) كذا ضبطت في الأصل بالضم، والإزرة: هيئة الانتزار.

(٤) الغرلة: القلفة.

(٥) الغرة في الأصل: البياض في جبهة الفرس. وسيلانها: استطالتها، وهو هنا استعارة لإشراق الوجه.

(٦) زيادات ر: «هو السموء».

(٧) الحواري: لباب البر.

اليمامة، ففَرَكَتُ^(١) جريراً، وجعلت تَحْنُ إلى زيد، فقال جرير:

تُكَلِّفْنِي مَعِيشَةَ آلِ زَيْدٍ وَمَنْ لِي بِالْمَرْقِقِ وَالصَّنَابِ!
وَقَالَتْ: لَا تَنْضُمُ كَضَمِّ زَيْدٍ، وَمَا ضَمِّي وَلَيْسَ مَعِيَ شَبَابِي!

فقال الفرزدقُ يَجِيبُه:

فَإِنْ تَفَرَّكَكَ عِلْجَةٌ آلِ زَيْدٍ وَيَعْوِزُكَ الْمُرْقِقُ وَالصَّنَابُ^(٢)
فَقَدِمَا كَانَ عَيْشُ أَبِيكَ مُرًّا يَعِيشُ بِمَا تَعِيشُ بِهِ الْكِلَابُ

وأما قوله: «أكسار بعير»، فَإِنَّ الْكِسْرَ^(٣) وَالْجِدْلَ وَالْوِصْلَ: الْعَظْمُ يَنْفَصِلُ
بِمَا عَلَيْهِ مِنَ اللَّحْمِ.

وأما قوله: «نَعَى عَلَى قَوْمٍ» فمعناه أَنَّهُ عَابَهُمْ بِهَا وَوَبَّخَهُمْ، قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ:
اجْتَمَعَ الْعُكَاظِيُّونَ^(٤) عَلَى أَنْ فُرْسَانَ الْعَرَبِ ثَلَاثَةٌ، فَفَارَسُ تَمِيمِ عُتَيْبَةَ بْنِ الْحَارِثِ
ابْنِ شِهَابٍ أَحَدُ بَنِي ثَعْلَبَةَ بْنِ يَرْبُوعَ بْنِ حَنْظَلَةَ، صَيَّادُ الْفَوَارِسِ وَسَمُّ الْفُرْسَانِ.
وَفَارَسُ قَيْسِ عَامِرُ بْنُ الطُّفَيْلِ بْنِ مَالِكِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ كِلَابٍ، وَفَارَسُ رُبَيْعَةَ بَسْطَامُ
ابْنِ قَيْسِ بْنِ مَسْعُودِ بْنِ قَيْسِ بْنِ خَالِدٍ، أَحَدُ بَنِي شَيْبَانَ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ عُكَّابَةَ بْنِ
صَعْبِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ بَكْرِ بْنِ وَاثِلٍ، قَالَ: ثُمَّ اخْتَلَفُوا فِيهِمْ حَتَّى نَعَوْا عَلَيْهِمْ
سَقَطَاتِهِمْ.

وأما قوله: «أَهْهَنَا غُرَّتَ»، يَقُولُ: ذَهَبَتْ، يَقَالُ غَارَ الرَّجُلُ إِذَا أَتَى الْغَوْرَ
وَنَاحِيَتَهُ مِمَّا انْخَفَضَ مِنَ الْأَرْضِ، وَأَنْجَدَ إِذَا أَتَى نَجْدًا وَنَاحِيَتَهُ مِمَّا ارْتَفَعَ فِي
الْأَرْضِ، وَلَا يَقَالُ «أَغَارَ» إِنَّمَا يَقَالُ: غَارَ وَأَنْجَدَ، وَبَيْتُ الْأَعَشَى يُشَدُّ عَلَى هَذَا:
نَبِيٌّ يَرَى مَا لَا تَرَوْنَ وَذَكَرُهُ لَعَمْرِي غَارَ فِي الْبِلَادِ وَأَنْجَدَا

(١) فَرَكَتْهُ: أَبْغَضَتْهُ.

(٢) الْعِلْجَةُ: مَوْثُ الْعِلْجِ، وَهُوَ الْغُلَيْظُ مِنْ كِفَارِ الْعَجَمِ.

(٣) الْكِسْرُ وَالْجِدْلُ، ضَبَطْنَا فِي الْأَصْلِ بَفَتْحِ أَوَّلِهِ وَكَسَرِهِ.

(٤) الْعُكَاظِيُّ: مَنْسُوبٌ إِلَى عُكَاظٍ، وَهُمْ الَّذِينَ عَادَتْهُمْ الذَّهَابُ كُلَّ عَامٍ إِلَى عُكَاظٍ، وَهُوَ سُوقٌ كَانَتْ تَقِيمُهُ
الْعَرَبُ بَيْنَ نَخْلَةٍ وَالطَّائِفِ فِي شَوَالٍ مِنْ كُلِّ عَامٍ، يَجْتَمِعُ فِيهِ شُعْرَاءُ الْعَرَبِ يَتَنَاشَدُونَ الشُّعْرَ.

وقوله: «فَسَكَنَ مِنْ غَرَبِهِ»، يقول: من حَدِّهِ، وكذلك يقال في كل شيء. في السَّيْفِ والسَّهْمِ والرجل وغير ذلك.

وقوله: «خَفِينِ مَطَارَقَيْنِ» تأويله: مُطْبِقَيْنِ، يقال: طَارَقْتُ نَعْلِي إِذَا أَطْبَقْتُهَا، ومن قال: «طَرَقْتُ» أو «أَطْرَقْتُ» فقد أخطأ، ويقال لكل ما ضَوْعِفَ: فقد طُوِرِقَ، قال ذو الرِّمَّةُ (١):

طِرَاقُ الْخَوَافِي وَاقِعٌ فَوْقَ رِبْعَةٍ نَدَى لَيْلِهِ فِي رِيشِهِ يَتَرَقَّرُ (٢)
قوله: «رِبْعَةٌ» موضعُ ارتفاع: قال الله عزَّ وجل: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ﴾ (٣)، وهو جمع ربيعة، وقال الشَّمَاخُ:

تَعِنَ لَهُ بِمَذْنَبٍ كُلِّ وَادٍ إِذَا مَا الْغَيْثُ أَخْضَلَ كُلَّ رِيعٍ (٤)

[خطبة لعمر بن عبد العزيز]

قال أبو العباس: وحدثني العباس بن الفرج الرِّياشيُّ عن الأَصْمَعِيِّ قال: قال عدِيُّ بن الفضيل: خرجت إلى أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز أستحفره بئراً بالعَذْبَةِ، فقال لي: وأين العَذْبَةُ؟ قلت: على ليلتين من البصرة، فتأسَّفَ ألا يكون بمثل هذا الموضع ماءً. فأحفرني، واشترط عليَّ أن أولَّ شاربٍ ابنُ السَّيْلِ، قال فَحَضَرَتْهُ فِي جُمُعَةٍ وَهُوَ يَخْطُبُ، فَسَمِعْتُهُ وَهُوَ يَقُولُ:

يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّكُمْ مَيِّتُونَ، ثُمَّ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ، ثُمَّ إِنَّكُمْ مُحَاسَبُونَ، فَلَعَمْرِي لئن كنتم صادقين لقد قَصَّرْتُمْ، ولئن كنتم كاذبين لقد هَلَكْتُمْ. أيها الناس إنه من يُقَدِّرَ لَهُ رِزْقُ بَرَأْسِ جَبَلٍ أَوْ بِحْضِيضِ أَرْضِ يَأْتِيهِ، فاتقوا الله وأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ.
قال: فَأَقَمْتُ عِنْدَهُ شَهْرًا مَا بَى إِلَّا اسْتِمَاعَ كَلَامِهِ.

قوله: «حَضِيضٌ (٥)» يعني الْمُسْتَقَرُّ مِنَ الْأَرْضِ إِذَا انْحَدَرَ عَنِ الْجَبَلِ، وَلَا يُقَالُ حَضِيضٌ إِلَّا بِحَضْرَةِ جَبَلٍ، يُقَالُ: حَضِيضُ الْجَبَلِ، وَيُطْرَحُ الْجَبَلُ فَيُسْتَغْنَى عَنْهُ لِأَنَّهُ لَا يَكُونُ إِلَّا لَهُ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ امْرِئِ الْقَيْسِ:

* نَظَرْتُ إِلَيْهِ قَائِمًا بِالْحَضِيضِ * (٦)

(١) زيادات ر: «يصف صقرا».

(٢) الخوافي: ريشات إذا ضم الطائر جناحية خفيت، صد القوادم، وطرقها: ركوب بعضها على بعض.

(٣) الشعراء ١٢٨.

(٤) تعن: تظهر. والمذنب: مسيل الماء في الحضيض.

(٥) ر: «قوله بحضيض».

(٦) الضمير يعود على الفرس في البيت قبله وصدره:

« قَلَمًا أَجَنَ الشَّمْسَ عَنْ غِيَارِهَا »

[نَبِيٌّ مِنْ أَقْوَالِ الْحُكَمَاءِ]

فَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: يَا بَنَ آدَمَ، لَا تَحْمِلْ هَمَّ يَوْمِكَ الَّذِي لَمْ يَأْتِ عَلَى يَوْمِكَ الَّذِي أَنْتَ فِيهِ، فَإِنَّهُ إِنْ يُعْلَمَ أَنَّهُ مَنْ أَجَلَكَ يَأْتِ فِيهِ رِزْقُكَ، وَاعْلَمْ أَنَّكَ لَا تَكْسِبُ مِنَ الْمَالِ شَيْئًا فَوْقَ قُوَّتِكَ إِلَّا كُنْتَ خَازِنًا لْغَيْرِكَ فِيهِ.

وَيُرْوَى لِلنَّابِغَةِ (١):

وَلَكَسْتُ بِخَابِيٍّ أَبَدًا طَعَامًا حِذَارَ غَدٍ، لِكُلِّ غَدٍ طَعَامٌ

وَيُرْوَى أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ كَانَ آمِنًا فِي سَرِّهِ» (٢)، مُعَافًى فِي بَدَنِهِ، عِنْدَهُ قُوَّةٌ يَوْمِهِ، كَانَ كَمَنْ حِزَّتْ لَهُ الدُّنْيَا بِحَذَائِفِهَا».

قَوْلُهُ ﷺ: «فِي سَرِّهِ» يَقُولُ: فِي مَسْلَكَهُ، يُقَالُ: فُلَانٌ وَاسِعُ السَّرْبِ، وَخَلَّى السَّرْبَ، يَرِيدُ الْمَسَالِكَ وَالْمَذَاهِبَ، وَإِنَّمَا هُوَ مِثْلُ مُضْرُوبٍ لِلْمَصْدَرِ وَالْقَلْبِ، يُقَالُ: خَلَّى سَرِّهِ، أَيْ طَرِيقَهُ حَتَّى يَذْهَبَ حَيْثُ شَاءَ، وَيُقَالُ ذَلِكَ لِلْإِبْلِ لِأَنَّهَا تَنْسَرِبُ فِي الطَّرِيقَاتِ، وَيُقَالُ: سَرَّبَ عَلَى الْإِبِلِ، أَيْ أَرْسَلَهَا شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ، فَإِذَا قَلَّتْ: سَرَّبَ، بِكَسْرِ السِّينِ، فَإِنَّمَا هُوَ قَطِيعٌ مِنْ ظَبَاءٍ، أَوْ بَقَرٍ، أَوْ شَاءٍ، أَوْ نَسَاءٍ، أَوْ قَطَاً، قَالَ امْرُوءُ الْقَيْسِ:

فَعَنَّ لَنَا سِرْبٌ كَانَ نِعَاجَهُ عَذَارَى دَوَّارٍ فِي الْمَلَأِ الْمَذِيلِ

دَوَّارٌ: نَسْكٌ يَنْسُكُونَ عِنْدَهُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَدَوَّارٌ مَا اسْتَدَارَ مِنَ الرَّمْلِ، وَدَوَّارٌ سِجْنُ الْيَمَامَةِ. قَالَ بَعْضُ اللُّصُوصِ (٣):

كَأَنْتَ مَنَازِلُنَا الَّتِي كُنَّا بِهَا شَتَّى، فَأَلَّفَ بَيْنَنَا دَوَّارٌ

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ:

فَلَمْ تَرَ عَيْنِي مِثْلَ سِرْبٍ رَأَيْتُهُ خَرَجْنَ عَلَيْنَا مِنْ زُقَاقِ ابْنِ وَاقِفٍ (٤)

(١) زِيَادَاتُ ر: «هَذَا مِنْ شَعْرِ أَوْسِ بْنِ حَجَرٍ مَثَبَتْ فِيهِ فِي كَلِمَةٍ لَمْ يَعْرِفْهَا الْأَصْمَعِيُّ».

(٢) زِيَادَاتُ ر: «كَذَا وَقَعَتِ الرَّوَايَةُ بَفَتْحِ السِّينِ عَنْ أَبِي الْعَبَّاسِ وَالصَّوَابِ كَسَرَهَا، وَإِنَّمَا السَّرْبُ، بِفَتْحِ السِّينِ: الْمَالُ الرَّاعِي».

(٣) زِيَادَاتُ ر: «وَأَسَمَهُ جَحْدَرٌ».

(٤) نَسَبَهُ أَبُو الْفَرَجِ فِي الْأَغَانِي ٢١: ١٧٥ إِلَى هُدَيْبِ بْنِ خَشْرَمٍ، مِنْ أُبَيَّاتِ أَرْبَعَةٍ، وَبَعْدَهُ:

تَضَمَّنَ بِالْجَادَى حَتَّى كَأَنَّمَا الْـ أَتُوفُ إِذَا اسْتَعْرَضْنَ رَوَاعِفُ وَفِيهَا إِقْوَاءُ.

وكان الحسن يقول: ليس العَجَبُ مَنْ عَطِبَ كَيْفَ عَطِبَ، إِنَّمَا الْعَجَبُ مِمَّنْ نَجَا كَيْفَ نَجَا.

وكان الحجاج بن يوسف يقول على المنبر: أيها الناس، اقْدَعُوا هذه الأَنْفُسَ، فَإِنَّهَا أَسْأَلُ شَيْءٌ إِذَا أُعْطِيَتْ، وَأَمْنَعُ شَيْءٌ إِذَا سُئِلَتْ، قَرَحِمَ اللَّهُ أَمْرًا جَعَلَ لِنَفْسِهِ خَطَامًا وَزَمَامًا فَقَادَهَا بِخَطَامِهَا إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ، وَعَظَفَهَا بِزِمَامِهَا عَنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ، فَإِنِّي رَأَيْتُ الصَّبْرَ عَنْ مُحَارَمِ اللَّهِ أَيْسَرَ مِنَ الصَّبْرِ عَلَى عَذَابِهِ.

قوله: «اقْدَعُوا» يقال قَدَعْتُهُ عَنْ كَذَا، أَيْ مَنَعْتُهُ عَنْهُ، وَمِنْهُ قَوْلُ الشَّمَاخِ:

إِذَا مَا اسْتَأْفَهْنَ ضَرْبَنَ مِنْهُ مَكَانَ الرَّمْحِ مِنْ أَنْفِ الْقَدْوَعِ
قوله: «استأفهن» يعنى حِمَارًا يَسْتَأْفُ أَتْنَا، يقول: يَرْمَحُنَّ إِذَا اشْتَمَهُنَّ،
وَالسَّوْفُ الشَّمُّ.

وقوله:

* مكان الرمح من أنف القدوع *

يريد بالقدوع المقدوع، وهذا من الأضداد، يقال طريق ركوبٌ إذا كان يَرْكَبُ، وَرَجُلٌ رَكُوبٌ لِلدَّوَابِّ إِذَا كَانَ يَرْكُبُهَا، وَيُقَالُ: نَاقَةٌ رَغُوثٌ إِذَا كَانَتْ تَرْضَعُ، وَحَوَارٌ رَغُوثٌ إِذَا كَانَ يَرْضَعُ، وَمِثْلُ هَذَا كَثِيرٌ، يُقَالُ: شَاةٌ حَلُوبٌ إِذَا كَانَتْ تُحَلَبُ، وَرَجُلٌ حَلُوبٌ إِذَا كَانَ يَحْلُبُ الشَاةَ، وَالْقَدْوَعُ هَاهُنَا: الْبَعِيرُ الَّذِي يُقَدَعُ، وَهُوَ أَنْ يَرِيدَ النَّاqَةَ الْكَرِيمَةَ وَلَا يَكُونُ كَرِيمًا، فَيُضْرَبُ أَنْفُهُ بِالرَّمْحِ حَتَّى يَرْجِعَ: يُقَالُ: قَدَعْتُ أَنْفَهُ، وَقَدَعْتُ أَنْفَهُ، وَيُرْوَى أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا خَطَبَ خَدِيجَةَ بِنْتَ خُوَيْلِدِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى بْنِ قَصِيٍّ ذَكَرَ لَوْرَقَةَ بِنَ نُوْفَلٍ فَقَالَ: مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ يَخْطُبُ خَدِيجَةَ بِنْتَ خُوَيْلِدٍ! الْفَحْلُ لَا يُقَدَعُ أَنْفُهُ.

وكان الحجاج يقول: إِنَّ أَمْرًا أَتَتْ عَلَيْهِ سَاعَةٌ مِنْ عُمْرِهِ لَمْ يَذْكُرْ فِيهَا رَبَّهُ، أَوْ يَسْتَغْفِرُ مِنْ ذَنْبِهِ، أَوْ يُفَكِّرُ فِي مَعَادِهِ، لَجَدِيرٌ أَنْ تَطُولَ حَسْرَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

باب

[لعمارة بن عقيل يحض بنى كعب وبنى كلاب على بنى نمير]

قال أبو الحسن: أنشدني عُمارة بن عَقِيل لنفسه يَحْضُ بنى كَعْب وبنى كلاب، ابْنَى رَيْبَةَ بن عامر بن صَعْصَعَة بن معاوية بن بَكْر بن هَوَازَنَ على بنى نَمِير بن عامر بن صَعْصَعَة، وبينهم مُطالِبَاتٌ وَتَرَاتٌ^(١). وكانت بنو نَمِير أعداء عُمارة، فكان يَحْضُ عليهم السلطان، وَيُغَرِّى بهم إِخْوَتَهُمْ، ويحاربهم فى عَشِيرَتِهِ، فقال:

رَأَيْنَاكُمْ يَا بَنَى رَيْبَةَ خُرْتُمَا	لَعَضَّ الْحُرُوبِ، وَالْعَدِيدُ كَثِيرُ
وَصَدَقْتُمَا قَوْلَ الْفَرَزْدَقِ فِيكُمَا	وَكَذَبْتُمَا مَا كَانَ قَالَ جَرِيرُ
أَصَابَتْ نَمِيرٌ مِنْكُمْ فَوْقَ قَدْرِهَا	فَكُلُّ نَمِيرٍ بِذَلِكَ أَمِيرُ
فَإِنْ تَفَخَّرُوا بِمَا مَضَى مِنْ قَدِيمِكُمْ	فَقَدْ هُدِّمَتْ مَدَائِنٌ وَقُصُورُ
رَمَتْهَا مَجَانِقُ الْعَدُوِّ فَقَوَّضَتْ	مَدَائِنٌ مِنْهَا كَالْجِبَالِ وَسُورُ
وَشَيَّدَهَا الْأَمْلاكُ: كَسَرَى وَهَرَمَزُ	وَأَلَّ هَرَقْلِي حَقَبَةً، وَنَضِيرُ
فَإِنْ تَعَمَّرُوا الْمَجْدَ الْقَدِيمَ فَلَمْ يَزَلْ	لَكُمْ فِي مُضِرَّاتِ الْحُرُوبِ ضَرِيرُ
خَبَطْتُمْ لِيُوثَ الشَّأَمِ حَتَّى تَنَازَرَتْ	حِمَاكُمْ وَحَتَّى لَا يَهَرَّ عَقُورُ
فَكَيْفَ بِأَكْنَافِ الشَّرِيفِ تُصِيبُكُمْ	ثَعْلَبُ يَبْحَثُنَ الْحَصَى وَأُبُورُ

قال أبو العباس: قوله:

* فقد هُدِّمَتْ مَدَائِنٌ وَقُصُورُ *

مثل، يريد أن مَجْدَكُمْ الذى بناه آبَاؤُكُمْ متى لم تَعَمَّرُوهُ بأفعالكم خَرَبَ وَذَهَبَ. وهذا كما قال عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب:

لَسْنَا وَإِنْ كَرُمْتَ أَوَائِلُنَا	يَوْمًا عَلَى الْأَحْسَابِ تَتَكَلُّ
نَبْنَى كَمَا كَانَتْ أَوَائِلُنَا	تَبْنَى، وَتَفْعَلُ مِثْلَ مَا فَعَلُوا

(١) الترات: جمع ترة، وهى الجناية.

وكما قال الآخر:

أَلْهَى بَنَى جُشْمٍ عَنْ كُلِّ مَكْرَمَةٍ
يُفَاخِرُونَ بِهَا مُدَّ كَانَ أَوْلَهُمْ
إِنَّ الْقَدِيمَ إِذَا مَا ضَاعَ آخِرُهُ
كَصَاعِدٍ فَلَهُ الْيَوْمُ مَحْطُومٌ

وكما قال عامر بن الطفيل:

إِنِّي وَإِنْ كُنْتُ ابْنُ فَارِسٍ عَامِرٍ
فَمَا سَوَّدَتْنِي عَامِرٌ عَنْ وِرَاثَةٍ
وَلَكِنِّي أَحْمَى حِمَاهَا وَأَنْقَى
وَفِي السَّرِّ مِنْهَا وَالصَّرِيحِ الْمُهَذَّبِ
أَبَى اللَّهُ أَنْ أَسْمُو بِأُمٍّ وَلَا أَبِ
أَذَاهَا، وَأَرْمِي مَنْ رَمَاهَا بِمِقْنَبِ

[قال أبو الحسن: أنشدني هذه الأبيات محمد بن الحسن المعروف بابن الحُرُون - ويكنى أبا عبد الله - لعامر بن الطفيل العامري. قال أبو الحسن: قال الأَصْمَعِيُّ: وكان عامر بن الطفيل يُلقَّبُ مُحَبَّرًا لِحُسْنِ شِعْرِهِ، وأولها:

تَقُولُ ابْنَةُ الْعَمْرِى: مَا لَكَ بَعْدَمَا
فَقُلْتُ لَهَا: هَمَّى الذِّى تَعْلَمِيْنَهُ
إِنْ أَغْزُ زَبِيدًا أَغْزُ قَوْمًا أَعْزَةً
وَأِنْ أَغْزُ حَيَّيْ خَتَعَمَ قَدَمَاؤُهُمْ
فَمَا أَدْرَكَ الْأَوْتَارَ مِثْلُ مُحَقِّقٍ
وَأَسْمَرَ خَطِيٍّ وَأَبْيَضَ بَاتِرٍ
سِلَاحُ أَمْرِئٍ قَدْ يَعْلَمُ النَّاسُ أَنَّهُ
أَرَاكَ صَحِيحًا كَالسَّلِيمِ الْمُعَذَّبِ!
مِنْ الثَّارِ فِي حَيٍّ زُبَيْدٍ وَأَرْحَبِ
مُرْكَبُهُمْ فِي الْحَيِّ خَيْرُ مُرْكَبِ
شِفَاءً، وَخَيْرُ الثَّارِ لِلْمُتَاوِبِ
بِأَجْرَدَ طَاوٍ كَالْعَسِيبِ الْمُشْدَبِ
وَزَغَفٍ دِلَاصٍ كَالْغَدِيرِ الْمُثَوَّبِ
طَلُوبٌ لِّثَارَاتِ الرِّجَالِ مُطْلَبِ

ثم أتى بإنشاد أبي العباس على وجهه، إلا أنه روى: «مَنْ رَمَاهَا بِمِنْكَبِ».

السليم: الملدوغ، وقيل له: «سليم» تفاؤلاً له بالسلامة، وزُبَيْدٌ وَأَرْحَبُ: حَيَّانٍ مِنَ الْيَمَنِ. والثَّارُ: مَا يَكُونُ لَكَ عِنْدَ مَنْ أَصَابَ حَمِيمَكَ، وَمِنَ التَّرَةِ، وَمَنْ قَالَ «ثَارٌ» فَقَدْ أَخْطَأَ.

والمثأوب: الذى يأتىك لطلب ثأره عندك، يقال: أب يئوب إذا رجع.
والتأويب فى غير هذا: السير فى النهار بلا توقف.

والأوتار والأحقاد واحدهما وترٌ وحقدٌ. والأجرد: الفرس المتحسر الشعر،
والأجرد الضامر أيضاً. والعسيب: السَّعْفَةُ. والمشدب: الطويل الذى أخذ ما عليه
من العقد والسلاء^(١) والخوص، ومنه قيل للطويل المعرق: مشدب.

وخطى: رمح منسوب إلى الخط، وهى جزيرة بالبحرين، يقال إنها تبت
عصا الرماح، وقال الأصمعى: ليست بها رماح، ولكن سفينة كانت وقعت إليها،
فيها رماح، وأرقت بها فى بعض السنين المتقدمة، فليل لتلك الرماح: الخطية، ثم
عم كل رُمح هذا النسب إلى اليوم. والزغف: الدرع الرقيقة النسيج، والمثوب:
الذى تصفقه الرياح فيذهب ويحيى، وهو من تاب يئوب إذا رجع. وإنما سُمي
الغدير غديرًا؛ لأن السيل غادره، أى تركه.

قال أبو العباس: قوله:

* لكم فى مضرّات الحروب ضرير *

يقال: رجل ضرير إذا كان ذا مشقة على العدو، وقال مهلهل بن ربيعة
التغلبى:

قَتِيلٌ مَا قَتِيلُ الْمَرْءِ عَمْرٍو وَهَمَّامٌ بَنَ مَرَّةً ذُو ضَرِيرٍ^(٢)

وقوله: «خبطتم ليوث الشام» يريد ما كان من نصر بن شبت العقيلي، وهو
عقيل بن كعب بن ربيعة.

وقوله: «أبور» جمع وبر^(٣)، وإذا انضمت الواو من غير علة فهمزها جائز،
وقد ذكرنا ذلك قبل.

(١) السلاء: شوك النخل.

(٢) زيادات ر: «ما»: زائدة، وفيها معنى التعظيم.

(٣) الوبر: دوية على قدر السنورى.

[لَعْمَارَةٌ أَيْضًا فِي الْحَثِّ عَلَى الْإِخْذِ بِالنَّارِ]

وقال عُمارة أَيْضًا لَهُمْ، أَسَدَنِيهِ :

أَلَا لِلَّهِ دَرُّ الْحَيِّ كَعَبٍ ذَوَى الْعَدَدِ الْمُضَاعَفِ وَالْخِيُولِ
أَمَّا فِيهِمْ كَرِيمٌ مِثْلُ نَصْرِ يورِعُ عَنْهُمْ سَنَنَ الْفُحُولِ
تَنَوَّخَهُمْ نَمِيرٌ كُلَّ يَوْمٍ كَفِعَلِ أَخِي الْعَزَازَةِ بِالذَّلِيلِ
وَلَيْسُوا مِثْلَ عُسْرِهِمْ وَلَكِنْ يَضِيعُ الْقَوْمُ مِنْ قَبْلِ الْعُقُولِ
فَأَيْنَ قَوَارِسُ السَّلَامَاتِ مِنْهُمْ وَجَعَدَ وَالْحَرِيشِ ذَوُو الْفُضُولِ !
وَأَيْنَ عُبَادَةُ الْحَشَنَاءِ عَنْهُمْ (١) إِذَا مَا ضَاقَ مُطْلَعُ السَّبِيلِ !

قوله :

* أَلَا لِلَّهِ دَرُّ الْحَيِّ كَعَبٍ *

يريد كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر .

وقوله :

* أَمَّا فِيهِمْ كَرِيمٌ مِثْلُ نَصْرِ *

يعنى نصر بن شبيب ، أحد بنى عَقِيلِ بن كَعْبِ بن ربيعة . وقوله :

* يورِعُ عَنْهُمْ سَنَنَ الْفُحُولِ *

هو مِثْلُ ضَرْبِهِ ، فجعلهم لإمساكهم عن الحرب بمنزلة النُّوقِ التي يَقْرَعُهَا الْفَحْلُ وَيُورِعُ : يَكْفُ وَيَجْنَعُ وَيُدْفَعُ . والورِعُ فى الدين إنما هو الكَفُّ عن أخذ الحرام ، وجاء فى الحديث : « لَا تَنْظُرُوا إِلَى صَوْمِهِ ، وَلَا إِلَى صَلَاتِهِ ، وَلَكِنْ انظُرُوا إِلَى وَرَعِهِ إِذَا أَشْفَى » ، ومعناه إذا أشرف على الدينار والدرهم . والسَّنَنُ : الْقَصْدُ ، ثم أبان ذلك بقوله :

* تَنَوَّخَهُمْ نَمِيرٌ كُلَّ يَوْمٍ *

يقال : سَأَنَ الْفَحْلُ النَّاقَةَ فَتَنَوَّخَهَا ، وذلك إذا ركبها من غير أن توطأ له ، ولكن يَعْتَرِضُهَا اعْتِرَاضًا . وتقول العرب : إن ذلك أكرم التَّاجِ ؛ وذلك لأن

(١) ر : «منهم» .

الولد يخرج صلياً مذكراً، ويقال لذلك الحمل الذى يقع من التَنَوُّخ والاعتراض:
يَعَارَةٌ وَعِرَاضٌ، يقال: حَمَلَتْهُ عِرَاضاً وحملته يَعَارَةٌ يا فتى، قال الراعى:

قَلَائِصَ لَا يُلْقَحْنَ إِلَّا يَعَارَةٌ عِرَاضاً، وَلَا يُشْرِينَ إِلَّا غَوَالِيَا
وقال الطَّرِمَاح:

سَوْفَ تُدْنِيكَ مِنْ لَمِيسَ سَبْنَدَا (١) ةٌ أَمَارَتْ بِالْبَوْلِ مَاءَ الْكِرَاضِ
نَضَّجَتْهُ عِشْرِينَ يَوْمًا وَنِيلَتْ حِينَ نِيلَتْ يَعَارَةٌ فِي عِرَاضِ

قوله: «سَبْنَدَا» فهي الجَرِيَّةُ الصَّدْرُ، يقال للجَرَىءِ الصدر: سَبْنَدَى
وسبنتى، وأصل ذلك فى النَّمْرِ، وزعم الأَصْمَعِيُّ أن الكِرَاضَ حَلَقُ الرَّحِمِ، قال:
ولم أَسْمَعْهُ إِلَّا فى هذا الشُّعْرِ.

وقوله: «نَضَّجَتْهُ عِشْرِينَ يَوْمًا»، إنما هو أن تزيد بعد الحول من حيث حَمَلَتْ
أياماً: نحو الذى عَدَّ، فلا يخرج الولد إلا مُحْكَمًا، قال الحُطَيْئَةُ:

لَأَدْمَاءَ مِنْهَا كَالسَّفِينَةِ نَضَّجَتْ بِهِ الْحَوْلَ حَتَّى زَادَ شَهْرًا (٢) عَدِيدَهَا
وَالْعَزَازَةَ: الْعِزُّ، وَالْمَصَادِرُ الَّتِي تَقَعُ عَلَى «فَعَالَةٍ» لِلْمَبَالِغَةِ، يُقَالُ: عَزَّ عَزًّا
وَعَزَازَةً، كَمَا يُقَالُ: الشَّرَاسَةُ وَالصَّرَامَةُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي
سَفَاهَةٌ﴾ (٣)، وَفِي مَوْضِعٍ آخَرَ: ﴿لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ﴾ (٤).

وقوله: «فَأَيْنَ فَوَارِسَ السَّلَامَاتِ»، يريد بنى سَلَمَةَ الْخَيْرِ، وَبَنَى سَلَمَةَ الشَّرِّ
أَبْنَى قُشَيْرِ بْنِ كَعْبٍ، وَجَمَعَ لِأَنَّهُ يَرِيدُ الْحَيَّ أَجْمَعَ، كَمَا تَقُولُ الْمَهَالِبَةُ وَالْمَسَامِعَةُ،
فَتَجْمَعُهُمْ عَلَى اسْمِ الْأَبِ، عَلَى الْمُهَلَّبِ وَمِسْمَعٍ، وَكَذَلِكَ الْمَنَازِرَةُ، وَقَدْ مَرَّتِ
الْحِجَّةُ فِي هَذَا.

وَجَعَدَةُ بْنُ كَعْبٍ وَالْحَرِيشُ بْنُ كَعْبٍ وَبَنُو عُبَادَةَ، مِنْ بَنَى عُقَيْلِ بْنِ كَعْبٍ.
وَقَالَ: «الْخَشْنَاءُ»، يَرِيدُ الْقَبِيلَةَ، وَذَكَرَهَا بِالْخَشُونَةِ عَلَى الْأَعْدَاءِ.

(١) ر. س: «سَبْنَدَا وسبنداء»، وكلاهما جائز.

(٢) ر: «عشرا».

(٣) الأعراف ٦٧.

(٤) الأعراف ٦١.

[سؤال معاوية بن أبي سفيان لدغفل بن حنظلة عن قبائل العرب]

ويروى أن معاوية بن أبي سفيان رحمه الله تعالى قال لدغفل بن حنظلة النسابة: ما تقول في بني عامر بن صعصعة؟ قال: أعناق ظباء، وأعجاز نساء. قال: فما تقول في بني تميم؟ قال: حجر أخشن: إن صادمته أذاك، وإن تركته تركك، قال: فما تقول في اليمن؟ قال: سيد وأنوك.

[لعمارة بن عقيل حينما أمره أبو سعد التميمي أن يضع يده في

يد أبي نصر الطائي]

قال أبو العباس: وأنشدني عمارة لنفسه - وسبب هذا الشعر الذي ذكره أن رجلاً من بني تميم، يكنى أبا سعد، كان منقطعاً إلى أبي نصر بن حميد الطائي، ثم أحد بني نبهان، وكان أبو نصر والياً على العرب، وكتب أبو سعد إلى عمارة يأمره أن يضع يده في يد أبي نصر، فقال عمارة -:

دَعَانِي أَبُو سَعْدٍ وَأَهْدَى نَصِيحَةً	إِلَيَّ، وَمِمَّا أَنْ تَغَرَّ النَّصَائِحُ ^(١)
لَا جُزْرَ لِحْمِي كُلِّ بَنِيهِانَ كَالَّذِي	دَعَا الْقَاسِطِي حَتْفُهُ وَهُوَ نَازِحُ
أَوْ الْبُرْجُمِي حِينَ أَهْدَاهُ حَيْنُهُ	لِنَارٍ عَلَيْهَا مُوقِدَانِ وَذَابِحُ
وَرَأَى أَبِي سَعْدٍ وَإِنْ كَانَ حَازِمًا	بَصِيرًا وَإِنْ ضَاقَتْ عَلَيْهِ الْمَسَارِحُ
أَعَارَ بِهِ مَلْعُونُ بَنِيهِانَ سَيْفُهُ	عَلَى قَوْمِهِ، وَالْقَوْلُ عَافٍ وَجَارِحُ
وَنَصْرُ الْفَتَى فِي الْحَرْبِ أَعْدَاءَ قَوْمِهِ	عَلَى قَوْمِهِ لِلْمَرْءِ ذِي الطَّعْمِ فَاضِحُ

قوله: «لأجزر لحمي كل بني نبهان» أي لأكون جزرة له، والجزرة: البدنة تنحر، يقال: أجزرت فلاناً، وتركت فلاناً جزراً، قال عنترة العبسي:

إِنْ تَشْتَمَا عِرْضِي فَإِنَّ أَبَاكُمَا جَزَرُ السَّبَاعِ وَكُلُّ نَسْرٍ قَشْعَمٍ

وقوله:

... كالذي دعا القاسطي حتفه وهو نازح

(١) زيادات ر: «مما بمعنى ربما».

فهذا رجل من النمر بن قاسط، خرج يبتغي قرظاً من بُعد، فنهشته حية فمات، فهو أحد القارطين، والقارظ الأول من عزة، كان خرج مع ابن عم له في طلب القرظ، فقتله ابن عمه، لأنه كان يريد ابنته فمنعه منها، قال أبو خراش^(١) الهذلي:

وَحَتَّى يَوْوبَ الْقَارِظَانِ كِلَاهُمَا وَيُنْشَرَ فِي الْقَتْلَى كُلِّبٌ لِوَائِلِ

وقوله: «كالذي دعا القاسطي حتفه» الهاء في حتفه ترجع على الذي وتقديره كالسبب الذي دعا القاسطي حتفه.

وقوله: «أو البرجمي» فهذا رجل من البراجم، وهم بنو مالك بن حنظلة كان عمرو بن هند لما قتل بن دارم بأوارة، وكان سبب ذلك أن أخاه أسعد بن المنذر - وكان مسترضعاً في بني دارم، في حجر حاجب بن زارة بن عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم - انصرف ذات يوم من صيده وبه نبيذ، فعبت كما يعبت الملوك، فرماه رجل من بني دارم بسهم فقتله^(٢). ففي ذلك يقول القائل؛ وهو عمرو بن ملقط الطائي لعمر بن هند:

فَاقْتُلْ زُرَّارَةَ لَا أَرَى فِي الْقَوْمِ أَوْفَى مِنْ زُرَّارَةِ

فغزاهم عمرو بن هند، فقتلهم يوم القصيبة^(٣) ويوم أوارة، ففي ذلك يقول الأعشى:

وَتَكُونُ فِي الشَّرَفِ الْمَوَا زِي مِنْقَرًا وَبَنَى زُرَّارَةَ

أَبْنَاءَ قَوْمٍ قُتِلُوا يَوْمَ الْقُصَيْبَةِ وَالْأَوَّارَةَ

ثم أقسم عمرو بن هند ليحرقن منهم مائة، فبذلك سمي محرقاً، فأخذ تسعة وتسعين رجلاً فقدمهم في النار، ثم أراد أن يبر قسمه بعجزهم منهم لتكمل بها

(١) زيادات ر: «الصحيح أن الشعر لأبي ذؤيب، وهو بهذه النسبة في ديوان الهذليين ١: ١٤٥، من قصيدة مطلعها:

أَسَاءَلْتُ رَسْمَ الدَّارِ أُمَ لَمْ تَسْأَلِ عَنِ السَّكَنِ أُمَ عَنْ عَهْدِهِ بِالْأَوَائِلِ!

(٢) زيادات ر: «رمي ناقة بسهم فقتلها» والرجل الذي قتله سويد بن ربيعة بن زيد بن عبد الله بن دارم.

(٣) يوم القصيبة لعمر بن هند على بني تميم، وهو يوم أوارة. (وانظر معجم البلدان ١: ٣٦٤، ٧: ١١٤).

العدة فلما أَمَرَ بها قالت العجوز: أَلَا فَتَى يَفْدَى هذه العجوز بنفسه^(١)! ثم قالت: «هيهات صارت الفتيان حُمَمًا!» ومَرَّ وافدُ البراجم - وهو الذى ذَكَرْنَا - فاشتَم رائحة اللحم، فَظَنَّ أَنَّ الْمَلِكَ يَتَخَذُ طَعَامًا، فَعَرَجَ إِلَيْهِ فَأَتَى بِهِ إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَقَالَ: أَيْبَتُ اللَّعْنِ! أَنَا وافد البراجم، فقال: «إِنَّ الشَّقَىَّ وافد البراجم»، ثم أَمَرَ بِهِ فَقُذِفَ فِي النَّارِ، فَفِي ذَلِكَ يَقُولُ جَرِيرٌ يُعَيِّرُ الْفَرَزْدَقَ:

أَيْنَ الَّذِينَ بَنَارِ عَمْرٍو حُرِّقُوا أَمْ أَيْنَ أَسْعَدُ فَيْكُمْ الْمُسْتَرْضِعُ!
وقال أيضًا:

وَأَخْزَأَكُمْ عَمْرٍو كَمَا قَدْ خَزَيْتُمْ وَادْرَكَ عَمَارًا شَقَىَّ الْبَرَاغِمِ
وقال الطَّرِمَّاحُ:

وَدَارِمٌ قَدْ قَذَفْنَا مِنْهُمْ مِائَةً فِي جَاوِحِ النَّارِ إِذْ يَنْزُونَ بِالْخَدَدِ^(٢)
يَنْزُونَ بِالْمُسْتَوَى مِنْهَا وَيُوقِدُهَا عَمْرٍو، وَلَوْ لَا شُحُومُ الْقَوْمِ لَمْ تَقْدِ^(٣)

ولذلك عَيْرَتْ بنو تميم بحب الطعام، يعنى لطمع البرجمي في الأكل. قال يزيد بن عمرو بن الصَّعِقِ أحد بنى عمرو بن كلاب:

أَلَا أَبْلِغُ لَدَيْكَ بَنَى تَمِيمٍ بَايَةَ مَا يُحِبُّونَ الطَّعَامَا
وقال الآخر^(٤):

إِذَا مَا مَاتَ مَيِّتٌ مِنْ تَمِيمٍ فَسَرَّكَ أَنَّ يَعِيشَ فَجِئُ بَزَادٍ
بِخُبْزٍ أَوْ بِتَمْرٍ أَوْ بِلَحْمٍ أَوْ الشَّيْءِ الْمُلَفَّفِ فِي الْبَجَادِ^(٥)
تَرَاهُ يَنْقُبُ الْبَطْحَاءَ حَوْلًا لِيَأْكُلَ رَأْسَ لُقْمَانَ بْنِ عَادٍ

(١) زيادات ر: «على ما ذكر أصحاب الأخبار اسمها الحمراء بنت نضلة».

(٢) الخدد، أصله: «الخد» فك إدغاق للقافيه، وهو كالأخدود، حفرة في الأرض مستطيلة.

(٣) المشتوى: مكان الاشتواء.

(٤) زيادات ر: «ذكر ابن حبيب أن هذا الشعر لأبى المهوش الفقعسى، وذكر دعبل أنه لأبى المهوش

الأسدى، وذكر ابن السيد البطليوسى أنه ليزيد بن عمرو بن الصعق الكلابى».

(٥) أراد وطب اللين، يلف بكساء مخطط، اسمه البجاد.

وقوله: «لَلْمَرءِ ذِي الطَّعْمِ» يعنى الرّاجع إلى عقل، يقال: ليس فلان بذي طعم، وفلان ليس بذي نزل، أى ليس بذي عقل ولا معرفة، وإنما يقال: هذا طعام ليس له نزل إذا لم يكن ذا ريح، ومن قال «نزل» فى هذا المعنى فقد أخطأ.

[لِلْأَعْرَابِيِّ يَهْجُو قَوْمًا مِنْ طَيْئٍ]

وقال أعرابى يَهْجُو قَوْمًا مِنْ طَيْئٍ:

وَلَمَّا أَنْ رَأَيْتُ بُنَى جُويْنٍ جُلُوسًا لَيْسَ بَيْنَهُمْ جَلِيسٌ
يَتَسْتُ مِنَ التِّي أَقْبَلْتُ أَبْغَى لَدَيْهِمْ إِنْنِى رَجُلٌ يُئْسُوسُ
إِذَا مَا قُلْتُ: أَيُّهُمْ لَأَى؟ تَشَابَهَتْ الْمَنَاقِبُ وَالرَّءُوسُ

قوله: «جلوساً ليس بينهم جليس»، يقول: هؤلاء قوم لا يَتَجَعُّ الناسُ معروفهم فليس فيهم غيرهم. وهذا من أقبح الهجاء.

ومن أمثال العرب: «سَمْنُهُمْ فى أَدِيمِهِمْ»، ومعناه فى مأدومهم، وقيل: أديم ومأدوم مثل قتيل ومقتول، وتقول الحكماء: من كثر خيرُه كثر زائرُه.

وقال المهلب بن أبى صُفْرة لبنيه: يا بَنَى، إِذَا غَدَا عَلَيْكُم الرَّجُلُ وَرَاحَ مَسَلَّمًا، فَكْفَى بِذَلِكَ تَقَاضِيَا.

وقال آخر:

أَرْوَحُ لِتَسْلِيمٍ عَلَيْكَ وَاغْتَدَى وَحَسْبُكَ بِالتَّسْلِيمِ مِنِّى تَقَاضِيَا
كَفَى بِطَلَابِ الْمَرْءِ مَا لَا يَنَالُهُ عَنَاءٌ، وَبِالْيَأْسِ الْمُصْرَحِ نَاهِيَا!

[١) قال أبو الحسن: وربما قال أبو العباس: «مُصْرَحٌ» بكسر الراء (١)]

ومن أحسن المدح قول زهير:

قَدْ جَعَلَ الطَّالِبُونَ الْخَيْرَ فى هَرَمٍ وَالسَّائِلُونَ إِلَى أَبْوَابِهِ طُرُقًا

(١ - ١) ر: «وربما قال أبو العباس: «مُصْرَحٌ» بكسر الراء، قال أبو الحسن والكسر أجود».

وقال رؤبة^(١):

* إِنَّ النَّدى حَيْثُ تَرَى الضُّغَا(٢) *

وقال آخر:

يَزْدَحِمُ النَّاسُ عَلَى بَابِهِ وَالْمَشْرَبُ الْعَذْبُ كَثِيرُ الزَّحَامِ

وقال أشجعُ في محمد بن منصور:

عَلَى بَابِ ابْنِ مَنْصُورٍ عَلامَاتٌ مِنَ الْبَذَلِ

جَمَاعَاتٌ وَحَسْبُ الْبَا بِنُبْلَاءٍ كَثْرَةُ الْأَهْلِ

وقوله:

* تَشَابَهَتِ الْمَنَاقِبُ وَالرَّءُوسُ *

إنما ضربه مثلاً للأخلاق والأفعال، : أى ليس فيهم مفضلٌ.

ويقال: إن الأضبط بن قريع بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن

تميم، آذنه عشيرته من بنى سعد، فخرج عنهم، فجعل لا يجاور قوماً إلا آذوه

فقال: «أينما أذهب ألقى سعداً»، أى أفر من الأذى إلى مثله.

(١) زيادات ر: «ليس لرؤية، وهو لابن أبى نخيلة»، وقال المرصفي: الصواب لأبى نخيلة - وهو اسمه

لا كنيته - ابن عدنان بن زائدة، إحدى بنى سعد بن زيد مناة بنى تميم. شاعر راجز، من مخضرمى الدولتين.

(٢) الضغاط: التزاحم.

باب

[أقوال في المجالس والجلساء]

قال أبو العباس : قال أبو إدريس الخولاني^(١) : المساجد مجالس الكرام .

وقيل للأحنف بن قيس أحد بني مرة بن عبيد بن الحارث بن كعب بن سعد ، أى المجالس أطيب ؟ فقال : ما سافر فيه البصر ، وأتدع فيه البدن .

أتدع : افتعل من التوديع ، والأصل «أوتدع» ، فقلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها ، وهذا القول مذهب أهل الحجاز يقولون : ايتزن ياتزن ، وهو رجل مؤتزن^(٢) ، والأجود أن تقلب ما كان أصله الواو والياء فى باب «افتعل» تاءً وتُدغمها فى التاء من «افتعل» ، فتقول : أتدع يتدع ، وهو متدع ، ومُتَزَن^(٣) ومُتَعَدٍّ من الوعد ، ومُتَسِّس من اليأس ، تكون الياء كالواو ؛ لأنها إن أظهرت انقلبت على حركة ما قبلها فصارت كالأواو ، وتكونان واوين عند الضمة ، نحو موعِد ومُوعِدٍ ، ومُؤَسِّس ومُؤَسِّسٍ ، وياءين للكسرة ، والأواو قد تُقلَّب إلى التاء ولا تاء بعدها ، نحو تُرَاث من ورث ، وتجاه من الوجه ، وتُكَاة . وإنما ذلك كراهية الضمة فى الواو ، وأقرب حروف الزوائد والبديل منها التاء فقلبت إليها ، وقد تُقلَّب للبديل فى غير ضم ، نحو : هذا أتقى من هذا ، وضربته حتى أتكاته^(٤) ، فلما كانت بعدها تاء افتعل كان الوجه القلب ليقع الإدغام ، وقد فسرنا هذا على غاية الاستقصاء فى الكتاب «المقتضب» .

وقيل للمهلب بن أبى صفرة : ما خير المجالس ؟ فقال : ما بعد فيه مدى الطرف ، وكثرت فيه فائدة المجلس .

ويروى عن لقمان الحكيم أنه قال لابنه : يا بُنى ، إذا أتيت مجلس قوم فارمهم بسهم الإسلام . ثم اجلس ، فإن أفاضوا فى ذكر الله ، فأجل سهمك مع سهامهم ، وإن أفاضوا فى غيره فخلهم وانهمض .

(١) هو عائذ الله بن عبد بن عمرو أبو إدريس الخولاني ، قاص أهل الشام وعالمهم وقاضيه روى عن أبى هريرة وأبى ذر وغيرهم . مات سنة ٨٠ هـ . (تهذيب التهذيب ٨٥: ٥) .

(٢) ر ، س : «ايتزر ، ياتزر ، وهو رجل مؤتزر» .

(٣) ر ، س : «متزر» .

(٤) أتكاته : وجدته على هيئة المتكى .

قوله: «فارمهم بسهم الإسلام» يعنى السَّلام. وقوله: «فأجل سهمك مع سهامهم»، يعنى أدخل معهم فى أمرهم، فَضْرَبَهُ مَثَلًا، من دخول الرجل فى قِدَاحِ المَيْسِرِ.

وقال وهبُ بن عبد مناف بن زُهْرَةَ جدَّ رسول الله ﷺ لأُمِّه:
وَإِذَا أَتَيْتَ جَمَاعَةً فِي مَجْلِسٍ فَأَخْتَرِ مَجَالِسَهُمْ وَلَكَّمَا تَعْقُدِ
وَدَعِ الْغَوَاةَ الْجَاهِلِينَ وَجَهْلَهُمْ وَإِلَى الَّذِينَ يَذْكُرُونَكَ فَأَعْمِدِ
وقال ابن عباس رحمه الله: لِحِجْلِي عَلَى ثَلَاثٍ: أَنْ أَرْمِيَهُ بِطَرْفِي إِذَا أَقْبَلَ، وَأَوْسَعَ لَهُ إِذَا جَلَسَ، وَأُصْغِيَ إِلَيْهِ إِذَا حَدَّثَ.

وكان القَعْقَاعُ بن شُورٍ^(١)، أحد بنى عمرو بن شَيْبَانَ بن ذُهْل بن ثَعْلَبَةَ بن عُكَابَةَ بن صَعْبٍ بن على بن بكر بن وائل إذا جالسه جَلِيسٌ فَعَرَفَهُ بِالْقَصْدِ إِلَيْهِ جَعَلَ لَهُ نَصِيبًا فِي مَالِهِ، وَأَعَانَهُ عَلَى عَدُوِّهِ، وَشَفَعَ لَهُ فِي حَاجَتِهِ، وَغَدَا إِلَيْهِ بَعْدَ الْمَجَالَسَةِ شَاكِرًا لَهُ حَتَّى شَهَرَ بِذَلِكَ. وفيه يقول القائل:

وَكُنْتُ جَلِيسَ قَعْقَاعِ بْنِ شُورٍ وَلَا يَشْقَى بِقَعْقَاعِ جَلِيسٌ
ضَحُوكُ السَّنِّ إِنْ أَمَرُوا بِخَيْرٍ وَعِنْدَ السُّوءِ مَطْرَاقُ عَبُوسٍ
وَحَدَّثَنِي التَّوْزِيُّ أَنَّ رَجُلًا جَالَسَ قَوْمًا مِنْ بَنِي مَخْزُومٍ بَنَ يَقْطَةَ بِنَ مُرَّةَ بِنَ كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ بِنَ غَالِبِ بْنِ فِهْرِ بْنِ مَالِكِ بْنِ النَّضْرِ بْنِ كِنَانَةَ، فَأَسَاءُوا عِشْرَتَهُ، وَسَعَوْا بِهِ إِلَى مَعَاوِيَةَ، فَقَالَ:

شَقِيتُ بِكُمْ وَكُنْتُ لَكُمْ جَلِيسًا فَلَسْتُ جَلِيسَ قَعْقَاعِ بْنِ شُورٍ
وَمِنْ جَهْلِ أَبِي جَهْلٍ أَخُوكُمْ غَزَا بَدْرًا بِمَجْمَرَةٍ وَتَوْرٍ^(٢)
نَسَبَهُ إِلَى التَّوْضِيعِ^(٣)، كَقَوْلِ عُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ بِنَ عَبْدِ شَمْسٍ بِنَ عَبْدِ مَنْفَافٍ لِحَكِيمِ بْنِ حَزَامٍ لَمَّا بَلَغَهُ قَوْلُ أَبِي جَهْلٍ بِنِ هِشَامٍ: ائْتَفَخَ وَاللَّهِ سَحْرُهُ^(٤) وَنَحْرُهُ، سَيَعْلَمُ مُصَفَّرُ أَسْتِهِ مَنْ ائْتَفَخَ سَحْرُهُ الْيَوْمَ!

(١) ذكره ابن حجر فى لسان الميزان ٤: ٤٥٤ قال: «من كبار الأمراء فى دولة بنى أمية»، وفى القاموس إنه من التابعين.

(٢) المجمرة: إحدى المجامر التى يوضع فيها الطيب ليتبخر به. والتور: إناء يبل فيه نحو العود والمسك.

(٣) التوضيع: التحنيط.

(٤) يراد بالسحر هنا الرئة.

[يزيد بن معاوية والأنصار]

وقال رجل من بنى مخزوم للأحوص بن محمد بن عبد الله بن عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح الأنصارى ليؤذيه: أتعرف الذى يقول.

ذَهَبَتْ قُرَيْشٌ بِالْمَكَارِمِ كُلِّهَا وَاللُّؤْمُ تَحْتَ عَمَائِمِ الْأَنْصَارِ (١)

فقال الأحوص: [لا أدري (٢)]، ولكنى أعرف الذى يقول:

النَّاسُ كَنَوْهُ أَبَا حَكَمٍ وَاللَّهُ كَنَاهُ أَبَا جَهْلٍ

أَبَقَتْ رِيَاسَتُهُ لِأَسْرَتِهِ لُؤْمَ الْفُرُوعِ وَدِقَّةِ الْأَصْلِ

وهذا الشعر لحسان بن ثابت، والبيت الذى أنشده المخزومى للأخطل. وكان يزيد بن معاوية عتب على قوم من الأنصار، فأمر كعب بن جعيل التغلبى بهجائهم، فقال له كعب: أأهيجو الأنصار! أراذى أنت إلى الكفر بعد الإسلام! ولكنى أدلك على غلام من الحى نصرانى: كأن لسانه لسان ثور - يعنى الأخطل.

قال: فلما قال هذا البيت دخل النعمان بن بشير بن سعد الأنصارى (٣) على معاوية فحسره (٤) عمامته عن رأسه، ثم قال: يا معاوية، أترى لؤمًا! فقال: ما أرى إلا كرمًا. فقال النعمان:

مُعَاوَى إِلَّا تُعْطِنَا الْحَقَّ تَعْتَرِفْ

لِحَى الْأَزْدِ مَسْدُولًا عَلَيْهَا الْعَمَائِمُ

(١) قاله:

لَعَنَ الْإِلَهَ مِنَ الْيَهُودِ عَصَابَةَ
قوم إذا هدر العَصِيرَ رَأَيْتَهُمْ
وَحَذُوا مَسَاحِيكُمُ بَنَى النِّجَارِ

- صليل وصرار: موضعان. والمسطار: الخمرة المتخذة من أبقار العنب. المساحى: جمع مسحاة، وهى مجرفة من حديد.

(٢) تكمله من ر، س.

(٣) من كبار الخزرج.

(٤) روى أن النعمان قال: يا أمير المؤمنين، أترى لؤمًا؟ قال: لا، بل أرى كرما وخيرا، فماذا؟ قال: زعم الأخطل أن اللؤم تحت عمامم الأنصار، قال: أو فعل ذلك؟ قال: نعم، قال: لك لسانه.

أَيَسْتَمِنَا عَبْدُ الْأَرَاقِمِ ضَلَّةً

فَمَاذَا الَّذِي تُجَدِّي عَلَيْكَ الْأَرَاقِمُ! (١)

فَمَالِي ثَأْرٌ دُونَ قَطْعِ لِسَانِهِ فَدُونَكَ مَنْ تُرْضِيهِ عَنْهُ الدَّرَاهِمُ

[نَبْذُ مِنْ أَقْوَالِ الْحُكَمَاءِ]

وكان الأحنف بن قيس يقول: لا تزال العرب عرباً ما لبست العمائم، وتقلدت السيوف، ولم تعدد الحلم ذلاً، ولا التواهب فيما بينها ضعةً.

وقالوا في تأويل قوله: «مَا لِبِسْتَ الْعِمَائِمَ»، يقول: ما حافظت على زيها. وقوله: «وتقلدت السيوف» يريد الامتناع من الضيم. وقوله: «ولم تعدد الحلم ذلاً»، يقول: ما عرفت موضع الحلم، وتأويل ذلك: أن الرجل إذا أغضى للسلطان، أو أغضى عن الجواب وهو مأسور لم يقل: حلم، وإنما يقال حلم إذا ترك أن يقول الشيء لصاحبه مُتَّصِراً، ولا يخاف عاقبة يكرهها، فهذا الحلم المحض، فإذا لم يفعل ذلك ورأى أن تركه الحلم ذلٌ فهو خطأ وسفه. وقوله: «ولم تر التواهب بينها ضعةً» نحو من هذا، وهو أن يهب الرجل من حقه مالا يُستكره عليه.

وكان يقال: أحيوا المعروف بإماتته، وتأويل ذلك أن الرجل إذا اعتد بمعروفه كدَّره، وقيل: المنَّة تهْدِمُ الصَّنِيعَةَ.

وكان يقال: كتمان المعروف من المنعم عليه كفرٌ، وذكره من المنعم تقدير له.

وقال قيس بن عاصم: يا بني تميم، اصحبوا من يذكر إحسانكم إليه، وينسى أياديكم إليكم.

(١) الأرقام: هم بنو بكر وجشم ومالك والحارث ومعاوية أبناء تغلب، وهم قوم الأخطل.

باب

[لبعض الشعراء يمدح أسيلم بن الأحنف]

قال أبو العباس: قال عبد الملك [بن مروان^(١)] لأسيلم بن الأحنف الأسدّي: ما أحسن ما مدحت به؟ فاستغفاه، فأبى أن يعفيه وهو معه على سريره، فلما أبى إلا أن يخبره، قال قول القائل:

ألا أيها الركبُ المخبون هل لكم

بسيّد أهل الشام تحبوا وترجعوا^(٢)

من النفر البيض الذين إذا اعتزوا

وهاب الرجال حلقة الباب فقعوا^(٣)

إذا نفر السود اليمانون نمموا

له حوك برديه أجادوا وأوسعوا

جلا المسك والحمام والبيض كالدمى

وفرق المدارى رأسه فهو أنزع^(٤)

فقال له عبد الملك: ما قال أخو الأوس أحسن مما قيل لك - [قال

أبو الحسن: هو أبو قيس بن الأسلت]:

قد حصت البيضة رأسى فما أطمع نومًا غير تهجاع^(٥)

[لكثير فى المديح]

وحديث أن كثيرًا كان يقول: لو ددت أنى كنت سبقت الأسود - أو العبد

الأسود - إلى هذين البيتين - يعنى نصيبًا فى قوله:

(١) من س.

(٢) المخبون: الذين تخب بهم دوابهم، من الخبب وهو سرعة العدو.

(٣) من القعقة، وهى الصوت، والمراد أنهم لا يتهيبون لقاء الناس.

(٤) المدارى: جمع المدرى، وهو المشط. وأنزع، من النزوع، وهو انحصار الشعر من أعلى الجبين.

(٥) حصت: أذهبت شعره. والبيضة، هنا: لباس الرأس فى الحرب. والتهجاع: النوم الخفيف.

مِنَ النَّفَرِ الْبَيْضِ الَّذِينَ إِذَا أَنْجَوْا
 أَقَرَّتْ لِنَجْوَاهُمْ لَوْىُ بْنُ غَالِبٍ
 يُحْيَوْنَ بَسَامِينَ طَوْرًا، وَتَارَةً
 يُحْيَوْنَ عَبَّاسِينَ شُوسَ الْحَوَاجِبِ (١)

والمختار من الشعر الأول قوله:
 مِنَ النَّفَرِ الْبَيْضِ الَّذِينَ إِذَا اعْتَرَوْا
 وَهَابَ الرَّجَالُ حَلَقَةَ الْبَابِ قَعَقَعُوا
 يخبر بجلالتهم ومعرفتهم بأقدارهم، وثقتهم بأن مثلهم لا يُرَدُّ. وقد قال
 جرير للتيمم خلاف هذا، وهو قوله:
 قَوْمٌ إِذَا احْتَضَرَ الْمُلُوكُ وَفُودُهُمْ نُتِفَتْ شَوَارِبُهُمْ عَلَى الْأَبْوَابِ
 [نقد الشعر نجيب]

وحدثت أن جريراً كان يقول: وَدَدْتُ أَنْ هَذَا الْبَيْتُ مِنْ شَعْرِ هَذَا الْعَبْدِ كَانَ
 لِي بِكَذَا وَكَذَا بَيْتًا مِنْ شَعْرِي - يعنى قول نُصِيبُ:
 بِزَيْنَبَ أَلَمْتُ قَبْلَ أَنْ يَرْحَلَ الرَّكْبُ
 وَقُلْ إِنْ تَمَلَّيْنَا فَمَا مَلَكِ الْقَلْبُ
 وأما قول نُصِيبُ:

أَهِيْمُ بَدَعْدِ مَا حَيَّيْتُ وَإِنْ أُمْتُ أُوَكِّلُ بَدَعْدِ مَنْ يَهِيْمُ بِهَا بَعْدِي
 فلم تجد الرواة ولا من يفهم جواهر الكلام له مذهباً، وقد ذكر عبد الملك
 لجلّسائه ذلك فكلُّ عابه، فقال عبد الملك: فلو كان إليكم كيف كنتم قائلين؟ فقال
 رجل منهم: كنت أقول:
 أَهِيْمُ بَدَعْدِ مَا حَيَّيْتُ وَإِنْ أُمْتُ فَوَا حَزَنًا مَنْ ذَاهِيْمُ بِهَا بَعْدِي!

(١) من الشوس، وهو النظر بمؤخر العين.

فقال عبد الملك: مَا قُلْتَ وَاللَّهِ أَسْوَأُ مِمَّا قَالَهُ، فَقِيلَ لَهُ: فَكَيْفَ كُنْتَ قَائِلًا فِي ذَلِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ فَقَالَ كُنْتُ أَقُولُ:

أَهْيِمُ بِدَعْدٍ مَا حَيَّيْتُ فَإِنْ أُمْتُ فَلَا صَلَاحَ دَعْدٍ لِدِي خَلَّةٍ بَعْدِي
فقالوا: أَنْتَ وَاللَّهِ أَشْعَرُ الثَّلَاثَةِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ.

[الْفَرَزْدَقُ وَنَصِيبُ وَمَا قَالَاهُ مِنَ الشَّعْرِ عِنْدَ سَلِيمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ]

وَقَدْ فَضِّلَ نَصِيبٌ عَلَى الْفَرَزْدَقِ فِي مَوْقِفِهِ عِنْدَ سَلِيمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ، وَذَلِكَ أَنَّهُمَا حَضَرَا، فَقَالَ سَلِيمَانُ لِلْفَرَزْدَقِ: أَنْشِدْنِي - وَإِنَّمَا أَرَادَ أَنْ يُنْشِدَهُ مَدْحًا لَهُ - فَأَنْشَدَهُ:

وَرَكِبَ كَأَنَّ الرِّيحَ تَطْلُبُ عَنْدهُمْ لَهَا تَرَةً مِنْ جَذْبِهَا بِالْعَصَائِبِ (١)
سَرَوْا يَخْبِطُونَ الرِّيحَ وَهِيَ تَلْفُهُمْ

إِلَى شُعَبِ الْأَكْوَارِ ذَاتِ الْحَقَائِبِ (٢)
إِذَا آنَسُوا نَارًا يَقُولُونَ لَيْتَهَا - وَقَدْ خَصِرَتْ أَيْدِيهِمْ - نَارُ غَالِبِ (٣)

فَأَعْرَضَ عَنْهُ سَلِيمَانُ كَالْمُغْضَبِ، فَقَالَ نَصِيبٌ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَلَا أَنْشِدُكَ فِي رَوِيهَا مَا لَعَلَهُ لَا يَتَضَعُ عَنْهَا! فَقَالَ: هَاتِ، فَأَنْشَدَهُ:

أَقُولُ لِرَكَبٍ صَادِرِينَ لِقَيْتِهِمْ قَفَا ذَاتِ أَوْشَالٍ وَمَوْلَاكَ قَارِبُ (٤)
قَفُوا خَبَرُونِي عَنْ سَلِيمَانَ إِنِّي لَمَعْرُوفِهِ مِنْ أَهْلِ وَدَانَ طَالِبُ (٥)
فَعَاجُوا فَأَتْنُوا بِالَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ وَلَوْ سَكْتُوا أَثْنَتْ عَلَيْكَ الْحَقَائِبُ

وَهَذَا فِي بَابِ الْمَدْحِ حَسَنٌ وَمَتَجَاوِزٌ وَمُبْتَدِعٌ وَلَمْ يُسَبِّقْ إِلَيْهِ. عَلَى أَنَّ الشَّاعِرَ - وَهُوَ أَخُو هَمْدَانَ - قَدْ قَالَ فِي عَصْرِهِ فِي غَيْرِ الْمَدْحِ:

يَمُرُّونَ بِالْدهْنِ خَفَافًا عِيَابَهُمْ وَيَخْرُجْنَ مِنْ دَارَيْنِ بِجَرِّ الْحَقَائِبِ
عَلَى حِينِ أَلْهَى النَّاسَ جُلُّ أُمُورِهِمْ فَنَدَلًا زُرِيقُ الْمَالِ نَدَلَ الثَّعَالِبِ

(١) الترة: الثَّار.

(٢) الأكوار: الرحال، مفردا كور.

(٣) خصرت: بردت.

(٤) قفادات أو شال: خلف بقعة ذات مياه. مولاك: يريد نفسه، قارب: طالب للماء.

(٥) ودان: قرية قريبة من الجحفة.

وليس شعراً نُصِيبَ هذا الذى ذكرناه فى المدح بأجود من قول الفرزدق فى
الفخر، وإنما يُفاضلُ بين الشئيين إذا تناسبا.

وقد قال سليمان للفرزدق حين أنشده نصيب: كيف تراه؟ قال: هو أشعر
أهل جلدته، فقام الفرزدق وهو يقول:

وَحَيْرَ الشَّعْرِ أَشْرَفُهُ رِجَالاً وَشَرُّ الشَّعْرِ مَا قَالَ الْعَبِيدُ

ثم نرجع إلى تفسير الشعر.

قوله: * يَمُرُّونَ بِالْدهْنَا خِفَافًا عِيَابُهُمْ *

يعنى قومًا تجارًا، وقد قالوا إنما ذَكَرَ لُصُوصًا، والأول أثبت؛ وذلك أن
دارين سوقٌ من أسواق العرب.

وقوله: «بُجَرُ الْحَقَائِبِ» يقول: عظام، ويقال للرجل إذا اندلقت سرته فتتأت
متقدمة: رجل أبجر، ويقال لها: البَجْرَةُ والبَجْرَةُ. وفُعْلَةٌ وفُعْلَةٌ تقعان فى الشىء،
يقال: قُلْفَةٌ وقُلْفَةٌ، وصُلْعَةٌ وصُلْعَةٌ، ومثل هذا كثير.

وقوله: «على حينَ ألهى الناس» إن شئتَ خفَضْتَ «حين» وإن شئتَ
نصبت، أما الخفضُ فلأنه مخفوض، وهو اسم منصرف، وأما الفتحُ فلإضافتك
إياه إلى شىء غير مُعَرَّبٍ؛ فبنيته على الفتح، لأن المضاف والمضاف إليه اسم واحد
فبنيته من أجل ذلك، ولو كان الذى أضفته إليه معرباً لم يكن إلا مخفوضاً، وما
كان سوى ذلك فهو لحن، تقول: «جئتكَ على حينِ زيد»، و«جئتكَ فى حينِ إمرةِ
عبد الملك»، وكذا قولُ النابغة:

عَلَى حِينَ عَاتَبْتَ الْمَشِيبَ عَلَى الصَّبَا وَقُلْتُ: أَلْمَا أَصَحُّ وَالشَّيْبُ وَازِع!

إن شئتَ فتحت، وإن شئتَ خفَضْتَ، لأنه مضاف إلى فعل غير متمكن.
وكذلك قولهم: «يَوْمُئِذٍ»، تقول: عجبت من يومِ عبد الله، لا يكون غيره، فإذا
أضفتهُ إلى «إذ»، فإن شئتَ فتحت على ما ذكرت لك فى «حين»، وإن
شئتَ خفَضْتَ، لَمَّا كان يستحقه اليومُ من التَّمَكَّنِ قبل الإضافة. تقرأ إن شئتَ:

﴿مِنْ عَذَابٍ يَوْمَئِذٍ﴾^(١)، وإن شئت: ﴿مِنْ عَذَابٍ يَوْمَئِذٍ﴾ على ما وصفتُ لك، ومن خفض بالإضافة قال: سير يزيد يَوْمَئِذٍ، فأعربته في موضع الرفع، كما فعلت به في الخفض، ومن قال: ﴿مِنْ خَزَى يَوْمَئِذٍ﴾ فبناه قال: سير يزيد يَوْمَئِذٍ، يكون على حالة واحدة لأنه مبني، كما تقول: دَفَعَ إلى زيد خمسة عشر درهماً، وكما قال عز وجل: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾^(٢).
وأما قوله:

* فَنَدَلًا زُرَيْقُ الْمَالِ نَدَلُ الثَّعَالِبِ *

فَزُرَيْقُ قَبِيلَةٍ. وقوله «نَدَلًا» مصدر، يقول: أُنْدِلِي نَدَلًا يا زُرَيْقُ الْمَالِ، والنَدَلُ: أن تجذبه جذباً، يقال: نَدَلَ الرجلُ الدَّلَّو نَدَلًا إذا كان يجذبها مملوءة من البئر، فنصب «نَدَلًا» بفعل مضمر وهو «أُنْدِلِي». وهذا في الأمر، تقول: ضَرْبًا زيداً، وشتماً عبد الله، لأن الأمر لا يكون إلا بفعل، فكان الفعل فيه أقوى، فلذلك أضمرته، ودلّ المصدر على الفعل المضمر، ولو كان خبراً لم يجز فيه الإضمار؛ لأن الخبر يكون بالفعل وغيره، والأمر لا يكون إلا بالفعل، قال الله عز وجل: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ﴾^(٣). فكان في موضع «أَضْرِبُوا»، حتى كأن القائل قال: فاضربوا، ألا ترى أنه ذكر بعده الفعل محضاً في قوله: ﴿حَتَّى إِذَا أَنْخَسْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَاقَ﴾، ولو نَوَّنَ مُنَوَّنٌ في غير القرآن لَنَصَبَ «الرقاب»، وكذلك كل موضع هو بالفعل أو لى.

وقوله: «ندل الثعالب» يريد سرعة الثعالب، يقال في المثل: «أَكْسَبَ من ثَعْلَبٍ».

وأما قول نُصَيْبٍ:

* وَلَوْ سَكْتُوا أَثْنْتُ عَلَيْكَ الْحَقَائِبَ *

(١) المعارج ١١ .

(٢) المدثر ٣٠ .

(٣) محمد ٤ .

فإنما يريد أنهم يرجعون مملوءة حقائبهم من رِفْدِهِ، فقد أُنْتُت عليه الحَقَائِبُ
من قبل أن يقولوا، وأما قول الأعشى:

وإنَّ عِتَاقَ العيسِ سَوْفَ تَرْوِرُكُمْ ثَنَاءً عَلَى أَعْجَازِهِنَّ مُعَلَّقُ^(١)
فإنما أراد المدح الذى يُحْدِثُ به، والحادى من ورائها، كما أن الهادى
أمامها.

وأما قول أبى وَجْزَةَ السعدى:
رَاحَتْ بِسِتِّينَ وَسَقًا فى حَقِيبَتِهَا ما حَمَلَتْ حَمَلَهَا الأَدْنَى ولا السَّدَدَا
فإنما أراد ما يوجب ستين وسَقًا، لا أن الناقة حَمَلَتْ ستين وسَقًا.

[حديث أبى وَجْزَةَ وأبى زَيْدِ الأَسْلَمِ]

وكان من حديث ذلك أن أبا وَجْزَةَ السُّلَمِىَّ، المعروف بالسَّعْدِىَّ لنزوله
فيهم، ومخالفته إياهم، كان شَخَصَ إلى المدينة يريد آل الزُّبَيْرِ، وشَخَصَ أبو زيد
الأَسْلَمِ يريد إبراهيم بن هشام بن إسماعيل بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن
عُمَرَ بن مَخْزُومٍ - وهو والى المدينة - فاصْطَحَبَا، فقال أبو وَجْزَةَ: هَلُمَّ فَلْنَشْتَرِكْ
فيما نُصِيبُهُ، فقال أبو زيد الأَسْلَمِ: كَلَّا، أنا أُمَدِّحُ الملوِك، وأنت تمدح
السُّوقَ^(٢)، فلما دخلا المدينة صار أبو زيد إلى إبراهيم بن هشام فأنشده:

* يَا بَنَ هِشَامٍ يَا أَخَا الكِرَامِ *

فقال إبراهيم: وإنما أنا أخوهم، وكأني لستُ منهم! ثم أَمَرَ بِهِ فَضُرِبَ
بالسياط.

وامتدَحَ أبو وَجْزَةَ آلَ الزُّبَيْرِ، فكتبوا إليه بستين وسَقًا من تمر، وقالوا: هى
لك عندنا فى كل سنة، فأنصرفا، فقال أبو زيد:

مَدَحْتُ عُرُوقًا لِلنَّدَى مَصَّتِ الثَّرَى حَدِيثًا فَلَمْ تَهْمُ بِأَنْ تَتَزَعَزَعَا
نَقَائِدُ بُؤْسٍ ذَاقَتْ الْفَقْرَ وَالْغِنَى وَحَلَبَتِ الأَيَّامُ وَالْدَّهْرُ أَضْرَعَا

(١) عتاق العيس: فجائب الإبل البيض فى شقرة يسيرة.

(٢) السوق: جمع السوقة، وهى من الناس من لم يكن ذا سلطان.

سَقَاها ذُووِ الْأَرْحَامِ سَجَلًا عَلَى الظَّما
بِفَضْلِ سِجَالٍ لَوْ سَقَوْا مِنْ مَشَى بِهَا
فَضَمَّتْ بِأَيْدِيهَا عَلَى فَضْلِ مَائِهَا
وَزَهَّذَهَا أَنْ تَفْعَلَ الْخَيْرَ فِي الْغِنَى

وقال أبو وجزة:

رَاحَتْ رَوَاحًا قَلْوَصِي وَهَى حَامِدَةٌ
رَاحَتْ بِسِتَيْنَ وَسَقًا فِي حَقِيبَتِهَا
مَا إِنْ رَأَيْتُ قَلْوَصًا قَبْلَهَا حَمَلْتُ
ذَاكَ الْقَرَى، لَا قَرَى قَوْمٍ رَأَيْتُهُمْ

أما قول أبي زيد لإبراهيم:

مدحتُ عروفاً للندى مضت الثرى حديثاً...

فإنما عني أن إبراهيم وأخاه محمداً إنما تَطَعَمَا بالعيش، ودخلا في النعمة،
وخرجا من حدِّ السوق إلى حدِّ الملوك حديثاً، وذلك بهشام بن عبد الملك؛ لأنهما
كانا خاليه، وإنما ولأهما عن خمُول.

وقوله: «فلم تههم بأن تتزعزعا»، فإنما هذا مثلٌ: يقال: فلان يَهْتَزُّ للندى،
ويرتاح لفعل الخير، كما قال مَتَمُّ بن نُويرة:

تَرَاهُ كَنَصْلِ السِّيفِ يَهْتَزُّ لِلنَّدَى إِذَا لَمْ تَجِدْ عِنْدَ أَمْرِي السَّوْءَ مَطْمَعًا
وتأويل ذلك أنه يتحرك تحركَ سرُّور لفعل الخير.

[لأبي رباط في ابنه]

قال أبو العباس: وأنشدني التَّوَزِيُّ لأبي رباط، يقول لابنه:

رَأَيْتُ رِبَاطًا حِينَ تَمَّ شَبَابُهُ وَوَلَّى شَبَابِي لَيْسَ فِي بَرِّهِ عَتَبُ (١)

(١) أي بر خالص لا عتب فيه ولا لوم.

إِذَا كَانَ أَوْلَادُ الرَّجَالِ مَرَارَةً
لَنَا جَانِبٌ مِنْهُ أَنْيَقٌ وَجَانِبٌ
فَأَنْتَ الْحَلَالُ الْحَلُوُ وَالْبَارِدُ الْعَذْبُ
شَدِيدٌ عَلَى الْأَعْدَاءِ مَرْكَبُهُ صَعْبٌ
وَتَأْخُذُهُ عِنْدَ الْمَكَارِمِ هِزَّةٌ

كما اهتزَّ تحتَ البَارحِ الغُصْنُ الرطْبُ^(١)

[أعرابي عنده عمر بن هبيرة]

قال: وحدثني علي بن عبد الله قال: حدثني العُتْبِيُّ قال: أَشْرَفَ عمر بن هُبَيْرَةَ الْفَرَارِيُّ مِنْ قَصْرِهِ يَوْمًا فَإِذَا هُوَ بِأَعْرَابِيٍّ يُرْقِصُ جَمَلَهُ الْآلُ^(٢)، فقال لحاجبه: إن أَرَادَنِي هَذَا فَأَوْصِلْهُ إِلَيَّ، فلما دنا الأعرابيُّ سأله فقال: قَصِدْتُ الْأَمِيرَ. فَأَدْخَلَهُ إِلَيْهِ، فلما مَثَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ قَالَ لَهُ عمر: مَا خَطْبُكَ؟ فقال الأعرابيُّ:

أَصْلَحَكَ اللَّهُ، قَلَّ مَا بِيَدِي فَمَا أَطِيقُ الْعِيَالَ إِذْ كَثُرُوا
الْحَ دَهْرٌ أَنْحَى بِكَ لِكَلِّهِ فَأَرْسَلُونِي إِلَيْكَ وَأَنْتَظَرُوا
رَجْوُكَ لِلدَّهْرِ أَنْ تَكُونَ لَهُمْ غَيْثَ سَحَابٍ إِنْ خَانَهُمْ مَطَرٌ
قال: فَأَخَذْتُ عَمَرَ الْأَرِيحِيَّةَ، فَجَعَلْتُ يَهْتَزُّ فِي مَجْلِسِهِ، ثُمَّ قَالَ: أَرْسَلُوكَ إِلَيَّ وَانْتَظَرُوا؟ إِذَا وَاللَّهِ لَا تَجْلِسُ حَتَّى تَرْجِعَ إِلَيْهِمْ غَائِمًا، فَأَمَرَ لَهُ بِأَلْفِ دِينَارٍ وَرَدَّهُ عَلَى بَعِيرِهِ.

قال أبو العباس: وحدثني أبو إسحاق القاضي إسماعيل بن إسحاق أن الخبر لِمَعْنِ بْنِ زَائِدَةَ، وَصَحَّ ذَلِكَ عِنْدِي.

وقوله: «نَقَائِدُ بُوْس»^(٣) وأحدثها نَقِيدَةٌ. وتَأْوِيلُهُ أَنَّهُمْ أُنْقِذُوا مِنْ بُوْسٍ، يُقَالُ لِلرَّجُلِ وَالْمَرْأَةِ ذَلِكَ عَلَى لَفْظٍ وَاحِدٍ، تَقُولُ: هَذَا نَقِيدَةُ بُوْسٍ، تَقَعُ الْهَاءُ لِلْمُبَالَغَةِ؛ لِأَنَّ أَصْلَهُ كَالْمَصْدَرِ، كَقَوْلِكَ: زَيْدٌ مَكْرُمَةٌ لِأَهْلِهِ، وَزَيْدٌ كَرِيمَةٌ قَوْمَهُ، أَيْ يَحُلُّ مَحَلَّ الْعَقْدَةِ الْكَرِيمَةِ، وَالْخَصْلَةُ الْكَرِيمَةُ.

(١) البَارح: الريح.

(٢) الْآل: ما تراه في الضحى بين السماء والأرض.

(٣) من كلمة أبي زيد الأَسْلَمِيُّ ص ١٨٨.

وفى الحديث أن رسول الله ﷺ أكرم جرير بن عبد الله البجلي لما ورد عليه، فبسط له رداءه، وعممه بيده، وقال له: «إذا أتاكم كريمة قوم فأكرموه». هكذا روى فضحاء أصحاب الحديث.

وقد قال رسول الله ﷺ قبل وروده عليه: «يطلع عليكم من هذا الفج خير ذى يمن، عليه مسحة ملك».

[لصخر بن عمرو الشريد]

وقال صخر بن عمرو بن الشريد، يعنى معاوية أخاه، وكان قتله هاشم ودريد أبنا حرملة المريان من غطفان، فقبل لصخر: أهجهم، فقال: ما بينى وبينهم أفدع من الهجاء، ولو لم أمسك عن هجائهم إلا صوتاً لنفسى عن الحنا لفعلت ثم قال:

وعاذلة هبت بليل تلومنى ألا لا تلومينى كفى اللوم ما ييا
تقول: ألا تهجو فوارس هاشم ومالى إذ أهجوهم ثم ماليا !
أبى الشتم أنى قد أصابوا كريمتى وأن ليس إهداء الحنا من شماليا (١)

وتقول العرب للرجل: راوية ونسابة؛ فتزيد الهاء للمبالغة، وكذلك علامة؛ وقد تلزم الهاء فى الاسم فتقع للمذكر والمؤنث على لفظ واحد، نحو ربعة ويقعة وصرورة (٢). وهذا كثير لا تنزع الهاء منه، فأما راوية وعلامة ونسابة فحذف الهاء جائر فيه، ولا يبلغ فى المبالغة ما تبلغه الهاء.

(١) زيادات ر بعد هذا البيت:

وحييت رسماً عند لثة ثاويا إذا ذكر الإخوان رقرقت عبرة
فحياك رب العرش عنى معاويا إذا ما امرؤ أهدى لميت تحية
كذبت، ولم أبخل عليه بماليا وهون وجدى أنى لم أقل له
قال الأخفش: وأنشدنى الأحول:

* ومالى أن أهجوهم ثم ماليا *

(٢) رجل ربعة: بين الطول والقصر. ويقعة: شارف الاحتلام، والصرورة: الرجل الذى لم يحج ولم يتزوج، وأصله من الحبس.

* وَحَلَبَتِ الْأَيَّامَ وَالْدَّهْرَ أَضْرَعًا *

فإنه مثلٌ، يقال للرجل المجرب للأمر: فلان قد حلب الدهر أشطره، أى قد قاسى الشدة والرخاء، وتصرّف فى الفقر والغنى، كما قال القائل:

قَدْ عَشْتُ فِي النَّاسِ أَطْوَارًا عَلَى طُرُقٍ شَتَّى، وَقَاسَيْتُ فِيهَا اللَّيْنَ وَالْفُظْعَا
كَلًّا بَلَوْتُ، فَلَا النَّعْمَاءُ تُبْطِرُنِي وَلَا تَخْشَعْتُ مِنْ لَأَوَائِهَا جَزَعًا
لَا يَمَلُّ الْهَوْلُ صَدْرِي قَبْلَ مَوْقِعِهِ وَلَا أَضِيقُ بِهِ ذَرْعًا إِذَا وَقَعَا

ومعنى قوله: «أشطره» فإنما يريد خلوّفه، يقال: حلبتها شطراً بعد شطر: وأصل هذا من التنصّف، لأن كل خلف عدلٌ لصاحبه. وللشطر وجهان فى كلام العرب، فأحدهما النصف كما ذكرنا، من ذلك قولهم: شاطرتك مالى، والوجه الآخر القصد، يقال: خذ شطر زيد، أى قصده، قال الله عز وجل: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾، أى قصده، ﴿وَحَيْثُمَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ (٢).

قال أبو العباس، وأنشدنى التّوّزى عن أبى عبيدة قول الشاعر:

إِنَّ الْعَسِيرَ بِهَا دَاءٌ مُخَامِرُهَا فَشَطَرُهَا نَظَرُ الْعَيْنَيْنِ مَحْسُورٍ
يريد ناحيتها وقصدها، والعسير: التى تعسر بذنبها إذا حملت، أى تشيله وترفعه، ومنه سُمى الذنب عوسراً، أى تضرب بذنبها. ومعنى ذلك أنه ظهر من جهدها وسوء حالها ما أطيل معه النظر إليها حتى تحسر العينان. والحسير: المعيب، وفى القرآن: ﴿يَنْقَلِبُ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ (٣).

وقوله:

* سَقَاهَا ذَوُو الْأَرْحَامِ سَجَلًا عَلَى الظَّمَا *

(١) انظر ص ١٨٨.

(٢) سورة البقرة ١٤٤.

(٣) سورة الملك ٤.

فالسَّجْلُ فِي الْأَصْلِ الدَّلْوُ، وَإِنَّمَا ضَرَبَهُ مَثَلًا لِمَا فَاضَ عَلَيْهَا مِنْ نَدَى أَقَارِبِهَا، يُقَالُ لِلدَّلْوِ - وَهِيَ مَوْئِئَةٌ: سَجْلٌ وَذَنْوُبٌ، وَهُمَا مَذَكَّرَانِ، وَالْعَرَبُ مَذَكَّرٌ، وَهُوَ الدَّلْوُ الْعَظِيمَةُ، وَيُقَالُ: فُلَانٌ يُسَاجِلُ فُلَانًا، أَيْ يُخْرِجُ مِنَ الشَّرَفِ مِثْلَ مَا يُخْرِجُ الْآخَرُ، وَأَصْلُ الْمُسَاجَلَةِ أَنْ يَسْتَقِيَ سَاقِيَانِ، فَيُخْرِجُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا فِي سَجْلِهِ مِثْلَ مَا يُخْرِجُ الْآخَرُ، فَأَيُّهُمَا نَكَلَ فَقَدْ غَلَبَ، فَضَرَبَتْهُ الْعَرَبُ مَثَلًا لِلْمَفَاخِرَةِ وَالْمَسَامَةِ. وَبَيَّنَ ذَلِكَ الْفَضْلُ بْنُ الْعَبَّاسِ بْنِ عُبَيْةَ بْنِ أَبِي لَهَبٍ فِي قَوْلِهِ:

مَنْ يُسَاجِلْنِي يُسَاجِلُ مَا جِدًّا يَمْلَأُ الدَّلْوَ إِلَى عَقْدِ الْكَرْبِ

وَيُقَالُ: إِنْ الْفَرَزْدَقُ مَرَّ بِالْفَضْلِ وَهُوَ يَسْتَقِي، وَيُنْشِدُ هَذَا الشَّعْرَ، فَسَرَا الْفَرَزْدَقُ ثِيَابَهُ عِنْدَهُ، ثُمَّ قَالَ: أَنَا أَسَاجِلُكَ - ثِقَةً مِنْهُ بِنَسَبِهِ - فَقِيلَ لَهُ: هَذَا الْفَضْلُ ابْنُ الْعَبَّاسِ بْنِ عُبَيْةَ بْنِ أَبِي لَهَبٍ. فَرَدَّ الْفَرَزْدَقُ ثِيَابَهُ عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: مَا يُسَاجِلُكَ إِلَّا مَنْ عَضَّ بِأُيْرَ أَبِيهِ!

يُقَالُ: سَرَا ثَوْبَهُ وَنَضَّا ثَوْبَهُ فِي مَعْنَى وَاحِدٍ، إِذَا نَزَعَهُ، وَيُقَالُ: سَرَى عَلَيْهِ الْهَمُّ إِذَا أَتَى لَيْلًا، وَأُنْشِدَ:

* سَرَى هَمِّي وَهَمَّ الْمَرْءِ يَسْرِي (١) *

وَسَرَى هَمُّهُ إِذَا ذَهَبَ عَنْهُ. وَالْمَوَاضِعُ مِثْلُ الْمُسَاجَلَةِ، قَالَ الْعَجَّاجُ:

* تَوَاضَحَ التَّقَرُّيبَ قَلُّوا مَخْلَجًا *

أَيْ تُخْرِجُ مِنَ الْعَدُوِّ مِثْلَ مَا يُخْرِجُ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى مَخْرَجِ كَلَامِ الْعَرَبِ وَأَمْثَالِهِمْ: ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا مِثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ﴾ (٢). وَأَصْلُ الذَّنُوبِ الدَّلْوُ كَمَا ذَكَرْتَ لَكَ.

وَقَالَ عَلْقَمَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ لِلْحَارِثِ بْنِ أَبِي شِمْرٍ الْغَسَّانِيَّ: - [قَالَ أَبُو الْحَسَنِ: غَيْرَ أَبِي الْعَبَّاسِ يَقُولُ شِمْرًا، وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ شَمْرًا] - وَكَانَ أَخُوهُ أَسِيرًا عِنْدَهُ، وَهُوَ

(١) بقية البيت كما في زيادات ر:

* وَغَارَ النَجْمُ إِلَّا قَيْدًا؟ *

وفيهما: «البيت لعروة بن أذينة الليثي شيخ مالك بن أنس».

(٢) سورة الذاريات ٥٩.

شَأْسُ بن عَبْدَةَ أَسْرَهُ فِي وَقْعَةِ عَيْنِ أَبَاغٍ. - [قال أبو الحسن: غيره يقول إِبَاغٍ، بالكسر] - فِي الْوَقْعَةِ الَّتِي كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمُنْذِرِ بن مَاءِ السَّمَاءِ، فِي كَلِمَةٍ لَهُ مَدَحُهُ فِيهَا:

وَفِي كُلِّ حَيٍّ قَدْ خَبَطْتَ بِنِعْمَةٍ فَحَقٌّ لَشَأْسٍ مِنْ نَدَاكَ ذُنُوبُ
فَقَالَ الْمَلِكُ: نَعَمْ وَأَذْنِبَةٌ.

وقوله:

* وَقَدْ كَرَبْتُ أَعْنَاقُهَا أَنْ تَقَطَّعَا *

يقول: سَقَيْتُ هَذَا السَّجَلَ وَقَدْ دَنَّتْ أَعْنَاقُهَا مِنْ أَنْ تَقَطَّعَ عَطْشًا، وَكَرَبَ فِي مَعْنَى الْمُقَارَبَةِ، يُقَالُ: كَادَ يَفْعَلُ ذَلِكَ، وَجَعَلَ يَفْعَلُ ذَلِكَ، وَكَرَبَ يَفْعَلُ ذَلِكَ، أَيْ دَنَا مِنْ ذَلِكَ. وَيُقَالُ: جَاءَ زَيْدٌ وَالْخَيْلُ كَارِبَتُهُ، أَيْ قَدْ دَنَّتْ مِنْهُ وَقَرُبَتْ، فَأَمَّا أَخَذَ يَفْعَلُ، وَجَعَلَ يَفْعَلُ، فَمَعْنَاهُمَا أَنَّهُ قَدْ صَارَ يَفْعَلُ، وَلَا تَقَعُ بَعْدَ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا: «أَنْ» إِلَّا أَنْ يُضْطَرَّ شَاعِرٌ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكْدِ يَرَاهَا﴾ (١) أَيْ لَمْ يَقْرُبْ مِنْ رُؤْيَيْتِهَا، وَإِيضًا: لَمْ يَرَهَا وَلَمْ يَكْدُ، وَكَذَلِكَ: ﴿يَكَادُ سَنَّا بَرَقَهُ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ﴾ (٢)، وَكَذَلِكَ: ﴿كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ﴾ (٣) بغير «أَنْ». وَمِنْ أَمْثَالِ الْعَرَبِ: كَادَ النَّعَامُ يَطِيرُ، وَكَادَ الْعَرُوسُ يَكُونُ أَمِيرًا، وَكَادَ الْمُتَتَعِلُّ يَكُونُ رَاكِبًا، وَقَدْ أَضْطَرَّ الشَّاعِرُ فَأَدْخَلَ «أَنْ» بَعْدَ «كَادَ»، كَمَا أَدْخَلَهَا هَذَا بَعْدَ «كَرَبَ» فَقَالَ:

* وَقَدْ كَرَبْتُ أَعْنَاقُهَا أَنْ تَقَطَّعَا *

وقال رؤبة:

* قَدْ كَادَ مِنْ طُولِ الْبَلَى أَنْ يَمْصَحَا (٤) *

(١) سورة النور ٤٠.

(٢) سورة النور ٤٣.

(٣) سورة التوبة ١١٧.

(٤) يمدح: يدرس.

فكاد بمنزلة كَرَبَ في الإِعْمَالِ والمعنى، قال الشاعر:

أَغْنِي غِيَاثًا يَا سُلَيْمَانُ إِنِّي سَبَقْتُ إِلَيْكَ الْمَوْتَ، وَالْمَوْتُ كَارِي
خَشِيَّةَ جَوْرٍ مِنْ أَمِيرٍ مُسَلِّطٍ وَرَهْطِي، وَمَا عَادَاكَ مِثْلُ الْأَقَارِبِ!

وقوله: «لَمَّا أَوْشَكَتُ أَنْ تَضَلَّعَا»: يقول: لما قاربَتْ ذلك، والوشيكُ القريب من الشيء والسريع إليه، يقال: يُوشِكُ فلانٌ أن يفعل كذا وكذا، والماضي منه أَوْشَكَ، ووقعت بأن وهو أجود، وبغير «أَنْ» كما كان ذلك في «لَعَلَّ»، تقول: لَعَلَّ زيدًا يقوم، فهذه الجيدة، قال الله عز وجل: ﴿لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾^(١)، و﴿لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾^(٢)، و﴿لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾^(٣). وقال متمم ابن نويرة:

لَعَلَّكَ يَوْمًا أَنْ تُلَمَّ مُلِمَّةٌ عَلَيْكَ مِنَ اللَّائِي يَدْعُوكَ أَجْدَعَا

وعسى، الأجودُ فيها أن تستعملَ بأن، كقولك: عسى زيد أن يقوم، كما قال الله عز وجل: ﴿فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنَّ بِالْفَتْحِ﴾^(٤)؛ وقال جَلَّ ثَنَاؤُهُ ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾^(٥)، ويجوز طَرَحُ «أَنْ» وليس بالوجه الجيد، وقال هُدْبَةُ:

عَسَى الْكَرْبُ الَّذِي أَمْسَيْتَ فِيهِ يَكُونُ وَرَاءَهُ فَرَجٌ قَرِيبٌ

وقال آخر^(٦):

عَسَى اللَّهُ يُغْنِي عَنْ بِلَادِ ابْنِ قَادِرٍ بِمُنْهَمِرٍ جَوْنِ الرَّبَابِ سَكُوبٍ

وحروف المقاربة لها باب قد ذكرناها فيه على مقاييسها في الكتاب المُقْتَضَبِ

بغاية الاستقصاء.

(١) سورة الأحزاب ٦٣.

(٢) سورة طه ٤٤.

(٣) سورة الطلاق ١.

(٤) سورة المائدة ٥٢.

(٥) سورة التوبة ١٠٢.

(٦) هو سماعة بن أشول النعامي.

وقوله: «أَنْ تَصَلَّعَا»، معناه أَنْ تَمْتَلِيَا، وأصله أَنْ الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ يَبْلُغَانِ الْأَضْلَاعَ فَيَكْظَنَانَهَا^(١) كذلك قال الأصمعيّ في قولهم: أَكَلَ حَتَّى تَصَلَّعَ.

وأما قول أبي وَجْزَةَ: «رَاحَتْ بَسْتَيْنَ وَسَقَا» فالوَسْقُ خَمْسَةُ أَقْفَرَةٍ بِمُلْجَمٍ^(٢) الْبَصْرَةِ، وفي الحديث عن النبي ﷺ: «لَيْسَ فِيمَا دُونَ خَمْسَةِ أَوْسُقٍ صَدَقَةٌ»، فما كَانَ أَقَلَّ مِنْ خَمْسَةِ وَعَشْرِينَ قَفِيزًا بِالْقَفِيزِ الَّذِي وَصَفْنَا، وَهُوَ نِصْفُ الْقَفِيزِ الْبَغْدَادِيُّ فِي أَرْضِ الصَّدَقَةِ فَلَا صَدَقَةَ فِيهِ، وَإِنَّمَا أَرَادَ: أَنَّهُ أَخَذَ الْكِتَابَ بِهَذِهِ الْأَوْسُقِ، فَلِذَلِكَ قَالَ:

مَا إِنْ رَأَيْتُ قُلُوصًا قَبْلَهَا حَمَلْتُ سَتَيْنَ وَسَقًا وَلَا جَابَتْ بِهِ بَلَدًا
وأما قوله:

* يَقْرُونَ ضَيْفَهُمُ الْمَلُوءَةَ الْجُدْدَا *

فإنَّما أَرَادَ السَّيَاطَ، وَجَمَعَ جَدِيدَ جُدْدٍ، وَكَذَلِكَ بَابُ «فَعِيلٍ» الَّذِي هُوَ أَسْمٌ، أَوْ مُضَارِعٌ لِلْأَسْمِ، نَحْوُ قَضِيبٍ وَقُضْبٍ، وَرَغِيفٍ وَرُغْفٍ، وَكَذَلِكَ سَرِيرٌ وَسُرُرٌ وَجَدِيدٌ وَجُدْدٌ، لِأَنَّهُ يَجْرِي مَجْرَى الْأَسْمَاءِ، وَجَرِيرٌ وَجُرْرٌ. فَمَا كَانَ مِنَ الْمَضَاعِفِ جَازَ فِيهِ خَاصَّةٌ أَنْ تُبَدَلَ مِنْ ضَمَّتِهِ فَتَحَةٌ لِأَنَّ التَّضْعِيفَ مُسْتَقْبَلٌ، وَالْفَتْحَةُ أَخْفٌ مِنَ الضَّمَّةِ، فَيَجُوزُ لِمَنْ يُمَالُ إِلَيْهَا اسْتِخْفَافًا، فَيُقَالُ: جُدْدٌ وَسُرُرٌ، وَلَا يَجُوزُ هَذَا فِي مِثْلِ قَضِيبٍ لِأَنَّهُ لَيْسَ بِمَضَاعِفٍ، وَقَدْ قَرَأَ بَعْضُ الْقُرَّاءِ: ﴿عَلَى سُرَرٍ مَوْضُونَةٍ﴾^(٣)، وَيُقَالُ لِلْسُّوْطِ الْأَصْبَحِيِّ، يُنسَبُ إِلَى ذِي أَصْبَحِ الْحَمِيرِيِّ، وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ اتَّخَذَ هَذِهِ السَّيَاطَ الَّتِي يُعَاقَبُ بِهَا السُّلْطَانُ، وَيُقَالُ لَهُ: الْعِرْفَاصُ وَالْقَطِيعُ. وَقَالَ الشَّيْخُ:

* تَكَادُ تَطِيرُ مَنْ رَأَى الْقَطِيعَ *

وقال الصَّلْتَانُ الْعَبْدِيُّ:

أَرَى أُمَّةً شَهَرَتْ سَيْفَهَا وَقَدْ زِيدَ فِي سَوْطِهَا الْأَصْبَحِيُّ

(١) من الكظة.

(٢) مكيال لأهل البصرة.

(٣) سورة الواقعة ١٥.

وقال الراعى :

أَخَذُوا الْعَرِيفَ فَقَطَّعُوا حِزْمَهُ
بِالْأَصْبَحِيَّةِ قَائِمًا مَغْلُولًا

وقال الراجز :

* حَتَّى تَرَدَّى طَرَفُ الْعِرْفَاصِ *

وقوله : «وَلَا جَابَتْ بِهِ بَلَدًا» ، يقول : وَلَا قَطَّعَتْ بِهِ ، يقال : جُبْتُ الْبِلَادَ ،
وقال الله عز وجل : ﴿وَتَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ﴾^(١) . ويقال : رجل جَوَّابٌ
جَوَّالٌ . وَأَشْدَنِي عَلَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، قال : أَنَشْدَنِي الْقَحْذُمِي :

مَا مِنْ أَتَتْ مِنْ دُونِ مَوْلِدِهِ خَمْسُونَ بِالْمَعْذُورِ بِالْجَهْلِ
فَإِذَا مَضَتْ خَمْسُونَ عَنْ رَجُلٍ تَرَكَ الصَّبَا وَمَشَى عَلَى رِسْلِ
وَأَمَرَ مُصْعَبُ بْنُ الزُّبَيْرِ رَجُلًا مِنْ بَنِي أَسَدٍ بِخَزِيمَةٍ بِقَتْلِ مُرَّةَ بْنِ مَحْكَانَ
السَّعْدِيِّ ، فَقَالَ مُرَّةٌ فِي ذَلِكَ :

بَنَى أَسَدٌ إِنْ تَقْتُلُونِي تُحَارِبُوا تَمِيمًا إِذَا الْحَرْبُ الْعَوَانُ أَشْمَعَلَتْ
وَلَسْتُ وَإِنْ كَانَتْ إِلَيَّ حَبِيبَةٌ بِيَاكَ عَلَى الدُّنْيَا إِذَا مَا تَوَلَّتْ

قوله : «إِذَا الْحَرْبُ الْعَوَانُ» ، فهى التى تكون بعد حَرْبٍ قَدْ كَانَتْ قَبْلَهَا ،
وكذلك أَصْلُ الْعَوَانِ فِي الْمَرْأَةِ إِنَّمَا هِيَ الَّتى قَدْ تَزَوَّجَتْ ، ثُمَّ عَاوَدَتْ فَخَرَجَتْ عَنْ
حَدِّ الْبِكْرِ ، وَقَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ : ﴿لَا فَارِضٌ وَلَا بَكْرٌ﴾^(٢) هُوَ تَمَامُ
الْكَلَامِ ، ثُمَّ اسْتَأْنَفَ فَقَالَ : ﴿عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ﴾ . وَالْفَارِضُ : هَاهُنَا الْمُسْنَةُ ، وَالْبَكْرُ :
الصَّغِيرَةُ ، وَيُقَالُ : لِهَاءُ فَارِضٍ أَى وَاسِعَةٌ ، وَفَرَضَ الْقَوْسَ مَوْضِعَ مَعْقِدِ الْوَتَرِ ، وَكُلُّ
حَزٍّ فَرَضٌ ، وَالْفَرَضَةُ مُتَطَرِّقٌ إِلَى النَّهْرِ : قَالَ الرَّاجِزُ :

* لَهَا زِجَاجٌ وَلِهَاءُ فَارِضٌ *

وقوله : «أَشْمَعَلَتْ» ، إِنَّمَا هُوَ ثَارَتْ فَأَسْرَعَتْ ، قَالَ الشَّمَاخُ :

(١) سورة الفجر ٩ .

(٢) سورة البقرة ٦٨ .

رَبَّ ابْنِ عَمٍ لِسُلَيْمَى مُشْمَعِلٍ أَرْوَعَ فِي السَّفَرِ وَفِي الْحَيِّ غَزَلٍ
طَبَّاحِ سَاعَاتِ الْكَرَى زَادَ الْكَسَلَ

وقوله:

ولست وإن كانت إلى حبيبة بياك على الدنيا
إنما هو تقديم وتأخير، أراد: ولست بياك على الدنيا وإن كانت إلى حبيبة،
ولولا هذا التقدير لم يجز أن يضمن قبل الذكر، ومثله:

إِنْ تَلَقَّ يَوْمًا عَلَى عِلَاتِهِ هَرَمًا تَلَقَّ السَّمَاحَةَ مِنْهُ وَالنَّدَى خُلُقًا
وكذلك قول حسان بن ثابت:

قَدْ ثَكَلْتُ أُمَّهُ مَنْ كُنْتُ وَاحِدَهُ أَوْ كَانَ مُتَسَبِّبًا فِي بُرْثَنِ الْأَسَدِ
يقول: من كنت واحده قد ثكلت أمه، وكذلك قوله:

شَرَّ يَوْمَيْهَا وَأَخْزَاهُ لَهَا رَكِبَتْ هِنْدٌ بِحَدَجٍ جَمَلًا
يقول: ركبت هند بحدج جملاً في شرَّ يومَيها.

وقال رجل من مزيّنة:

خَلِيلِيَّ بِالْبُوبَةِ عُوجًا فَلَا أَرَى بِهَا مَنْزِلًا إِلَّا جَدِيدَ الْمُقَيِّدِ
نَذِقُ بَرْدَ نَجْدٍ بَعْدَ مَا لَعِبْتُ بِنَا تَهَامَةً فِي حَمَامِهَا الْمُتَوَقِّدِ

قوله: «البوباة»، فهي المتسع من الأرض: وبعضهم يقول: هي المومأة
بعينها، قلبت الميم باء لأنهما من الشفة، ومثل ذلك كثير، يقولون: ما أَسْمُكَ
وبأ أَسْمُكَ؟ ويقولون: ضربة لازم ولازب، ويقولون: هذا ظأمي وظأبي: يعنون
السلف - [قال أبو الحسن: الجيد سلف، وما قال ليس بممتنع] - ويقولون: زُكْبَةٌ
سَوْءٌ وزُكْمَةٌ سَوْءٌ: أي وكلد سَوْءٌ، ويقولون: عَجْمُ الذَّنْبِ وَعَجَبُ الذَّنْبِ،
ويقولون: رجل أْخَرَمٌ وأْخَرَبٌ، وهذا كثير. وقال عمر بن أبي ربيعة:

عُوجًا نُحَيِّي الطَّلَلَ الْمُحُولَا والرَّبْعَ مِنْ أَسْمَاءَ وَالْمَنَزَلَا
بِجَانِبِ الْبَوْبَةِ لَمْ يَعْدُهُ تَقَادُمُ الْعَهْدِ بِأَنْ يُؤْهَلَا

وقوله: «إلا جَدِيبَ الْمُقَيْدِ»، يقال: بلد جَدَبٌ وَجَدِيبٌ، وَخَصَبٌ وَخَصِيبٌ، والأصل في النعت خَصِيبٌ وَمُخَصِيبٌ، وَجَدِيبٌ وَمُجَدِيبٌ، وَالْخَصَبُ وَالْجَدَبُ إِنَّمَا هُمَا مَا حُلَّ فِيهِ، وَقِيلَ: خَصِيبٌ وَأَنْتَ تَرِيدُ مُخَصِيبٌ، وَجَدِيبٌ وَأَنْتَ تَرِيدُ مُجَدِيبٌ، كَقَوْلِكَ: عَذَابُ أَلِيمٌ وَأَنْتَ تَرِيدُ مُؤْلِمٌ، قَالَ ذُو الرُّمَّةِ.

وَنَرْفَعُ مِنْ صُدُورِ شَمَرْدَلَاتٍ يَصُكُ وَجُوهَهَا وَهَجٌ أَلِيمٌ
وَيَقَالُ: رَجُلٌ سَمِيعٌ، أَيْ مُسْمِعٌ، قَالَ عَمْرُو بْنُ مَعْدَى كَرَبٌ:

أَمِنْ رِيحَانَةِ الدَّاعِي السَّمِيعِ يُؤْرِقُنِي وَأَصْحَابِي هُجُوعٌ

وَأَمَّا قَوْلُهُ: «الْمُقَيْدُ» فَهُوَ مَوْضِعُ التَّقْيِيدِ، وَكُلُّ مَصْدَرٍ زَيْدَتِ الْمِيمُ فِي أَوَّلِهِ إِذَا جَاوَزَتِ الْفِعْلَ مِنْ ذَوَاتِ الثَّلَاثَةِ فَهُوَ عَلَى وَزْنِ الْمَفْعُولِ، وَكَذَلِكَ إِذَا أَرَدْتَ اسْمَ الزَّمَانِ وَاسْمَ الْمَكَانِ، تَقُولُ: أَدْخَلْتُ زَيْدًا مُدْخَلًا كَرِيمًا. وَسَرَحْتُهُ مُسَرَّحًا حَسَنًا، وَاسْتَخَرَجْتُ الشَّيْءَ مَسْتَخْرَجًا، قَالَ جَرِيرٌ:

أَلَمْ تَعْلَمْ مُسَرَّحِي الْفَوَافِي فَلَا عِيًّا بَيْنَ وَلَا أَجْتِلَابًا

أَيْ تَسْرِيحِي، وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَقُلْ رَبِّ أُنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا﴾ (١)، وَيَقَالُ: قَمْتُ مُقَامًا، وَأَقَمْتُ مُقَامًا، وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ (٢) أَيْ مَوْضِعَ إِقَامَةٍ، وَقَالَ الشَّاعِرُ (٣):

وَمَا هِيَ إِلَّا فِي إِزَارٍ وَعِلْقَةٍ مُغَارَ ابْنِ هَمَامٍ عَلَى حَيِّ خَشَعَمَا
يَرِيدُ زَمَنَ إِغَارَةِ ابْنِ هَمَامٍ.

(١) سورة المؤمنون ٢٩.

(٢) سورة الفرقان ٦٦.

(٣) في زيادات ر قبل هذا البيت:

تَطُولُ الْقِصَارَ وَالطَّوَالَ يَطْلُنُهَا فَمَنْ يَرَاهَا لَا يَنْسَاهَا مَا تَكَلَّمَا
وفيهما نسبة البيتين إلى حميد بن ثور، وقد حقق العلامة المرفصفي نسبتهما إلى الطماح بن عامر (وانظر رغبة الأمل).

وأما قوله: «نَذِقُ بَرْدَ نَجْدٍ»، فذاك لأن نَجْدًا مرتفعةٌ وتهامةٌ غورٌ منخفض،
فَنَجْدٌ باردةٌ.

ويروى عن الأصمعيّ أنه قال: هَجَمَ عَلَى شَهْرٍ رَمِضَانَ وَأَنَا بِمَكَّةَ. فخرجتُ
إلى الطائف لأَصُومَ بِهَا هَرَبًا مِنْ حَرِّ مَكَّةَ فَلَقِينِي أَعْرَابِيٌّ فَقُلْتُ لَهُ: أَيْنَ تَرِيدُ؟
فقال: أريد هذا البلدَ المبارك لأصوم هذا الشهر المبارك فيه. فقلت: أما تخاف
الحرَّ؟ فقال: من الحرِّ أَفَرٌّ.

وهذا الكلام نظير كلام الربيع بن خثيم، فإن رجلاً قال له - وقد صلى ليلةً
حتى أصبح - أَتَعَبْتَ نَفْسَكَ، فقال: راحَتَهَا أَطْلُبُ: إِنَّ أَفْرَةَ الْعَبِيدِ أَكْسَهُمْ.

ونظير هذا الكلام قولُ رَوْحِ بْنِ حَاتِمٍ بِنِ قَبِيصَةَ بْنِ الْمُهَلَّبِ - ونظر إليه رجل
واقفاً بباب المنصور في الشمس - فقال: قد طال وقوفك في الشمس! فقال رَوْحٌ:
لِيَطُولَ وَقُوفِي فِي الظِّلِّ.

ومثله من الشعر قوله: [قال أبو الحسن: هو عُرْوَةُ بْنُ الْوَرْدِ]:

تَقُولُ سُلَيْمَى لَوْ أَقَمْتَ بِأَرْضِنَا	وَلَمْ تَدْرِ أُنَى لِلْمَقَامِ أُطُوفُ
لَعَلَّ الَّذِي خَوْفَتَنَا مِنْ وَرَائِنَا	سَيُدْرِكُهُ مِنْ بَعْدِنَا الْمُتَخَلَّفُ

ويروى: «لَسَرْنَا».

وقال آخر:

سَأَطْلُبُ بَعْدَ الدَّارِ مِنْكُمْ لَتَقْرَبُوا	وَتَسْكُبُ عَيْنَايَ الدَّمُوعَ لَتَجْمَدَا

وهذا معنى كثير حسن جميل.

وقال حبيب بن أوس الطائي:

أَلْفَةَ النَّحِيبِ كَمْ أَفْتِرَاقٍ	أَجَدَّ فَكَانَ دَاعِيَةَ اجْتِمَاعٍ
وَلَيْسَتْ فَرْحَةُ الْأَوْبَاتِ إِلَّا	لِمَوْقُوفٍ عَلَى تَرَحُّمِ الْوَدَاعِ

وقال رجل - وأعتلَّ في غُرْبَةٍ فَتَذَكَّرَ أَهْلَهُ:

لَوْ أَنَّ سَلْمَى أَبْصَرَتْ تَخَدُّدِي	وَدَقَّةً فِي عَظْمِ سَاقِي وَيَدِي
وَبُعْدَ أَهْلِي وَجَفَاءَ عُوْدِي	عَضَّتْ مِنَ الْوَجْدِ بِأَطْرَافِ الْيَدِ

قوله: «أبصرت تخددي»، يريد ما حدث في جسمه من النحول، وأصل الخد ما شققته في الأرض، قال الشماخ:

فَقُلْتُ لَهُمْ خُدُّوا لَهُ بِرِمَاحِكُمْ بَطَامِسَةَ الْأَعْلَامِ خَفَاقَةَ الْآلِ

ويقال للشيخ: قد تخدد، يراد قد تشنج جلده، وقال الله عز وجل: ﴿قَتَلَ أَصْحَابُ الْأَخْذُودِ﴾^(١)، وقيل في التفسير: هؤلاء قوم خدوا أخاديده في الأرض، وأشعلوا فيها نيراناً فحرقوا بها المؤمنين.

وقوله:

* عَضَّتْ مِنَ الْوَجْدِ بِأَطْرَافِ الْيَدِ *

فإن الحزين، والمغيظ، والنادم، والمتأسف يعض أطراف أصابعه جزعاً، قال الله عز وجل: ﴿عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ﴾^(٢).

وفى مثل ما ذكرنا من تخدد لحم الشيخ، يقول القائل^(٣):

يَا مَنْ لَشَيْخٍ قَدْ تَخَدَّدَ لَحْمُهُ	أَفْنَى ثَلَاثَ عَمَائِمِ الْوَانَا ^(٤)
سَوْدَاءَ حَالِكَةٍ وَسَحَقٍ مُفَوِّفٍ	وَأَجَدَّ لُونًا بَعْدَ ذَلِكَ هَجَانًا
صَحِبَ الزَّمَانَ عَلَى اخْتِلَافِ فُنُونِهِ	فَأَرَاهُ مِنْهُ كَرَاهَةً وَهَوَانًا
قَصَرَ اللَّيَالِي خَطْوَهُ فَتَدَانِي	وَحَنُونٍ قَائِمٍ صُلْبِهِ فَتَحَانِي
وَالْمَوْتُ يَأْتِي بَعْدَ ذَلِكَ كُلِّهِ	وَكَأَنَّمَا يُعْنَى بِذَلِكَ سَوَانَا

قوله:

* أَفْنَى ثَلَاثَ عَمَائِمِ الْوَانَا *

(١) سورة البروج ٤.

(٢) سورة آل عمران ١١٩.

(٣) قوله في زيادات ر:

ذهب الشباب فلا شباب جُمانا وكان ما قد كان لم يك كانا
وطويت كفى يا جمان على العصا وكفى جمان بطيها حدثانا

(٤) زيادات ر: «الوانا: صفة لثلاث على المعنى، كأن قال: مختلفات».

يعنى أن شعره كان أسود ، ثم حَدَثَ فيه شيب مع السواد، فذلك قوله :
مُفوفٌ ، والتَّفْوِيفُ : التنقيشُ ، وإنما أخذ من الفوف ، وهى النكتة البيضاء التى
تَحْدُثُ فى أظفار الأحداث ، وسميت بذلك لشبَّهها بشجرة يقال لها الفُوفَةُ
وجمعها فوفٌ ، والسَّحْقُ : الخَلْقُ ، يقال عنده : سَحَقُ ثوبٍ ، وَجَرَدُ ثوبٍ ، وسَمِلَ
ثوبٌ .

وقوله : أَجَدَّ أَى اسْتَجَدَّ لَوْنًا ، والهجان الأبيضُ ، وهى العمامة الثالثة يعنى
حيث سَمِلَهُ الشيب .

باب

[من أمثال العرب]

قال أبو العباس: من أمثال العرب: لم يذهب من مالك ما وعظك.
يقول: إذا ذهب من مالك شيء: فَحَذَرَكَ أَنْ يَحُلَّ بِكَ مِثْلُهُ، فتأديبه إياك
عَوْضٌ مِنْ ذَهَابِهِ.

ومن أمثالهم: رَبَّ عَجَلَةٍ تَهَبُ رَيْثًا. وتأويله أن الرجل يَعْمَلُ العمل فلا
يُحْكِمُهُ للاستعجال به، فيحتاج إلى أن يعود فينقضه ثم يستأنف، والرَيْثُ الإِبْطَاءُ،
وراثَ عليه أمرُهُ إذا تأخر.

ومن أمثال العرب: عَشٌّ وَلَا تَغْتَرَّ. وأصل ذلك أن يَمُرَّ صاحبُ الإبل
بالأرض المكلَّثة فيقول: أَدْعُ أَنْ أُعْشَى إِبْلِي مِنْهَا حتَّى أَرِدَ على أخرى، ولا يَدْرِى
ما الذى يَرِدُ عليه.

وقريب منه قولهم: « أَنْ تَرِدَ الْمَاءَ بِمَاءٍ أَكْيَسُ ». وتأويله أن يَمُرَّ الرجل بالماء
فلا يَحْمِلُ مِنْهُ أَتْكَالًا على ماء آخر يصير إليه، فيقال له: أَنْ تَحْمِلَ مَعَكَ مَاءً أَحْزَمُ
لَكَ، فَإِنْ أَصَبْتَ مَاءَ آخَرَ لَمْ يَضُرْك، فإن لم تَحْمِلْ فَخَفَقْتَ مِنَ الْمَاءِ عَطِيتَ.

ومن أمثالهم: « قَدْ أَحْزَمُ لَوْ أُعْزِمُ »، يقول: أَعْرِفُ وَجْهَ الْحَزْمِ فَإِنْ عَزَمْتَ
فَأَمْضَيْتُ الرَّأْيَ فَأَنَا حَازِمٌ، وإن تركت الصواب وأنا أراه وَضِيعْتُ الْعَزْمَ لَمْ يَنْفَعْنِي
حَزْمِي، ومثله قول النابغة الجعدي:

أَبَى لِيَّ الْبَلَاءُ وَأَنْى أَمْرُؤُ إِذَا مَا تَبَيَّنْتُ لَمْ أَرْتَبِ

وقال أعرابي يمدح سَوَّارَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ:

وَأَوْقَفُ عِنْدَ الْأَمْرِ مَا لَمْ يَضِحْ لَهُ وَأَمْضَى إِذَا مَا شَكَ مَنْ كَانَ مَاضِيًا
فالذى يُحَمَّدُ إِمْضَاءُ مَا تَبَيَّنَ رُشْدُهُ، فأما الإِقْدَامُ عَلَى الْغَرَرِ وَرُكُوبُ الْأَمْرِ
عَلَى الْخَطَرِ فَلَيْسَ بِمَحْمُودٍ عِنْدَ ذَوَى الْأَلْبَابِ، وَقَدْ يَتَحَسَّنُ بِمِثْلِهِ الْفَتَاكُ، كَمَا
قَالَ (١):

عَلَيْكُمْ بِدَارِي فَاهْدُمُوهَا فَإِنَّهَا تُرَاثُ كَرِيمٍ لَا يَخَافُ الْعَوَاقِبَا

(١) زيادات ر: «هو سعد بن ناشب المازني، عن الرياشي وغيره».

إِذَا هُمْ أَلْقَى بَيْنَ عَيْنَيْهِ عَزَمَهُ
وَلَمْ يَسْتَشِرْ فِي رَأْيِهِ غَيْرَ نَفْسِهِ
فهذا شأن الفتاك، وقال الآخر:
غُلَامٌ إِذَا مَا هَمَّ بِالْفَتْكِ لَمْ يُبَلِّ (١)
وأقال آخر:

وَمَا الْعَجْزُ إِلَّا أَنْ تُشَاوَرَ عَاجِزًا وَمَا الْحَزْمُ إِلَّا أَنْ تَهَمَّ فَتَفْعَلَا
فأما قول على بن أبي طالب رضى الله عنه: مَنْ أَكْثَرَ الْفِكْرَةَ فِي الْعَوَاقِبِ لَمْ يَشْجَعْ، فتأويله أنه من فكَرَ في ظَفَرِ قَرْنِهِ بِهِ، وَعُلُوَّهُ عَلَيْهِ لَمْ يَقْدِمْ وَإِنَّمَا كَانَ الْحَزْمُ عِنْدَ عَلَى رَضَى اللَّهِ عَنْهُ أَنْ يَخْطُرَ أَمْرُ الدِّينِ ثُمَّ لَا يُفَكِّرُ فِي الْمَوْتِ. وَقَدْ قِيلَ لَهُ: أَتَقْتُلُ أَهْلَ الشَّامِ بِالْغَدَاةِ، وَتَظْهَرُ بِالْعَشِيِّ فِي إِزَارٍ وَرَدَاءٍ؟ فَقَالَ: أَبِالْمَوْتِ أَخَوْفُ؟ وَاللَّهِ مَا أَبَالِي أَسَقَطْتُ عَلَى الْمَوْتِ، أَمْ سَقَطَ الْمَوْتُ عَلَىَّ.
وقال للحسن ابنه: لَا تَبْدَأْ بِدَعَاءٍ إِلَى مُبَارَاةٍ فَإِنْ دُعِيَ إِلَيْهَا فَاجِبٌ، فَإِنْ طَالِبَهَا بَاغٌ، وَالباغى مَصْرُوعٌ.

وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يَلْتَفُّ فِي كِسَائِهِ وَيَنَامُ نَاحِيَةَ الْمَسْجِدِ، فَلَمَّا وَرَدَ الْمَرْزُبَانُ (٢) عَلَيْهِ جَعَلُوا يَسْأَلُونَهُ عَنْهُ. فَيَقَالُ: مَرَّ هَاهُنَا أَنْفًا، فَيَصْغُرُ فِي قَلْبِ الْمَرْزُبَانِ إِذَا رَأَاهُ كِبَاضُ السَّوْقِ، حَتَّى أَنْتَهَى إِلَيْهِ. وَهُوَ نَائِمٌ فِي نَاحِيَةِ الْمَسْجِدِ، فَقَالَ الْمَرْزُبَانُ: هَذَا وَاللَّهِ الْمَلِكُ الْهَنِئِءُ. يَقُولُ: لَا يَحْتَاجُ إِلَى أَحْرَاسٍ وَلَا عَدَدٍ. فَلَمَّا جَلَسَ عَمَرَ امْتَلَأَ قَلْبُ الْعَلِجِ مِنْهُ هَيْبَةً لَمَّا رَأَى عِنْدَهُ مِنَ الْجِدِّ وَالْاجْتِهَادِ، وَالْبَسَ مِنْ هَيْبَةِ التَّقْوَى.

[لِلْكَلْبِيِّ وَقَدْ سَأَلَهُ خَالِدُ الْقَسْرِيِّ عَنِ السُّودْدِ]

وَقَالَ الْكَلْبِيُّ: قَالَ لِي خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ أَسَدَ بْنِ كُرْزٍ الْقَسْرِيُّ: مَا تَعْدُونَ السُّودْدَ؟ فَقُلْتُ: أَمَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَالرِّيَاسَةِ، وَأَمَا فِي الْإِسْلَامِ فَالْوِلَايَةِ،

(١) أصله «يألى»، حذف الباء للجازم.

(٢) زيادات ر: «كذا وقعت الرواية «المرزبان». والصواب الهرمزان، وكان صاحب تستر».

وَحَيْرٌ مِنْ ذَا وَذَاكَ التَّقْوَى، فَقَالَ لِي: صَدَقْتَ، كَانَ أَبِي يَقُول: لَمْ يُدْرِكِ الْأَوَّلُ الشَّرْفَ إِلَّا بِالْفِعْلِ، وَلَا يَدْرِكُهُ الْآخِرُ إِلَّا بِمَا أَدْرَكَ بِهِ الْأَوَّلُ. قَالَ: فَقُلْتُ: صَدَقَ أَبُوكَ، سَادَ الْأَحْنَفُ بِحِلْمِهِ، وَسَادَ مَالِكُ بْنُ مِسْمَعٍ بِمَحَبَةِ الْعَشِيرَةِ لَهُ، وَسَادَ قُتَيْبَةُ بِدَهَائِهِ، وَسَادَ الْمُهَلَّبُ بِجَمِيعِ هَذِهِ الْخِلالِ، فَقَالَ لِي: صَدَقْتَ، كَانَ أَبِي يَقُول: خَيْرُ النَّاسِ لِلنَّاسِ خَيْرُهُمْ لِنَفْسِهِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا كَانَ كَذَلِكَ اتَّقَى عَلَى نَفْسِهِ مِنَ السَّرَقِ لَثْلًا يُقَطِّعُ، وَمِنَ الْقَتْلِ لَثْلًا يُقَادُ، وَمِنَ الزَّنا لَثْلًا يُحَدُّ، فَسَلِمَ النَّاسُ مِنْهُ بِاتِّقَائِهِ عَلَى نَفْسِهِ.

[نَبْذٌ مِنْ أَقْوَالِ الْحُكَمَاءِ]

قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ: وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَزِيدَ أَبُو خَالِدٍ مِنْ عَقْلَاءِ الرِّجَالِ، قَالَ لَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ يَوْمًا: مَا مَالُكَ؟ فَقَالَ: شَيْئَانِ لَا عِيْلَةَ عَلَيَّ مَعَهُمَا، الرِّضَا مِنْ اللَّهِ، وَالْغِنَى عَنِ النَّاسِ. فَلَمَّا نَهَضَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ قِيلَ لَهُ: هَلَّا خَبَرْتَهُ بِمَقْدَارِ مَالِكَ؟ فَقَالَ: لَمْ يَعُدْ أَنْ يَكُونَ قَلِيلًا فَيَحْقِرَنِي، أَوْ كَثِيرًا فَيَحْسُدَنِي.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَكُونَ أَعَزَّ النَّاسِ فَلْيَتَّقِ اللَّهَ، وَمَنْ سَرَّهُ أَنْ يَكُونَ أَغْنَى النَّاسِ فَلْيَكُنْ بِمَا فِي يَدِ اللَّهِ أَوْثَقَ مِنْهُ بِمَا فِي يَدِهِ، وَمَنْ سَرَّهُ أَنْ يَكُونَ أَقْوَى النَّاسِ فَلْيَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ».

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلِّبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَنْ سَرَّهُ الْغِنَى بِلا مَالٍ، وَالْعِزُّ بِلا سُلْطَانٍ، وَالْكَثْرَةُ بِلا عَشِيرَةٍ، فَلْيَخْرُجْ مِنْ ذَلِكَ مَعْصِيَةَ اللَّهِ إِلَى عِزِّ طَاعَتِهِ، فَإِنَّهُ وَاجِدٌ ذَلِكَ كُلَّهُ».

وَخَطَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ فَحَمِدَ اللَّهُ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ، فَقَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ لَكُمْ مَعَالِمٌ فَانْتَهُوا إِلَى مَعَالِمِكُمْ، وَإِنْ لَكُمْ نِهَايَةٌ فَانْتَهُوا إِلَى نِهَايَتِكُمْ، فَإِنَّ الْعَبْدَ بَيْنَ مَخَافَتَيْنِ: أَجَلٌ قَدْ مَضَى لَا يَدْرِي مَا اللَّهُ فَاعِلٌ فِيهِ، وَأَجَلٌ بَاقٍ لَا يَدْرِي مَا اللَّهُ قَاضٍ فِيهِ، فَلْيَأْخُذْ الْعَبْدُ مِنْ نَفْسِهِ لِنَفْسِهِ، وَمَنْ دَنِيَاهُ لِآخِرَتِهِ، وَمَنْ الشَّيْبَةُ قَبْلَ الْكِبَرِ، وَمَنْ الْحَيَاةُ إِلَى الْمَمَاتِ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، مَا بَعْدَ الْمَوْتِ مِنْ مُسْتَعْتَبٍ، وَلَا بَعْدَ الدُّنْيَا مِنْ دَارٍ إِلَّا الْجَنَّةُ أَوْ النَّارُ».

وقال رسول الله ﷺ: «أمرني ربي بتسع: الإخلاصُ في السرِّ والعلانية، والعدلُ في الغضبِ والرِّضا، والقصدُ في الفقر والغنى، وأن أعفوَ عمن ظلمني، وأصلِّ من قَطَعَنِي، وأعطى من حَرَمَنِي، وأن يكونَ نُطْقِي ذكراً، وصَمَّتِي فِكْراً، ونظري عبْرةً».

وحدَّثْتُ أنه التَّقَى حَكِيمَان، فقال أحدهما للآخر: إني لأحبُّكَ في الله، فقال له الآخر: لو علمتَ مني ما أعلمُهُ من نفسي لأبْغَضْتَنِي في الله، فقال له صاحبه: لو عَلِمْتُ منك ما تَعَلَّمُهُ من نَفْسِكَ، لكان لي فيما أعلمُهُ من نفسي شغل.

وكان مالكُ بن دينار يقول: جاهدوا أهواءكم كما تجاهدون أعداءكم. وكان يقول: ما أشَدَّ فطامَ الكبير!

وقيل لعمر بن عبد العزيز: أيُّ الجهادِ أفضل؟ فقال: جهادُك هَواك.

وكان الحسن يقول: حادثوا هذه القلوبَ، فإنها سريعةُ الدُّثور. واقْدَعُوا هذه الأنفُسَ فإنها طُلْعَةٌ، وإنكم إلَّا تَقْدَعُوهَا تَنْزِعَ بكم إلى شرٍّ غاية.

قوله: «حادثوا»، مثل، ومعناه: اجْلُؤا واشْحَذُوا، تقول العرب: حادثَ فلانُ سيفَهُ إذا جلاه وشحذه، وقال زيدُ الخيل:

وَقَدْ عَلِمْتُ سَلَامَةً أَنْ سَيْفِي كَرِيهٌ كُلَّمَا دُعِيَتْ نَزَالِ

أَحَادِثُهُ بِصَقْلٍ كُلِّ يَوْمٍ وَأَعْجُمُهُ بِهَامَاتِ الرِّجَالِ

قوله: «أَعْجُمُهُ بِهَامَاتِ الرِّجَالِ»: أي أَعْضُهُ، يقال: عَجَمَهُ إذا عَضَّهُ. والدُّثور: الدُّروس، يقال دَثَرَ الرَّبْعُ إذا مَحَّ (١)، ومعناه: تَعَهَّدُوهَا بِالْفِكْرِ وَالذِّكْرِ. وقوله: «فإنها طُلْعَةٌ»، يقول كثيرةُ التَّشَوُّفِ والتَّنَزُّيِ إلى ما ليس لها، وأنشد الأَصْمَعِيُّ:

وَلَا تَمَلَّيْتُ (٢) مِنْ مَالٍ وَلَا عُمُرٍ إِلَّا بِمَا سَرَّ (٣) نَفْسَ الْحَاسِدِ الطُّلْعَةِ

(١) محت الدار: عفت ودرست، وفي س: «انمحي».

(٢) كذا في الأصل، بكسر التاء. وفي ر: بفتح التاء، وفي الزيادات: «الرواية الصحيحة بكسر التاء لا غير؛ لأنه يخاطب امرأة تقدم ذكرها في الشعر يدعو عليها».

(٣) ر، س: «ساء».

قال: ويقال للجارية إذا كانت تَبْرُزُ وجهها لِتُرى حُسْنُها ثم تُخْفِيهِ لِتُوْهِمَ الحَيَاءَ: حُبَاءٌ طُلْعَةٌ.

وكان عمر بن عبد العزيز رحمه الله يقول: أيها الناس إنما خُلِقْتُمْ لِلْأَبَدِ: ولكنكم تُنْقَلُونَ مِنْ دَارٍ إِلَى دَارٍ. وَيُرَوَّى عَنِ الْمَسِيحِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: إِنْ احْتَجَجْتُمْ إِلَى النَّاسِ فَكَلُوا قَصْدًا وَامْشُوا جَانِبًا.

وَلَمَّا احْتَضَرَ قَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ قَالَ لِبَنِيهِ: يَا بَنِيَّ، احْفَظُوا عَنِّي ثَلَاثًا، فَلَا أَحَدَ أَنْصَحُ لَكُمْ مِنِّي إِذَا أَنَا مِتُّ فَسَوِّدُوا كِبَارَكُمْ، وَلَا تُسَوِّدُوا صِغَارَكُمْ، فَيَحْقِرَ النَّاسُ كِبَارَكُمْ، وَتَهُونُوا عَلَيْهِمْ. وَعَلَيْكُمْ بِحِفْظِ الْمَالِ فَإِنَّهُ مَنبَهُةٌ لِلْكَرِيمِ، وَيُسْتَعْنَى بِهِ عَنِ اللَّئِيمِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْمَسْأَلَةَ فَإِنَّهَا أُخِرُ^(١) كَسَبَ الرَّجُلُ.

(١) ر: «أخر» بفتح الهمزة وكسر الخاء. وفي الزيادات: بقصر الهمزة لا غير، ومن رواه بالمد فقد أخطأ، ومعنى أخر أدنى.

باب

[لرجل من الأعراب يرثى رجلاً منهم]

قال أبو العباس: أنشدتُ لرجل من الأعراب يرثى رجلاً منهم:

فَلَوْ كَانَ شَيْخًا قَدْ لَبِسْنَا شَبَابَهُ وَلَكِنَّهُ لَمْ يَعُدْ أَنْ طَرَّ شَارِبُهُ (١)
وَقَالَكَ الرَّدَى مَنْ وَدَّ أَنْ ابْنَ عَمِّهِ يَرَى مُقْتَرًا أَوْ أَنَّهُ ذَلَّ جَانِبُهُ

[لجساق يوصي امرأته]

وقال آخر لامرأته (٢):

فَإِمَّا هَلَكْتُ فَلَا تَنْكِحِي ظُلُومَ الْعَشِيرَةِ حَسَادَهَا
يَرَى مَجْدَهُ ثَلَبَ أَعْرَاضِهَا لَدَيْهِ، وَيُبْغِضُ مَنْ سَادَهَا

[لصخر بن حبناء يعاتب أخاه]

وقال آخر:- [قال أبو الحسن: هو ليزيد بن حبناء أو لصخر بن حبناء، يقول لأخيه]:

لَحَا اللَّهُ أَكْبَانَا زَنَادًا وَشَرْنَا وَآيَسَرْنَا عَنْ عَرَضِ وَالِدِهِ ذَبًا
رَأَيْتُكَ لَمَّا نَلَتْ مَالًا وَمَسْنَا زَمَانٌ تُرَى فِي حَدِّ أَنْيَابِهِ شَغْبًا
جَعَلْتَ لَنَا ذَنْبًا لَتَمْنَعُ نَائِلًا فَأُمْسِكْ، وَلَا تَجْعَلْ غِنَاكَ لَنَا ذَنْبًا

قوله: «أكبانًا زنادًا» الزناد التي تقدحُ بها النار، ويقال: أوري القادح إذا خرجت له النار، وأكبي إذا أخفق منها: هذا أصله يُضْرَبُ للرجل الذي ينبعثُ الخيرُ عن (٣) يديه، ويُضْرَبُ الإكباءُ للذي يمتنعُ الخيرُ على يديه، قال الأعشى:

وَزَنْدُكَ خَيْرُ زِنَادِ الْمُلُو كِ صَادَفَ مِنْهُنَّ مَرْخٌ عَقَارًا
وَلَوْ بَتَّ تَقْدَحُ فِي ظُلْمَةٍ صَفَاءَ بَنِي لَأُورِيتَ نَارًا (٤)

(١) طر شاربته: طلع ونبت.

(٢) زيادات ر: «حسان بن ثابت»، والبيتان في ديوانه ١٣٩.

(٣) ر، س: «على يديه».

(٤) الصفاة: الصخرة الملساء. والنبع: شجر لانار له، يريد أنه موفق في كل أمر.

والمَرْخُ والعَفَارُ: شجر تُسْرِعُ فيه النار، ومن أمثالهم: «فِي كُلِّ شَجَرٍ نَارٌ، وَاسْتَمَجَدَ الْمَرْخُ وَالْعَفَارُ»، وَاسْتَمَجَدَ: اسْتَكْثَرَ، يُقَالُ: أَمَجَدْتُهُ سَبًّا وَأَمَجَدْتُهُ ذَمًّا، إِذَا أَكْثَرْتَ مِنْ ذَلِكَ، وَمِنْ أَمْثَالِهِمْ: «أَرِخْ يَدَيْكَ وَاسْتَرِخْ، إِنَّ الزَّنَادَ مِنْ مَرْخٍ».

ويقال: رجل ذو شَغَبٍ إِذَا كَانَ يَشْغَبُ عَلَى خَصْمِهِ، ضَرْبُهُ مَثَلًا لِلزَّمَانِ الَّذِي يَهْرُ عَلَى أَرْبَابِهِ، أَيْ يَمْسُهُمُ بِالْفَقْرِ وَالْجُدْبِ.

[لَعِبَ اللَّهُ بَنَ مَعَاوِيَةَ يَعَاتِبُ صَدِيقَهُ]

وقال عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب:

رَأَيْتُ فُضِيلًا كَانَ شَيْئًا مُلْفَقًا	فَكَشَفَهُ التَّمَحِيصُ حَتَّى بَدَأَ لِيَا
أَأَنْتَ أَخِي مَا لَمْ تَكُنْ لِي حَاجَةً	فَإِنْ عَرَضْتَ أَيْقَنْتُ أَنْ لَا أَخَا لِيَا!
فَلَا زَادَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ بَعْدَمَا	بَلَوْتُكَ فِي الْحَاجَاتِ إِلَّا تَمَادِيَا
فَلَسْتُ بِرَاءٍ عَيْبَ ذِي الْوُدِّ كُلَّهُ	وَلَا بَعْضَ مَا فِيهِ إِذَا كُنْتُ رَاضِيَا
فَعَيْنُ الرِّضَا عَنْ كُلِّ عَيْبٍ كَلِيلَةٌ	وَلَكِنَّ عَيْنَ السُّخْطِ تَبْدِي الْمَسَاوِيَا
كِلَانًا غَنَى عَنْ أَخِيهِ حَيَاتِهِ	وَنَحْنُ إِذَا مِتْنَا أَشَدُّ تَغَانِيَا

قوله: «كَانَ شَيْئًا مُلْفَقًا»، يقول: كَانَ أَمْرًا مُغْطًى. وَالتَّمَحِيصُ: الْإِخْتِبَارُ، يُقَالُ: أَدَخَلْتُ الذَّهَبَ فِي النَّارِ فَمَحَّصْتُهُ، أَيْ خَرَجَ عَنْهُ مَا لَمْ يَكُنْ مِنْهُ، وَخَلَّصَ الذَّهَبُ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾^(١)، وَيُقَالُ: مُحِّصَ فُلَانٌ مِنْ ذُنُوبِهِ.

وقوله:

* أَأَنْتَ أَخِي مَا لَمْ تَكُنْ لِي حَاجَةً *

تقرير وليس باستفهام، وَلَكِنَّ مَعْنَاهُ: أَنِّي قَدْ بَلَوْتُكَ تَطَهَّرَ الْإِخَاءَ فَإِذَا بَدَتِ الْحَاجَةُ لَمْ أَرْ مِنْ إِخَائِكَ شَيْئًا، وَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾^(٢)، إِنَّمَا هُوَ تَوْبِيخٌ وَلَيْسَ بِاسْتِفْهَامٍ، وَهُوَ جَلَّ وَعَزَّ الْعَالَمُ

(١) سورة آل عمران ١٤١.

(٢) سورة المائدة ١١٦.

بأنَّ عيسى لم يَقُلْهُ. وقد ذكرنا التقرير الواقع بلفظ الاستفهام فى موضعه من الكتاب «المُقْتَضَب» مُسْتَقْصَى، ونذكر منه جملةً فى هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

[لعلى بن أبى طالب فى الشجاع]

وقال على بن أبى طالب رحمه الله: ثلاثة لا يُعرَفونَ إلا فى ثلاث، لا يُعرَفُ الشجاعُ إلا فى الحرب، ولا الحكيمُ إلا عند الغضب، ولا الصديقُ إلا عند الحاجة.

[لعبد الله بن معاوية يمدح]

وقال عبد الله بن معاوية (١) أيضاً:

أَنْتَى يَكُونُ أَحَا أَوْ ذَا مُحَافَظَةً مَنْ كُنْتَ فى غَيْبِهِ مُسْتَشْعِراً وَجَلَا
إِذَا تَغَيَّبَ لَمْ تَبْرَحْ تَظُنُّ بِهِ سُوءًا وَتَسْأَلُ عَمَّا قَالَ أَوْ فَعَلَا

[لعبد الله بن الزبير الأسدي يمدح عمرو بن عثمان بن عفان]

وقال آخر (٢):

سَأَشْكُرُ عَمْرًا مَا تَرَاخَتْ مَنِيتِي أَيَادِي لَمْ تُمَنَّ وَإِنْ هِيَ جَلَّتْ
فَتَى غَيْرُ مَحْجُوبِ الْغِنَى عَنْ صَدِيقِهِ وَلَا مُظْهَرِ الشُّكُوى إِذَا النُّعْلُ زَلَّتْ
رَأَى خَلَّتِي مِنْ حَيْثُ يَخْفَى مَكَانَهَا فَكَانَتْ قَدْزَى عَيْنِيهِ حَتَّى تَجَلَّتْ

[ما تمثل به على بن أبى طالب من الشعر حينما رأى طلحة فى القطى]

وتمثل على بن أبى طالب رضى الله عنه فى طلحة بن عبيد الله رحمه الله:
فَتَى كَانَ يُدْنِيهِ الْغِنَى مِنْ صَدِيقِهِ
إِذَا مَا هُوَ اسْتَغْنَى وَيُبْعِدُهُ الْفَقْرُ (٣)

(١) زيادات ر: «ذكر دعبل فى أخبار الشعراء أن هذا الشعر لعبد الله بن الزبير الأسدي».

(٢) نسب هذه الأبيات أبو الفرج الأصفهاني إلى عبد الله بن الزبير الأسدي يقولها فى عمرو بن عثمان بن عفان حينما أراه فرأى تحت ثيابه ثوبا رثا، فدعا وكيله، قال: اقترض لنا مالا، فقال: هيهات ما يعطينا التجار شيئا، قال: فأربحهم ما شاءوا فاقترض له أولا ثمانية آلاف درهم وثانيا عشرة آلاف، ووجه بها إليه مع تحت ثيابه، فقال فيه الأبيات. (الأغاني ١٣: ٢٣).

(٣) من أبيات لسلمة بن يزيد الجعفي، أحد الصحابة، يقولها فى رثاء أخيه قيس بن زيد؛ وقبله:

أَلَمْ تَعْلَمْ أَن لَسْتُ مَا عَشْتُ لَأَقِيَا أَخِي إِذْ أَتَى مِنْ دُونِ أَوْصَالِهِ الْقَبْرِ
وَهَوْنٌ وَجَدَى أَنْنِي سَوْفَ أَعْتَدِي عَلَى إِثْرِهِ يَوْمًا وَإِنْ نَفْسُ الْأَمْرِ

(وانظر الإصابة ٣: ١٢٠).

فَتَى لَا يَعْدُ الْمَالَ رَبًّا وَلَا تُرَى
 بِهِ جَفْوَةٌ إِنْ نَالَ مَالًا وَلَا كِبَرُ
 فَتَى كَانَ يُعْطَى السَّيْفَ فِي الرُّوْعِ حَقَّهُ
 إِذَا ثَوَّبَ الدَّاعِيَ، وَتَشَقَّى بِهِ الْجُزْرُ
 وَهَوْنٌ وَجَدِي أَنِّي سَوْفَ أَغْتَدِي
 عَلَى إِثْرِهِ يَوْمًا وَإِنْ نَفَسَ الْعُمُرُ

[قال أبو الحسن: بعضهم يقول هو للأبيرد الرياحي، وبعد البيت الثالث:

فَلَا يُبْعِدُنكَ اللَّهُ، إِمَّا تَرَكْتَنَا حَمِيدًا وَأَوْدَى بِعَدَاكَ الْمَجْدُ وَالْفَخْرُ]
 [كلمة علي بن أبي طالب في طلحة حينما رآه مقتولا]

قال أبو العباس: وحدثني التَّوَزِيُّ قال: حدثني محمد بن عباد بن حبيب بن المهلب - أحسبه عن أبيه - قال: لما انقضى يوم الجمل خرج علي بن أبي طالب رحمه الله في ليلة ذلك اليوم: ومعه قنبر بيده^(١) مشعلة من نار يتصفع القتلى حتى وقف على رجل - قال التَّوَزِيُّ فقلت: أهو طلحة^(٢)؟ قال نعم - فلما وقف عليه قال: أَعَزَّزَ عَلَيَّ أبا محمد أَنْ أَرَاكَ مُعَفَّرًا تحت نجوم السماء وفي بطون الأودية! شفيت نفسي وقتلت معشري! إلى الله أشكو عَجْرِي وَبُجْرِي!
 قوله: «مُعَفَّرًا»، أى ملصق الوجه بالتراب، ويقال للتراب: العفر والعفر يقال: ما مشى على عفر التراب مثل فلان.

وقوله: «إلى الله أشكو عَجْرِي وَبُجْرِي»، يقول: ما أُسرُّ من أمرى. قال الأصمعي: هو^(٣) قول سائر. في أمثال العرب: «لَقِيَ فلان فلانًا فَأَبَتْهُ عَجْرَهُ وَبُجْرَهُ».

(١) ر: «وفي يده».

(٢) أبو محمد كنية طلحة بن عبيد الله التميمي، وأحد الثمانية الذين سبقوا إلى الإسلام، وأحد الستة أصحاب الشورى رمى يوم الجمل بسهم في ركبته، فما زال الدم يسبح حتى مات وذلك في جمادى الأولى سنة ٣٦، (الإصابة ٣: ٢٩٠).

(٣) ر، س: «وهو».

وقال النمر بن تولب^(١):

تَدَارَكَ مَا قَبْلَ الشَّبَابِ وَبَعْدَهُ حَوَادِثُ أَيَّامٍ تَمُرُّ وَأَغْفُلُ
يَسُرُّ الْفَتَى طُولُ السَّلَامَةِ وَالْبَقَا فَكَيْفَ يَرَى طُولَ السَّلَامَةِ يَفْعَلُ!
يَرِدُ الْفَتَى بَعْدَ اعْتِدَالٍ وَصِحَّةٍ يَنْوُءُ إِذَا رَامَ الْقِيَامَ وَيَحْمَلُ

قصر «البقاء» ضرورة، وللشاعر إذا اضطر أن يقصر الممدود، وليس له أن يمد المقصور؛ وذلك أن الممدود قبل آخره ألف زائدة، فإذا احتاج حذفها لأنها ألف زائدة، فإذا حذفها ردّ الشيء إلى أصله، ولو مدّ المقصور لكان زائدا في الشيء ما ليس منه، قال الشاعر - وهو يزيد بن عمرو بن الصّقع:

فَرَعْتُمْ لِمَ تَمْرِينَ السَّيَاطِ وَأَنْتُمْ يُشْنُ عَلَيْكُمْ بِالْفِنَا كُلُّ مَرَبَعٍ^(٢)
فقصر «الفناء»، وهو ممدود. وقال الطّرمّاح:

وَأَخْرَجَ أُمُّهُ لِسَوَاسٍ سَلَمَى لِمَعْفُورِ الضَّرَا ضَرَمَ الْجَنِينِ
قوله: «وأخرج»، يعني رمادا، والأخرج الذي في لونه سواد وبياض، يقال: نعامه خرجاء.

وقوله: «لسواس سلمى»، فإن أجأ وسلمى جبال طيئ، وسواس سلمى: الموضع الذي يحضرة سلمى، يقال: هذا من سوس فلان ومن توس فلان: أى من طبعه. وأمه: يعنى الشجرة التى هى أصله.

وقوله: «لمعفور الضرا»، فالضراء: ما وارك من شجر خاصة، والخمر ما وارك من شيء. والمعفور: يعنى ما سقط من النار من الزند.

(١) زيادات ر: «كل نمر فى العرب كالنمر بن قاسط وغيره مكسور النون مجزوم الميم إلا النمر بن تولب. عن ابن دريد، قال أبو حاتم: يقال: النمر، بفتح النون وتسكين الميم، ولا يقال: النمر، بفتح النون وكسر الميم».

(٢) قال المرصفي: «يهجو بنى أسد، وتمرين السيات: دلکها وتليينها بالدهان، يرميهم بأنهم أذلاء لا يصقلون السيوف ولا يشحذون الأسلحة ولا يبرون النبال. وكل مربع: يريد فى كل موضع أقمتهم فيه زمن الربيع».

وقوله «ضَرَمَ الجنين» يقول مُشْتَعِلٌ، والجنين: مالم يَظْهَرْ بَعْدُ، يقال لِلْقَبْرِ جَنٌّ، والجنين: الذي في بطن أمه، والمجنُّ: الثُّرْسُ لَأَنَّهُ يَسْتَرُ، والمجنون: الْمُغَطَّى العقل، وَسُمِّيَ الجنُّ جَنًّا لاختفائهم، وَسُمِّيَ الدُّرُوعُ الجنُّ؛ لَأَنَّهُا تَسْتَرُ من كان فيها. وقَصَرَ «الضَّرَاءُ» وهو ممدود، ومثل هذا كثير في الشعر جِدًّا.

وقوله: «ينوء إذا رام القيام»، يقول: يَنْهَضُ فِي تَثَاوُلٍ، قال الله عز وجل: ﴿مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ﴾^(١)، والمعنى أن العُصْبَةَ تَنْوُءُ بالمفاتيح، ولشرح هذا موضع آخر.

وقال آخر (٢):

* أَنُوءُ ثَلَاثًا بَعْدَهُنَّ قِيَامِي *

ويُروى عن رسول الله ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «كَفَى بِالسَّلَامَةِ دَاءً».

وقال حميد بن ثور الهلالي:

أَرَى بَصْرِي قَدْ رَأَيْتُ رَأْبِي بَعْدَ صِحَّةٍ وَحَسْبُكَ دَاءٌ أَنْ تَصِحَّ وَتَسْلَمَا
وَلَا يَلْبَثُ الْعَصْرَانِ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ إِذَا طَلَبَا أَنْ يَدْرِكََا مَا تَيَمَّمَا
وقال أبو حية النُمَيْرِي:

أَلَا حَيٌّ مِنْ أَجْلِ الْحَيِّبِ الْمَغَانِيَا لَيْسَنَ الْبَلَى مِمَّا لَيْسَنَ اللَّيَالِيَا
إِذَا مَا تَقَاضَى الْمَرْءُ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ تَقَاضَاهُ شَيْءٌ لَا يَمَلُّ التَّقَاضِيَا
وقال بعض شعراء الجاهلية (٣):

كَأَنْتُ قَنَاتِي لَا تَلِينُ لِعَامِزٍ فَأَلَانَهَا الْإِصْبَاحُ وَالْإِمْسَاءُ
وَدَعَوْتُ رَبِّي فِي السَّلَامَةِ جَاهِدًا لِيُصِحَّنِي، فَإِذَا السَّلَامَةُ دَاءُ

(١) سورة القصص ٧٦.

(٢) زيادات ر: «لعمري بن قمئة». وقبله:

* على الراحتين مرة وعلى العصا *

(٣) البيتان في زهر الآداب ٢٢٣، ونسبهما إلى عمرو بن قمئة، وهما في العقد الفريد ٥٨:٣، وعيون الأخبار ٣٢٢:٢، من غير عزو. ونسبهما المرصفي إلى عبد الرحمن بن سويد المري.

وقال عَتْرَةُ بن شَدَّاد:

فَمَا أَوْهَى مِرَاسُ الْحَرْبِ رُكْنِي وَلَكِنْ مَا تَقَادَمَ مِنْ زَمَانِي

ومن أمثال العرب إذا طال عمر الرجل أن يقولوا: «لقد أَكَلَ الدَّهْرُ عليه وشَرِبَ»، إنما يريدون أنه أَكَلَ هو وشرب دَهْرًا طويلاً، قال الجَعْدِيُّ:

* أَكَلَ الدَّهْرُ عَلَيْهِمْ وَشَرِبَ (١) *

والعرب تقول: نَهَارُكَ صَائِمٌ، وَلَيْلُكَ قَائِمٌ، أى أنت قَائِمٌ فى هذا وصَائِمٌ فى ذاك، كما قال الله عزَّ وجل: ﴿بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ (٢)، والمعنى والله أعلم: بل مَكْرُكُمْ فى الليل والنهار، وقال جرير:

لَقَدْ لُمْتَنَا يَا أُمَّ غَيْلَانَ فى السَّرَى وَنِمْتُ، وَمَا لَيْلُ الْمَطِيِّ بِنَائِمِ

[للفَرَزْدَقِ يَرِثُ ابْنَى مِسْمَعٍ]

وقال الفرزدق:

تُبْكِي عَلَى الْمُنْتَوِفِ بَكْرُ بْنُ وَائِلٍ

وَتَنْهَى عَنِ ابْنَى مِسْمَعٍ مَنْ بَكَاهُمَا (٣)!

غُلَامَانِ شَبَابًا فى الْحُرُوبِ وَأَدْرَكََا

كِرَامَ الْمَسَاعِي قَبْلَ وَصْلِ لِحَاهُمَا

وابنا مِسْمَعٍ كَانَ قَتَلَهُمَا معاوية بن يزيد بن المهلب مع عَدَى بن أَرْطَاة (٤) لما

أتاه خبر قتل أبيه، وكان ابنا مسمع مَن خالف على يزيد بن المهلب. والمُنْتَوِفُ كان

(١) صدره كما فى زيادات ر:

* كم رأينا من أناس هلكوا *

(٢) سورة سبأ ٣٣.

(٣) تبكى: تحمل الناس على البكاء.

(٤) عدى بن أَرْطَاة الفزارى، والى البصرة ليزيد بن عبد الملك، وكان يزيد أمره أن يتحرز من يزيد بن المهلب ويحبس أهله. وبلغ ابن المهلب ذلك، فلحق بالبصرة، وتغلب عليها، ودعا إلى نفسه، وبلغ يزيد بن عبد الملك، وقد أخرج أهله من السجن، وأسر اثنين وثلاثين رجلا، منهم عدى بن أَرْطَاة وابنه محمد وابنا مسمع وربيعة بن زياد الأزدي، ومال بهم إلى واسط، فوجه إليه يزيد أخاه مسلمة بجيش كثيف، فخرج له ابن المهلب، واستخلف ابنه معاوية على الخزائن والأسرى، فلما بلغه قتل أبيه ضرب أعناق الأسرى جميعا غير ربيع بن زياد، وكان ذلك سنة ١٣٢، (وانظر رغبة الأمل).

مَوْلَى لَبْنَى قَيْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ عُكَابَةَ. وَابْنَا مَسْمَعٍ مِنْ بَنَى قَيْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ، وَكَانَ
الْمُتَوَفَّى كَالْخَلِيفَةِ لِيَزِيدَ بْنِ الْمُهَلَّبِ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ جَرِيرٌ:

وَالْأَزْدُ قَدْ جَعَلُوا الْمُتَوَفَّى قَائِدَهُمْ فَكَتَلْتَهُمْ جُنُودُ اللَّهِ وَأَنْتَفَتُوا

وتمام شعر الفرزدق:

وَلَوْ قُتِلَا مِنْ جِذْمٍ بَكْرُ بْنُ وَائِلٍ لَكَانَ عَلَى النَّاعِي شَدِيدًا بُكَاهُمَا^(١)
وَلَوْ كَانَ حَيًّا مَالِكٌ وَابْنُ مَالِكٍ إِذَا أَوْقَدَا نَارَيْنِ يَعْلُبُو سَنَاهُمَا^(٢)
السَّنَا: ضَوْءُ النَّارِ، وَهُوَ مَقْصُورٌ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ
بِالْأَبْصَارِ﴾^(٣). وَالسَّنَاءُ مِنَ الشَّرَفِ، مَمْدُودٌ، قَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ:

وَإِنَّكَ خَيْرُ عُثْمَانَ بْنِ عَمْرٍو وَأَسْنَاهَا إِذَا ذَكَرَ السَّنَاءُ

وَالْبُكَاءُ يَمْدُ وَيُقَصِّرُ، فَمِنْ مَدٍّ فَإِنَّمَا جَعَلَهُ كَسَائِرِ الْأَصْوَاتِ، وَلَا يَكُونُ الْمَصْدَرُ
فِي مَعْنَى الصَّوْتِ مَضْمُومِ الْأَوَّلِ إِلَّا مَمْدُودًا، لِأَنَّهُ يَكُونُ عَلَى «فُعَالٍ» وَقَلَّمَا يَكُونُ
الْمَصْدَرُ عَلَى «فَعْلٍ»، وَقَدْ جَاءَ فِي حُرُوفٍ: نَحْوُ: الْهَدَى وَالسَّرَى وَمَا أَشْبَهَهُ، وَهُوَ
يَسِيرٌ، فَأَمَّا الْمَمْدُودُ فَنَحْوُ: الْعَوَاءُ، وَالِدُّعَاءُ، وَالرُّغَاءُ، وَالثُّغَاءُ، فَكَذَلِكَ الْبُكَاءُ،
وَنَظِيرُهُ مِنَ الصَّحِيحِ الصُّرَاخُ وَالنَّبَاحُ، وَمِنْ قَصَرٍ فَإِنَّمَا جَعَلَ الْبُكَاءُ كَالْحُزْنِ، وَقَدْ
قَالَ حَسَّانُ، فَقَصَرَ وَمَدَّ:

بَكَتْ عَيْنِي وَحَقَّ لَهَا بُكَاهَا وَمَا يُغْنِي الْبُكَاءُ وَلَا الْعَوِيلُ!
فَقَصَرَ وَمَدَّ.

[لَجَرِيرِ يَرِثِي ابْنَهُ سَوَادَةَ]

وَقَالَ جَرِيرٌ:

قَالُوا نَصِيْبِكَ مِنْ أَجْرٍ فَقُلْتُ لَهُمْ كَيْفَ الْعَزَاءُ وَقَدْ فَارَقْتُ أَشْبَالِي!^(٤)

(١) الْجِذْمُ: الْأَصِيلُ، قَالَ الْمُرْصَفِيُّ: «هَذِهِ رَوَايَةٌ مُنْكَرَةٌ؛ لِأَنَّهَا تَنْفَى نَسَبَهُمَا عَنْ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ، وَرَوَايَةُ دِيوَانِهِ:

وَلَوْ أَصْبَحَا مِنْ غَيْرِ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ لَكَانَ عَلَى الْجَانِي ثَقِيلُ دِمَاهِمَا

(٢) مَالِكٌ أَبُو مَسْمَعٍ وَابْنُ مَالِكٍ هُوَ مَسْمَعُ بْنُ مَالِكِ بْنِ مَسْمَعِ بْنِ شَيْبَانَ بْنِ شَهَابِ الْبَكْرِى.

(٣) سُورَةُ النُّورِ ٤٣.

(٤) زِيَادَاتُ ر: «نَصِيْبِكَ» بِالنَّصْبِ لَا غَيْرٍ؛ لِأَنَّهُ مَفْعُولٌ بِإِضْمَارِ فَعَلٍ تَقْدِيرُهُ احْفَظْ نَصِيْبَكَ، أَوْ احْرَزْ

نَصِيْبَكَ».

هَذَا سَوَادَةٌ يَجْلُو مُقْلَتَى لَحِمٍ بَازٍ يُصْرَصِرُ فَوْقَ الْمَرْقَبِ الْعَالِي
فَارَقَتْهُ حِينَ غَضَّ الدَّهْرُ مِنْ بَصَرِي وَحِينَ صَرْتُ كَعْظُمَ الرِّمَّةِ الْبَالِي
وقوله: «يجلو مقلتي لحم»، شبه مقلتي البازي، ويقال: «طائر لحم» من هذا. وقوله: «يُصْرَصِر» يعني يصوت، يقال: صرصر البازي والصقر، وما كان من سباع الطير، ويقال: صرصر العصفور؛ وأحسبه مستعاراً؛ لأن الأصل فيه أن يستعمل في الجوارح من الطير، قال جرير:

* بَازٍ يُصْرَصِرُ بِالسَّهْبَى قَطًّا جُونًا (١) *

وقال آخر:

* كَمَا صَرَصِرَ الْعُصْفُورُ فِي الرُّطْبِ الثَّعْدِ (٢) *

وأنشدني عُمارة: «باز يُصْعَصُعُ» وهو أصح - [قال أبو الحسن: «يُصْعَصُعُ» وهو الصواب، ولكن هكذا وقع في كتابه. ويُصْرَصِرُ لا يَتَعَدَّى] -.

قال أبو العباس: وقوله: «كَعْظُمَ الرِّمَّةِ» فهي البالية الذاهبة، والرَّمِيمُ: مشتق من الرِّمَّةِ، وإنما هو فعيلٌ وفِعْلَةٌ، وليس بجمع له واحد.

ومما كَفَّرَتْ به الفقهاء الحَجَّاجَ بن يوسف قوله، والناس يطوفون بقبر رسول الله ﷺ ومنبره - وإن شئت قلت: «يُطِفُونَ»، قال أبو زيد: تقول العرب: طَفْتُ وَأَطَفْتُ به، وَدَرْتُ وَأَدَرْتُ به، ويقال: حَدَقْتُ وَأَحْدَقْتُ، قال الأَخْطَلُ:

الْمُنْعَمُونَ بَنُو حَرْبٍ وَقَدْ حَدَقْتُ بِي الْمَنِيَّةِ وَأَسْتَبْطَأْتُ أَنْصَارِي
إِنَّمَا يَطُوفُونَ بِأَعْوَادٍ وَرِمَةٍ.

ومن أمثال العرب: «لَوْلَا أَنْ تُضَيِّعَ الْفَتْيَانُ الذِّمَّةَ، لَخَبَرْتُهَا بِمَا تَجِدُ الْإِبِلُ فِي الرِّمَّةِ»: يقول: لولا أن تدع الأحداث التمسك بالوفاء، والرعاية للحُرمة لأعلمتها أن الإبل تتناول العظم البالي، وهو أقل الأشياء فتجد له لذة.

(١) يصف الإبل وهي تسير في القلوات، والسَّهْبَى: موضع في بني تميم. وقبله:

* كَأَنَّ حَادِيَهَا لَمَّا أَضْرَبَهَا *

(٢) الثَّعْدُ: وواحدته ثعدة، وهو ما لأن من البسر وأرطب.

ومثل بيت جرير الأخير قول أبي الشَّغْبِ يرثي ابنه شَغْبًا:

قَدْ كَانَ شَغْبٌ لَوْ أَنَّ اللَّهَ عَمَّرَهُ عِزًّا تَزَادُ بِهِ فِي عِزِّهَا مُضَرُّ
لَيْتَ الْجِبَالِ تَدَاعَتْ قَبْلَ مَصْرَعِهِ دَكًّا فَلَمْ يَبْقَ مِنْ أَحْجَارِهَا حَجَرٌ
فَارَقَتْ شَغْبًا وَقَدْ قَوَّسَتْ مِنْ كِبَرِ بَنَسِ الْحَلِيفَانِ: طُولُ الْحُزْنِ وَالْكَبَرِ
قوله: «قوَّست» يقول: انْحَنَيْتُ كالقوس، قال امرؤ القيس:

أَرَاهُنَّ لَا يُحِبُّنَ مَنْ قُلَّ مَالُهُ وَلَا مَنْ رَأَيْنَ الشَّيْبَ فِيهِ، وَقَوْسًا

[لسليمان بن قتة يرثي الحسين بن علي]

وقال سليمان بن قتة يرثي الحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام:

مَرَرْتُ عَلَى أَيْتَاتِ آلِ مُحَمَّدٍ فَلَمْ أَرَهَا كَعَهْدِهَا يَوْمَ حُلَّتِ
فَلَا يُبْعِدُ اللَّهُ الدِّيَارَ وَأَهْلَهَا وَإِنْ أَصْبَحَتْ مِنْ أَهْلِهَا قَدْ تَخَلَّتِ
وَكَانُوا رَجَاءً ثُمَّ صَارُوا رَزِيَّةً فَقَدْ عَظُمَتْ تِلْكَ الرِّزَايَا وَجَلَّتِ (١)
وإِنَّ قَتِيلَ الطَّفِّ مِنْ آلِ هَاشِمٍ أَذَلَّ رِقَابَ الْمُسْلِمِينَ فَذَلَّتِ (٢)
وَعِنْدَ غَنَى قَطْرَةٍ مِنْ دِمَائِنَا سَنَجْزِيهِمْ يَوْمًا بِهَا حَيْثُ حُلَّتِ (٣)
إِذَا افْتَقَرْتُ قَيْسٌ جَبَرْنَا فَقِيرَهَا وَتَقَتَّلْنَا قَيْسٌ إِذَا النَّعْلُ زَلَّتِ

وسليمان بن قتة (٤) رجل من بني تميم بن مرة بن كعب بن لؤي، وكان منقطعاً إلى بني الهاشم.

[للفرزدق يرثي ابنه]

وقال الفرزدق يرثي ابنه:

بَنِي الشَّامِتِينَ التُّرْبُ أَنْ كَانَ مَسْنَى رَزِيَّةً شِبْلَى مُخْدِرٍ فِي الضَّرَاغِمِ (٥)
وَمَا أَحَدٌ كَانَ الْمَنَايَا وَرَاءَهُ - وَلَوْ عَاشَ أَيَّامًا طَوَالًا - بِسَالِمٍ

(١) جاء هذا البيت في ر، س بعد البيت الذي يليه.

(٢) الطف: موضع قريب من الكوفة، قتل فيه الحسين عليه السلام.

(٣) غنى: قبيلة في قيس.

(٤) هو سليمان بن قتة المحاربي التابعي، وقتة أمه.

(٥) المخدر في الأصل: الأسد الذي يلزم خدره، وهو هنا كناية عن نفسه.

أَرَى كُلَّ حَىٍّ مَا تَزَالُ طَلِيعَةً عَلَيْهِ الْمَنَاءُ مِنْ ثَنَاءِ الْمَخَارِمِ
يُذَكِّرُنِي ابْنِي السَّمَاكَانَ مَوْهِنًا إِذَا ارْتَفَعَا فَوْقَ النُّجُومِ الْعَوَاتِمِ (١)
وَقَدْ رَزَى الْأَقْوَامُ قَبْلِي بَنِيهِمْ وَإِخْوَانَهُمْ، فَاقْنِي حَيَاءَ الْكَرَائِمِ
وَمَاتَ أَبِي وَالْمُنْذِرَانِ كِلَاهُمَا وَعَمَرُو بَنُ كُلْثُومٍ شَهَابُ الْأَرَاقِمِ
وَقَدْ كَانَ مَاتَ الْأَقْرَعَانِ وَحَاجِبٌ وَعَمَرُو أَبُو عَمْرٍو، وَقَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ
وَقَدْ مَاتَ بِسْطَامُ بْنُ قَيْسٍ بْنُ خَالِدٍ وَمَاتَ أَبُو غَسَّانَ شَيْخُ اللَّهَازِمِ
وَقَدْ مَاتَ خَيْرَاهُمْ فَلَمْ يَهْلِكَا هُمُ عَشِيَّةَ بَنَاءِ رَهْطِ كَعْبٍ وَحَاتِمِ
فَمَا أَبْنَاكَ إِلَّا مِنْ بَنِي النَّاسِ فَاصْبِرِي فَلَنْ يَرْجِعَ الْمَوْتَى حَنِينُ الْمَاتِمِ
قال: وأنشدني التَّوَزِيُّ عن أبي زيد: «خَنِينُ الْمَاتِمِ» بالخاء معجمة (٢).

قوله: «ما تزال طليعة» يريد طالعة، والثنايا جمع ثنية، وهى الطريقُ فى الجبل، ومن ذلك (٣):

أَنَا ابْنُ جَلَا وَطَلَّاعُ الثَّنَايَا مَتَى أَضَعَ الْعِمَامَةَ تَعْرِفُونِي
وَالْمَخَارِمُ: جمع مَخْرَمٍ، وهو مُنْقَطِعُ أَنْفِ الْجَبَلِ.

وقوله: «فوق النجوم العواتم»، يعنى المتأخرة، يقال: فلان يأتينا ولا يُعْتَمُ: أى لا يتأخر، وِعْتَمَةٌ اسم للوقت، فلذلك سميت الصلاةُ بذلك الوقت، وكل صلاة مضافةٌ إلى وقتها، تقول: صلاة العداة، وصلاة الظهر، وصلاة العصر، وأما قولك: الصلاة الأولى، فالأولى نعت لها إذ كانت أوَّلَ ما صَلَّى، وقيل أوَّلَ ما أظهرَ.

وقوله: «فاقننى حياء الكرائم»، يقول: فالزمنى، وأصل القنية المال اللازم، يقال: أقتنى فلان مالا إذا اتخذ أصل مال، وقيل فى قول الله عز وجل: ﴿وَأَنَّهُ

(١) السماكان: كوكبان، أحدهما الرامح، والثانى الأعزل. والموهن: نصف الليل.

(٢) زيادات ر: «الخنين»، بالخاء صوت من الخيشوم.

(٣) زيادات ر: هذا الشعر لسحيم بن وثيل الرياحي.

هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى ﴿١﴾، أَى جَعَلَ لَهُمْ أَصْلَ مَالٍ، وَأَنْشَدَ أَبُو عُبَيْدَةَ (٢):

لَوْ كَانَ لِلدَّهْرِ عِزٌّ يَطْمِئُنُّ بِهِ لَكَانَ لِلدَّهْرِ صَخْرٌ مَالٌ قُنْيَانٌ (٣)

والكَرَائِمُ: جمع كَرِيمَةٍ، والاسم من «فَعِيلَةٍ» والنعتُ يَجْمَعَانِ عَلَى «فَعَائِلٍ»، فالاسم نحو: صَحِيفَةٌ وَصَحَائِفٌ، وَسَفِينَةٌ وَسَفَائِنٌ، والنعت نحو: عَقِيلَةٌ وَعَقَائِلٌ، وَكَرِيمَةٌ وَكَرَائِمٌ.

وقوله: «ومات أبى» يريد التأسى بالأشراف، وأبو غالب بن صَعْصَعَةَ بن ناجية بن عقال بن محمد بن سُفْيَانَ بن مجاشع، وكان أبوه شريفاً، وأجداده. إلى حيث انْتَهَوْا، ولكل واحد منهم قصة يطول الكتاب بذكرها والمُنْذَرَانِ: المنذر بن المُنْذَرِ بن ماء السَّمَاءِ اللَّغْمِيُّ، يريد الابن والأب، وعُمَرُو بن كلثوم التَّغْلَبِيُّ، قاتل عمرو بن هند، وكان أَحَدَ أَشْرَافِ الْعَرَبِ وَفَتَاكِهِمْ وشُعْرَائِهِمْ، والأَرَاقِمُ: قبيلة من بنى تَغْلِبَ، ابنة وائل، من بنى جُشَمَ بن بَكْرٍ، وزعم أهل العلم، أنهم إنما سُمُوا الأَرَاقِمَ؛ لأنَّ عِيُونَهُمْ شَبَّهَتْ بِعِيُونِ الْحَيَاتِ، والأَرَاقِمُ: واحدُهَا أَرَقَمٌ، فكانوا معروفين بهذا، وقال الفرزدق يَرُدُّ عَلَى جَرِيرٍ فِي هَجَائِهِ لَهُ وَلِلْأَخْطَلِ:

إِنَّ الْأَرَاقِمَ لَنْ يَنَالَ قَدِيمَهَا كَلْبٌ عَوَى مُتَهَتِّمٌ الْأَسْنَانَ

وجعله شهاباً لهم لنوره وبهائه وضيائه، تقول العرب: إنما فلان نجم أهله، وكذلك قالت الخنساء:

* كَأَنَّهُ عَلِمَ فِي رَأْسِهِ نَارَ *

والأَقْرَعَانِ: الأَقْرَعُ بن حَابِسٍ، وابنه الأَقْرَعُ بن بنى مجاشع بن دارم، وكان الأَقْرَعُ فِي صَدْرِ الْإِسْلَامِ سَيِّدَ خَنْدَفٍ (٤)، وكان مَحَلُّهُ فِيهَا مَحَلَّ عَيْيَنَةَ بن حِصْنٍ فِي قَيْسٍ. وحاجبُ بن زُرَّارَةَ بن عَدَسٍ سَيِّدُ بَنِي تَمِيمٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ غَيْرِ مُدَافِعٍ.

(١) سورة النجم ٤٨.

(٢) زيادات ر: «الشعر لأبي المثلث الهذلي يرثى صخرا».

(٣) رواية ديوان الهذليين ٢: ٢٣٨:

* لو كان للدهر مالٌ عند مثله *.

(٤) خندف: قبيلة سميت باسم ليلي بنت حلوان، وكانت زوجا لإلياس بن مضر.

وعمرُو أبو عمرو، يريد عمرو بن عُدَسَ، وكان شريفاً، وكان ابنه عمرو شريفاً، قتل يوم جَبَلَةَ^(١)، قتله بنو عامر بن صَعْصَعَةَ، وقتلوا لَقِيطَ بن زُرَّارَةَ - وكان الذي وَلِيَ قتلَه عمارَةُ الوَهَّابِ العَبْسِيُّ، وينسب إلى بنى عامر؛ لأن بنى عَبْسٍ كانوا فيهم مع قَيْسِ بن زُهَيْرٍ، وعُمارةُ هذا كان يقال له: «دَلِقُ»^(٢)، وقتله شَرِحَافُ الضَّبِّيُّ، ولذلك يقول الفرزدق:

وَهْنٌ بِشَرِحَافٍ تَدَارَكْنَ دَلِقًا عُمَارَةَ عَبْسٍ بَعْدَ مَا جَنَحَ الْعَصْرُ

وزعم أبو عبيدة أن فاطمة بنت الخُرْشُبِ الأُمَازِغِيَّةِ أُرِيَتْ فى منامها قائلاً يقول: أعشرة هَدْرَةٌ أَحَبُّ إِلَيْكَ أُمُّ ثَلَاثَةِ كَعَشْرَةٍ - [هدرة بالدال غير معجمة، قال أبو الحسن: هم السَّقَاطُ من الناس] - فلم تقل شيئاً، فعاد لها فى الليلة الثانية فلم تَقُلْ شيئاً، ثم قَصَّتْ ذلك على زوجها فقال: إن عاد لك الثالثة فقولى: ثلاثة كعشرة - وزوجها زياد بن عبد الله بن ناشب العبسى -، فلما عاد لها قالت: ثلاثة كعشرة، فولدتهم كلهم غايَةً، وَلَدَتْ رَبِيعَ الْحَفَاطِ، وعُمارة الوَهَّابِ، وأنسَ الفَوَارِسِ، وهى إحدى المنجباتِ من العرب -

وَأَسْرَوْا حَاجِبًا، فذلك حيث يقول جرير يعير الفرزدق ويُعَلِّمُهُ فخر قَيْسٍ عليه:

تُحَضِّضُ يَا بَنَ الْقَيْنِ قَيْسًا لِيَجْعَلُوا لِقَوْمِكَ يَوْمًا مِثْلَ يَوْمِ الْأَرَاكِمْ
كَأَنَّكَ لَمْ تَشْهَدْ لَقِيطًا وَحَاجِبًا وَعَمْرُو بْنُ عَمْرٍو إِذْ دَعَا يَالِدَارِمِ دَارِمِ!
وَلَمْ تَشْهَدْ الْجَوْنَيْنِ وَالشَّعْبَ ذَا الصَّفَا وَشَدَّاتِ قَيْسٍ يَوْمَ دَيْرِ الْجَمَاجِمِ
الْجَوْنَانِ: معاويةٌ وحسانُ ابنا الجَوْنِ الكِنْدِيَّانِ، أُسْرَا فى ذلك اليوم، فَقُتِلَ حسان، وفُودَى معاويةٌ بسبب يطول ذكره. وَالشَّعْبُ: شِعْبُ جَبَلَةَ..

وقوله:

* وَشَدَّاتِ قَيْسٍ يَوْمَ دَيْرِ الْجَمَاجِمِ *

(١) جَبَلَةُ: موضع فى نجد، ويوم جَبَلَةَ من أعظم أيام العرب وأشدّها لعمار وحلفائهم من بنى عبس على تميم وحلفائهم من ذبيان وأسد.

(٢) سمى بذلك لكثرة غاراته، من دلق الغارة على عدوه إذا شنّها عليه.

هذا في الإسلام، يعنى وَقْعَةُ الْحَجَّاجِ بن يوسف بن الحَكَمِ بن أبى عَقِيلِ
الثَّقَفِيِّ بعبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس بن معدى كَرَبِ الْكِنْدِيِّ بدير
الجمَاجِمِ.

قوله (١):

* وقد مات بسطام بن قيس بن خالد *

يعنى الشَّيْبَانِيُّ، وهو فارس بكر بن وائل وابن سيدها، وقُتِلَ بالحسن (٢) -
وهو جبَلٌ - قتله عاصم بن خليفة الضَّبِّيُّ، وكان عاصمُ بن خليفة أسلم في أيام
عثمان رحمه الله، فكان يُقف ببابه فيستأذن عليه، فيقول عاصمُ بن خليفة الضَّبِّيُّ:
قَاتِلُ سِطَامِ بن قَيْسٍ بالباب - [قال أبو الحسن: الوجه عندى فى «سِطَام» ألا
ينصرف لأنه أعجمى] - وكان سببُ قتله إياه أن سِطَامًا أغارَ على بنى ضَبَّةَ، وكان
معه حاز يحزو له - [قال أبو الحسن: «حاز» بالزأى أى زاجرٌ] -، فقال له سِطَامُ:
إنى سمعت قاتلاً يقول:

* الدَّلُو تَأْتِي الْغَرْبَ الْمَزَلَّةَ (٣) *

فقال الحازى: فَهَلَّا قُلْتُ:

* ثُمَّ تَعُودُ بَادِنًا مُبْتَلَةً (٤) *

قال: ما قلت، فَاكْتَسَحَ إِلَهُمْ، فَتَنَادَوْا وَاتَّبَعُوهُ، ونظرت أم عاصم إليه،
وهو يَقَعُ حديدة له - أى يَحْدُهَا، وَالْمِيقَعَةُ: المطرقة - فقالت له: ما تَصْنَعُ بهذه؟ -
وكان عاصم مضطرباً (٥) -، فقال [لها] (٦): أَقْتُلْ بِهَا سِطَامَ بن قيس، فَنَهَرَتْهُ،
وقالت: اسْتِ أُمِّكَ أَضْيَقُ مِنْ ذَلِكَ! فنظر إلى فَرْسٍ لِعَمِّهِ مُوثَقَةً إلى شجرة

(١) رجع إلى تفسير قول الفرزدق ص ٢٠٤.

(٢) زيادات ر: «كذا وقعت الرواية، بالحسن، وهو جبل بالجيم، والصواب: جبل بالحاء. قال ابن سراج رحمه الله تعالى: الحسن والحسين: جبلا رمل».

(٣) الغرب هنا: الماء الذى يسيل من الدلو. والمزلة: موضع الزلل.

(٤) البادن فى الأصل: الضخم البدن، يريد هنا أن الدلو تعود ممتلئة بالماء.

(٥) ر: «منقوصاً».

(٦) تكملة من ر.

فَاعْرَوْهَا - أَى رَكَبَهَا عُرْيًا - ثُمَّ أَقْبَلَ بِهَا الرِّيحَ، فَنَظَرَ بِسْطَامَ إِلَى الْخَيْلِ قَدْ لَحَقَتْهُ، فَجَعَلَ يَطْعُنُ الْإِبِلَ فِي أَعْجَازِهَا، فَصَاحَتْ بِهِ بَنُو ضَبَّةَ: يَا بَسْطَامَ، مَا هَذَا السَّفَهُ! دَعَهَا، إِمَّا لَنَا وَإِمَّا لَكَ، وَانْحَطَّ عَلَيْهِ عَاصِمٌ، فَطَعَنَهُ فَرَمَى بِهِ عَلَى الْأَلَاءَةِ - وَهِيَ شَجَرَةٌ لَيْسَتْ بِعَظِيمَةٍ، وَكَانَ بِسْطَامَ نَصْرَانِيًّا، وَكَانَ مَقْتُلُهُ بَعْدَ مَبْعَثِ النَّبِيِّ ﷺ - فَأَرَادَ أَخُوهُ الرُّجُوعَ إِلَى الْقَوْمِ، فَصَاحَ بِهِ بِسْطَامُ: أَنَا حَنِيفٌ إِنْ رَجَعْتَ، فَفِي ذَلِكَ يَقُولُ ابْنُ عَنَمَةَ الضَّبِّيُّ - وَكَانَ فِي بَنِي شَيْبَانَ:

فَخَرَّ عَلَى الْأَلَاءَةِ لَمْ يُوَسَّدْ كَأَنَّ جَبِينَهُ سَيْفٌ صَقِيلٌ
وَلَمَّا قُتِلَ بِسْطَامَ لَمْ يَبْقَ فِي بَكْرِ بْنِ وَاثِلٍ بَيْتٌ إِلَّا هُجِمَ (أَى هُدِمَ).
وقوله:

* ومات أبو غَسَّانَ شيخ اللّهَازم *

يعنى مالك بن مِسْمَعٍ بن شَيْبَانَ بن شِهَابٍ، أَحَدَ بَنِي قَيْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ، وَإِلَيْهِ تُنْسَبُ الْمَسَامِعَةُ. وَكَانَ سَيِّدَ بَكْرِ بْنِ وَاثِلٍ فِي الْإِسْلَامِ، وَهُوَ الَّذِي قَالَ لِعُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادِ بْنِ ظُبْيَانَ، أَحَدِ بَنِي تَيْمِ الْأَلَاتِ بْنِ ثَعْلَبَةَ - وَكَانَ حِينَ حَدَثَ أَمْرُ مَسْعُودِ بْنِ عَمْرِو الْمَعْنِيِّ مِنَ الْأَزْدِ فَلَمْ يَعْلَمْهُ بِهِ، فَقَالَ لَهُ عُبَيْدُ اللَّهِ - وَهُوَ أَحَدُ فُتَاكِ الْعَرَبِ، وَهُوَ قَاتِلُ مُصْعَبِ بْنِ الزَّبِيرِ -: أَيْكُونُ مِثْلَ هَذَا الْحَدَثِ وَلَا تُعَلِّمُنِي بِهِ! لَهَمَمْتُ أَنْ أُضْرِمَ دَارَكَ عَلَيْكَ نَارًا - فَقَالَ لَهُ مَالِكُ: أَسَكَتُ أَبَا مَطَرٍ، فَوَاللَّهِ إِنْ فِي كِنَانَتِي سَهْمًا أَنَا أَوْ تُقُّ بِهِ مَنِي بَكَ، فَقَالَ لَهُ عُبَيْدُ اللَّهِ: أَوْ أَنَا فِي كِنَانَتِكَ؟ فَوَاللَّهِ لَوْ قُمْتُ فِيهَا لَطَلْتُهَا، وَلَوْ قَعَدْتُ فِيهَا لَخَرَقْتُهَا، فَقَالَ لَهُ مَالِكُ - وَأَعْجَبَهُ مَا سَمِعَ مِنْهُ -: أَكْثَرَ اللَّهُ فِي الْعَشِيرَةِ مِثْلَكَ! قَالَ: لَقَدْ سَأَلْتُ رَبَّكَ شَطَطًا!

وفى مالك بن مِسْمَعٍ يقال:

إِذَا مَا خَشِينَا مِنْ أَمِيرٍ ظَلَامَةٍ دَعَوْنَا أَبَا غَسَّانَ يَوْمًا فَعَسَكَرَا
قوله: «وقد مات خيراهم»، تشية كقولك: مات أحمرأهم، ولم يخرج مخرج النعت، أَلَا تَرَى أَنَّكَ تَقُولُ: هَذَا أَحْمَرُ الْقَوْمِ إِذَا أَرَدْتَ: هَذَا الْأَحْمَرُ الَّذِي لِلْقَوْمِ، فَإِذَا أَرَدْتَ الَّذِي يَفْضُلُهُمْ فِي بَابِ الْحِمْرَةِ قُلْتَ: هَذَا أَشَدُّهُمْ حِمْرَةً، وَلَمْ

تقل: هذا أحمرهم، وكذلك خيراهم، وإنما أردتَ هذا خيرهم ثم ثنيتَ، أى هذا الخير الذى هو فيهم.

وقوله: «عَشِيَّةَ بَآنَا»، مردود على قوله: «خيراهم».

وقوله: «رَهْطَ كَعْبٍ وَحَاتِمٍ»، إنما خفضتَ «رهطاً» لأنه بديل من «هم» التى أَضَفْتَ إليها «الخيرين»، والتقدير: وقد مات خيراً رهط كعبٍ وحاتمٍ، فلم يهلكاهم عشيّةَ بآنا.

فأما كَعْبٌ، فهو كعب بن مَامةَ الإيادى، وكان أحدَ أجواد العرب الذى آثرَ على نفسه، وكان مسافراً ورفيقه رجل من النمر بن قاسطٍ فَقَلَ عليهما الماءَ فَتَصَفَّاهُ - وَالتَّصَافُ: أَنْ يُطْرَحَ فِي الْإِنَاءِ حَجَرٌ^(١) ثُمَّ يُصَبُّ فِيهِ مِنَ الْمَاءِ مَا يَغْمُرُهُ لئلا يتغابنوا: وكذلك كل شيء وَقَفَ عَلَى كَيْلِهِ أَوْ وَزَنِهِ، وَالْأَصْلُ مَا ذَكَّرْنَا - فَجَعَلَ النَّمْرُ يُشْرِبُ نَصِيبَهُ، فَإِذَا أَخَذَ كَعْبٌ نَصِيبَهُ قَالَ: اسْقِ أَخَاكَ النَّمْرُ، فَيُؤْثِرُهُ حَتَّى جُهْدَ كَعْبٍ، وَرُفِعَتْ لَهُ أَعْلَامُ الْمَاءِ، فَقِيلَ لَهُ: رِدْ كَعْبٌ وَلَا وُرُودَ بِهِ، فَمَاتَ عَطْشًا، فَفِي ذَلِكَ يَقُولُ أَبُو دُوَادٍ الْإِيَادَى:

أَوْفَى عَلَى الْمَاءِ كَعْبٌ ثُمَّ قِيلَ لَهُ: رِدْ كَعْبٌ إِنَّكَ وَرَّادٌ فَمَا وَرَدَا
فَضْرِبَ بِهِ الْمَثَلَ، فَقَالَ جَرِيرٌ فِي كَلِمَتِهِ الَّتِي مَدَحَ فِيهَا عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ:
يَعُودُ الْفَضْلُ مِنْكَ عَلَى قُرَيْشٍ وَتَفْرُجُ عَنْهُمْ الْكُرْبَ الشَّدَادَا
وَقَدْ أَمَنْتَ وَحَشَهُمْ بِرَفْقٍ وَيَعْيِي النَّاسَ وَحَشُكَ أَنْ تُصَادَا
وَتَبْنِي الْمَجْدَ يَا عُمَرُ بْنُ لَيْلَى وَتَكْفِي الْمُحِلَّ السَّنَةَ الْجَمَادَا
وَتَدْعُو اللَّهَ مُجْتَهِدًا لِيَرْضَى وَتَذْكُرُ فِي رَعِيَّتِكَ الْمَعَادَا
وَمَا كَعْبُ بْنُ مَامةَ وَأَبْنُ سَعْدَى بِأَجْوَدَ مِنْكَ يَا عُمَرُ الْجَوَادَا
تَعُودُ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ إِنِّي رَأَيْتُ الْمَرْءَ يَلْزُمُ مَا اسْتَعَادَا
هذا كعب بن مامة الذى ذكرناه.

(١) زيادات ر: «هذا الحجر الذى يقسم به الماء، يقال له المفلة، بفتح الميم».

وأما ابن سَعْدَى، فهو أَوْسُ بْنُ حَارِثَةَ بْنِ لَامٍ الطَّائِي، وكان سيداً مُقَدِّماً، فَوَفَدَ هُوَ وَحَاتِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الطَّائِي عَلَى عَمْرٍو بْنِ هَنْدٍ، وأبوه المُنْذَرُ بْنُ المُنْذَرِ بْنِ ماء السماء، فدعا أَوْساً فقال له: أأنتَ أَفْضَلُ أم حَاتِمٌ؟ فقال: أَيْبَتَ اللَّعْنُ! لو ملكني حَاتِمٌ وولدي وَلَحِمَّتِي لَوَهَبْنَا فِي غَدَاةٍ وَاحِدَةٍ. ثُمَّ دَعَا حَاتِمًا فَقَالَ لَهُ: أَنْتَ أَفْضَلُ أم أَوْسٌ؟ فقال: أَيْبَتَ اللَّعْنُ! إِنَّمَا ذُكِرْتُ بِأَوْسٍ، وَلَا أَحَدٌ وَلَدَهُ أَفْضَلُ مِنِّي.

وَكَانَ النُّعْمَانُ بْنُ المُنْذَرِ دَعَا بِحُلَّةٍ وَعِنْدَهُ وَفُودُ الْعَرَبِ مِنْ كُلِّ حَيٍّ فَقَالَ: احْضَرُوا فِي غَدٍ، فَإِنِّي مُلَبِّسٌ هَذِهِ الحُلَّةَ أَكْرَمَكُمُ، فَحَضَرَ القَوْمُ جَمِيعًا إِلَّا أَوْسًا، فَقِيلَ لَهُ: لِمَ تَتَخَلَّفُ؟ فَقَالَ: إِنْ كَانَ المِرَادُ غَيْرِي فَأَجْمَلُ الْأَشْيَاءَ أَلَا أَكُونُ حَاضِرًا، وَإِنْ كُنْتُ أَنَا المِرَادُ فَسَأَطْلُبُ وَيُعْرِفُ مَكَانِي. فَلَمَّا جَلَسَ النُّعْمَانُ لَمْ يَرَ أَوْسًا، فَقَالَ: اذْهَبُوا إِلَى أَوْسٍ فَقُولُوا لَهُ: احْضَرُ أَمَّا مَا خِفْتُ، فَحَضَرَ فَأَلْبَسَ الحُلَّةَ، فَحَسَدَهُ قَوْمٌ مِنْ أَهْلِهِ، فَقَالُوا لِلْحُطَيْيَةِ: أَهْجِهْ وَلَكَ ثَلَاثُمِائَةِ نَاقَةٍ، فَقَالَ الحُطَيْيَةُ: كَيْفَ أَهْجُو رَجُلًا لَا أَرَى فِي بَيْتِي أَثَانًا وَلَا مَالًا إِلَّا مِنْ عِنْدِهِ!

ثم قال:

كَيْفَ الْهَجَاءُ وَمَا تَنَفَّكَ صَالِحَةً مِنْ آلِ لَامٍ بَظَهَرَ الْغَيْبِ تَأْتِينِي

فَقَالَ لَهُمْ بَشْرُ بْنُ أَبِي خَازِمٍ، أَحَدُ بَنِي أَسَدِ بْنِ خَزِيمَةَ: أَنَا أَهْجُوهُ لَكُمْ، فَأَخَذَ الْإِبِلَ وَفَعَلَ، فَأَغَارَ أَوْسٌ عَلَى الْإِبِلِ فَاكْتَسَحَهَا، فَجَعَلَ لَا يَسْتَجِيرُ حَيًّا إِلَّا قَالَ: قَدْ أَجْرْتُكَ إِلَّا مِنْ أَوْسٍ. وَكَانَ فِي هِجَاؤِهِ إِيَّاهُ قَدْ ذَكَرَ أُمَّهُ، فَأَتَى بِهِ، فَدَخَلَ أَوْسٌ عَلَى أُمِّهِ فَقَالَ: قَدْ أُتِينَا بِبَشْرِ الْهَاجِي لَكَ وَلِي، فَمَا تَرَيْنَ فِيهِ؟ فَقَالَتْ لَهُ: أَوْ تَطِيعُنِي فِيهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَتْ: أَرَى أَنْ تُرَدَّ عَلَيْهِ مَالُهُ، وَتَعْفُو عَنْهُ وَتَحْبُوهُ، وَأَفْعَلُ مِثْلَ ذَلِكَ، فَإِنَّهُ لَا يَغْسِلُ هِجَاءَهُ إِلَّا مَدَحَهُ.

فَخَرَجَ إِلَيْهِ فَقَالَ: إِنْ أُمِّي سَعْدَى الَّتِي كُنْتَ تَهْجُوهَا قَدْ أَمَرَتْ فِيكَ بِكَذَا وَكَذَا، فَقَالَ: لَا جَرَمَ وَاللَّهِ! لَا مَدَحْتُ أَحَدًا حَتَّى أَمُوتَ غَيْرَكَ. فَفِيهِ يَقُولُ:

إِلَى أَوْسِ بْنِ حَارِثَةَ بْنِ لَامٍ لِيَقْضِيَ حَاجَتِي فِيمَنْ قَضَاهَا
وَمَا وَطِئَ الثَّرَى مِثْلُ ابْنِ سَعْدَى وَلَا لَبَسَ النَّعَالَ وَلَا احْتَذَاهَا

وأما حاتمُ الذي ذكره الفرزدقُ، فهو حاتم بن عبد الله الطائي، جوادُ العرب، وقد كان الفرزدق صافنَ رجلاً من بني العنبر بن عمرو بن تميم إداوة^(١) في وقت، فرامه العنبري وسامه أن يؤثره - وكان الفرزدق جواداً - فلم تطب نفسه عن نفسه، فقال الفرزدق:

فَلَمَّا تَصَافْنَا الْإِدَاوَةَ أَجْهَشْتُ إِلَى غُضُونِ الْعَنْبَرِيِّ الْجَرَاظِمِ
فَجَاءَ بِجُلْمُودٍ لَهُ مِثْلُ رَأْسِهِ لِيَشْرَبَ مَاءَ الْقَوْمِ بَيْنَ الصَّرَائِمِ
عَلَى سَاعَةٍ لَوْ أَنَّ فِي الْقَوْمِ حَاتِمًا عَلَى جُودِهِ ضَنْتَ بِهِ نَفْسُ حَاتِمِ
أما قوله: «أَجْهَشْتُ» فهو التَّسَرُّعُ، وما تراه في فَحْوَاهُ من مُقَابَرَةِ الشَّيْءِ،
يقال: أَجْهَشَ بالبكاء. والغُضُون: التَّكْسُّرُ في الجلد، والجَرَاظِم: الأحمر الممتلئ.

وقوله:

* ليشرب ماء القوم بين الصرائم *

فهى جمع صَرِيْمَة: وهى الرملة التى تنقطع من مُعْظَمِ الرمل، وقوله: «صَرِيْمَة» يريد مصرمة، والصَّرْمُ: القطع، وأنشد الأَصْمَعِيُّ:

فَبَاتَ يَقُولُ أَصْبَحَ لَيْلٌ حَتَّى تَجَلَّى عَنْ صَرِيْمَتِهِ الظَّلَامُ
يعنى ثوراً، وصَرِيْمَتِهِ: رَمْلَتُهُ التى هو فيها، وقال المفسرون فى قوله عز وجل: «فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ»^(٢) قولين، قال قوم: كالليل المظلم، وقال قوم: كالنهار المضيء، أى بيضاء لا شىء فيها، فهو من الأضداد، ويقال: لَكَ سَوَادُ الْأَرْضِ وَبَيَاضُهَا، أى عامرها وغامرُها، فهذا ما يُحْتَجُّ به لأصحاب القول الأخير، ويحتج لأصحاب القول الأوّل فى السواد بقول الله تبارك وتعالى: «فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى»^(٣)، وإنما سُمِّيَ السواد سواداً لعمارتِهِ، وكل خُضْرَةٍ عند العرب سَوَادٌ، ويروى:

عَلَى سَاعَةٍ لَوْ أَنَّ فِي الْقَوْمِ حَاتِمًا عَلَى جُودِهِ مَا جَادَ بِالْمَاءِ حَاتِمِ
جَعَلَ «حاتماً» تبييناً للهاء فى جوده، وهو الذى يسميه البصريون البدل، أراد: على جود حاتم.

(١) الإداوة: إناء صغير من جلد يتخذ للماء، وجمعه أداوى.

(٢) سورة القلم ٢٠.

(٣) سورة الأعلى ٥.

باب

[نبذة من أقوال الحكماء]

قال أبو العباس: كان يقال: إذا رَغِبْتَ في المكارم فاجتَنِبِ المحارمَ.

وكان يقال: اُنْعَمِ الناسَ عيشًا مَنْ عاشَ غيره في عيشه.

وقيل في المثل السائر: من كان في وطنٍ فَلْيُوطِّنْ غيرهَ وطنه، ليرتَعَ في وطنٍ غيره في غربته.

قال: وانتبه معاوية من رَقْدَةٍ له، فَأَنَبَهُ عمرو بن العاص، فقال له عمرو: ما بقي من لَذَّتِكَ^(١)؟ قال: عَيْنُ خَرَّارَةٍ في أرضِ خَوَّارَةٍ^(٢)، وعَيْنُ سَاهِرَةٍ لِعَيْنِ نَائِمَةٍ، فما بقي من لذتك يا أبا عبد الله؟ قال: أن أبيتَ مُعْرِسًا بعَقِيلَةٍ من عَقَائِلِ العرب. ثم نَبَّهَا وَرَدَانُ^(٣)، فقال له معاوية: ما بقي من لذتك؟ فقال: الإِفْضَالُ على الإِخْوَانِ، فقال له معاوية: أَسَكْتُ، أنا^(٤) أَحَقُّ بها منك، قال^(٥): قد أَمَكَّنَكَ فَأَفْعَلَ.

ويروى أن عمرًا لما سُئِلَ قال: أن أَسْتَتِمَّ بناءَ مَدِينَتِي بِمِصْرَ، وأنَّ وَرَدَانَ لما سُئِلَ قال: أن أَلْقَى كَرِيمًا قَادِرًا في عَقَبِ إِحْسَانٍ كانَ مِنِّي إِلَيْهِ، وأن معاوية سئل عن الباقي من لذته فقال: مُحَادَّةُ الرِّجَالِ.

ويروى عن عبد الملك أنه قال - وقد سئل عن الباقي من لذته فقال: مُحَادَّةُ الإِخْوَانِ في اللَّيَالِي الْقَمَرِ^(٦) على الكَثْبَانِ الْعُفْرِ^(٧).

وقال سليمان بن عبد الملك: قد أَكَلْنَا الطَّيِّبَ، وَلَبَسْنَا اللَّيْنَ، وَرَكَبْنَا الْفَارَةَ^(٨)، وَأَمْتَطَيْنَا الْعِذْرَاءَ، فلم يَبْقَ من لَذَّتِي إِلَّا صَدِيقُ أَطْرَحُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ مَوْئِنَةٌ التَّحَفُّظِ.

(١) كذا في الأصل، س. وفي ر: «ما بقي من لذتك يا أمير المؤمنين».

(٢) عين خرارة: جارية. خوارة: سهلة لينة.

(٣) وردان: مولى عمرو بن العاص.

(٤) ر: «فأنا».

(٥) ر: «فقال له».

(٦) قمر: جمع قمراء، وهى الليلة التى يغمرها ضوء القمر.

(٧) العفر: جمع أعفر، وهو اللون الأحمر.

(٨) الفارة: النسيط من الدواب.

وقال رجل لرجل من قريش: إنى والله ما أَمَلُ الحديث، قال: أَيْمَلُ العَتِيقُ^(١).

وقال المهلب بن أبي صفرة: العيش كله فى المجلس الممتع.
وقال معاوية: الدنيا بخذافيرها الخفض والدعة.

وقال يزيد بن المهلب: ما يَسُرُّنى أنى كُفيت أمر الدنيا كله، قيل له: ولم أَيْها الأمير؟ قال: أكره عادة العجز.

ويروى عن بعض الصالحين أنه قال: لو أنزل الله كتاباً أنه مُعَذَّبُ رجلاً واحداً لَخَفْتُ أن أكونه، أو أنه راحمٌ رجلاً واحداً لَرَجَوْتُ أن أكونه، أو أنه مُعَذَّبِي^(٢) لا محالة ما أزددت إلاَّ اجتهداً لئلا أرجع على نفسى بلائمة.

[أدب عمر بن عبد العزيز]

ويروى أن عمر بن عبد العزيز كان يدخل إليه سالم مولى بنى مخزوم، - وقالوا: بل زيادٌ - وكان عمر أراد شراءه وعتقه، فأعتقه موالیه، وكان عمر يسميه: أخى فى الله، فكان إذا دخل وعمر فى صدر مجلسه تنحى عن الصدر، فيقال له فى ذلك فيقول: إذا دخلَ عليك مَنْ لا ترى لك عليه فضلاً فلا تأخذُ عليه شرف المجلس.

وهم السراج ليلة بأن يخمد، فوثب إليه رجاء بن حيوة ليصلحه، فأقسم عليه عمر فجلس، ثم قام عمر فأصلحه. فقال له رجاء: أتقوم يا أمير المؤمنين! قال: قمت وأنا عمر بن عبد العزيز، ورجعت وأنا عمر بن عبد العزيز.

وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لا ترفعونى فوق قدرى، فتقولوا فى ما قالت النصارى فى المسيح، فإن الله اتخذنى عبداً قبل أن يتخذنى رسولا».

ودخل مسلمة بن عبد الملك على عمر بن عبد العزيز فى مرضته التى مات فيها، فقال: ألا توصى يا أمير المؤمنين؟ قال: فيم أوصى؟ فوالله إن لى من مال،

(١) ر، س: «إنما يمل العتيق»، والعتيق: القديم.

(٢) ر: «ولو علمت أنه معذبي».

فقال: هذه مائة ألف فَمَرُّ فيها بما أَحْبَبْتَ، فقال: أَوْ تَقْبَلُ؟ قال: نعم، قال: تُرَدُّ على من أَخَذَتْ منه ظِلْمًا. فبكى مَسْلَمَةً ثُمَّ قال: يرحمك الله! لقد أَلَنْتَ منا قلوبًا قاسية، وأَبْقَيْتَ لنا في الصالحين ذِكْرًا.

[بر علي بن الحسين بأبيه]

وقيل لعلي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رحمهم الله: إنك من أَرَبِ الناس بأُمِّكَ وَلَسْنَا نراك تأكل مع أُمِّكَ في صَحْفَةٍ، فقال: أخاف أن تَسْبِقَ يدي إلى ما سَبَقَتْ عَيْنُهَا إِلَيْهِ فَأَكُونُ قد عَقَقْتُهَا.

[لعمر بن ذر في ابنه]

وقيل لعمر بن ذر - حيث نُظِرَ إلى تَعَزُّيهِ عن ابنه - كيف كان بِرُهُ بك؟ فقال: ما مشيت بنهار قطُّ إِلَّا مَشَى خَلْفِي، ولا بَلِيل إِلَّا مَشَى أَمَامِي، ولا رَقِيَ سَطْحًا وأنا تحته.

[لأبي المخش في ولده]

وقال أبو المخش: كانت لي ابنةٌ تَجَلِّسُ معي على المائدة، فَتُبْرُزُ كَفًّا كأنها طَلْعَةٌ^(١)، في ذِرَاعِ كأنها جُمَارَةٌ^(٢)، فلا تَقَعُ عَيْنُهَا على أَكْلَةٍ نَفِيسَةٍ إِلَّا خَصَّتَنِي بها، فَزَوَّجْتُهَا، وصار يجلس معي على المائدة ابنٌ لي فيُبْرُزُ كَفًّا كأنها كِرْنَافَةٌ، في ذِرَاعِ كأنها كَرْبَةٌ، فوالله إن تَسْبِقُ عيني إلى لُقْمَةٍ طَيِّبَةٍ إِلَّا سَبَقَتْ يده إليها.

وقال الأصمعي: قيل لأبي المخش: أما كان لك ابن؟ فقال: المخش، وما كان المخش؟ كان والله أَشَدَّ خُرْطَمَانِيًا إذا تكلم سال لُعَابُهُ، كأنما ينظر من قَلَتَيْنِ^(٣)، وكأنَّ تَرْقُوتَهُ بُوَانٌ أو خالفةٌ، وكأنَّ مُشَاشَ مَنْكِبَيْهِ كِرْكِرَةٌ جَمَلٌ، فَقَأَ اللَّهُ عَيْنِي هَاتَيْنِ إِنْ كُنْتُ رَأَيْتُ بهما أَحْسَنَ منه قبله ولا بعده!

قوله: «بوان أو خالفة» فهما عمودان من عُمُدِ البيت، البوان في مُقَدِّمِهِ والخالفة في مُؤَخَّرِهِ. والكِرْنَافَةُ: طَرَفُ الكَرْبَةِ العريض الذي يتصل بالنخلة كأنه كَتِفٌ.

(١) الطلعة: واحدة الطلع، وهو نور النخلة.

(٢) الجمارة: شحمة النخلة.

(٣) مثني قلت، وهو نقرة مستديرة في أرض صلبة.

حدثني بهذا الحديث العباسُ بن الفرَجِ الرِّياشِيُّ عن الأَصمَعِيِّ، وحدثني
عَمَّنْ حدثه قال: مَرَّ بنا أعرابيٌّ يَشُدُّ ابناً له، فقلنا: صِفْهُ، فقال: دَنِينُ، قلنا لم
نَرَهُ، فلم نَلْبَثْ أن جاء بِجُعَلٍ على عُنُقِهِ، فقلنا: لو سألتَ عن هذا لأرشدناكَ،
ما زال مُنْذُ اليوم بين أيدينا.

وأنشد مُنْشِدٌ، وأنشدني الرِّياشِيُّ أحد البيتين:

نعم ضَجِيعُ الْفَتَى إذا بَرَدَ اللَّيْلُ سَحِيرًا وَقَرَفَ الصَّرْدُ (١)
زَيْنَهَا اللَّهُ فِي الْفُؤَادِ كَمَا زَيْنَ فِي عَيْنِ وَالِدٍ وَلَدٍ

[لَأَمِ ثَوَابِ الْهَزَانِيَةِ تَصِفُ عَقُوقَ ابْنِهَا]

وقالت أُمُّ ثَوَابِ الْهَزَانِيَّةِ، من عَزَّةَ بنِ أَسَدَ بنِ رَبِيعَةَ بنِ نِزَارٍ، تعنى ابنها:

رَبِيعُهُ وَهُوَ مِثْلُ الْفَرْخِ أَعْظَمُهُ أُمُّ الطَّعَامِ تَرَى فِي رِيشِهِ زَغَبًا (٢)

حَتَّى إِذَا آصَ كَالْفُحَّالِ شَذِبُهُ أَبَا رُهُ وَتَفَى عَنْ مَسْنَةِ الْكِرْبَا

أَنْشَأَ يُخَرِّقُ أَثْوَابِي وَيَضْرِبُنِي أَبْعَدَ سِتِّينَ عِنْدِي يَبْتَغِي الْأَدْبَا!

إِنِّي لِأُبْصِرُ فِي تَرْجِيلِ لِمَتِهِ وَحَطَّ لِحْيَتِهِ فِي وَجْهِهِ عَجَبًا (٣)

قَالَتْ لَهُ عَرِسُهُ يَوْمًا لِتُسْمِعْنِي: رِفْقًا فَإِنَّ لَنَا فِي أَمْنَا أَرْبَا

وَلَوْ رَأَتْنِي فِي نَارٍ مُسْعَرَةٍ مِنَ الْجَحِيمِ لَزَادَتْ فَوْقَهَا حَطْبًا

قوله: «أبارهُ»، فهو الذي يُصْلِحُهُ، يقال: أَبْرَتُ النخل وأَبْرَتُهُ (خفيفة)، إذا
لَقَحَتْهُ.

[خبر مالك بن العجلان مع أبي جبيلة]

ويروى أن مالك بن العجلان - أو غيره من الأنصار - كان يُتَحَفُّ أبا جُبَيْلَةَ

الْمَلِكِ حيث نزل بهم بتمرٍ من نخلةٍ لهم شريفة، فغاب يوما، فقال أبو جُبَيْلَةَ: إن

(١) قرف، من القرقفة، وهى الرعدة. والصرد: الذى آله الصرد، وهو البرد.

(٢) الزغب: ما يبدو من ريش الفرخ.

(٣) الترجيل: التسريح. واللمة: شعر الرأس الذى يلم بالمنكب.

مالِكًا كَانَ يُقَوِّتُ عَلَيْنَا جَنَى هَذِهِ النَّخْلَةِ فَجَدُّوْهَا، فَجَاءَ مَالِكٌ - وَقَدْ جُدَّتْ -
فَقَالَ: مَنْ سَعَى عَلَى عَذَقِ (١) الْمَلِكِ فَجَدَّهُ، فَأَعْلَمُوهُ أَنَّ الْمَلِكَ أَمَرَ بِذَلِكَ، فَجَاءَ
حَتَّى وَقَفَ عَلَيْهِ فَقَالَ:

جَدَدَتْ جَنَى نَخْلَتِي ظَالِمًا وَكَانَ الثَّمَارُ لِمَنْ قَدْ أَبَرَ
فلما دخل النبي ﷺ المدينة أَطْرَفُوهُ بهذا الحديث ، فقال ﷺ: «الثمر لمن
أَبَرَ، إِلَّا أَنْ يَشْتَرِيَهُ الْمُشْتَرَى».

وَالْفُحَّالُ فُحَّالُ النَّخْلِ: وَلَا يَقَالُ لَشَيْءٍ مِنَ الْفُحُولِ فُحَّالٌ غَيْرُهُ. وَأُنْشِدْنِي
الْمَازِنِي:

يُطْفَنُ بِفُحَّالٍ كَأَنَّ ضِبَابَهُ بَطُونُ الْمَوَالِي يَوْمَ عِيدِ تَغَدَّتِ (٢)
وَضِبَابُهُ: طَلْعُهُ. وَأَضَى: عَادَ وَرَجَعَ.

وَقَوْلُهَا: «شَذَبَهُ» تَقُولُ: قَطَعَ عَنْهُ الْكَرْبَ وَالْعَثَاكِيلَ (٣)، وَكُلُّ مُشَذَّبٍ
مَقْطُوعٌ، وَيُقَالُ لِلرَّجُلِ الطَّوِيلِ النَّحِيفِ: مُشَذَّبٌ، يَشَبُّهُ الْجَذَعُ الْمَحْذُوفُ عَنْهُ
الْكَرْبُ، وَأَصْلُ التَّشْذِيبِ الْقَطْعُ، وَقَالَ الْفَرَزْدَقُ:

عَضَّتْ سَيْوْفُ تَمِيمٍ حِينَ أَغْضَبَهَا رَأْسُ ابْنِ عَجَلَى فَأَضْحَى رَأْسُهُ شَذَبًا
أَرَادَ: عَضَّتْ سَيْوْفُ تَمِيمٍ رَأْسَ ابْنِ عَجَلَى حِينَ أَغْضَبَهَا.

وَإِبْنُ عَجَلَى: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ خَازِمِ السُّلَمِيِّ، وَأُمُّهُ عَجَلَى، وَكَانَتْ سُودَاءَ، وَهُوَ
أَحَدُ غُرَيَّانِ الْعَرَبِ فِي الْإِسْلَامِ.

[لِلْمَهْلَبِ وَقَدْ سُئِلَ: مَنْ أَشْجَعُ النَّاسِ؟]

وَسُئِلَ الْمَهْلَبُ. مَنْ أَشْجَعُ النَّاسِ؟ فَقَالَ: عَبَادُ بْنُ حَصِينٍ، وَعُمَرُو بْنُ
عَبِيدِ اللَّهِ بْنِ مَعْمَرٍ، وَالْمَغِيرَةُ بْنُ الْمَهْلَبِ؛ فَقِيلَ: فَأَيْنَ ابْنُ الزُّبَيْرِ وَابْنُ خَازِمِ وَعُمَيْرُ
ابْنِ الْحَبَابِ؟ فَقَالَ: إِنَّمَا سُئِلْتُ عَنِ الْإِنْسِ وَلَمْ أُسَأَلْ عَنِ الْجِنِّ!

(١) الْعَذَقُ بِالْفَتْحِ: اسْمُ النَّخْلِ عِنْدَ أَهْلِ الْحِجَازِ.

(٢) الْبَيْتُ فِي اللِّسَانِ (ضَبٌّ - فَحْلٌ) وَنَسَبُهُ لِلْبَطِينِ التِّيمِيِّ.

(٣) الْعَثَاكِيلُ: الشَّمَارِيخُ، وَاحِدُهُ عَثَكُولٌ.

باب

[من كلام عائشة]

رَوَى شُعْبَةُ عَنْ وَاقِدِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِي مُلَيْكَةَ، عَنْ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ قَالَ: قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: مَنْ أَرْضَى اللَّهَ بِإِسْخَاطِ النَّاسِ كَفَاهُ اللَّهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ. وَمَنْ أَرْضَى النَّاسَ بِإِسْخَاطِ اللَّهِ وَكَلَّهَ اللَّهُ إِلَى النَّاسِ، وَمَنْ أَصْلَحَ سِرِيرَتَهُ أَصْلَحَ اللَّهُ عِلَانِيَتَهُ.

[بين الحسن بن زيد والي المدينة وابن هرمة]

ويروى أن الحسن بن زيد^(١) لما وَلَّى المدينة قال لابن هرمة^(٢): إني لستُ كمنْ باعَ لك دينه رجاءَ مدْحِكَ أو خوفَ ذمِّكَ، قد أفادني الله بولادة نبيه الممدوح، وجنّبي المقابح، وإنَّ من حقِّه علىَّ ألاَّ أغضِيَّ على تقصير في حقِّه، وأنا أقسم بالله، لئن أُتيتُ بك سكرانٍ لأضربنَّك حدَّين: حدًّا للخمر، وحدًّا للسكر، ولأزيدنَّ، لموضع حرمتك بي. فليكن تركها لله تُعَنُّ عليه؛ ولا تدعها للناس فتوكل إليهم. فنهض ابن هرمة وهو يقول:

نهاني ابنُ الرسول عن المدام	وأدبني بآداب الكرام
وقال لي أصطبر عنها ودعها	لخوف الله لا خوف الأنام
وكيف تصبري عنها وحبِّي	لها حبٌّ تمكِّن من عظامي!
أرى طيبَ الحلال على خُبثا	وطيب النفس في خُبث الحرام

[من كلام مطرف بن عبد الله بن الشخير الحرشي]

وقال الحسن لمطرف بن عبد الله بن الشخير الحرشي: يا مطرف، عظ أصحابك، فقال مطرف: إني أخاف أن أقول ما لا أفعل. فقال الحسن: يرحمك الله! وأينا يفعل ما يقول! لوَدَّ الشيطانُ أنَّه ظفر بهذه منكم، فلم يأمر أحدٌ بمعروف، ولم ينه عن منكر.

(١) هو الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب، ولي المدينة لأبي جعفر المنصور سنة ١٥٠.

(٢) هو إبراهيم بن هرمة من متقدمي الشعراء، ممن أدرك الدولتين: الهاشمية والأموية (وانظر ترجمته ومراجعتها في الشعر والشعراء ٧٢٩ - ٧٣١).

وقال مطرف بن عبد الله لابنه: يا عبد الله، العلم أفضل من العمل،
والحسنة بين السيئتين، وشر السيئر الحقة.

قوله: «الحسنة بين السيئتين»، يقول: الحق بين فعل المقصر والغالى. ومن
كلامهم: خير الأمور أوساطها.

قوله: «وشر السيئر الحقة»، وهو أن يستفرغ المسافر جهده ظهره فيقطعه،
فيهلك ظهره، ولا يبلغ حاجته. يقال: حقق السيئر إذا فعل ذلك. وقال الراجز:

* وانبت فعل^(١) السائر المحقق *

وحُدث أن الحسن نفى سابق الحاج وقد أسرع، فجعل يومئ إليه بإصبعه
فعل الغازلة، وهو يقول: «خرقاء وجدت صوفا».

وهذا مثل من أمثال العرب يضربونه للرجل الأحمق الذى يجد مالا كثيرا
فيعيث فيه، وشبيه بهذا المثل قوله: «عبد وخلق^(٢) فى يديه».

ويروى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق،
ولا تبغض إلى نفسك عبادة ربك، فإن المنبت لا أرضا قطع، ولا ظهرا أبقى».

قوله «متين»، المتين الشديد، قال الله عز وجل: ﴿وَأْمَلَى لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي
مَتِينٌ﴾^(٣).

وقوله: «فأوغل فيه برفق»، يقول: ادخل فيه، هذا أصل الوغول، ويقال
مشتقا من هذا للرجل الذى يأتى شراب القوم من غير أن يدعى إليه: واغل،
ومعناه أنه وغل فى القوم وليس منهم، قال امرؤ القيس:

حَلَّتْ لِي الْحَمْرُ وَكَنتُ أَمْرًا عَنْ شُرْبِهَا فِي شُغْلِ شَاغِلِ
فَالْيَوْمَ أَسْقَى غَيْرَ مُسْتَحَقِّ^(٤) إِنْ شَاءَ مِنْ اللَّهِ وَلَا وَاعِلِ

(١) زيادات ر: «فعل» بالنصب الرواية الصحيحة، لأنه مصدر معنى.

(٢) الخلى: الرطب من الحشيش.

(٣) سورة الأعراف ١٨٣.

(٤) المستحق: الذى يحمل الشئ فى الحقيقة.

وَالْمُنْبَتُّ: مِثْلُ الْمُحَقَّقِ، وَاشْتِقَاقُهُ مِنَ الْإِنْقِطَاعِ، يُقَالُ: انْبَتَّ فُلَانٌ مِنْ فُلَانٍ أَيْ انْقَطَعَ مِنْهُ، وَبَتَّ اللَّهُ مَا بَيْنَهُمْ، أَيْ قَطَعَ، قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ نُمَيْرٍ:
تَوَاعَدَ لِلْبَيْنِ الْخَلِيطُ لِيَنْبَتُوا وَقَالُوا لِرَاعِي الذَّوْدِ: مَوْعِدُكَ السَّبْتُ
وَفِي النَّفْسِ حَاجَاتٌ إِلَيْهِمْ كَثِيرَةٌ وَمَوْعِدُهَا فِي السَّبْتِ لَوْ قَدْ دَنَا لَوْقْتُ^(١)
ويروى:

*- أَلَا قَرَّبَ الْحَيُّ الْجَمَالَ لِيَنْبَتُوا *

وَحُدِّثُ أَنْ أَبْنَ السَّمَاءِ كَانَ يَقُولُ: إِذَا فَعَلْتَ الْحَسَنَةَ فَافْرَحَ بِهَا وَاسْتَقْلَلَهَا فَإِنَّكَ إِذَا اسْتَقْلَلْتَهَا زِدْتَ عَلَيْهَا، وَإِذَا فَرِحْتَ بِهَا عُدْتَ إِلَيْهَا.
ويروى عن أُوَيْسِ الْقَرْنِيِّ أَنَّهُ قَالَ: إِنَّ حَقْقَ اللَّهِ لَمْ تَتْرُكْ عِنْدَ مُسْلِمٍ دِرْهَمًا.

[يَزِيدُ بْنُ هُبَيْرَةَ يَنْصَحُ الْمَنْصُورَ]

وَدَخَلَ يَزِيدُ بْنُ عُمَرَ بْنِ هُبَيْرَةَ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمَنْصُورِ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، تَوَسَّعَ تَوَسَّعًا قُرْشِيًّا، وَلَا تَضِقْ ضَيْقًا حِجَازِيًّا.
ويروى أَنَّهُ دَخَلَ عَلَيْهِ يَوْمًا فَقَالَ لَهُ الْمَنْصُورُ: حَدِّثْنَا، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنْ سُلْطَانُكُمْ حَدِيثٌ، وَإِمَارَتُكُمْ جَدِيدَةٌ، فَأَذْبِقُوا النَّاسَ حَلَاوَةً عَدْلُهَا، وَجَنِّبُوهُمْ مَرَارَةً جَوْرُهَا. فَوَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَقَدْ مَحَضْتُ لَكَ النَّصِيحَةَ.
ثُمَّ نَهَضَ فَنَهَضَ مَعَهُ سَبْعُمِائَةٍ مِنْ قَيْسٍ، فَأَتَاهُ الْمَنْصُورُ بِصَرَّةٍ، ثُمَّ قَالَ: لَا يَعْزُؤُ مُلْكٌ يَكُونُ فِيهِ مِثْلُ هَذَا.
قَوْلُهُ: «مَحَضْتُ لَكَ النَّصِيحَةَ» يَقُولُ: أَخْلَصْتُ لَكَ، وَأَصْلُ هَذَا مِنَ اللَّيْنِ، وَالْمَحْضُ مِنْهُ: الْخَالِصُ الَّذِي لَا يَشُوبُهُ شَيْءٌ، وَأَنْشُدُ الْأَصْمَعِيَّ:
أَمْتَحَضًا وَسَقْيَانِي ضَيْحًا وَقَدْ كَفَيْتُ صَاحِبِي الْمَيْحَا^(٢)

(١) روى الأخفش البيت الأخير.

(٢) رواية اللسان عن شمر: (محض) «إني كفيت» وفي زيادات ر: «الميح: طلب الشيء هاهنا وهاهنا».

ويقال: حَسَبٌ مَحْضٌ.

وقوله: «أَتَأْرَهُ بَصْرَهُ» يقول: أَتَبْعُهُ بَصْرَهُ، وَحَدَدَ إِلَيْهِ النَّظْرَ، وَأَنْشَدَ الْأَصْمَعِيُّ:

مَا زِلْتُ أَرْمُقُهُمْ وَالْأَلَّ يُرْفَعُهُمْ حَتَّى أَسْمَدَرَ بِطَرْفِ الْعَيْنِ إِتَارِي (١)

[لِأَسْمَاءِ بْنِ خَارِجَةَ فِي كَرَمِ الْخَلْقِ]

ويروى عن أسماء بن خارجة أنه قال: لَا أَشَاتِمُ رُجُلًا، وَلَا أَرُدُّ سَائِلًا، فَإِنَّمَا هُوَ كَرِيمٌ أَسَدٌ خَلَّتْهُ، أَوْ لَثِيمٌ أَشْتَرَى عَرَضِي مِنْهُ.

[لِلْأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ]

ويروى عن الأحنف بن قيس أنه قال: مَا شَاتَمْتُ رَجُلًا مَذَّ كُنْتُ رَجُلًا، وَلَا زَحَمْتُ رُكْبَتَايَ رُكْبَتَيْهِ، وَإِذَا لَمْ أَصِلْ مُجْتَدِيَّ حَتَّى يَنْتَحِ جَبِينُهُ عَرَقًا كَمَا يَنْتَحِ الْحَمِيْتُ، فَوَ اللَّهُ مَا وَصَلَتْهُ.

قوله: «مُجْتَدِيٌّ» يريد الذى يأتية يطلب فضله، يقال: اجْتَدَاهُ يَجْتَدِيهِ، وَاعْتَفَاهُ يَعْتَفِيهِ، وَاعْتَرَاهُ يَعْتَرِيهِ، وَاعْتَرَهُ يَعْتَرُهُ، وَعَرَاهُ يَعْرُوهُ: إِذَا قَصَدَهُ يَتَعَرَّضُ لِنَائِلِهِ. وَأَصْلُ ذَلِكَ مَاخُوذٌ مِنَ الْجَدَاءِ، مَقْصُورٌ، وَهُوَ الْمَطَرُ الْعَامُّ النَّافِعُ، يُقَالُ: أَصَابَتْنَا مَطَرَةٌ كَانَتْ جَدًّا عَلَى الْأَرْضِ، فَهَذَا الْأَسْمُ، فَإِذَا أَرَدْتَ الْمَصْدَرَ قُلْتَ: فَلَانْ كَثِيرُ الْجَدَاءِ، مَمْدُودٌ، كَمَا تَقُولُ: كَثِيرُ الْغَنَاءِ عَنْكَ، مَمْدُودٌ، هَذَا الْمَصْدَرُ، فَإِذَا أَرَدْتَ الْأَسْمَ الَّذِي هُوَ خِلَافُ الْفَقْرِ قُلْتَ: الْغِنَى - بِكَسْرِ أَوَّلِهِ - وَقَصَرَتْ، قَالَ خُفَافٌ بْنُ نَدْبَةَ يَمْدَحُ أَبَا بَكْرٍ الصَّدِيقَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

لَيْسَ لَشَيْءٍ غَيْرَ تَقْوَى جَدَاءٍ	وَكُلُّ شَيْءٍ عُمَرُهُ لِلْفَنَاءِ
إِنَّ أَبَا بَكْرٍ هُوَ الْغَيْثُ إِذْ	لَمْ تَشْمَلِ الْأَرْضُ سَحَابَ بَاءٍ
تَاللَّهِ لَا يُدْرِكُ أَيَّامَهُ	ذُو طَرَّةٍ حَافٍ وَلَا ذُو حِذَاءٍ
مَنْ يَسَعُ كَيْ يُدْرِكُ أَيَّامَهُ	يَجْتَهِدُ الشَّدَّ بِأَرْضٍ فَضَاءٍ

(١) زيادات ر: «وهو للكميت بن زيد». والبيت فى اللسان (تأر) غير منسوب. واسمدر: لم يكذب.

وهذا من طَريف الشعر لأنه ممدود، فهو بالمد الذي فيه من عروض السَّريع الأولى، وبيته في العروض:

أَزْمَانَ سَلَمَى لَا يَرَى مِثْلَهَا الرَّأْ
عُونَ فِي شَامٍ وَلَا فِي عِرَاقٍ
ثم نرجع إلى تأويل قول الأحنف.

قوله: «حتى يَنْتَحَ جَبِينُهُ عِرْقًا»، فهو مثل الرِّشْح.

وحدثني أبو عثمان المازني في إسناده له ذَكَرَهُ قال: قال رُوْبَةُ بن العَجَّاج: خرجتُ مع أبي نريد سليمان بن عبد الملك، فلما صرنا في الطريق أهدى لنا جَنْبٌ من لحم عليه كرافئُ الشحم، وخريطةٌ من كَمَاءٍ، وَوَطْبٌ من لبن، فَطَبَخْنَا هذا بهذا، فما زالتُ ذَفْرَيَايَ^(١) تَنْتَحَانُ منه إلى أن رجعتُ.

وقوله: «الْحَمِيَتُ»، فالْحَمِيَتُ والزَّقُّ اسمان له، وإذا زُقَّتْ أو كان مَرْبُوبًا فهو الوَطْبُ، وإذا لم يكن مَرْبُوبًا ولا مَزُقَّتًا فهو سَقَاءٌ ونَحْيٌ، والوَطْبُ يكون لِلْبَنِّ والسمن، والسَقَاءُ يكون لِلْبَنِّ والماء. قالت هندُ بنت عَتْبَةَ لِأَبِي سَفْيَانَ بن حَرْبٍ لما رجع مُسْلِمًا من عند النبي ﷺ إلى مَكَّةَ في ليلة الفتح، فصاح: يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، أَلَا إِنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ فَأَسْلَمُوا، فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ أَتَاكُمْ بِمَا لَا قَبْلَ لَكُمْ بِهِ. فَأَخَذَتْ هَندُ برأسه، وقالت: بئسَ طَلِيعَةُ الْقَوْمِ أَنْتَ! وَاللَّهِ مَا خَدِشْتَ خَدِشًا، يَا أَهْلَ مَكَّةَ، عَلَيْكُمُ الْحَمِيَتُ الدَّسَمُ فَاقْتُلُوهُ.

وأما قول رُوْبَةَ «كَرَافِئُ الشَّحْمِ» يريد طبقات الشحم، وأصل ذلك في السحاب إذا رَكِبَ بعضُهُ بعضًا، يقال له: كَرَفِئٌ، والجميع كَرَافِئٌ.

[قال أبو الحسن الأَخْفَشُ: واحد الكَرَافِئِ كَرَفِئَةٌ، وهاء التَّأْنِيثِ إِذَا جُمِعَتْ جمع التَّكْسِيرِ حُذِفَتْ لأنها زائدة، بمنزلة اسم ضمٍّ إلى اسم، وأحسِبُ أن أبا العباس لم يَسْمَعْ الواحدَ من هذا فقاسه، والعرب تَجْتَرِئُ على حذف هاء التَّأْنِيثِ إِذَا احتاجت إلى ذلك، وليس هذا موضع حاجة إِذَا كانت قد اسْتَعْمَلَتْ الواحدَ بالهاء، ونظير هذا قولهم: ما في السماء كَرَفِئَةٌ، وما في السماء قَدْ عَمِلَةٌ وَقَدْ عَمِلَةٌ، وما في السماء طُحْرِبَةٌ وطَحْرِبَةٌ، وما في السماء قَرطَعَةٌ، وما في السماء كَنْهَوْرَةٌ، وهي القطعة من السحاب العظيمة كالجبل وما أشبهه].

(١) الذفري: العظم الشاخص خلف الأذن.

باب

[لجساق بن ثابت يهجو مسافع بن عياض التيمي]

قال أبو العباس: قال حسان بن ثابت يهجو مسافع^(١) بن عياض التيمي، من تيم بن مرة بن كعب بن لؤي، رهط أبي بكر الصديق رحمه الله:

لَوْ كُنْتَ مِنْ هَاشِمٍ أَوْ مِنْ بَنِي أَسَدٍ أَوْ عَبْدُ شَمْسٍ أَوْ أَصْحَابُ اللَّوَا الصَّيِّدِ
أَوْ مِنْ بَنِي نَوْفَلٍ أَوْ رَهْطُ مَطْلَبٍ اللَّهُ دَرُكُ! لَمْ تَهْمُمْ بِتَهْدِيدِي
أَوْ فِي الذُّوَابَةِ مِنْ قَوْمِ ذَوِي حَسَبٍ لَمْ تُصْبِحِ الْيَوْمَ نَكْسًا ثَانِي الْجِيدِ
أَوْ مِنْ بَنِي زُهْرَةَ الْأَخْيَارِ قَدْ عَلِمُوا أَوْ مِنْ بَنِي جُمَحِ الْبَيْضِ الْمُنَاجِيدِ
أَوْ فِي السَّرَارَةِ مِنْ تَيْمٍ رَضِيتُ بِهِمْ أَوْ مِنْ بَنِي خَلْفِ الْخُضْرِ الْجَلَاعِيدِ
يَا آلَ تَيْمٍ أَلَا يُنْهَى سَفِيهِكُمْ قَبْلَ الْقَذَافِ بِقَوْلِ كَالْجَلَامِيدِ
لَوْلَا الرَّسُولُ فَإِنِّي لَسْتُ عَاصِيَهُ حَتَّى يُغَيِّبَنِي فِي الرَّمْسِ مَلْحُودِي
وَصَاحِبُ الْغَارِ إِنِّي سَوْفَ أَحْفَظُهُ وَطَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ ذُو الْجُودِ
لَقَدْ رَمَيْتُ بِهَا شَنْعَاءَ فَاضِحَةً يَظَلُّ مِنْهَا صَحِيحُ الْقَوْمِ كَالْمُودِي

قوله: «لو كنت من هاشم» يريد هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة، والنضر أبو قريش، ومن كان من بني كنانة لم يكدّه النضر فليس بقريشي. وبنو أسد ابن عبد العزى بن قصي. وعبد شمس [هو عبد شمس^(٢)], بن عبد مناف بن قصي. وأصحاب اللواء بنو عبد الدار بن قصي. واللواء ممدود إذا أردت به لواء الأمير، ولكنه احتاج إليه فقصره، وقد هينا جواز ذلك، فأما اللوى من الرمل فمقصور، قال امرؤ القيس:

* بِسِقْطِ اللَّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ وَحَوْمَلِ *

كذا يرويه الأصمعي، وهذه أصح الروايات^(٣).

(١) ذكره ابن حجر في الإصابة (٦: ٨٦)، وقال: «لا أعرف له صحبة ولا أعرف له رواية».

(٢) ما بين العلامتين ساقط من ر.

(٣) أى رواية «وحومل» بالواو. ورواية الفضل: «فحومل».

وقوله: «أو من بنى نوفل» فهو نَوْفَلُ بنِ عبدِ مَنَافِ بنِ قُصَيٍّ. والمَطْلَبُ الذى ذكره هو أبْنُ عبدِ مَنَافِ بنِ قُصَيٍّ.

وقوله: «لم تُصْبِحَ اليومَ نَكْسًا»، فالتَّكْسُ الدَّنْيَاءُ الْمُقَصَّرُ. ويقول بعضهم: إن أصلَ ذلك فى السَّهَامِ، وذلك أن السَّهْمَ إذا ارْتَدَعَ^(١) أو نالته آفة نَكِسَ فى الكِنَانَةِ لِيُعْرَفَ من غيره قال الحُطَيْثَةُ:

قَدْ نَاضَلُوكَ فَأَبْدَوْا مِنْ كِنَانَتِهِمْ مَجْدًا تَلِيدًا وَنَبَلًا غَيْرَ أَنْكَاسٍ

قوله: «مجدًا تليدًا»، قالوا: نواصى الفرسان^(٢) الذين كان يُمَنُّ عليهم.

وقوله: «ثانى الجيد» قد مرّ تفسيره فى قول الله عز وجل: «ثانى عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ»^(٣).

وقوله: «أو من بنى زُهْرَةَ»، فهو زُهْرَةُ بنُ كِلَابِ بنِ مُرَّةَ. ويُرْوَى أن رسول الله ﷺ قال: «خُلِقْتُ من خير حَيَيْنَ: مِنْ هَاشِمٍ وزُهْرَةَ». وبنو جُمَحَ بن عمرو ابن هُصَيصِ بن كَعْبِ بن لُؤى.

وقوله: «المناجيد» مفاعيل، من النَّجْدَةِ، والواحد مُنْجَادٌ، وإنما يُقال ذلك فى تكثير الفعل، كما تقول: رجلٌ مَطْعَانٌ بِالرُّمَحِ، ومِطْعَامٌ لِلطَّعَامِ.
وقوله:

* أو فى السَّرَارَةِ من تَيْمٍ رَضِيَتْ بِهِمْ *

يقول: فى الصَّمِيمِ منهم والمَوْضِعِ المَرْضِيِّ، وأصل ذلك فى التَّربَةِ، تقول العرب: إذا غَرَسْتَ فَاغْرَسْ فى سَرَارَةِ الوادِى، ويقال: فلانٌ فى سِرِّ قومه، والسَّرَةُ مثل ذلك، قال القُرَشِيُّ:

هَلَّا سَأَلْتُ عَنِ الَّذِينَ تَبَطَّحُوا كَرَّمَ البَطَاحِ وَخَيْرَ سُرَّةٍ وَادٍ^(٤)

(١) السهم المرتدع: هو ما أصاب الهدف وانكسر عوده.

(٢) نواصى الفرسان: يريد شعور النواصى، وقد كانت العرب إذا أسروا أسيرا خيروه بين جزء الناصية والأسر، فإن اختار الجز جزوها، وخلصوا سبيله.

(٣) سورة الحج ٩.

(٤) تبطحوا: سكنوا بطاح مكة..

وَعَنِ الَّذِينَ أَبَوْا فَلَمْ يُسْتَكْرَهُوا أَنْ يَنْزِلُوا الْوَلَجَاتِ مِنْ أَجْيَادٍ (١)
يُخْبِرُكَ أَهْلُ الْعِلْمِ أَنَّ بَيُوتَنَا مِنْهَا بِخَيْرٍ مَضَارِبِ الْأَوْتَادِ

وقوله: «أو من بنى خلف الخصر»، فإنه حذف التنوين لالتقاء الساكنين. وليس بالوجه، وإنما يُحذف من الحرف لالتقاء الساكنين حروف المد واللين، وهي الألف، والياء المكسور ما قبلها، والواو المضموم ما قبلها، نحو قولك: هذا قفا الرجل، وقاضى الرجل، ويغزو القوم، فأما التنوين فجاز فيه هذا؛ لأنه نون فى اللفظ، والنون تدغم فى الياء والواو، وتزداد كما تزداد حروف المد واللين، ويبدل بعضها من بعض، فتقول: رأيت زيدا فتبدل الألف من التنوين، وتقول فى النسب إلى صنعاء وبهراء (٢) صنعاني وبهراني، فتبدل النون من ألف التانيث، وهذه جملة وتفسيرها كثير، فلذلك حذف، ومثل هذا من الشعر:

عَمَرُو الَّذِي هَشَمَ الثَّرِيدَ لِقَوْمِهِ وَرَجَالُ مَكَّةَ مُسْتَنُونَ عِجَافُ
وقال آخر (٣):

حُمَيْدُ الَّذِي أَمَجَّ دَارُهُ أَخُو الْخَمْرِ ذُو الشَّيْبَةِ الْأَصْلَعِ (٤)
وقرأ بعض القراء: «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ». وسمعت عمارة بن عَقِيلٍ يَقْرَأُ: «وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ» (٥) فقلت: ماتريد؟ فقال: «سابق النهار». وقوله: «أو أصحاب اللوا»، فإنما (٦) خَفَّفَ الهمزة،

(١) والولجات: جمع ولجة، وهى الكهف، وأجباد: موضع بمكة مما يلى الصفا.

(٢) صنعاء: عاصمة اليمن، وبهراء: قبيلة بها.

(٣) نسبه الشريف المرتضى (٢: ٢٦٩) إلى ابن الزبيرى: وروايته:

* عمرو العلا هشم الثريد لقومه *

وبعده:

وهو الذى سنَّ الرحيل لقومه رحل الشتاء ورحلة الأصيف
(٤) هو حميد الأمجى، منسوب إلى أمج: بلد من أعراض المدينة، من أبيات ذكرها ياقوت فى معجم البلدان (أمج)، وهى:

شربت المدام فلم أُلْع وعوتبت فيها فلم أسمع
حميد الذى أمج داره أخوالخمر ذو الشيبه الأصلع
علاه المشيب على حبها وكان كريما فلم يترزع

(٥) سورة يس ٤٠.

(٦) كلمة: «فإنما» ساقطة من ر.

وَتَخَفَّفُ إِذَا كَانَ قَبْلَهَا سَاكِنٌ، فَتُطْرَحُ حَرَكَتُهَا عَلَى السَّاكِنِ وَتُحَذَفُ، كَقَوْلِكَ: مَنْ أَبُوكَ؟ وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (١).

وَحَلَفَ الَّذِي ذَكَرَهُ مِنْ بَنِي جُمَحَ بْنِ عَمْرٍو بْنِ هُصَيْصِ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ.
وقوله: «الْخَضِرُ الْجَلَّاعِيدُ»، يُقَالُ فِيهِ قَوْلَانِ: أَحَدُهُمَا أَنَّهُ يَرِيدُ سَوَادَ جُلُودِهِمْ (٢)، كَمَا قَالَ الْفَضْلُ بْنُ الْعَبَّاسِ بْنِ عُثْبَةَ بْنِ أَبِي لَهَبٍ:

وَأَنَا الْأَخْضَرُ مَنْ يَعْرِفُنِي أَخْضَرُ الْجِلْدَةِ فِي بَيْتِ الْعَرَبِ

فهذا هو القول الأول. وقال آخرون: شبههم في جودهم بالبحور. وقوله: «الجلّاعيد»، يريد الشّدَادَ الصَّلَابَ، واحدهم جَلْعَدٌ، وزاد الياء للحاجة، وهذا جَمْعٌ يَجِيءُ كَثِيرًا؛ وذلك أَنَّهُ مَوْضِعٌ تَلْزِمُهُ الْكَسْرَةُ، فَتُشْبِعُ فَتَصِيرُ يَاءً، يُقَالُ فِي خَاتَمٍ: خَوَاتِيمٌ، وَفِي دَانِقٍ دَوَانِيقٌ، وَفِي طَابَقٍ طَوَائِقٌ، قَالَ الْفَرَزْدَقُ فِي مِثْلِ هَذَا الْجَمْعِ:

تَنْفِي يَدَاهَا الْحَصَى فِي كُلِّ هَاجِرَةٍ نَفَى الدَّرَاهِيمِ تَنْقَادَ الصَّيَارِفِ (٣)

وقوله: «قَبْلَ الْقَذَافِ» يريد الْمُقَادَفَةَ، وهذه تكون من اثْنَيْنِ فَمَا فَوْقَهُمَا، نَحْوُ الْمُقَاتَلَةِ وَالْمُشَاتَمَةِ، فَبَابِ «فَاعَلْتُ» إِنَّمَا هُوَ لِلْاثْنَيْنِ فَصَاعِدًا، نَحْوُ قَاتَلْتُ وَضَارَبْتُ، وَقَدْ تَكُونُ الْأَلْفُ زَائِدَةً فِي فَاعَلْتُ فَتُبْنَى لِلوَاحِدِ، كَمَا زِيدَتْ الْهَمْزَةُ أَوَّلًا فِي «أَفَعَلْتُ» فَتَكُونُ لِلوَاحِدِ، نَحْوُ عَاقَبْتُ اللَّصَّ، وَعَافَاهُ اللَّهُ، وَطَارَقْتُ نَعْلِي.

وقوله: «وَصَاحِبُ الْغَارِ»، يَعْنِي أَبَا بَكْرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ، لِمَصَاحِبَتِهِ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْغَارِ، وَهَذَا مَشْهُورٌ لَا يُحْتَاجُ إِلَى تَفْسِيرِهِ.

وطلحة بن عبيد الله نسبه إلى الجود لأنه كان من أجود قريش. وحدثني التّوّزِيُّ قَالَ: كَانَ يُقَالُ لَطَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ: طَلْحَةُ الطَّلَحَاتِ، وَطَلْحَةُ الْخَيْرِ، وَطَلْحَةُ الْجُودِ. وَذَكَرَ التّوّزِيُّ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ أَنَّهُ بَاعَ ضَيْعَةً لَهُ بِخَمْسَةِ عَشَرَ أَلْفَ

(١) سورة النمل ٢٥.

(٢) قال المصنف: «وذلك أن العرب تسمى الأسود أخضر، والأخضر أسود، لما أن الخضرة إذا اشتدت تقارب السواد، والمراد من سواد الجلود لون السمرة لا السواد الحالك».

(٣) تنقاد الصياريف، أي تميز الصياريف للدراهم، لتخرج الزائف منها.

درهم، فَقَسَّمَهَا فِي الْأَطْبَاقِ^(١). وَفِي بَعْضِ الْحَدِيثِ أَنَّهُ مَنَعَهُ أَنْ يَخْرُجَ إِلَى الْمَسْجِدِ أَنْ لَقِيَ لَهُ بَيْنَ ثَوْبَيْنِ^(٢).

وَحَدَّثَنِي الْعُتْبِيُّ فِي إِسْنَادٍ ذَكَرَهُ قَالَ: دَعَا طَلْحَةَ بْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعَثْمَانُ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، فَأَبْطَأَ عَنْهُ الْغُلَامُ بِشَيْءٍ أَرَادَهُ، فَقَالَ طَلْحَةُ: يَا غُلَامُ، فَقَالَ الْغُلَامُ: لَيْيَكُ! فَقَالَ طَلْحَةُ: لَا لَيْيَكُ! فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: مَا يَسْرُنِي أَنْتَى قُلْتَهَا وَأَنْ لِي الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا. وَقَالَ عُمَرُ: مَا يَسْرُنِي أَنْتَى قُلْتَهَا وَلِي نِصْفُ الدُّنْيَا، وَقَالَ عَثْمَانُ: مَا يَسْرُنِي أَنْتَى قُلْتَهَا وَأَنْ لِي حُمْرُ النَّعَمِ. قَالَ: وَصَمَتَ عَلَيْهَا أَبُو مُحَمَّدٍ، فَلَمَّا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِهِ بَاعَ ضَيْعَةً بِخَمْسَةِ عَشَرَ أَلْفَ دِرْهَمٍ، فَتَصَدَّقَ بِثَمَنِهَا.

وقوله:

* يَظَلُّ مِنْهَا صَحِيحُ الْقَوْمِ كَالْمُودِي *

فَالْمُودِي فِي هَذَا الْمَوْضِعِ الْهَالِكُ، وَلِلْمُودِي مَوْضِعٌ آخَرٌ يَكُونُ فِيهِ الْقَوَى الْجَادَّةُ، حَدَّثَنِي بِذَلِكَ التَّوَزِيُّ فِي كِتَابِ الْأَضْدَادِ، وَأَشْدَنِي^(٣):

* مُودُونٌ يَحْمُونَ السَّبِيلَ السَّابِلَا^(٤) *

[لِرَجُلٍ مِنَ الْعَرَبِ يَرْتِي]

وقال رجل من العرب:

خَلِيلِي عُوجًا بَارَكَ اللَّهُ فِيكُمَا	عَلَى قَبْرِ أَهْبَانٍ سَقَّتَهُ الرِّوَاعِدُ
فَذَاكَ الْفَتَى كُلُّ الْفَتَى كَانَ بَيْنَهُ	وَبَيْنَ الْمَرْجَى نَفْنَفٌ مَتْبَاعِدُ
إِذَا نَارَعَ الْقَوْمُ الْأَحَادِيثَ لَمْ يَكُنْ	عِيًّا وَلَا عَبْنًا عَلَى مَنْ يُقَاعَدُ

(١) الأطباق: جمع طبق: وهو الجماعة من الناس.

(٢) التلقيق: ضم أحد الشوئين إلى الآخر، قال المصنف: «وكانه كره الحضور بهما إلى المسجد خوف الشهرة».

(٣) البيت لرؤبة، وروايته في ديوانه ١٢٢:

* مُودِينَ يَحْمُونَ السَّبِيلَ السَّابِلَا *

وبعده:

* تَعْدُو الْعَرْضَنِي خَيْلُهُمْ عَرَاجِلَا *

(٤) زيادات ر: «المؤدى» بالهمز: التام الأداة والسلاح، وبغير الهمزة: الهالك.

قوله: «على قَبْر أَهْبَان» فهذا اسم كزید وعمرو، واشتقاقه من وَهَبَ يَهَبُ، وَهَمَزَ الواوَ لانضمامها، كقوله عز وجل: ﴿وَإِذَا الرُّسُلُ أَقْبَتُ﴾ (٢). فهو «فُعِّلْتُ»، من الوَقْتُ. وقد مضى تفسير همز الواو إنما انضمت وهو لا ينصرف في المعرفة وينصرف في النكرة، وكل شيء لا ينصرف فَصَرَفُهُ في الشعر جائز؛ لأن أصله كان الصَّرْفُ، فلما احتيج إليه رُدَّ إلى أصله، فهذا قول البصريين. وزعم قوم أن كل شيء لا ينصرف فَصَرَفُهُ في الشعر جائز، إلا «أفعل» الذي معه «منك»، نحو: أَفْضَلُ منك، وأكرم منك. وزعم الخليل - وعليه أصحابه - أن هذا إذا كانت معه «منك» بمنزلة «أحمر» لأنه إنما كَمَلَ أن يكون نَعْتًا بـ «منك»، وأحمر لا يحتاج إليها، فهو مع «منك» بمنزلة «أحمر» وحده، قال: والدليل على أن «منك» ليست بمانعة من الصرف أنه إذا زال عن بناء «أفعل» انصرفت، نحو قولك: - مررتُ بخيرٍ منك، وشرٌّ منك، فلو كانت «منك» هي المانعة لَمَنَعَتْ هنا، فهذا قول بينٌ جدًا.

وقوله: «الْمَرْجَى»، فهو الضعيفُ: يقال: زَجَى فلان حاجتى، أى خَفَّ عليه تَعَجُّيلُها، وَالْمَرْجَاةُ من البضائع: الْيَسِيرَةُ الخفيفة المحمِل. والنَّفْنَفُ وجمعه النَّفَافُ: كلُّ ما كان بين شيئين عالٍ ومنخفض، وقال ذو الرُّمَّة: «فى نَفْنَفٍ يَتَطَوَّحُ» (٢).

وقوله: «ولا عبثًا على من يقاعدُ» فالعبءُ، الثَّقَلُ، يقال حمَل عبثًا ثَقِيلًا، ووَكَّدَهُ بقوله: «ثَقِيلًا»، ولو لم يقله لم يَحْتَجِ إليه.

[لرجل يذكر ابنه]

وقال آخر يذكر ابنه:

أَلَا يَلْسُمِيَّةُ شُبَّى الْوَقُودَا لَعَلَّ اللَّيَالِي تُؤَدِّى يَزِيدَا

(١) سورة المرسلات ١١.

(٢) البيت بتمامه:

ترى قُرْطَهَا فى واضح اللبتِ مُشْرِفًا
على هَلَكٍ فى نفنِفٍ يتطَوَّحُ

وانظر ديوانه ٨٢.

فَنَفْسِي فِدَاؤُكَ مِنْ غَائِبٍ إِذَا مَا الْمَسَارِحُ كَانَتْ جَلِيدًا
كَفَانِي الَّذِي كُنْتُ أَسْعَى لَهُ فَصَارَ أَبَا لِي وَصِرْتُ الْوَلِيدًا
قوله: «شَبَّيْ»، يقال: شَبَّتُ النَّارَ والحَرْبَ إِذَا أَوْقَدْتَهُمَا، ويقال: شَبَّ يَشُبُّ شَبًّا، قال الأعشى:
تُشَبُّ لِمَقْرُورَيْنِ يَصْطَلِيَانَهَا وَبَاتَ عَلَى النَّارِ النَّدَى وَالْمَحَلُّ
وقوله:

* إِذَا مَا الْمَسَارِحُ كَانَتْ جَلِيدًا *

فَالْمَسَارِحُ الطُّرُقُ الَّتِي يَسْرَحُونَ فِيهَا، وَاحِدُهَا مَسْرَحٌ، وَالْجَلِيدُ يَقَعُ مِنَ السَّمَاءِ. وَهُوَ نَدَى فِيهِ جُمُودٌ، فَتَبَيَّضُ لَهُ الْأَرْضُ، وَهُوَ دُونَ الثَّلَجِ، يُقَالُ لَهُ: الْجَلِيدُ، وَالضَّرِيبُ، وَالسَّقِيطُ، وَالصَّقِيعُ.
وقالوا فِي قَوْلِهِ:

* رَجُلًا عَقَابِ يَوْمَ دَجْنٍ تُضْرَبُ *

أَيِ يَصِيبُهَا الضَّرِيبُ.

وقوله: «وَصِرْتُ (١) الْوَلِيدَ»، الْوَلِيدُ (٢): الصَّغِيرُ، وَجَمْعُهُ وَلْدَانُ، وَهُوَ فِي الْقُرْآنِ (٣) وَنَظِيرُ وَكِيدٍ وَوَلْدَانِ ظَلِيمٌ وَظُلْمَانُ، وَقَضِيبٌ وَقَضِيبَانٌ، وَبَابُ «فَعَالٍ فَعْلَانٌ»، نَحْوُ عَقْبَانٍ وَذَبَّانٍ وَغَرَبَانٍ. وَقَوْلُهُمْ: «أَمْرٌ لَا يُنَادَى وَكِيدُهُ»، يُقَالُ فِيهِ قَوْلَانُ يَتَقَارَبَانِ (٤)، فَأَحَدُهُمَا أَنَّهُ لَا يُدْعَى لَهُ الصَّغَارُ، وَالْوَجْهَ الْآخَرَ لِأَصْحَابِ الْمَعَانِي، يَقُولُونَ: لَيْسَ فِيهِ وَكِيدٌ فَيُدْعَى، وَنَظِيرُ ذَلِكَ قَوْلُ النَّابِغَةِ الْجَعْدِيِّ:

سَبَقْتُ صِيَاحَ فَرَارِيحِهَا وَضْرَبَ (٥) نَوَاقِيسَ لَمْ تُضْرَبِ

(١) ر، س: «وَكُنْتُ».

(٢) س: «فَالْوَلِيدُ».

(٣) زِيَادَاتُ ر: «قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: «يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وَلِدَانٌ مُخَلَّدُونَ»» «الْوَاقِعَةُ ١٧»

(٤) ر: «مَتَقَارِبَانِ».

(٥) ر: «وَصَوْتُ».

أى لَيْسَتْ ثَمَّ، ولكنَّ هذا من أوقاتها. وقالت أخت طَرْفَةَ بن العَبْدِ:

عَدَدْنَا لَهُ سِتًّا وَعِشْرِينَ حِجَّةً فَلَمَّا تَوَفَّاهَا أَسْتَوَى سَيِّدًا ضَخْمًا

فُجِعْنَا بِهِ لَمَّا رَجَوْنَا إِيَّاهُ عَلَى خَيْرِ حَالٍ لَا وَلِيدًا وَلَا قَحْمًا

الوليد: ما ذَكَّرْنَا، والقَحْمُ: الرجل المتناهى سنًا، ويقال ذلك فى البعير قَحْمٌ وَقَحْرٌ وَمُقْلَحْمٌ، ويقال للبعير خاصةً: قُحَّارِيَّةٌ، فى وزن (١) قُرَاسِيَّةٌ، وأنشد الأَصْمَعِيُّ:

رَأَيْنَ قَحْمًا شَابَ وَأَقْلَحَمًا طَالَ عَلَيْهِ الدَّهْرُ فَاسْلَهَمًا
المُسْلَهُمُ: الضامر.

[لرجل آخر يرثى ابنه]

وقال آخر لابنه يرثيه:

وَمِنْ عَجَبٍ أَنَّ بَتَّ مُسْتَشْعِرِ الثَّرَى وَبِتُّ بِمَا زَوَّدْتَنِي مَتَمِّعًا

وَلَوْ أَنَّنِي أَنْصَفْتُكَ الْوَدَّ لَمْ أَبِتْ خِلَافَكَ حَتَّى نَنْطَوِي فِي الثَّرَى مَعًا

[الإبراهيم بن عبد الله بن حسن يرثى أخاه]

وقال إبراهيم بن عبد الله بن حسن بن حسن يرثى أخاه محمدًا:

أَبَا الْمَنَازِلِ يَا عَبْرَ الْفَوَارِسِ مَنْ يُفْجَعُ بِمِثْلِكَ فِي الدُّنْيَا فَقَدْ فُجِعَا

اللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي لَوْ خَشِيتُهُمْ أَوْ أَنَسَ الْقَلْبُ مِنْ خَوْفِ لَهُمْ فَرَعَا

لَمْ يَقْتُلُوكَ وَلَمْ أُسْلَمَ أَخِي لَهُمْ حَتَّى نَعِيشَ جَمِيعًا أَوْ نَمُوتَ مَعَا

قوله: «يَا عَبْرَ الْفَوَارِسِ»، يصفه بالقوة منهم وعليهم، كما يقال: ناقة عَبْرُ الْهَوَاجِرِ وَعَبْرُ السَّرَى» (٢).

وقوله:

* أَوْ أَنَسَ الْقَلْبُ مِنْ خَوْفِ لَهُمْ فَرَعَا *

(١) ر: «بوزن».

(٢) عَبْرُ الْفَوَارِسِ، من قولهم: ناقة عَبْرَ أَسْفَارٍ: إذا كانت قوية.

يقول: أَحَسَّ، وأصل الإيناس في العين، يقال: آنستُ شخصاً، أى أبصرتُه من بعد، وفي كتاب الله جلّ وعز: ﴿آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَاراً﴾ (١).

[لمتّم بن نويرة يرثى أخاه]

وقال متّم بن نويرة (٢):

وَقَالُوا: أَتَبْكِي كُلَّ قَبْرِ رَأَيْتَهُ
لَمِيتَ ثَوَى بَيْنَ اللَّوَى والدَكَدَكَ!
فَقُلْتُ لَهُمْ: إِنَّ الْأَسَى يَبْعَثُ الْبُكَاءَ (٣)
ذَرُولِي فَهَذَا كُلُّهُ قَبْرُ مَالِكِ (٤)
الْأَسَى: الحزن، وقد مرّ تفسيره.

[لعلّ بن عبد الله بن العباس يفخر]

وقال على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب رحمة الله ورضوانه عليه:

أَبِي الْعَبَّاسُ قَرُمُ بَنِي قُصَيٍّ
وَأَخْوَالِي الْمُلُوكُ بَنُو وَكِيعَةَ
هُمْ مَنُوعُوا ذِمَارِي يَوْمَ جَاءَتْ
كَتَائِبُ مُسْرِفٍ وَبَنُو اللَّكِيْعَةِ
أَرَادَ بِي الَّتِي لَا عِزَّ فِيهَا
فَحَالَتْ دُونَهُ أَيْدٍ مَنِيْعَةٍ
قوله: «بنو وليعة»، فهم أخواله من كِنْدَةَ، وأُمُّهُ زُرْعَةُ بنت مِشْرِحِ الكِنْدِيَّةِ،
ثم إحدى بنى وليعة.

وقوله: «كتائب مُسْرِفٍ» يعنى مسلم بن عُقْبَةَ المُرِّيَّ صاحبَ الحرّة، وأهل الحجاز يسمونه مسرفاً، وكان أراد أهل المدينة جميعاً على أن يبايعوا يزيد بن معاوية على أن كلّ واحد منهم عبدٌ قن له إلا على بن الحسين، فقال حصين بن نمير السَّكُونِيُّ من كِنْدَةَ: «ولا يبايع ابنُ أختنا على بن عبد الله إلا على ما يبايع عليه على بن الحسين، على أنه ابن عم أمير المؤمنين، وإلا فالحرّ بيننا». فأعفى على بن عبد الله، وقبل منه ما أراد، فقال هذا الشعر لذلك.

(١) سورة القصص ٣٩.

(٢) زيادات ر: «يرثى أخاه»، وفي س قبل هذا البيت:

ومستضحك إذ لم يُصَبِّ كمصيّتي وليس أخو الشَّجْوِ الحزين بضاحك

(٣) ر: «الأسى».

(٤) في س بعد هذا البيت:

ألم تره فئينا يقسم ماله ويأوى إليه مرمّلات الضرائك

وقوله: «بنو اللكيعة»، فهي اللثيمة، ويقال في النداء للثيم: يا لكع، وللأنثى: يالكع، لأنه موضع معرفة. كما يقال: يا فُسقُ ويا حُبثُ، فإن لم تُردْ أن تعدله عن جهنه قلت للرجل: يا ألكع، وللأنثى يالكعاء، وهذا موضع لا تقع فيه النكرة، وقد جاء في الحديث - والأصل ما ذكرت لك -: «لا تقوم الساعة حتى يلى أمر^(١) الناس لكع ابن لكع»، فهذا كناية عن اللثيم ابن اللثيم، وهذا بمنزلة «عمر» ينصرف في النكرة، ولا ينصرف في المعرفة. ولكع يُبنى على الكسر، وسنشرح باب «فعال» للمؤنث على وجوهه الأربعة عند أول ما يجرى من ذكره إن شاء الله، وقد اضطرر الحطيط فذكر «لكع» في غير النداء، فقال يهجو امرأته:

أَطَوَّفَ مَا أَطَوَّفَ ثُمَّ آوَى إِلَى بَيْتٍ قَعِيدَتُهُ لِكَاعٍ

قعيدة البيت: ربة البيت، وإنما قيل قعيدة لقعودها وملازمتها، ويقال للفرس قعدة من هذا، وهو الذي يرتبطه صاحبه فلا يفارقه، قال الجعفي:

لَكِنْ قَعِيدَةُ بَيْتِنَا مَجْفُوءَةٌ بَادٍ جَنَاجِنُ صَدْرِهَا، وَلَهَا غِنَى
الجنَاجِنُ: ما يظهر عند الهزال من أطراف ضلوع الصدر، واحداها جِنَجِنٌ.

[لهشام أخى ذى الرمة]

وقال هشام أخو ذى الرمة:

تَعَزَّيْتُ عَنْ أَوْفَى بَغِيلَانَ بَعْدَهُ عِزَاءً، وَجَفَنُ الْعَيْنِ بِالْمَاءِ مُتَرَعٍ
وَلَمْ تُنْسِنِي أَوْفَى الْمُصِيبَاتِ بَعْدَهُ وَلَكِنْ نَكَ الْقَرْحَ بِالْقَرْحِ أَوْجَعُ

غِيلَانُ: هو ذو الرمة، وكان هشام من عُقَلَاءِ الرجال. حدثني العباس بن الفرَج في إسناده له^(٢) يعزوه إلى رجل أراد سفراً، فقال: قال لى هشام بن عتبة. إِنَّ لِكُلِّ رُفْقَةٍ كَلْبًا يَشْرِكُهُمْ فِي فَضْلَةِ الزَادِ، وَيَهْرُ دُونَهُمْ، فَإِنْ قَدَّرْتَ أَلَّا تَكُونَ كَلْبَ الرُّفْقَةِ فَافْعَلْ، وَإِيَّاكَ وَتَأْخِيرَ الصَّلَاةِ عَنْ وَقْتِهَا، فَإِنَّكَ مُصَلِّئُهَا لَا مُحَالَةَ، فَصَلِّهَا وَهِيَ تُقْبَلُ مِنْكَ.

(١) ر، س: «أمور الناس».

(٢) ر، س: «في إسناده ذكره».

[لجسان بن ثابت الأنصاري في لهوه]

وقال حسان بن ثابت الأنصاري:

تَقُولُ شَعَثًا (١) لَوْ صَحَوْتَ عَنِ الْكَأْسِ لَأَصْبَحْتَ مَثْرَى الْعَدَدِ
أَهْوَى حَدِيثَ النَّدْمَانِ فِي فَلَقِ الصُّبْحِ وَصَوْتَ الْمُسَامِرِ الْغَرْدِ
لَا أَخْدَشُ الْخَدَشَ بِالْجَلِيسِ وَلَا يَخْشَى نَدِيمِي إِذَا انْتَشَيْتُ يَدِي
يَأْبَى لِي السَّيْفُ وَاللِّسَانُ وَقَوْ مُمْ لَمْ يُضَامُوا كِلْبِدَةَ الْأَسَدِ
لِبِدَةِ الْأَسَدِ: مَا يَتَّطَارِقُ مِنْ شَعْرِهِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ، ويقال: أَسَدٌ ذُو لِبْدَةٍ وَذُو لِبْدٍ.

[لجربير في مرضه حين عاينته قيس]

وحدثني عمارة قال: مرض جربير مَرَضَةً شَدِيدَةً، فعادته قيس، فقال:
نَفْسِي الْفِدَاءُ لِقَوْمٍ زَيَّنُوا حَسْبِي وَإِنْ مَرَضْتُ فَهُمْ أَهْلِي وَعَوَادِي
لَوْ خِفْتُ لَيْثًا أَبَا شِبْلَيْنِ ذَا لِبْدٍ مَا أَسْلَمُونِي لِلنِّيثِ الْغَابَةِ الْعَادِي
إِنْ تَجَرَّ طَيْرٌ بِأَمْرٍ فِيهِ عَافِيَةٌ أَوْ بِالرَّحِيلِ فَقَدْ أَحْسَنْتُمْ زَادِي

[لعبد الرحمن بن ثابت يهاجي عبد الرحمن بن الحكم]

وقال عبد الرحمن بن حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام، وهو يهاجي
عبد الرحمن بن الحكم بن أبي العاصي بن أمية بن عبد شمس:

فَأَمَّا قَوْلُكَ: الْخُلَفَاءُ مِنَّا فَهُمْ مَنَعُوا وَرِيدَكَ مِنْ وَدَاجِي
وَكَوْلَاهُمْ لَكُنْتَ كَحَوْتَ بَحْرِ هَوَى فِي مُظْلِمِ الْغَمَرَاتِ دَاجِ
وَكُنْتَ أَذَلَّ مِنْ وَتِدِ بَقَاعِ يُشَجِّجُ رَأْسَهُ بِالْفَهْرِ وَاجِي (٢)

فكتب معاوية إلى مروان أن يؤدبهما وكانا تقاذفا، فَضَرَبَ عبد الرحمن بن
حسان ثمانين، وَضَرَبَ أخاه عشرين، فَقِيلَ لعبد الرحمن بن حسان: قد
أمكنك في مروان ما تريد، فَأَنْشَدَ بذكره، وَارْفَعَهُ إِلَى مُعَاوِيَةَ، فقال: إِذَا وَاللَّهِ

(١) زيادات ر: «هي امرأته، وهو اسمها».

(٢) الفهر: الحجر الذي يملأ الكف.

لا أفعل، وقد حدثني كما تُحدِّث الرجالُ الأحرارُ، وجعل أخاه كنصف عبد. فأوجعه بهذا القول.

ويروى أن عبد الرحمن بن حسان لسعه زُبُورٌ فجاء أباه يبكي، فقال له: مالك؟ فقال: لسعني طائرُ كأنه مُلْتَفٌّ في بُردَى حَبْرَةٍ. قال: قلتَ والله الشعرَ.

ويروى أن معلّمه عاقب صبيانا^(١) على ذنبٍ وأرادَه بالعقوبة، فقال:

اللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ مُتَّبِعًا فِي دَارِ حَسَّانٍ أَصْطَادُ الْيَعَاسِيَّ
وَأَعْرَقُ قَوْمٍ كَانُوا فِي الشَّعْرِ آلُ حَسَّانٍ، فَإِنَّهُمْ كَانُوا يَعْتَدُونَ سِتَّةً فِي نَسَقٍ
كُلُّهُمْ شَاعِرٌ، وَهُمْ سَعِيدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حَسَّانٍ بْنِ ثَابِتِ بْنِ الْمُنْذِرِ بْنِ حَرَامٍ،
وَبَعْدَ هَؤُلَاءِ فِي الْوَقْتِ آلُ أَبِي حَفْصَةَ، فَإِنَّهُمْ أَهْلُ بَيْتِ كُلِّهِمْ شَاعِرٌ، يَتَوَارَثُونَهُ
كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ.

ويروى أن ابنة لابن الرِّقَّاعِ وقفَ بباب أبيها قوم يسألون عنه، فقالت:
ما تريدون؟ فقالوا: جئنا لِنُهَاجِيَهُ، فقالت وهي صَبِيَّةٌ:

تَجْمَعْتُمْ مِنْ كُلِّ أَوْبٍ وَوَجْهَةٍ عَلَى وَاحِدٍ لَا زِلْتُمْ قِرْنَ وَاحِدٍ
فَهَذِهِ بَلِغَتْ بِطَبْعِهَا عَلَى صِغَرِهَا مَبْلَغَ الْأَعْشَى فِي قَلْبِ هَذَا الْمَعْنَى، حَيْثُ
يَقُولُ لِهَوْدَةَ بْنِ عَلِيٍّ:

يَرَى جَمْعَ مَا دُونَ الثَّلَاثِينَ قُصْرَةً وَيَعْدُو عَلَى جَمْعِ الثَّلَاثِينَ وَاحِدًا

(١) ر: «الصبيان».

باب

[نبذ من كلام الحكماء]

قال أبو العباس: قال عمر بن الخطاب رحمه الله^(١): عَلِّمُوا أَوْلَادَكُمْ الْعَوْمَ وَالرَّمَايَةَ، وَمُرُوهُمْ فَلْيَثْبُؤُوا عَلَى الْخَيْلِ وَثَبًّا، وَرَوُّهُمْ مَا يَجْمَلُ مِنَ الشَّعْرِ. وفي حديث آخر: وَخَيْرُ الْخَلْقِ لِلْمَرْأَةِ الْمَغْزَلُ.

ويروى عن الشَّعْبِيِّ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْعَبَّاسِ، قَالَ لِي أَبِي: يَا بُنَيَّ، إِنِّي أَرَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ اخْتَصَّكَ دُونَ مَنْ تَرَى مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، فَاحْفَظْ عَنِّي ثَلَاثًا: لَا يُجَرِّبَنَّ عَلَيْكَ كَذِبًا، وَلَا تَغْتَبَّ عِنْدَهُ مُسْلِمًا، وَلَا تُفْشِئَنَّ لَهُ سِرًّا، قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ: يَا أَبَاهُ، كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا خَيْرٌ مِنْ أَلْفٍ، فَقَالَ: كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا خَيْرٌ مِنْ عَشْرَةِ أَلْفٍ.

وحدثني العباس بن الفرج في إسناد ذكره قال: نُظِرَ إِلَى عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ عَلَى بَغْلَةٍ قَدْ شَمِطَ^(٢) وَجْهَهَا هَرَمًا، فَقِيلَ لَهُ: أَتَرْكَبُ هَذِهِ وَأَنْتَ عَلَى أَكْرَمِ نَاحِرَةٍ بِمَصْرَ؟ فَقَالَ: لَا مَلَلَ عِنْدِي لِدَابَّتِي مَا حَمَلْتُ رَجُلِي، وَلَا لَامِرَاتِي مَا أَحْسَنْتُ عِشْرَتِي، وَلَا لَصَدِيقِي مَا حَفِظَ سِرِّي، إِنْ الْمَلَلَ مِنْ كَوَاذِبِ الْأَخْلَاقِ.

قوله: «على أكرم ناخرة» يريد الخيل، يقال للواحد ناخرة، وقيل: ناخرة، يراد جماعة، كما تقول: رجل بغال وحمار، والجماعة البغالة والحمارة، وكذلك تقول: أتنى عصابة نبيلة، وقبيلة شريفة، والواحد نبيل وشريف.

[في مشاورة معاوية عمرو بن العاص في أمر عبد الله بن هاشم بن عتبة]

وشاور معاوية عمرًا في أمر عبد الله بن هاشم بن عتبة بن مالك بن أبي وقاص - وكان هاشم بن عتبة أحد فرسان^(٣) علي رحمه الله - فأثنى بابنه معاوية، فشاور عمرًا فيه، فقال: أرى أن تقتله، فقال له معاوية: إنني لم أر في العفو إلا خيرًا، فمضى عمرو مغضبًا، وكتب إليه:

(١) ر، س: «رضي الله عنه».

(٢) شمط وجهها: أبيض.

(٣) زيادات ر: «وهو المرقال».

أَمَرْتُكَ أَمْرًا حَازِمًا فَعَصَيْتَنِي
 أَلَيْسَ أَبُوهُ يَا مُعَاوِيَةُ الَّذِي
 فَقَتَلْنَا حَتَّى جَرَى مِنْ دِمَائِنَا
 وَهَذَا ابْنُهُ، وَالْمَرْءُ يُشَبِّهُ عَيْصَهُ (٣)
 وَكَانَ مِنَ التَّوْفِيقِ قَتْلُ ابْنِ هَاشِمٍ
 أَعَانَ عَلِيًّا (١) يَوْمَ حَزِّ الْغَلَاصِمِ (٢)
 بِصِفِّينَ أَمْثَالُ الْبُحُورِ الْخَضَارِمِ
 وَيُوشِكُ أَنْ تُلْفَى (٤) بِهِ جِدَّ نَادِمٍ

فبعث معاوية بأبياته إلى عبد الله بن هاشم، فكتب إليه عبد الله بن هاشم:
 مُعَاوِيَ إِنْ الْمَرْءَ عَمْرًا أَبَتْ لَهُ
 يَرَى لَكَ قَتْلِي يَا بَنَ هِنْدٍ وَإِنَّمَا
 عَلَى أَنَّهُمْ لَا يَقْتُلُونَ أَسِيرَهُمْ
 فَإِنْ تَعَفُّ عَنِّي تَعَفُّ عَنْ ذِي قَرَابَةٍ
 فَصَفَحَ عَنْهُ.
 ضَعِيفَةٌ خَبَّ غِشُّهَا غَيْرُ نَائِمٍ
 يَرَى مَا يَرَى عَمْرُو مُلُوكِ الْأَعَاجِمِ
 إِذَا كَانَ مِنْهُ بَيْعَةٌ لِلْمُسَالِمِ
 وَإِنْ تَرَقَّتْ لِي تَسْتَحِلَّ مَحَارِمِي

[من كلام عمرو بن العاص لعائشة]

وقال عمرو لعائشة رحمة الله عليهما (٥): لَوَدِدْتُ أَنَّكَ كُنْتَ قُتِلْتَ يَوْمَ
 الْجَمَلِ! فَقَالَتْ: وَلِمَ لَا أَبَالُكَ؟ فَقَالَ: كُنْتُ تَمُوتِينَ بِأَجْلِكَ، وَتَدْخُلِينَ الْجَنَّةَ،
 وَنَجْعُكَ أَكْبَرُ التَّشْنِيعِ عَلَى عَلِيٍّ.

[ما قاله عمرو بن العاص حين احتضر]

وحدثني العباس بن الفرج الرِّياشِيُّ في إسناده ذكره، آخره «ابن عباس»،
 قال: دخلت على عمرو بن العاص وقد احتضر، فدخل عليه عبد الله بن عمرو
 فقال له: يَا عَبْدَ اللَّهِ، خُذْ ذَلِكَ الصُّنْدُوقَ، فَقَالَ: لَا حَاجَةَ لِي فِيهِ (٦)، قَالَ: إِنَّهُ
 مَمْلُوءٌ مَالًا، قَالَ: لَا حَاجَةَ لِي بِهِ، فَقَالَ عَمْرُو: لَيْتَهُ مَمْلُوءٌ بَعْرًا! قَالَ: فَقُلْتُ:

(١) كذا في الأصل، س. وفي ر: «علينا».

(٢) الغلاصم: الخلاقيم.

(٣) العيص: الأصل.

(٤) ر: «تلقى» بالقاف.

(٥) ر: «رحمها الله».

(٦) س: «به».

يا أبا عبد الله، إنك كنت تقول: أشتهى أن أرى عاقلاً يموت حتى أسأله كيف يجد؟ فكيف تجدك؟ قال: أجد السماء كأنها مُطَبَّقة على الأرض وأنا بينهما، وأراني كأنما أتنفس من خَرَتِ إبرة، ثم قال: اللهم خذْ مني حتى تَرْضَى. ثم رفع يديه فقال: اللهم أَمَرْتُ فَعَصَيْتُ، وَنَهَيْتُ فَرَكِبْتُ، فلا برىءُ فأَعْتَذِرُ، ولا قوَى فأنتصر، ولكنه لا إله إلا الله ثلاثاً، ثم فاض.

وقد روينا هذا الخبر من غير ناحية الرياشي بأتم^(١) من هذا، ولكن^(٢) اقتصرنا على هذا لثقة إسناده.

قوله: «من خَرَتِ إبرة»، يعنى من ثَقُبِ إبرة، يقال للدليل: خَرِيت، وزعم الأصمعي أنه أريد به أن يَهْتَدَى لمثل خُرَتِ الإبرة.

وقوله: «فاظ»، أى مات، يقال: فاذ، وفطس، وفاز، وفوز، كل ذلك فى معنى الموت، ولا يقال: بالضاد إلا للإناء، قال رؤية^(٣):

* لَا يَدْفِنُونَ مِنْهُمْ مَنْ فَازًا *

وقال ابن جرير: «أما رَأَيْتَ الْمَيِّتَ حِينَ فَوْظِهِ!»

ومن قال ذلك للنفس قال: فاضت نفسه، يشبهها بالإناء.

وحدثني أبو عثمان المازني - أحسبه عن أبي زيد - قال: كلُّ العرب يقولون: فاضت نفسه إلا بنى ضبة فإنهم يقولون: فاضت نفسه، وإنما الكلام الصحيح، فاض - بالطاء - إذا مات.

وفى الحديث أن امرأة سلام بن أبي الحقيق قالت: فاض، وإله يهود.

[نبذة من أقوال الحكماء]

وحدثني مسعود بن بشر قال: قال زياد: الإمرة تُذهِبُ الحَفِظَةَ، وقد كانت من قومٍ إلى هَنَاتٍ جعلتها تحت قدمي، ودبر أذنى، فلو بلغنى أن أحدكم قد أخذه

(١) س: «أتم».

(٢) س: «ولكن».

(٣) قبله:

* والأزد أمسى شلوهم لفاظا *

وانظر اللسان (فيظ).

السُّلُّ مِنْ بُغْضِي مَا هَتَكْتُ لَهُ سِتْرًا وَلَا كَشَفْتُ لَهُ قِنَاعًا حَتَّى يُبْدِيَ لِي عَنْ صَفَحَتِهِ، فَإِذَا فَعَلَ لَمْ أَنَاظِرْهُ.

وسمع زيادٌ رجلاً يسبُّ الزمانَ فقال: لو كان يدري ما الزمانُ لَضَرَبْتُ عُنُقَهُ، إن الزمان هو السلطان.

وفى عهدِ أردشير: وقد (١) قال الأولون منّا: عدلُ السلطان أنفعُ للرعية من خصبِ الزمان.

وقال المهلبُ بن أبي صفرةَ لبنيه: إِذَا وَلَيْتُمْ فَلَيْنُوا لِلْمُحْسِنِ، واشتدوا على المريب، فإن الناس للسلطان أهيبُ منهم للقرآن.

وقال عثمان بن عفانَ رضى الله عنه: إن الله ليزعُ بالسلطان ما لا يزعُ بالقرآن.

قوله: «يَزَعُ» أى يَكْفُ، يقال: وَزَعَ يَزَعُ إِذَا كَفَ، وكان أصله «يَزَعُ» مثل يَعدُ فذهبت الواو لوقوعها بين ياء وكسرة، وأُتْبِعَتْ حروفُ المضارعة الياءَ لثلاثاً يختلفُ الباب، وهى الهمزة، والنون، والتاء، والياء، نحو أَعَدُّ، وَنَعَدُّ، وَتَعَدُّ، وَيَعَدُّ، ولكن انفتحت فى «يَزَعُ» من أجل العين؛ لأن حروفَ الحلق إِذَا كُنَّ فى موضع عين الفعل أو لامه فُتَحْنَ فى الفعل الذى ماضيه «فَعَلَ»، وإن وقعت الواو مما هى فيه فاءً فى «يَفْعَلُ» المفتوحة العين فى الأصل صَحَّ الفَعْلُ، نحو: وَحَلَ يَوْحَلُ، وَوَجَلَ يَوْجَلُ، ويجوز فى هذه المفتوحة ياحَلُ وياجَلُ وَيِيحَلُ وَيِيَجَلُ، وكل هذا كراهية للواو بعد الياء، تقول: وَزَعْتُ: كَفَفْتُ، وأوزعته: حملته على ركوب الشيء وهَيَّأته له، وهو من الله عزَّ وجل توفيق، ويقال: أَوْزَعَكَ اللهُ شكره، أى وفقك له.

وقال الحسن مرةً: ما حاجة هؤلاء السلاطين إلى الشرط؟ فلما وكى القضاء كَثُرَ عليه الناس، فقال: لا بُدَّ للسلطان (٢) من وَزَعَةٍ.

(١) س: «قد» بحذف الواو.

(٢) ر، س: «للناس».

[خطبة الحجاج في أهل العراق]

وخطب الحجاج بن يوسف ذات يوم، يوم الجمعة، فلما تَوَسَّطَ كلامه سمع تكبيراً عالياً من ناحية السوق، فقطع خطبته التي كان فيها، ثم قال: يا أهل العراق، ويا أهل الشقاق، ويا أهل النفاق، وسيئ الأخلاق، يا بني اللكيعة، وعبيد العصا، وأولاد الإماء، إني لأسمع تكبيراً ما يراد الله به، إنما يراد به الشيطان، وإن مثلي ومثلكم قول ابن بَرَّاقَةَ الهمداني:

وَكُنْتُ إِذَا قَوْمٌ رَمَوْنِي رَمَيْتَهُمْ فَهَلْ أَنَا فِي ذَا يَالِ هَمْدَانَ ظَالِمُ!
مَتَى تَجْمَعُ الْقَلْبَ الذِّكْيَ وَصَارِمًا وَأَنْفًا حَمِيًّا تَجْتَنِبُكَ الْمَظَالِمُ

[ثم نزل فصلي بهم] (١).

قوله: «يا أهل الشقاق»، فالمشاقَّةُ المعادة، وأصله أن يَرْكَبَ ما يَشْقُ عليه، وَيُرْكَبَ منه مثل ذلك. والنفاق أن يُسَرَّ خلاف ما يُبْدِي، هذا أصله، وإنما أُخِذَ من النافقاء، وهو أحد أبواب جُحْرِ اليربوع، وذلك أنه أخفاها فإِذَا يَظْهَرُ من غيره، ولجُحْرِه أربعة أبواب: النافقاء، والراهطاء، والدأماء والساياء، وكلُّها ممدودة، ويقال للساياء: القاصعاء، وإِذَا قِيلَ له الساياء لأنه لَا يُنْفَذُهُ فَيُبْقَى بينه وبين إنفاذه هَنَّةٌ من الأرض رقيقة، وأُخِذَ من ساياء الولد، وهى الجلدة الرقيقة التي يخرج فيها الولد من بطن أمه، قَالَ الْأَخْطَلُ يَضْرِبُ ذَلِكَ مَثَلًا لِيَرْبُوعِ بْنِ حَنْظَلَةَ لِأَنَّهُ سُمِّيَ بِالْيَرْبُوعِ:

تُسَدُّ الْقَاصِعَاءُ عَلَيْكَ حَتَّى تُنْفَقَ أَوْ تَمُوتَ بِهَا هُزَالًا (٢)

والعرب تزعم أنه ليس من ضَبٍّ إِلَّا وَفِي جُحْرِهِ عَقْرَبٌ، فهو لَا يَأْكُلُ وَلَدَ الْعَقْرَبِ، وهى لَا تَضْرِبُهُ فَهِيَ مُسَالِمَةٌ لَهُ وَهُوَ مُسَالِمٌ لَهَا، وَأَنشَدَ (٣):

(١) تكملة من ر.

(٢) تنفق: تخرج من نافقائه.

(٣) زيادات ر: «كلها بالمد، ويقال بالقصر، ويقال أيضا فيها على وزن فعلة [بضم الفاء وفتح العين] نفقة ورهطة ودمة وقصة.

وحكى ابن القوطية فى المقصور والممدود له الرهطاء كالراهطاء، والنفقاء كالنافقاء، والقصعاء كالقاصعاء.

وَأَخَذَ مِنْ ضَبِّ إِذَا خَافَ حَارِشًا^(١) أَعَدَّ لَهُ لَهُ عِنْدَ الذَّنَابَةِ عَقْرًا
 وقوله: «بنو اللكيعة» يريد اللثيمة، وقد مرَّ تفسير هذا في موضعه، قال ابن
 قيس الرقيات يذكر قتل مُصْعَبِ بْنِ الزُّبَيْرِ^(٢):

إِنَّ الرِّزْيَةَ يَوْمَ مَـــــــسْ
 بَابِنَ الْحَوَارِيِّ الَّذِي
 غَدَرَتْ بِهِ مُضَرُّ الْعِرَا
 قِ، وَأَمَكَنْتُ مِنْهُ رَبِيعَهُ
 فَأَصَبْتُ وَتَمَرَكْتُ يَا رَبِيعَ
 وَكُنْتُ سَامِعَةً مُطِيعَةً
 يَا لَهْفٍ لَوْ كُنْتُ لَهُ
 بِالطَّفِّ يَوْمَ الطَّفِّ شِيعَةً !
 أَوْ لَمْ يَخُونُوا عَهْدَهُ
 أَهْلُ الْعِرَاقِ بَنُو اللَّكِيْعَةِ
 لَوَجَدْتُمُوهُ حِينَ يَغْضَبُ لَا يَعْزُجُ بِالْمُضِيعَةِ^(٤)

وقوله: «عبيد العصا»، يريد أنهم لا ينقادون إلا بالإذلال^(٥)، كما قال ابن
 مفرع الحميري:

الْعَبْدُ يُقْرَعُ بِالْعَصَا
 وَالْحُرُّ تَكْفِيهِ الْمَلَامَةُ
 وقال جرير يهجو التيم:

أَلَا إِنَّمَا تَيْمٌ لِعَمْرٍو وَمَالِكٍ
 عَبِيدُ الْعَصَا لَمْ يَرْجُ عِتْقًا قَطِينُهَا

= وحكى أيضا زيادة فقال: العاتقاء، جحر الأرنب واليربوع، والغايباء أيضا جحرة اليربوع. وأما قول أبي
 العباس في الساياء، فهو مما قد ورد عليه فيه، وقد تبعه ابن ولاد، وكلاهما غير مصيب، وإنما
 الساياء وعاء فيه ماء صاف يخرج مع الولد وهو الفقء، وليس يخرج الولد فيه وقال
 الكميت:

وَفَقًّا فِيهَا الْغَيْثُ مِنْ سَابِيَائِهِ دَوَالِحَ وَافِقِنَ النُّجُومِ الْبَوَاجِيسَا
 فشبّه ماء الغيث بماء الساياء وإنما الجلدة التي يكون فيها الولد الغرس، وقد تبع ابن القوطية أبا العباس
 في الساياء في أنه من أسماء جحر اليربوع، وذلك غلط.

(١) الحارث: صائد الضباب.

(٢) قتل مصعب بن الزبير سنة ٧٢، قتله عبد الملك بن مروان بموضع يقال له مسكن على نهر جيل.
 والأبيات في معجم البلدان. (٥٤:٨).

(٣) الحواري في الأصل: الناصر، ويريد به الزبير بن العوام.

(٤) روايته في معجم البلدان:

لَوَجَدْتُمُوهُ حِينَ يَغْ
 دُو لَا يَعْزُسُ بِالْمُضِيعَةِ
 (٥) ر: «يريد أنهم لا ينقادون إلا بالإذلال».

[من كلام ابن الأشعث حين ظهور الحجاج عليه]

وخطَبَ النَّاسَ عبد الرحمن بن محمد الأشعث بالمربد عند ظهور أمر الحجاج عليه فقال: أيها الناس، إنه لم يبق من عدوكم إلا كما يبقى من ذنب الوزغة، تضرب به يمينا وشمالا فلا تلبث أن تموت. فسمعه رجل من بنى قشير ابن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة فقال: قبح الله هذا: يأمر أصحابه بقتل الاحتراس من عدوهم ويعدّهم الغرور!

[كلام عرار بن شأس لعبد الملك حينما حمل إليه رأس ابن الأشعث]

وروت الرواة أن الحجاج لما أخذ رأس ابن الأشعث وجهه به إلى عبد الملك ابن مروان مع عرار بن عمرو بن شأس الأسدي - وكان أسود دميما - فلما ورد به عليه جعل عبد الملك لا يسأل عن شيء من أمر الواقعة^(١) إلا أنبأه به عرار، في أصح لفظ، وأشيع قول، وأجزا اختصار، فشفاه من الخبر، وملا أذنه صوابا - وعبد الملك لا يعرفه، وقد اقتحمته عينه حيث رآه - فقال متمثلا:

أَرَادَتْ عِرَارًا بِالْهَوَانِ وَمَنْ يُرِدْ لَعَمْرِي عِرَارًا بِالْهَوَانِ فَقَدْ ظَلَمَ^(٢)
وَأَنَّ عِرَارًا إِنْ يَكُنْ غَيْرَ وَاضِحٍ فَإِنِّي أَحِبُّ الْجَوْنَ ذَا الْمَنْكِبِ الْعَمَمِ
فقال له عرار: أتعرفني يا أمير المؤمنين؟ قال: لا، قال: فأنا والله عرار، فزاده في سروره، وأضعف له الجائزة.

[كتاب صاحب اليمن إلى عبد الملك في وقت محاربته ابن الأشعث]

وكتب صاحب اليمن إلى عبد الملك وقت محاربته ابن الأشعث: إني قد وجهت إلى أمير المؤمنين بجارية اشتريتها بمال عظيم لم ير مثلها قط، فلما دخل بها عليه رأى وجهها جميلا، وخلقا نبيلًا، فألقى إليها قضيبا كان في يده، فنكست لتأخذه، فرأى منها جسما بهرًا، فلما هم بها أعلمه الأذن أن رسول الحجاج بالباب، فأذن له، ونحى الجارية، فأعطاه كتابا من عبد الرحمن، فيه سطور أربعة:

سَائِلُ مُجَاوِرِ جَرَمٍ: هَلْ جَنَيْتُ لَهَا حَرْبًا تُزِيلُ بَيْنَ الْجَبْرِ الْخُلُطِ!^(٣)

(١) ر: «الوقعة».

(٢) البيتان لعمرو بن شأس، وانظر ديوان الحماسة لأبي تمام - بشرح التبريزي ١: ٢٧٢.

(٣) نسب أبو الفرج هذه الأبيات إلى وعلة الجرمي، وانظر الأغاني ١٩: ١٤٠.

وهلْ سَتَمَوْتُ بِجَرَّارٍ لَهُ لَجَبٌ
 جَمَّ الصَّوَاهِلِ بَيْنَ الْجَمِّ وَالْفُرْطِ !
 وهلْ تَرَكْتُ نِسَاءَ الْحَيِّ ضَاحِيَةً
 فِي سَاحَةِ الدَّارِ يَسْتَوْقِدْنَ بِالْغُبُطِ !
 وتحتها (١):

قَتَلَ الْمَلُوكَ وَسَارَ تَحْتَ لَوَائِهِ شَجَرُ الْعُرَى وَعَرَاعِرُ الْأُقُومِ
 قال: فكتب إليه عبد الملك كتابا، وجعل في طيه جوابا لابن الأشعث:
 مَا بَالُ مَنْ أَسْعَى لِأَجْبَرِ عَظْمَةٍ حِفَاطًا وَيَنُوي مِنْ سَفَاهَتِهِ كَسْرِي! (٢)
 أَظُنُّ خُطُوبَ الدَّهْرِ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ سَتَحْمِلُهُمْ مِنِّي عَلَى مَرَكَبٍ وَعَرٍ
 وَإِنِّي وَإِيَّاهُمْ كَمَنْ نَبَهَ الْقَطَا وَلَوْ لَمْ تُنَبَّهُ بَاتَتْ الطَّيْرُ لَا تَسْرِي
 أَنَاةً وَحِلْمًا وَأَنْتِظَارًا بِهِمْ غَدًا فَمَا أَنَا بِالْوَانِي وَلَا الضَّرْعَ الْغَمْرِ
 وينشد: «بالفاني». ثم يَقلُّ كَفَّ الجارية ويقول: ما أَفَدْتُ فائدةً أَحَبَّ إِلَيَّ
 مِنْكَ، فتقول: فما بالك يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وما يَمْنَعُكَ؟ فقال: [يَمْنَعُنِي] (٣) ما قال
 الْأَخْطَلُ؛ لِأَنِّي إِنْ خَرَجْتُ مِنْهُ كُنْتُ أَلَمَ الْعَرَبِ:

قَوْمٌ إِذَا حَارَبُوا شَدُّوا مَآزِرَهُمْ دُونَ النِّسَاءِ وَلَوْ بَاتَتْ بِأَطْهَارٍ
 فما إِلَيْكَ سَبِيلٌ أَوْ يَحْكُمُ اللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَ عَدُوِّ الرَّحْمَنِ، ابْنُ الْأَشْعَثِ. فلم
 يَقْرَبْهَا حَتَّى قَتَلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ.

قوله: «فرأى منها جسماً بهره»، يقال: بهر الليل إذا سدَّ الأفقَ بظلمته،
 وبهر القمر إذا ملأ الأرض ببهائه، ومن ثم قيل: القمر (٤) الباهر، أنشدني المازنيُّ
 لرجل من بني الحارث بن كعب:

وَالْقَمَرُ الْبَاهِرُ السَّمَاءَ لَقَدْ زُرْنَا هَلَالًا بِجَحْفَلٍ لَجِبِ

(١) زيادات ر: «بيت آخر على غير الروى من الأبيات الأولى، وهو». والبيت لهلhel بن ربيعة، وانظر اللآلي ٣٤١.

(٢) الأبيات للحارث بن ولة الجرمي، وانظر اللآلي ٧٥٠.

(٣) تكملة من ر.

(٤) ر: «للقمر».

تَسْمَعُ زَجَرَ الْكِمَاةِ بَيْنَهُمْ: قَدَّمَ، وَأَخَّرَ، وَأَرْحَبِي، وَهَبِي (١)
 مِنْ كُلِّ هِدَاءَةٍ كَعَالِيَةِ الرَُّّوحِ مَحْ أَمُونٍ وَشَيْظَمٍ سَلَبٍ (٢)
 وَقَالَ طُفَيْلُ الْغَنَوِيِّ يَصِفُ كَيْفَ تُزَجَّرُ الْخَيْلُ، فَجَمَعَهُ فِي بَيْتٍ وَاحِدٍ:
 وَقِيلَ أَقْدِمِي وَأَقْدِمِي وَأَخِّ وَأَخِّ وَهَاءَ وَهَاءَ وَهَلَاءَ وَأَضْرَحَ (٣) وَقَادِعُهَا هَبِي
 [قال أبو الحسن: وأج].

وَمِنْ زَجَرِ الْخَيْلِ أَيْضًا: «هَقَبٌ وَهَقَطٌ»، وَأَنْشَدَنِي الْمَازِنِيُّ:
 لَمَّا سَمِعْتُ زَجْرَهُمْ هَقَطٌ عَلِمْتُ أَنَّ فَارِسًا مُنْحَطٌ (٤)
 وَقَوْلُهُ: «بَيْنَ الْجَمِّ وَالْفَرْطِ» هُمَا مَوْضِعَانِ بِأَعْيَانِهِمَا.
 وَقَوْلُهُ:

* فِي سَاحَةِ الدَّارِ يَسْتَوْقِدَنَّ بِالْغَبِطِ *

يُقَالُ فِيهِ قَوْلَانِ مُتَقَارِبَانِ: أَحَدُهُمَا أَنَّهُنَّ قَدْ يَكْسَنَنَّ مِنَ الرِّحِيلِ فَجَعَلَنَّ
 مَرَاكِبَهُنَّ حَطْبًا، هَذَا قَوْلُ الْأَصْمَعِيِّ. وَقَالَ غَيْرُهُ: بَلْ قَدْ مَنَعَهُنَّ الْخَوْفُ مِنَ
 الْإِحْتِطَابِ، وَالْغَبِطُ مِنَ مَرَاكِبِ النِّسَاءِ، وَكَذَلِكَ الْحَدَجُ؛ قَالَ أَمْرُؤُ الْقَيْسِ:
 تَقُولُ وَقَدْ مَالَ الْغَبِطُ بِنَا مَعًا: عَقَرْتُ بَعِيرِي يَا أَمْرَأَ الْقَيْسِ فَانْزِلِ
 فَأَعْلَمُكَ أَنَّ الْغَبِطَ لَهَا، وَالْمَحَامِلَ إِنَّمَا أَوَّلَ مِنْ اتَّخَذَهَا الْحَجَّاجُ، فَفِي ذَلِكَ
 يَقُولُ الرَّاجِزُ:

أَوَّلُ عَبْدٍ عَمِلَ الْمَحَامِلَ أَخْزَاهُ رَبِّي عَاجِلًا وَآجِلًا

وَقَوْلُهُ: «شَجَرُ الْعُرَا» فَالْعُرَا: نَبْتٌ بَعِيْنُهُ إِنْ ضُمَّ الْعَيْنُ، وَالْعُرَاءُ مَمْدُودَا وَجْهِ
 الْأَرْضِ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَنَبْذِ بِالْعُرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾ (٥). وَقَالَ الْهَذَلِيُّ (٦):

(١) أَرْحَبِي، مِنْ أَرْحَبِ الشَّيْءِ إِذَا وَسِعَهُ، وَهِيَ مِنْ قَوْلِهِمْ: هَبْ بِكَسْرِ الْبَاءِ، وَكِلَاهُمَا زَجَرُ لِلْخَيْلِ.

(٢) الْهِدَاءَةُ: الْفَرَسُ الضَّامِرُ. وَالْأَمُونُ: الْوَثِيقَةُ الْخَلْقُ، وَالشَّيْظَمُ: الشَّدِيدَةُ. وَالسَّلَبُ: الطَّوِيلُ.

(٣) ر: «وَأَضْرَحَ».

(٤) زِيَادَاتُ ر: قَالَ الْفَرَاءُ: هَقَطٌ، بِالْكَسْرِ وَالْفَتْحِ، وَيُرْوَى: «مَخْطَطٌ بِدَلِّ مُنْحَطٍ».

(٥) سُورَةُ الْقَلَمِ ٤٩.

(٦) هُوَ أَبُو حَرَّاشٍ، وَابْنُ بَيْتٍ فِي دِيْوَانِ الْهَذَلِيِّينَ ٢: ١٦٨.

رَفَعْتُ رَجُلًا لَا أَخَافُ عِثَارَهَا وَنَبَذْتُ بِالْبَلَدِ الْعَرَاءِ ثِيَابِي
وهذا التفسير والإنشاد عن أبي عبيدة.
وقوله :

* دون النساء ولو باتت بأطهار *

معناه أنه يجتنبها في طهرها، وهو الوقت الذي يستقيم له غشائها فيه، وأهل
الحجاز يَرَوْنَ «الأقراء» الطهر، وأهل العراق يَرَوْنَهُ الحيض، وأهل المدينة يجعلون
عدد النساء الأطهار، ويحتجون بقول الأعشى :

وَفِي كُلِّ عَامٍ أَنْتَ جَاشِمٌ غَزْوَةً تَشُدُّ لَأَقْصَاهَا عَزِيمَ عَزَائِكَ
مُورِثَةً مَالًا، وَفِي الْحَيِّ رَفْعَةً لَمَّا ضَاعَ فِيهَا مِنْ قَرُوءِ نِسَائِكَ

وقوله : «ولو باتت بأطهار»، ف «لو» أصلها في الكلام أن تدل على وقوع
الشيء لوقوع غيره، تقول: لو جئتنى لأعطيتك، ولو كان زيد هناك لضربتُه، ثم
يُتَّسَعُ فتصير في معنى «إن» الواقعة للجزاء، تقول: أنت لا تُكرِّمُنِي ولو أكرمتك،
تريد «وإن» قال الله عز وجل: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ (١)، فأما
قوله عز وجل: ﴿فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ افْتَدَى بِهِ﴾ (٢) فإن
تأويله عند أهل اللغة: لا يُقْبَلَ أن يتبرأ به وهو مقيم على الكفر، ولا يُقْبَلُ إن
افتدى به، ف «لو» في معنى «إن» وإنما منع «لو» أن تكون من حروف المجازاة
فتجزم كما تجزم «إن» أن حروف المجازاة إنما تقع لما لم يقع، ويصير الماضي معها
في معنى المستقبل، تقول: إن جئتنى أعطيتك، وإن قعدت عني زرتك، فهذا لم
يقع، وإن كان لفظ الماضي لما أحدثته فيه «إن». وكذلك متى أتيتني أتيتك، و «لو»
تقع في معنى الماضي، تقول: لو جئتنى أمس لصادفتني، ولو ركبت إلى أمس
لألفيتني، فلذلك خرجت من حروف الجزاء، فإذا أدخلت معها «لا» صار معناها
أن الفعل يمتنع لوجود غيره، فهذا خلاف ذلك المعنى، ولا تقع إلا على الأسماء،
ويقع الخبر محذوفًا لأنه لا يقع فيها الاسم إلا وخبره مدلول عليه، فاستغنى عن

(١) سورة يوسف ١٠٧.

(٢) سورة آل عمران ٩١.

ذكره، لذلك تقول: لَوْلَا عَبْدُ اللَّهِ لضربتك، والمعنى فى هذا المكان: من قرابتك، أو صداقتك، أو نحو ذلك، فهذا معناها فى هذا الموضع، ولها موضع آخر تكون فيه على غير هذا المعنى، وهى «لَوْلَا» التى تقع فى معنى «هَلَا» للتخفيض، ومن ذلك قوله: ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ (١)، أى هَلَا، وقال الله عز وجل: ﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَنْبِيَاءُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ﴾ (٢)، فهذه لا يليها إلا الفعل؛ لأنها للأمر والتخفيض، مظهرًا أو مضمّرًا، كما قال (٣):

تَعْدُونَ عَقَرَ النَّيْبِ أَفْضَلَ مَجْدِكُمْ بَنَى ضَوْطَرَى لَوْلَا الْكِمَى الْمَقْنَعَا
أى هلا تعدون الكمى المقنعا، «ولولا» الأولى لا يليها إلا الاسم على ما ذكرت لك، ولابد فى جوابها من اللام أو معنى اللام، تقول: لولا زيدٌ فعلت، والمعنى لفعلت، وزعم سيويه أن «زيدًا» من حديث «لولا» واللام والفعل حديثٌ مُعَلَّقٌ بحديث «لولا»، وتأويله أنه للشرط الذى وجب من أجلها وامتنع لحال الاسم بعدها، و «لو» لا يليها إلا الفعل مضمّرًا أو مظهرًا؛ لأنها تُشاركُ حروف الجزاء فى ابتداء الفعل وجوابه، تقول: لو جئتني لأعطيتك، فهذا ظهور الفعل، وإضماره [قوله عز وجل] (٤): ﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي﴾ (٥)، والمعنى والله أعلم: لو تملكون أنتم، فهذا الذى رَفَعَ «أنتم» ولما أُضْمِرَ ظهر بعده ما يُفسّره، ومثل ذلك: «لَوْ ذَاتُ سِوَارٍ لَطَمَتْنِي» أراد لو لَطَمَتْنِي ذاتُ سِوَارٍ، ومثله (٦):

وَلَوْ غَيْرُ أَخْوَالِي أَرَادُوا نَقِصَتِي جَعَلْتُ لَهُمْ فَوْقَ الْعَرَانِينَ مِيسَمًا

(١) سورة النور ١٢.

(٢) سورة المائدة ٦٣.

(٣) زيادات ر: «نسب لجريز، وقيل للأشهب بن رميلة». والصحيح أن البيت لجريز من قصيدة يهجو فيها الفرزدق، وانظر ديوانه ٢٣٣ - ٢٤٠.

(٤) تكملة من ر.

(٥) سورة الإسراء ١٠٠.

(٦) زيادات ر: «قول التلمس» والبيت فى الأصمعيات ٢٨٧.

وكذلك قول جرير:

لَوْ غَيْرَكُمْ عَلِقَ الزُّبَيْرُ بِحَبْلِهِ أَدَّى الْجَوَارَ إِلَى بَنِي الْعَوَامِ

فَنَصَبَ بفعل مضمر يُفسره ما بعده؛ لأنها للفعل، وهو في التمثيل: لو عَلِقَ الزُّبَيْرُ غيرَكُمْ، وكذلك كلُّ شيءٍ للفعل نحو: الاستفهام، والأمر، والنهي، وحروف الفعل نحو: «إِذْ وَسَوْفَ»^(١) وهذا مشروح في الكتاب «المُقْتَضَبِ» على حقيقة الشرح.

وأما قوله: «وعراعرُ الأقوام» فمعناه رؤوس الأقوام، الواحد عُرْعُرَةٌ، وعُرْعُرَةٌ كلُّ شيءٍ أعلاه، من ذلك كتاب يزيد بن المهلب إلى الحجاج بن يوسف: «وإن العدو نزلوا»^(٢) بعُرْعُرَةِ الجبل، ونزلنا بالحضيض، فقال الحجاج: ليس هذا من كلام يزيد، فَمَنْ هناك؟ قيل: يحيى بن يعمر، فكتب إلى يزيد أن يُشخصه إليه.

[الحجاج ويحيى بن يعمر]

وزعم التَّوَزِيُّ قال: قال الحجاج ليحيى بن يعمر: أَسْمَعُنِي الْخُنْ؟ قال: الأمير أَفْصَحُ مِنْ ذَلِكَ! قال: فأعاد عليه القول وأَقَسَمَ. فقال: نعم، تجعل «أَنَّ» مكان «إِنَّ»، فقال له: أَرْحَلْ عَنِّي وَلَا تَجَاوِرْنِي.

قال أبو العباس: هذا على أن يزيد لم تُؤْخَذَ عليه زَلَّةٌ في لفظ إلا واحدة، فإنه قال على المنبر - وَذَكَرَ عَبْدَ الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطَّاب - فقال: «هذه الضَّبْعَةُ العَرَجَاءُ»، فاعْتَدْتُ عليه لَحَنًا، لأن الأنتى إنما يقال لها الضَّبْعُ، ويقال للذكر الضَّبْعَان. فإذا جُمِعَ قِيلَ ضَبْعَان، وإنما جمع على التأنيث دون التذكير، والباب على خلاف ذلك؛ لأن التأنيث لا زيادة فيه، وفي التذكير زيادة الألف والنون، فَشُئِيَ على الأصل، وأصل التأنيث أن يكون زائداً على بناء التذكير؛ لأنه منه يَخْرُجُ، مثل قائم وقائمة وكريم وكريمة، فمن حيث قُلْتُ لِلأنتى والذكر في التثنية كريمان على حذف الزيادة قلت: ضَبْعَان، وتقول: له ابنان إذا

(١) زيادات ر: «كذا وقع هنا «إِذْ» و «سوف» ولم يذكر سيبويه مع «سوف» إلا «قد» وهو الصحيح.

(٢) ر: «نزل».

أردت: له ابن وابنة، ولا تقول: في الدار رجلان إذا أردت رجلاً وامراً، إلا على قول من قال للأُنثى رَجُلَةً، فقد جاء ذلك، قال الشاعر:

كُلُّ جَارٍ ظَلَّ مُغْتَبِطًا غَيْرَ جِيرَانِي بَنَى جَبَلَهُ
خَرَّقُوا جَيْبَ فَتَاتِهِمْ لَمْ يُيَالُوا حُرْمَةَ الرَّجُلَةِ

ولا يقال للناقة والجمل جَمَلَان، ولا الثَّورَانِ للثور والبقرة^(١)، لاختلاف الاسمين، إنما يكون ذلك فيما ذكرنا إلا في قول من قال للأُنثى: ثَوْرَةٌ، قال الشاعر^(٢):

جَزَى اللَّهَ فِيهَا الْأَعْوَرَيْنِ مَلَامَةً^(٣) وَعَبْدَةً^(٤) ثَفَرَ الثَّوْرَةَ الْمُتَضَاجِمِ^(٥)

[قال أبو الحسن: المتضاجم: المتسع].^(٦)

(١) ر: «ولا يقال للبقرة والثور ثوران».

(٢) هو الأخطل، والبيت في ديوانه ٢٧٧.

(٣) الديوان: «مذمة».

(٤) في الديوان «وفردة».

(٥) ثفر الثورة: فرجها.

(٦) من ر.

باب

[للراعى فى النسيب]

قال أبو العباس: قال الراعى:

وَمُرْسِلٍ وَرَسُولٍ غَيْرِ مُتَّهِمٍ وَحَاجَةٍ غَيْرِ مُزْجَاةٍ مِنَ الْحَاجِ
طَاوَعْتُهُ بَعْدَ مَا طَالَ النَّجْيُ بِنَا وَظَنَّ أَنِّي عَلَيْهِ غَيْرُ مُنْعَاجِ
مَا زَالَ يَفْتَحُ أَبْوَابًا وَيُغْلِقُهَا دُونِي، وَأَفْتَحُ بَابًا بَعْدَ إِرْتَاجِ
حَتَّى أَضَاءَ سِرَاجٌ دُونَهُ بَقَرٌ حَمْرُ الْأُنَامِلِ عَيْنٌ طَرَفُهَا سَاجِ
يَا نَعْمَهَا لَيْلَةٌ حَتَّى تَخُونَهَا دَاعٍ دَعَا فِي فُرُوعِ الصُّبْحِ شَحَاجِ!
لَمَّا دَعَا الدَّعْوَةَ الْأُولَى فَأَسْمَعَنِي أَخَذْتُ بُرْدِيَّ وَاسْتَمَرَرْتُ أَدْرَاجِي

قوله:

* وحاجة غير مزجاة من الحاج *

المزجاة: السيرة الخفيفة المحمل، قال الله عز وجل: ﴿وَجئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ﴾^(١)، والحاج: جمع حاجة، وتقديره فعلة وفعل، كما تقول: هامة وهام، وساعة وساع، قال القطامي:

وَكُنَّا كَالْحَرِيقِ أَصَابَ غَابًا فَيَخْبُو سَاعَةٌ وَيَشُبُّ سَاعًا

فإذا أردت أدنى العدد قلت: ساعات، فأما قولهم: فى جمع حاجة حوائج فليس من كلام العرب على كثرته على ألسنة المولدين، ولا قياس له، ويقال: فى قلبى منك حوَجَاء، أى حاجة، ولو جُمِعَ على هذا لكان الجمع حَوَاجٍ يا فتى، وأصله حَوَاجِيُّ يا فتى، ولكن مثل هذا يُخَفَّفُ، كما تقول فى صحراء: صَحَارٍ يا فتى، وأصله صَحَارِيٌّ.

وقوله:

* طاووعته بعد ما طال النجى بنا *

(١) سورة يوسف ٨٨.

يريد المناجاة، فأخرجه على لفظ «فَعِيل»، ونظيره من المصادر الصهيل،
والنَّهيق، والشَّحيج، ويقال: شَبَّ الفرسُ شَبِيًّا، ولذلك كان «النَّجِيُّ» يقع على
الواحد والجماعة نَعْتًا، كما تقول: امرأةٌ عَدْلٌ ورجلٌ عَدْلٌ وقومٌ عَدْلٌ، لأنه
مصدر، قال الله عز وجل: ﴿وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾^(١)، أى مُنَاجِيًّا، وقال للجماعة:
﴿فَلَمَّا اسْتِأْذَنُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا﴾^(٢) أى مُتَنَاجِينَ.

وقوله «مُنْعَاج»: أى منعطف، يقال^(٣): عَجْتُ عليه، أى عَرَجْتُ عليه،
وعَجْتُ إِلَيْهِ أَعِيج، أى عَوَّلْتُ عليه.

وقوله «بعد إرتاج»: أى بعد إغلاق، يقال: أَرْتَجْتُ البابَ إِرْتَاجًا، أى
أَغْلَقْتُهُ إِغْلَاقًا، ويقال: لَغَلَقَ البابَ الرِّتَاجَ، ويقال للرجل إذا امتنع عليه الكلام
أَرْتَجَ عليه.

وقوله:

* حَتَّى أَضَاءَ سِرَاجٌ دُونَهُ بَقْرٌ *

يعنى نساء، والعربُ تَكْنِي عن المرأة بالبقرة والنَّعْجَة، قال الله عز وجل:
﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً﴾^(٤)، وقال الأعشى:

فَرَمَيْتُ غَفْلَةً عَيْنَهُ عَنْ شَاتِهِ فَأَصَبْتُ حَبَّةَ قَلْبِهَا وَطَحَالَهَا

وقوله: «عَيْنٌ» إنما هو جمع عَيْنَاء، وهى الواسعة العَيْنِ، وتقديره «فُعْلٌ»،
ولكن كُسِرَتِ الْعَيْنُ لِتَصِحَّ الْيَاءِ، ونحو ذلك يَبْضَاءُ وَيَبْضُ، وتقديره حُمْرَاءُ
وَحُمْرٌ، ولو كان من ذوات الواو لكان مضموما على أصل الباب، لأنه لا إخلال
فيه، تقول: سَوْدَاءُ وَسُودٌ، وَعَوْرَاءُ وَعُورٌ.

وقوله: «طرفها ساج» ولم يقل: «أطرافها»؛ لأن تقديرها تقدير المصدر، من
طَرَفْتُ طَرَفًا، وقال الله عز وجل: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ﴾^(٥)

(١) سورة مريم ٥٢.

(٢) سورة يوسف ٨٠.

(٣) ر: «تقول».

(٤) سورة ص ٢٣.

(٥) سورة البقرة ٧.

لأن السمع فى الأصل مصدر. قال جرير:

إِنَّ الْعُيُونَ الَّتِي فِي طَرْفِهَا مَرَضٌ قَتَلْنَا ثُمَّ لَمْ يُحْيَيْنَا قَتْلَانَا
وقوله: «ساج» أى ساكن، وقال الله عز وجل: ﴿وَالضُّحَىٰ * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجًا﴾^(١)، وقال جرير:

وَلَقَدْ رَمَيْتُكَ يَوْمَ رُحْنٍ بِأَعْيُنٍ يَقْتُلْنَ مِنْ خَلَلِ السُّورِ سَوَاجٍ
وقال الراجز:

يَا حَبْذًا الْقَمْرَاءُ وَاللَّيْلُ السَّاجُ وَطَرَقَ مِثْلُ مُلَاءِ النَّسَاجِ
وقوله: «حتى تخونها»: يريد تنقصها، يقال: تخوننى السفَر، أى تنقصنى، والداعى: المؤذن.

وقوله: «شَحَاج»، إنما هو استعارة فى شدة الصوت، وأصله للبلغل، والعرب تستعير من بعض لِبْعُضٍ، قال العَجَّاجُ يَنْعَتُ حِمَارًا:

كَأَنَّ فِيهِ إِذَا مَا شَحَجَا عَوْدًا دَوَيْنَ اللَّهَوَاتِ مُولَجَا
وقال جرير:

إِنَّ الْغُرَابَ بِمَا كَرِهْتَ لَمَوْلَعٌ بَنَوَى الْأَحِبَّةَ دَائِمُ التَّشْحَاجِ
وقوله: «واستمررت أدراجى»: أى فَرَجَعْتُ مِنْ حَيْثُ جِئْتُ، تقول العرب: رجع فلان أدراجَه، وَرَجَعَ فِي حَافِرَتِهِ، وَرَجَعَ عَوْدُهُ عَلَى بَدَنِهِ، وَإِنْ شَتَّ رَفَعْتَ فَقُلْتُ: رَجَعَ عَوْدُهُ عَلَى بَدَنِهِ، أَمَا الرِّفْعُ فَعَلَى قَوْلِكَ: رَجَعَ وَعَوْدُهُ عَلَى بَدَنِهِ، أَى وَهَذِهِ حَالُهُ، وَالنَّصَبُ عَلَى وَجْهَيْنِ: أَحَدُهُمَا أَنْ يَكُونَ مَفْعُولًا كَقَوْلِكَ: رَدَّ عَوْدُهُ عَلَى بَدَنِهِ؛ وَالْوَجْهَ الْآخَرَ أَنْ يَكُونَ حَالًا فِي قَوْلِ سَيِّبِيهِ، لِأَنَّ مَعْنَاهُ رَجَعَ نَاقِصًا مَجِيئُهُ، وَوُضِعَ هَذَا فِي مَوْضِعِهِ، كَمَا تَقُولُ: كَلَّمْتُهُ فَأُهِىَ إِلَى فِىٍّ، أَى مُشَافَهَةً، وَبَايَعْتَهُ يَدًا بَيْدًا، أَى نَقْدًا، وَيَجُوزُ أَنْ تَقُولَ: فُوهُ إِلَى فِىٍّ، أَى وَهَذِهِ حَالُهُ، وَمَنْ نَصَبَ فَمَعْنَاهُ فِي هَذِهِ الْحَالِ.

(١) سورة الضحى ٢، ١.

قال أبو العباس: فأما «بايعته يداً بيد» فلا يكون فيه إلا النصب، لأنك لست تريد بايعته ويد بيد كما كنت تريد في الأول، وإنما تريد النقد، ولا تُبالى: أقربياً كان أم بعيداً.

[لأعرابي يشكو حبيبته]

وقال أعرابي:

شكوتُ فقلتُ: كلُّ هذا تبرُّماً بحُبِّي! أراحَ اللهُ قلبك من حُبِّي
فلما كُتِمْتُ الحُبَّ قلتُ: لشدِّماً صبرتَ وما هذا بفعلٍ شجى القلبِ
وأدثو فتقصيني فأبعدُ طالباً رضاها، فتعدُّ التباعدُ من ذنبي
فشكواي تؤذيها وصبري يسوءها وتجزعُ من بعدى، وتنفرُ من قربى

فيا قوم هل من حيلة تعرفونها؟

أشيروا بها وأستوجبوا الشكر من ربِّي

قوله: «كلُّ هذا تبرُّماً»، مردود على كلامه، كأنها تقول له: أشكوتني كل هذا تبرُّماً! ولو رفع رافعٌ «كلّاً» لكان جيّداً، يكون «كلُّ هذا» ابتداءً (١) وتبرُّم خبره.

«وشجى» مخفف الياء، ومن شدّدها فقد أخطأ، والمثل: «ويلٌ للشجى من الخلى»، والياء في «الشجى» مخففة، وفي «الخلي» مثقلة، وقياسه أنك إذا قلت: فعل يفعل فعلاً، فالاسم منه على فعل؛ نحو: فرق يفرق فرقاً فهو فرق، وحذر يحذر حذراً فهو حذر، وبطر يبطر بطراً فهو بطر، فعلى هذا شجى يشجى شجى فهو شجى يا فتى، كما تقول: هوى يهوى هوى فهو هوى يا فتى.

وقوله:

* فيا قوم هل من حيلة تعرفونها *

موضع «تعرفونها» خفّض؛ لأنه نعت للحيلة وليس بجواب، ولو كان هاهنا شرط يوجب جواباً لا يُجزم، تقول: اتنى بدابة أركبها، أى بدابة مركوبة، فإذا

(١) ر، س: «مبتداً».

أردت معنى: فإنك إن أتيتني بداية ركبته قلت: «أركبها» لأنه جواب الأمر، كما أن الأول جواب الاستفهام، وفي القرآن: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾^(١). أى مُطَهِّرةَ لهم، وكذلك: ﴿أَنْزَلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا﴾^(٢) أى كائنةً لنا عيداً، وفي الجواب: ﴿فَذَرَهُمْ يَخْضُوا وَيَلْعَبُوا﴾^(٣)، أى إن تركوا خاضوا ولعبوا، وأما قوله عز وجل: ﴿ثُمَّ ذَرَهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾^(٤) فإنما هو فذرهم في هذه الحال لأنهم كانوا يلعبون، وكذلك: ﴿وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ﴾^(٥)، إنما هو [لا تمنن]^(٦) مستكثرًا فمعنى ذا: هل من حيلة معروفة عندكم؟

[لأعرابي في الملح]

وقال أعرابي - أنشدني أبو العالية:

أَلَا تَسْأَلُ الْمَكِّيَّ ذَا الْعِلْمِ مَا الَّذِي يَحِلُّ مِنَ التَّقْيِيلِ فِي رَمَضَانَ؟
فَقَالَ لِيَ الْمَكِّيُّ: أَمَّا لِلزَّوْجَةِ فَسَبْعٌ؛ وَأَمَّا خَلَّةٌ فَثَمَانِي
قوله «خلَّة» يريد ذات خلّة، ويكون سَمَاهَا بالمصدر، كما قالت الخنساء:

* فَإِنَّمَا هِيَ إِقْبَالٌ وَإِدْبَارٌ^(٧) *

يجوز أن تكون نعتها بالمصدر لكثرة منها، ويجوز أن تكون أرادت ذات إقبال وإدبار، فحذفت المضاف وأقامت المضاف إليه مقامه، كما قال عز وجل: ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ﴾^(٨) فجائز أن يكون المعنى برّ من آمن بالله، وجائز أن يكون لكنّ ذا البرّ من آمن بالله، والمعنى يؤول إلى شيء واحد.

(١) سورة التوبة ١٠٣.

(٢) سورة المائدة ١١٤.

(٣) سورة الزخرف ٨٣.

(٤) سورة الأنعام ٩١.

(٥) سورة المدثر ٦.

(٦) من ر ، س.

(٧) صدره:

* تَرْتَعُ مَا رَتَعْتُ حَتَّى إِذَا ادَّكَّرْتُ *

(٨) سورة البقرة ١٧٧.

وفى هذا الشعر عيب، وهو الذى يسميه النحويون العطفَ على عاملين، وذلك أنه عطف «خُلَّةً» على اللام الخافضة لزوجة، وعطف «ثمانيا» على «سبع» ويلزم من قال هذا أن يقول: مرَّ عبدُ الله بزيد وعمرُو وخالد، ففيه هذا القبح، وقد قرأ بعضُ القُرَّاء وليس بجائر عندنا: «وَأَخْتَلَفَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفَ الرِّيَّاحِ آيَاتٍ» (١)، فجعل «آيات» فى موضع نصب وخفضها لتاء الجمع فحملها على «إِنَّ» وعطفها بالواو، وعطف «اختلافاً» على «فى»، ولا أرى ذا فى القرآن جائز لأنه ليس بموضع ضرورة، وأنشد سيبويه لعدي بن زيد العبادي (٢):

أَكَلْ أَمْرِي تَحْسَبِينَ أَمْرًا وَنَارٍ تَوْقَدُ بِاللَّيْلِ نَارًا
فَنَعُطِفَ عَلَى «أَمْرِي» وَعَلَى الْمَنْصُوبِ الْأَوَّلِ.

[قال أبو الحسن: وفيه عيب آخر أن «أما» ليست من العطف فى شيء، وقد أجزى «خُلَّةً» بعدها مجراها بعد حرف العطف حملاً على المعنى، فكأنه قال: لزوجة كذا ولخُلَّة كذا].

وقوله: «أما لزوجة» فهذه مفتوحة، وهى التى تحتاج إلى خبر، ومعناها: إذا قلت: أما زيد فمنطلق مهمما يكن من شيء فزيد منطلق. وكذلك «فأما اليتيم فلا تقهر» (٣)، إنما هى: مهما يكن من شيء فلا تقهر اليتيم، وتكسر إذا كانت فى معنى «أو» ويلزمها التكرير، تقول: ضربتُ إمَّا زيداً وإمَّا عمراً، فمعناه ضربت زيدا أو عمراً، وكذلك: «إمَّا شاكراً وإمَّا كفوراً» (٤)، وكذلك: «إمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ» (٥)، و«إمَّا أَنْ تَعَذَّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا» (٦)، وإنما كررتها لأنك إذا

(١) سورة الجاثية ٥.

(٢) زيادات ر: «الصحيح أنه لأبى دؤاد الإيادى».

(٣) سورة الضحى ٩.

(٤) سورة الدهر ٣.

(٥) سورة مريم ٧٥.

(٦) سورة الكهف ٨٦.

قلت: ضربت زيداً أو عمراً، أو قلت: اضرب زيداً أو عمراً فقد ابتدأت بذكر الأول، وليس عند السامع أنك تريد غير الأول، ثم جئت بالشك، أو بالتخير، وإذا قلت: ضربت إماً زيداً وإما عمراً، فقد وضعت كلامك بالابتداء على التخير أو على الشك، وإذا قلت: ضربت إماً زيداً وإماً عمراً، فالأولى وقعت لبنية الكلام عليها، والثانية للعطف؛ لأنك تعدل بين الثاني والأول، فلما تكسر في هذا الموضع.

وزعم سيبويه أنها إن ضُمَّتْ إليها «ما» فإن اضطرَّ الشاعر فحذف «ما» جاز له ذلك لأنه الأصل، وأنشد في مصداق ذلك^(١):

لَقَدْ كَذَبْتُكَ نَفْسُكَ فَكَذِبْنَهَا فَإِنْ جَزَعًا وَإِنْ إِجْمَالًا صَبِرَ
ويجوز في غير هذا الموضع أن تقع «إماً» مكسورة، ولكن «ما» لا تكون لازمة، ولكن تكون زائدة في «إن» التي هي للجزاء، كما تزداد في سائر الكلام نحو: أين تكن أكن، وأينما تكن أكن، وكذلك متى تأتني آتك، ومتى تأتني آتك، فتقول: إن تأتني آتك، وإما تأتني آتك، تُدغم النون في الميم لاجتماعهما في الغنة، وسنذكر الإدغام في موضع نُفَرِّدُهُ به إن شاء الله، كما قال امرؤ القيس^(٢):

فَإِمَّا تَرَيْنِي لَا أُغْمِضُ سَاعَةً مِنَ اللَّيْلِ إِلَّا أَنْ أَكِبَّ فَأَنْعَسَا
فَيَأْرَبُ مَكْرُوبٌ كَرَرْتُ وَرَاءَهُ وَطَاعَنْتُ عَنْهُ الْخَيْلَ حَتَّى تَنْفَسَا
وفي القرآن: ﴿فَإِمَّا تَرَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا﴾^(٣)، وقال: ﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمْ أَبْغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا﴾^(٤)، فأنت في زيادة «ما» بالخيار في جميع حروف الجزاء، إلا في حرفين، فإن «ما» لأبد منها لعلها نذكرها إذا أفردنا باباً للجزاء إن شاء الله، والحرفان: حيثما تكن أكن كما قال الشاعر:

(١) زيادات ر: «هو دريد بن الصمة الجشمي».

(٢) كذا في ر، وفي س: «كما قال الشاعر».

(٣) سورة مريم ٢٦.

(٤) سورة الإسراء ٢٨.

حَيْثُمَا تَسْتَقِمُ يُقَدَّرْ لَكَ الدُّهُ نَجَاحًا فِي غَايِرِ الْأَزْمَانِ
والحرف الثاني «إذ ما» كما قال العباس بن مرداس:
إِذَا مَا أَتَيْتَ عَلَى الرَّسُولِ فَقُلْ لَهُ حَقًّا عَلَيْكَ إِذَا أَطْمَأَنَّ الْمَجْلِسُ
لا يكون الجزاء في «حيث» و «إذ» إلا بهما.

قال أبو العباس: وأنشدني أبو العالية:
سَلِ الْمُفْتِيَّ الْمَكِّيَّ هَلْ فِي تَزَاوِرٍ وَنَظَرَةٍ مُشْتَقِ الْفُؤَادِ جُنَاحُ
فَقَالَ: مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ يُذْهَبَ التُّقَى تَلَاصَقُ أَكْبَادٍ وَأَنَّ جِرَاحُ

[وأنشد لبعض المحدثين:
تَلَاصَقْنَا وَلَيْسَ بِنَا فَسُوقٌ وَلَكِنَّ التَّبَاعِدَ طَالَ حَتَّى
وَلَمَّْا أَنْ أُتِيحَ لَنَا التَّلَاقُ وَهَلْ حَرَجًا تَرَاهُ أَوْ حَرَامًا
وَلَمْ يَرِدِ الْحَرَامَ بِنَا لِلصُّوقِ تَوَقَّدَ فِي الضُّلُوعِ بِنَا حَرِيقُ
تَعَانَقْنَا كَمَا اعْتَنَقَ الصَّدِيقُ مَشُوقٌ ضَمَّهُ كَلَفٌ مَشُوقٌ^(١) !]

وأنشدني غيره:
وَمَا هَجَرْتُكَ النَّفْسَ يَامَنَى أَنَهَا قَلْتُكَ، وَلَا أَنْ قَلَّ مِنْكَ نَصِييُهَا
وَلَكِنَّهُمْ يَا أَمْلَحَ النَّاسِ أُولِعُوا بِقَوْلٍ إِذَا مَا جِئْتُ: هَذَا حَبِييُهَا

«أنها» في موضع نصب، وكان التقدير «لأنها»، فلما حذف اللام وصل
الفعل فعمل، تقول: جئتُك أنك تحبُّ الخير، فمعناه لأنك، وكذلك أتيتك أن تأمر
لى بشيء، أى لأن، وتقديره فى النصب أن: «أن» الخفيفة والفعل مصدر: نحو:

(١) الأبيات الواقعة بين العلامتين لم ترد فى نسخة الأصل ووردت فى س وفى ر بين علامتى الزيادة.

أريد أن تقوم يا فتى، أى قيامك، و«أن» الثقيلة واسمها وخبرها مصدر، تقول: بلغنى أنك منطلق، أى انطلاقتك، فإذا قلت: جئتُك أنك تريد الخير، فمعناه إرادتك الخير، أى مجئى لأنك تريد الخير إرادة يا فتى، كما قال الشاعر^(١).

وَأَغْفِرُ عَوْرَاءَ الْكَرِيمِ ادَّخَارَهُ
وَأَعْرَضُ عَنْ شَتَمِ اللَّسِيمِ تَكْرُمًا
قوله:

* وَأَغْفِرُ عَوْرَاءَ الْكَرِيمِ ادَّخَارَهُ *

أى أدخره ادَّخَارًا، وأضافه إليه، كما تقول: ادَّخَارًا له، وكذلك قوله: «تكرما» إنما أراد للتكرم، فأخرجه مُخْرَجَ أَتَكَرَّمُ أَتَكَرَّمًا.

قال أبو العباس: وأنشدنى أبو العالية^(٢):

ما زِلْتُ أَبْغَى الْحَىَّ أَتَبِعُ ظِلَّهُمْ حَتَّى دَفَعْتُ إِلَى رَبِيبَةِ هُودَجٍ
قَالَتْ: وَعَيْشِ أَبِي وَأَكْبَرِ إِخْوَتِي لِأَتَّبَهُنَّ الْحَىَّ إِنْ لَمْ تَخْرُجْ
فَخَرَجْتُ خِيفَةَ قَوْلِهَا، فَتَبَسَّمْتُ فَعَلِمْتُ أَنَّ يَمِينَهَا لَمْ تَحْرَجْ
فَلَثِمْتُ فَاها آخِذًا بِقُرُونِهَا شَرِبَ النَّزِيفِ بَرْدِ مَاءِ الْحَشْرِجِ
وزاد فيها الجاحِظُ عَمْرُو بْنُ بَحْرٍ:
وَتَنَاوَلْتُ رَأْسِي لِتَعْرِفَ مَسَّهُ بِمُخَضَّبِ الْأَطْرَافِ غَيْرِ مُشْنَجٍ^(٣)
تقول العرب: هُودَجٌ، وبنو سعد بن زيد مناة وَمَنْ وَلِيَهُمْ يَقُولُونَ فُودَجٌ.
وقوله:

* فعلمت أن يمينها لم تخرج *

يقول: لم تضق عليها، يقال: حرج يحرج إذا دخل فى مضيق، والحرجة: الشجر الملتف المتضايق ما بينه، قال الله عز وجل: ﴿فَلَا يَكُنْ فِي

(١) زيادات ر: هو حاتم الطائى، والبيت فى ديوانه.

(٢) زيادات ر: «قبل إن الشعر لعروة بن أذينة» وفى حواشى الأصل إنه لجميل بن عبد الله بن معمر.

(٣) من التشنج وهو التقبض.

صَدْرَكَ حَرَجَ مِنْهُ^(١)»، وقال تعالى: ﴿يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا^(٢)﴾، وقرئ «حَرَجًا»، فَمَنْ قال «حَرَجًا» أراد التوكيد للضيق، كأنه قال: ضيقٌ شديد الضيق، ومن قال: «حَرَجًا» جعله مصدرًا، مثل قولك: ضيقٌ ضيقًا.

وقوله: «ببرد ماء الحَشْرَج» فهو الماء الجارى على الحجارة.

[لَقِيسُ بْنُ مُعَاذٍ فِي النَّسِيبِ]

وقال قَيْسُ بْنُ مُعَاذٍ أَحَدُ بَنِي عُقَيْلٍ بْنِ كَعْبٍ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ عَامِرٍ بْنِ صَعْصَعَةَ - وهو المجنون - وحَدَّثَنِي عَبْدُ الصَّمَدِ بْنُ الْمُعَدَّلِ قَالَ: سَمِعْتُ الْأَصْمَعِيَّ يُثَبِّتُهُ وَيَقُولُ: لَمْ يَكُنْ مَجْنُونًا، إِنَّمَا كَانَتْ بِهِ لَوْنَةٌ كَلَوْنَةُ أَبِي حَيَّةَ^(٣):

وَلَمْ أَرِ لَيْلَى بَعْدَ مَوْقِفِ سَاعَةٍ بِيْطَنٍ مِنِّي تَرْمِي جِمَارَ الْمُحْصَبِ
وَيُئِدِي الْحَصَا مِنْهَا إِذَا قَدَفَتْ بِهِ مِنَ الْبُرْدِ أَطْرَافَ الْبَنَانِ الْمُخْضَبِ
فَأَصْبَحْتُ مِنْ لَيْلَى الْغَدَاةِ كَنَاطِرِ مَعَ الصُّبْحِ فِي أَعْقَابِ نَجْمٍ مُغْرَبِ
أَلَا إِنَّمَا غَادَرْتُ يَا أُمَّ مَالِكٍ صَدَى أَيْنَمَا تَذْهَبُ بِهِ الرِّيحُ يَذْهَبِ

هذا البيت من أعجب ما قيل في النحافة.

وَمَا يُسْتَطَرَفُ فِي هَذَا الْبَابِ قَوْلُ عُمَرَ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ:

رَأَتْ رَجُلًا أَمَّا إِذَا الشَّمْسُ عَارَضَتْ فَيَضْحَى وَأَمَّا بِالْعَشِيِّ فَيَخْصَرُ
أَخَا سَفَرٍ جَوَابَ أَرْضٍ تَقَادَفَتْ بِهِ فَلَوَاتٌ فَهُوَ أَشْعَثُ أَغْبَرُ
قَلِيلًا عَلَى ظَهْرِ الْمَطِيَّةِ ظِلُّهُ سِوَى مَا نَفَى عَنْهُ الرِّدَاءُ الْمُحْبَرُ

ومن هذا الباب قول القائل^(٤):

فَأَصْبَحْتُ فِي أَقْصَى الْبُيُوتِ يَعْدُنَنِي بَقِيَّةَ مَا أَبْقَيْنَ نَصْلًا يَمَانِيَا

(١) سورة الأعراف ٢.

(٢) سورة الأنعام ١٢٥.

(٣) زيادات س، ر بعد هذه الكلمة: «النميرى، وهو من أشعر الناس، ومن شعره».

(٤) زيادات ر: «هو قيس بن معاذ مجنون بنى عامر الذي تقدم ذكره لابن الأبرش».

[بقية بدل من الياء فى يَّعدُننى بدل الاشتمال

تَجَمَّعْنَ مِنْ شَتَّى، ثلاثٌ وأربعٌ* ووَاحِدَةٌ حَتَّى كَمُلْنَ ثَمَانِيًا (١).]

يَعْدُنَ مَرِيضًا هُنَّ هَيَّجْنَ مَا بِهِ أَلَا إِنَّمَا بَعْضُ الْعَوَائِدِ دَائِيًا

وفى هذا الباب أشياء كثيرة تأتى فى موضعها إن شاء الله تعالى، ومن الإفراط فيه قوله:

فَلَوْ أَنَّ مَا أَبْقَيْتَ مِنِّي مُعَلَّقٌ* بَعُودِ ثُمَامَ مَا تَأَوَّدَ عَوْدَهَا

الثمام: نبت ضعيف، واحده ثمامة، وهذا متجاوز كقول القائل:

* وَيَمْنَعُهَا مِنْ أَنْ تَطِيرَ زَمَامُهَا *

وَأَحْسَنُ الشَّعْرِ مَا قَارَبَ فِيهِ الْقَائِلُ إِذَا شَبَّهَ، وَأَحْسَنُ مِنْهُ مَا أَصَابَ بِهِ الْحَقِيقَةُ، وَنَبَّهَ فِيهِ بِفَطْنِهِ عَلَى مَا يَخْفَى عَنْ غَيْرِهِ، وَسَاقَهُ بِرَصْفٍ قَوِيٍّ وَابْتِصَارٍ قَرِيبٍ.

وقال قيس بن معاذ:

وَأَخْرَجَ مِنْ بَيْنِ الْجُلُوسِ لَعَلَّنِي* أُحَدِّثُ عَنْكَ النَّفْسَ فِي السَّرِّ خَالِيًا

وَإِنِّي لَأَسْتَغْشِي وَمَا بِي نَعْسَةٌ* لَعَلَّ خَيَالًا مِنْكَ يَلْقَى خَيَالِيَا

وفى هذا الشعر:

أَشَوْقًا وَلَمَّا تَمَضَّ لِي غَيْرُ لَيْلَةٍ* رُوِيَ الْهَوَى حَتَّى تَغِبَّ لِيَا لِيَا

هذا من أحسن الكلام وأوضحه معنى.

وَيُسْتَحْسَنُ لَذَى الرُّمَّةِ قَوْلُهُ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَعْنَى:

أُحِبُّ الْمَكَانَ الْقَفْرَ مِنْ أَجْلِ أَنَّنِي* بِهِ أَتَغْنَى بِاسْمِهَا غَيْرَ مُعْجَمٍ

(١) ما بين العلامتين لم ترد فى الأصل، وهى فى س وزيادات ر.

[لبعض القرشيين]

وأنشد^(١) ابن عائشة لبعض القرشيين^(٢):

وَقَفُوا ثَلَاثَ مَنَى بِمَنْزِلِ غِبْطَةٍ وَهُمْ عَلَى غَرَضٍ هُنَالِكَ مَا هُمْ
مُتَجَاوِرِينَ بِغَيْرِ دَارٍ إِقَامَةٍ لَوْ قَدْ أَجَدَّ تَفَرَّقَ لَمْ يَنْدُمُوا^(٣)
وَلَكِنَّ بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ لُبَانَةٌ وَالرُّكْنُ يَعْرِفُهُنَّ لَوْ يَتَكَلَّمُ
لَوْ كَانَ حَيًّا قَبْلَهُنَّ ظَعَائِنًا حَيَّا الْحِطِيمُ وَجُوهَهُنَّ وَزَمَزَمُ
وَكَأَنَّهُنَّ وَقَدْ صَدَرْنَ لَوَاغِبًا بَيِّضٌ بِأَفْنِيَةِ الْمَقَامِ مُرْكَمُ

اللاغِبَ المعبى، قال الله عز وجل: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾^(٤) والمرْكَمُ: الذى بعضه على بعض، والمرأة تُشَبَّهُ ببيضة النعامة كما تُشَبَّهُ بالدرَّة، قال الله عز وجل: ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيِّضٌ مَكْنُونٌ﴾^(٥) والمكنون: المصون، والمكن: المستور، يقال: أَكْنَنْتُ السِّرَّ، قال الله عز وجل: ﴿أَوْ أَكْنُتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ﴾^(٦). وقال أبو دَهَبَل، وأكثر الناس يرويه لعبد الرحمن بن حسان^(٧):

وَهَى زَهْرَاءُ مِثْلُ لَوْلُؤَةِ الْغَوِ أَصْ مِيزَتْ مِنْ جَوْهَرٍ مَكْنُونِ.
وقال ابن الرُّقَيَات:

وَاضِحٌ لَوْنُهَا كَبَيْضَةِ أَدْحَى لَهَا فِي النِّسَاءِ خَلْقٌ عَمِيمٌ
العميم: التام، والأدحى: موضع بيض النعامة خاصة، وشِعْرُ عبد الرحمن هذا شعر مأثور مشهور عنه.

(١) ر: «وأنشدنى».

(٢) حاشية الأصل: الشعر لابن أذينة، وانظر الأغاني ٢١: ١١٠.

(٣) زيادات ر: «يعنى طواف الوداع، وقوله: «ثلاث منى» أراد أيام النفر، وأخرجه على اللبالي، وقوله: «لم يندموا» لأنهم يرجعون إلى أوطانهم».

(٤) سورة ق ٣٨.

(٥) سورة الصافات ٤٩.

(٦) سورة البقرة ٢٣٥.

(٧) زيادات ر: «ابن ثابت الأنصارى».

[لعبد الرحمن بن الأشعث في بنت معاوية]

وروى بعض الرواة أن أبا دَهْبَل الجُمَحِيَّ كان تَقِيًّا وكان جميلاً، فَقَلَّ من الغزو ذات مرة، فَمَرَّ بِدِمَشْقَ، فدَعَتْهُ أُمْرَأَةٌ إلى أن يَقْرَأَ لها كتاباً، وقالت: إِنَّ صاحِبَتَهُ في هَذَا القصر، وهى تُحِبُّ أن تَسْمَعَ ما فيه، فلما دخلت به برزت له أُمْرَأَةٌ جميلة، وقالت له: إِنما احْتَلْتُ لك بالكتاب حتى أدخلك. فقال لها: أما الحرام فلا سبيل إليه، فقالت: فَلَسْتُ تُرَادُّ حَرَاماً، فَتَزَوَّجَتْهُ، وأقام عندها دَهراً حتى نُعِيََ بالمدينة، ففي ذلك يقول وقد استأذنها لِيَلِمَ بأهلها ثم يعود، فجاء وقد اقسَمَ ميراثه، فلما هَمَّ بالعود إليها نُعِيََتْ له، فهذا ما رَوَى من هذا الوجه والذي كأنه إجماع أنه لعبد الرحمن بن حسان، وهو في بنت معاوية (١):

صَاحِ حَيًّا إِلَهُ أَهْلًا وَدَارًا عِنْدَ أَصْلِ الْقِنَاءِ مِنْ جِيْرُونَ
عَنْ يَسَارِي إِذَا دَخَلْتُ مِنْ أَلْبَا بَ وَإِنْ كُنْتُ خَارِجًا فَيَمِينِي
فَبِتْلِكَ ارْتَهَنْتُ بِالشَّامِ حَتَّى ظَنَّ أَهْلِي مُرْجَمَاتِ الظُّنُونِ
وَهِيَ زَهْرَاءُ مِثْلُ لَوْلُؤَةِ الْغَوَاصِ مِيزَتْ مِنْ جَوْهَرِ مَكْنُونِ
وَإِذَا مَا نَسَبْتُهَا لَمْ تَجِدْهَا فِي سَنَاءٍ مِنَ الْمَكَارِمِ دُونِي
ثُمَّ خَاصَرْتُهَا إِلَى الْقُبَّةِ الْخَضْ رَاءَ تَمْشِي فِي مَرَمَرٍ مَسْنُونِ
تَجْعَلُ الْمَسْكَ وَالْيَلَنَجُوجَ وَالنَّ صِلَاءَ لَهَا عَلَى الْكَانُونِ
قُبَّةً مِنْ مَرَاكِجٍ ضَرَبَتْهَا عِنْدَ بَرْدِ الشِّتَاءِ فِي قَيْطُونِ
المسنون: المصبوب على استواء، والمَرَاكِجُ: ثياب من ثياب اليمَن، قال العجاج:

* بَشِيَّةٌ كَشِيَّةٌ الْمَرْجِلِ *

والقيطون: البيت في جوف بيت.

وقال آخر:

وَأَبْصَرْتُ سَعْدَى بَيْنَ ثَوْبِي مَرَاكِجِ وَأَثْوَابِ عَصْبٍ مِنْ مُهْلَهَلَةِ الْيَمَنِ

(١) زيادات ر: «ابن أبي سفيان».

ويروى أن يزيد بن معاوية قال لمعاوية: أما سَمِعْتَ قول عبد الرحمن بن حسان في ابتك؟ قال: وما الذي قال؟ قال: قال:

وَهِيَ زَهْرَاءُ مِثْلُ لَوْلُؤَةِ الْغَوَاصِ مِيزَتْ مِنْ جَوْهَرٍ مَكْنُونٍ

قال معاوية: صدق، فقال يزيد: وقال:

وَإِذَا مَا نَسَبْتُهَا لَمْ تَجِدْهَا فِي سَنَاءٍ مِنَ الْمَكَارِمِ دُونِي

قال: (١ صدق، فقال (١) إنه قال:

ثُمَّ خَاصَرْتُهَا إِلَى الْقَبَةِ الْخَضِرَاءِ تَمْشِي فِي مَرْمَرٍ مَسْنُونٍ

قال معاوية: كذب.

(١ - ١) ر ، س: «قال معاوية. صدق فقال يزيد».

باب

[عبد الله بن الزبير بن عبد المطلب عند رسول الله]

قال أبو العباس: حدثني مسعود بن بشر، قال: حدثني محمد بن حرب، قال: أتى عبدالله بن الزبير بن عبد المطلب رسول الله ﷺ فكساه حلة وأقعهه إلى جانبه، ثم قال: «إنه ابن أُمي، وكان أبوه يرحمني». (١)

[الرجل من بنى ضبة يخاطب بني تميم]

قال: وأنشدني مسعود قال: أنشدني طاهر بن علي بن سليمان قال: أنشدني منصور بن المهدى لرجل من بنى ضبة بن أد، يقول لبني تميم بن مر بن أد:

أبْنَى تَمِيمٍ إِنْنِي أَنَا عَمَكُمُ لَا تُحْرَمُنْ نَصِيحَةَ الْأَعْمَامِ
إِنِّي أَرَى سَبَبَ الْفَنَاءِ وَإِنَّمَا سَبَبُ الْفَنَاءِ قَطِيعَةُ الْأَرْحَامِ
فَتَدَارَكُوا بِأَبِي وَأُمِّي أَنْتُمْ أَحْسَابِكُمْ (٢) بِرَوَاجِحِ الْأَحْلَامِ

[خطبة عبد الله بن الزبير حين ورد عليه خبر قتل أخيه مصعب]

وَيُرَوَّى أَنَّهُ لَمَّا أَتَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ [خبراً] (٣) قَتْلَ مُصْعَبِ بْنِ الزُّبَيْرِ خُطِبَ النَّاسَ، فَحَمَدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّهُ أَتَانَا خَبَرُ قَتْلِ الْمُصْعَبِ فُسِّرْنَا [به]، وَاکْتَأَبْنَا [له] (٤)، فَأَمَّا السُّرُورُ فَلَمَّا قُدِّرَ لَهُ مِنَ الشَّهَادَةِ. وَحِيزَ لَهُ مِنَ الثَّوَابِ، وَأَمَّا الْكَاتِبَةُ فَلَوْعَةٌ يَجِدُهَا الْحَمِيمُ عِنْدَ فِرَاقِ حَمِيمِهِ، وَإِنَّا وَاللَّهِ مَانِعُوتُ حَبِجًا كَمِيتَةِ آلِ أَبِي الْعَاصِي، إِنَّمَا نَمُوتُ قُتْلًا بِالرَّمَّاحِ، وَقَعَصًا تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ، فَإِنْ يَهْلِكِ الْمُصْعَبُ فَإِنْ فِي آلِ الزُّبَيْرِ مِنْهُ خَلْفًا.

قوله: «حَبِجًا»، يقال حَبَجَ بَطْنُهُ، إِذَا انْتَفَخَ، وَكَذَلِكَ حَبَطَ، بَطْنُهُ، الْمُقْعَصُ: الْمُقْتُول. وَاللُّوْعَةُ: الْحُرْقَةُ، يُقَالُ لَاعٍ يَلَاعُ لَوْعَةً يَافِتِي فَهُوَ لَائِعٌ، وَيُقَالُ: لَاعَ يَافِتِي، عَلَى الْقَلْبِ، وَأَنْشَدَ أَبُو زَيْدٍ:

وَلَا فَرْحَ بِخَيْرٍ إِنْ أَتَاهُ وَلَا جَزِعَ مِنَ الْخَدَثَانِ لَاعٍ

(١) زيادات ر: الزبير أخو عبدالله بن عبد المطلب شقيقه.

(٢) ر، س: «أرحامكم» وفي زيادات ر: «كذا أنشد: أرحامكم، ويروي: أحسابكم».

(٣) زيادة من ر.

[من كلام زياد]

قال: وحدثني مسعود في إسناد ذكره قال: قال زياد لحاجبه: يا عجلان، إني وليتك هذا الباب، وعزلتك عن أربعة. عزلتك عن هذا المنادى إذا دعا للصلاة فلا سبيل لك عليه، وعن طارق الليل فشر ما جاء به، ولو جاء بخير ما كنت من حاجته، وعن رسول صاحب الثغر فإن إبطاء ساعة يُفسد تدبير سنة، وعن هذا الطباخ إذا فرغ من طعامه.

قال: وحدثني مسعود قال: قال زياد: يُعجبني من الرجل إذا سيم خطّة الضيم أن يقول: «لا» بملء فيه، وإذا أتى نادى قوم علم أين ينبغي لمثله أن يجلس فجلس، وإذا ركب دابة حملها على ماتحب ولم يبعثها إلى ماتكره.

[بلاغة جعفر بن يحيى]

وكتب إلى جعفر بن يحيى: إن صاحب الطريق قد اشتط فيما يطلب من الأموال، فوقع جعفر: هذا رجل منقطع عن السلطان، وبين ذؤبان العرب بحيث العدد والعدة، والهلوب القاسية، والأنوف الحمية، فليمدد من المال بما يستصلح به من معه ليدفع به عدوه، فإن نفقات الحروب يستظهر لها، ولا يستظهر عليها.

ورفع قوم إليه^(١) شكية عاملهم. فوقع في قصتهم^(٢): يا هذا، قد كثر شاكوك، [وقل حامدوك]^(٣)، فإما عدكت، وإما اعتزكت.

وزعم الجاحظ قال: قال ثمامة^(٤) بن أشرس النُميري: ما رأيت رجلاً أبلغ من جعفر بن يحيى والمأمون.

وقال مويّس بن عمران: ما رأيت رجلاً أبلغ من يحيى بن خالد، وأيوب بن جعفر.

وقال جعفر بن يحيى لكتّابه: إن قدرتم أن تكون كتّابكم كلها توقيعات فافعلوا.

(١) ر، س: «وأكثر الناس شكية عامل».

(٢) كلمة «قصتهم» لم ترد في س.

(٣) تكملة من ر.

(٤) س: «ثمامة الأشرس».

[نبذ من الأقوال الحكيمة]

وقال رسول الله ﷺ : «لو تكاشفتُم ما تدأفتُم».

يقول: لو علم بعضكم سريرة بعض لاستثقل تشييعه ودفنه.

وقال عليه السلام: «اجتنبوا القعود على الطرقات، إلا أن تضمّنوا أربعا: ردّ السلام، وغضّ الأبصار، وإرشاد الضال، وعون الضعيف».

وقالت هند بنت عتبة: إنما النساء أغلالٌ، فليختر الرجلُ غلا ليدّه.

وذكرت هند بنت المهلب بن أبي صفرة النساء فقالت: ما زين بشيء كأدب بارع، تحته لبُّ ظاهر.

وقالت هند بنت المهلب بن أبي صفرة [أيضا]^(١): إذا رأيتم النعم مستدرة فبادروا بالشكر قبل حلول الزوال.

وقال رسول الله ﷺ: «افصلوا بين حديثكم بالاستغفار».

وقال عمر بن عبدالعزيز رحمه الله: قِيدُوا النعم بالشكر، وقِيدُوا العلم بالكتاب.

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه^(٢): العجب لمن يهلك والنجاة معه. فقيل: ما هي يا أمير المؤمنين؟ قال: الاستغفار.

وقال الخليل بن أحمد: كن على مُدَارسة ما في قلبك أحرص منك على حفظ ما في كُتُبك.

وقال ابن أحمد - يعنى الخليل: اجْعَلْ ما في كُتُبك رأس مال، وما في صدرك للنفقة.

وقيل لنصر بن سيار: إن فلانا لا يكتب، فقال: تلك الزمانة الخفية.

وقال نصر بن سيار: لولا أن عمر بن هُبيرة كان بدويًّا ما ضبَطَ عمال العراق وهو لا يكتب.

(١) تكملة من ر.

(٢) ر: «رضوان الله عليه».

وفادى رسول الله ﷺ من رأى فداءه من أسرى بدر، فمن لم يكن له فداء أمره أن يعلم عشرة من المسلمين الكتابة، ففشت الكتابة بالمدينة.

ومن أمثال العرب: خير العلم ما حوضر به، يعنى^(١): ما حفظ وكان^(٢) للمذاكرة.

وقال رسول الله ﷺ: «لا تزال أمتى صالحاً أمرها ما لم تعد الفئء مغنماً، والصدقة مغرمًا».

وقال على بن أبى طالب عليه السلام: يأتى على الناس زمان لا يقرب فيه إلا الماحل^(٣)، ولا يُظرف فيه إلا الفاجر، ولا يُضعف فيه إلا المُنصف، يتخذون الفئء مغنماً، والصدقة مغرمًا، وصلة الرحم منًا، والعبادة استطاةً على الناس، فعند ذلك يكون سلطان النساء، ومُشاورة الإمام، وإمارة الصبيان.

انبذ من أخبار الحجاج

ويروى عن محمد بن المنتشر بن الأجدع الهمداني، قال دفع إلى الحجاج أزد مرد بن الهربد، وأمرنى أن أستخرج منه وأغلظ عليه، فلما انطلقت به قال لى: يا محمد، إن لك شرفًا ودينًا، وإنى لا أعطى على القسر شيئًا، فاستأذنى^(٤) وارفق بى، قال: ففعلت، نادى إلى فى أسبوع خمسمائة ألف، قال: فبلغ ذلك الحجاج فأغضبه، وانتزعه من يدي، ودفعه إلى رجل كان يتولى له العذاب، فدق يديه ورجليه، ولم يعطهم شيئًا.

قال محمد بن المنتشر: فإنى لأمر يومًا فى السوق إذا صائح: يا محمد، فالتفت فإذا به مُعرصًا على حمار، مدقوق اليدين والرجلين، فخفت الحجاج إن أتيته، وتذممت منه، فملت إليه، فقال لى: إنك وكيت منى ما وكى هؤلاء فأحسن، وإنهم صنعوا بى ما ترى ولم أعطهم شيئًا، وهاهنا خمسمائة ألف عند فلان، فخذها فهى لك، قال: فقلت: ما كنت لآخذ منك على معروفى أجرًا، ولا لأرزأك على هذه الحال شيئًا، قال فأما إذ أبيت فاسمع أحدثك: حدثنى بعض

(٢) ر: «مكان».

(١) ر: «ينى».

(٣) زيادات ر: «الماحل: الواشى، يقال: محل فلان بفلان إذا وشى به ومكر».

(٤) استأذنى: أى طلب منى الأداء.

أهل دينك عن نبيك - ﷺ - كثيراً. قال: إذا رضى الله عن قوم أمطرهم المطر فى وقته، وجعلَ المالَ فى سُمَحائهم. واستعملَ عليهم خيارهم، وإذا سَخَطَ عليهم استعملَ عليهم شرارهم، وجعلَ المالَ عند بُخلائهم، وأمطرهم المطرَ فى غير حينه. قال: فانصرفت فما وضعت ثوبى حتى أتانى رسولُ الحجاج، فأمرنى بالمسير إليه، فألفيته جالساً على فرشه والسيف منتضى فى يده، فقال لى: ادنْ، فدنوتُ شيئاً، ثم قال: ادنْ، فدنوتُ شيئاً، ثم صاح الثالثة: ادنْ لا أبالك! فقلت: ما بى إلى الدنو من حاجة، وفى يد الأمير ما أرى. فأضحكُ الله سنّه، وأغمَدَ سيفه عني، فقال لى: اجلسْ، ما كان من حديث الخبيث؟ فقلتُ له: أيها الأمير، والله ما غَشَشْتُكَ مِنْذُ اسْتَنْصَحْتَنى، ولا كَذَبْتُكَ مِنْذُ اسْتَخْبَرْتَنى، ولا خَتَّكَ مِنْذُ اثْتَمَنْتَنى. ثم حدثته الحديث، فلما صِرْتُ إلى ذكر الرجل الذى المالُ عنده أعْرَضَ عني بوجهه، وأوماً إلى يبيده، وقال: لا تُسمّه، ثم قال. إن للخبيث نفساً، وقد سمع الأحاديث.

ويقال: كان الحجاج إذا استغْرَبَ^(١) ضحكا^(٢) وآلى بين الاستغفار، وكان إذا صعد المنبرَ تَلَفَعَ بِمِطْرَفِهِ^(٣) ثم تكلم رُوَيْدًا فلا يكاد يُسْمَعُ، ثم يتزید فى الكلام، حتى يُخْرِجَ يده من مِطْرَفِهِ وَيَزْجُرُ الزَّجْرَةَ فَيَفْرَعُ بها أَقْصَى مَنْ فى المسجد. وكان يُطْعَمُ فى كل يوم ألف مائدة، على كل مائدة ثريدٌ وجنبٌ من شواءٍ وسمكة طرية، ويُطافُ به فى محفةٍ على تلك الموائد ليتفقد أمور الناس، وعلى كل مائدة عشرة، ثم يقول: يا أهل الشام، اكسروا الخبز لثلاثِ إيعادٍ عليكم. وكان له ساقيان، أحدهما يسقى الماء والغسل، والآخر يسقى اللبن.

ويروى أن لىلى الأَخِيلِيَّةِ قدمت عليه فأنشدته:

إذا وردَ الحَجَّاجُ أرضاً مَرِيضَةً تَتَّبِعُ أَقْصَى دَائِهَا فَشَفَاها
شَفَاها من الداءِ العُقَامِ الذى بها غُلَامٌ إذا هَزَّ القَنَاةَ ثَنَاها^(٤)

(١) استغرب ضحكا: بالغ فى الضحك.

(٢) ومن هنا وقع خرم فى نسخة الأصل، والنص، الذى أثبتناه هو نص «ر» إلى آخر الخرم.

(٣) المِطْرَف: رداء من خز.

(٤) زيادات ر: «العقام، بالفتح والضم، والضم أفصح». وفى س: العصال.

فقال لها : لا تقولى : غلام، قولى : هُمَامٌ، ثم قال لها : أى نسائى أحب إليك أن أنزلك عندها الليلة؟ قالت : ومن نساؤك أيها الأمير؟ قال أمُّ الجلاس بنت سعيد بن العاصى الأموية، وهند بنت أسماء بن خارجة الفزارية، وهند بنت المهلب بن أبى صفرة العتكية، فقالت : القيسية أحبُّ إلى . فلما كان الغد دخلت عليه فقال : يا غلام أعطها خمسمائة، فقالت : أيها الأمير، اجعلها أدما، فقال قائل : إنما أمر لك بشاء، قالت : الأمير أكرم من ذلك، فجعلها إبلا إنانا استحياء، وإنما كان أمر لها بشاء أولا . والأدم^(١) : البيض من الإبل وهى أكرمها .

ويروى عن بعض الفقهاء^(٢) قال : دعانى الحجاج فسألنى عن الفريضة الخمسة وهى أمٌ وجدٌ وأخت، فقال لى : ما قال فيها الصديق رحمه الله قلت؟ : أعطى الأمُّ الثلث والجدُّ مابقى لأنه كان يراه أبا، قال : فما قال فيها أمير المؤمنين؟ - يعنى عثمان رحمه الله - قلت : جعل المال بينهم أثلاثا، قال : فما قال فيها ابن مسعود؟ قال : قلتُ أعطى الأخت النصف، والأمُّ ثلث مابقى والجدُّ الثلثين لأنه كان لا يفضل أما على جد، قال : فما قال فيها زيد بن ثابت؟ قال : قلتُ أعطى الأمُّ الثلث، وجعل ما بقى بين الأخت والجد؛ للذكر مثل حظ الأنثيين، لأنه كان يجعل الجد كأحد الإخوة إلى الثلاثة، قال : فزَمَّ بأنفه ثم قال : فما قال فيها أبو ترابٍ؟ قال : قلتُ أعطى الأمُّ الثلث والأخت النصف والجدُّ السدس، قال : فأطرق ساعة ثم رفع رأسه فقال : فإنه المرء يُرَغَبُ عن قوله^(٣) .

وجلس^(٤) الحجاج يوما يأكل ومعه جماعة على المائدة : منهم محمد بن عُمير بن عطارٍ بن حاجب بن زُرارة، وحَجَّارُ بن أبجر بن بُجير العجلي، فأقبل فى وسط من الطعام على محمد بن عُمير بن عطارٍ فقال : يا محمد، أيدعوك قتيبة بن مسلم إلى نصرتى يوم رُستَقْبَاد^(٥)؟ فتقول : هذا أمر لا ناقة لى فيه ولا جمل، لا جعل الله لك فيه ناقة ولا جملا ! يا حرسى، خذ بيده وجرد سيفك

(١) س : «الأدم» بدون الواو .

(٢) زيادات ر : «هو الشعبي» .

(٣) قال المرفصى : «إنما حملة على ذلك بغضه لأمير المؤمنين على كرم الله وجهه» .

(٤) س : «وجعل» .

(٥) ارستقباد : موضع بفارس .

فاضرب عنقه، فنظر إلى حجار بن أبجر وهو يتسم، فدخلته العصبية، وكان مكان حجار من ربيعة كمكان محمد بن عمير من مضر، وأتى الخباز بقرنية^(١) فقال: اجعلها مما يلي محمدا فإن اللبن يعجبه، يا حرسى، شمس سيفك وأنصرف.

وكان محمد شريفا، وله يقول الشاعر:

عِلْمَ الْقِبَائِلُ مِنْ مَعَدٍّ وَغَيْرِهَا أَنَّ الْجَوَادَ مُحَمَّدُ بْنُ عَطَارِدٍ

وذكرت بنو دارم يوما بحضرة عبد الملك، فقالوا: قوم لهم حظ، فقال عبد الملك: أتقولون ذلك وقد مضى منهم لقيط بن زرارة ولا عقب له، ومضى القعقاع بن معبد بن زرارة ولا عقب له، ومضى محمد بن عمير بن عطارد ولا عقب له، والله لا تنسى العرب هؤلاء الثلاثة أبدا.

قوله: «شمس سيفك»، يقول: اغمدّه، ويقال: شمتُ السيف: إذا سلّته، وهو من الأضداد، ويقال: شمتُ البرق إذا نظرت من أى ناحية يأتى.

قال الأعشى:

فقلت للشرب فى درنى^(٢) وقد ثملوا شيموا، وكيف يشيم الشارب الثمل!

وقال الفرزدق:

بأيدي رجال لم يشيموا سيوفهم ولم تكثر القتلى بها حين سلت

وهذا البيت طريف عند أصحاب المعانى، وتأويل لم يشيموا: لم يغمدوا ولم تكثر القتلى، أى لم يغمدوا سيوفهم إلا وقد كثر القتلى [بها]^(٣) حين سلت.

[على بن جبلة والحسن بن سهل]

وحدثني الحسن بن رجاء قال: قدّم علينا على بن جبلة إلى عسكر الحسن ابن سهل والمأمون هناك بانيا على خديجة بنت الحسن بن سهل المعروفة ببوران،

(١) القرنية: الخبزة المستديرة، منسوبة إلى القرن.

(٢) درنى: بلد باليمامة.

(٣) تكملة من س.

فقال الحسن: ونحن إذ ذاك نُجْرَى^(١) على نيف وسبعين ألف ملاح، وكان الحسن ابن سهل يسهر مع المأمون، وكان المأمون يتصبح فيجلس الحسن للناس إلى وقت انتباهه، فلما ورد على قلت: قد ترى شغل الأمير، قال: إذن لا أضيع معك. قلت: أجل. فدخلت على الحسن بن سهل في وقت ظهوره فأعلمته مكانه، فقال: ألا ترى ما نحن فيه؟ قلت: لست بمشغول عن الأمر له، فقال: يعطى عشرة آلاف درهم إلى أن نتفرَّغَ له، فأعلمت ذلك على بن جبلة، فقال في كلمة له:

أَعْطَيْتَنِي يَا وَلِيَّ الْحَقِّ مُبْتَدِئًا عَطِيَّةً كَافَّاتٌ مَدْحِي وَلَمْ تَرِنِي
مَا شِئْتُ بَرَقَكَ حَتَّى نَلْتُ رَيْقَهُ كَأَنَّمَا كُنْتُ بِالْجَدْوَى تُبَادِرُنِي

(١) نُجْرَى: نعطى.

باب

المفضل بن المهلب بن أبي صفرة فى الشجاعة والنجدة

قال أبو العباس: قال المفضل بن المهلب بن أبي صفرة^(١):

هل الجودُ إلا أن تجودَ بأنفسِ على كلِّ ماضى الشفرتين قضيب
وماخيرُ عيش بعد قتل محمد وبعد يزيد والحروب حبيب
ومن هرَّ أطراف القنا خشية الردى فليس لمجد صالح بكسوب
وماهى إلا رقدة تورث العلا لرهطك مآحنت روائم نيب

قوله:

ومن هر أطراف القنا خشية الردى

يقول: من كرهه، قال عترة بن شداد:

حلفتُ لهم والخيْلُ تردى بنا معاً نفارقهم حتى يهروا العواليا
عوالى رزقاً من رماح ردينة هرير الكلاب يتقين الأفاعيا

والردى: الهلاك، وأكثر ما يستعمل فى الموت. يقال: ردى يردى ردى، قال
الله عز وجل: ﴿وما يغنى عنه ماله إذا تردى﴾^(٢)، وهو «تفعل» من الردى فى أحد
التفسيرين، وقيل: إذا تردى فى النار، أى إذا سقط فيها.

وقوله: «الحرون» فإن حبيب بن المهلب كان ربما انهزم عنه أصحابه فلا يريمُ
مكانه، فكان يلقبُ الحرون^(٣).

وقوله:

وما هى إلا رقدة تورث العلا

فهذا مأخوذ من قول أخيه يزيد بن المهلب، وذلك أنه قال فى يوم العقر -
وهو اليوم الذى قتل فيه: قاتل الله ابن الأ شعث! ما كان عليه لو غمض عينيه
ساعة للموت، ولم يكن قتل نفسه. وذلك أن ابن الأ شعث قام فى الليل وهو فى

(١) زيادات ر: « يصف الشجاعة والنجدة ».

(٢) سورة الليل ١١.

(٣) س: « بالحرون ».

سطح، للبول، فزعموا أنه ردى نفسه. وغير أهل هذا القول يقولون: بل سقط منه بَسَنَةُ النوم.

وقوله: «تورث العلا لرهطك» فالمعنى تورث العلا رهطك، وهذه اللام تزداد فى المفعول على معنى زيادتها فى الإضافة، تقول هذا ضارب زيدا، وهذا ضارب لزيد؛ لأنها لا تغير معنى الإضافة إذا قلت: هذا ضارب زيد وضارب له. وفى القرآن: ﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾^(١). وكذلك: ﴿إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ﴾^(٢). ويقول النحويون فى قوله تعالى: ﴿قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ﴾^(٣) إنما هو «ردفكم».

والنَّيْبُ: جمع ناب، وهى المُسَنَّةُ من الإبل، وتقديرها «فُعْلٌ» ساكنة، وأبدلت من الضمة كسرة لُتَّصِحَّ الياء، كما قلت فى أبيض: بيض، وإنما هو مثل أحمر وحمر، وكذلك أَشْيَبُ وشيب، فتقدير ناب ونيب إذا جاء على «فعل» و «فعلٍ» تقدير أسد وأسد، ووثن ووثن، وناب تقديرها «فعل» وإنما انقلبت الياء ألفاً فسكنت، وإنما تنقلب إذا كانت فى موضع حركة. والروايم قد مضى تفسيرها.

[شيخ من الأعراب وامراته]

وأنشدنى الزيادى قال: أنشدنى أبو زيد، قال: نَظَرَ شَيْخٌ مِنَ الْأَعْرَابِ إِلَى امْرَأَتِهِ تَتَصَنَّعُ وهى عجوز فقال:

عَجُوزُ تُرْجَى أَنْ تَكُونَ فَتِيَّةً وَقَدْ لَحَبَ الْجَنْبَانِ وَاحِدَوْدَبَ الظَّهَرِ
تَدُسُّ إِلَى الْعِطَارِ سُلْعَةً بَيْتِهَا وَهَلْ يُصْلِحُ الْعِطَارُ مَا أَفْسَدَ الدَّهْرُ

[قال أبو الحسن: وزادنى غير أبى العباس فى شعر هذا الأعرابى:

(٣) سورة يوسف ٤٣.

(١) سورة الزمر ١٢

(٣) سورة النحل ٧٣.

وما غرنى إلا خضاب بكفها وكحل بعينيهما وأثوابها الصفر
وجاءوا بها قبل المحاق بليلة فكان محاقاً كله ذلك الشهر

قال: فقالت له امرأته^(١):

ألم تر أن الناب تحلب علبه ويترك ثلب، لاضراب ولا ظهراً!

قال: ثم استغاثت بالنساء. وطلب الرجال فإذا هم خلوف^(٢)، فاجتمع النساء عليه فضربنه.

قوله: «قد لحب الجنبان»، يقول: قل لحمهما، يقال: بعير ملحو، وقد لحب مثل عرق.

وقوله:

* تدس إلى العطار سلعة بيتها *

يريد السويق والدقيق وما أشبه ذلك، وكل عرض فالعرب تقول له: سلعة، أنشدني عمار بن عقيل شعراً يمدح به خالد بن يزيد بن مزيد الشيباني ويذم تميم ابن خزيمة بن حازم النهشلي:

أترك إن قلت دراهم خالد وقد يسلع المرء^(٣) اللثيم اصطناعه
ويعتل نقد المرء وهو كريم فتى واسط في ابني نزار، محبب
إلى ابني نزار، في الخطوب عميم^(٤) فليت ببرديه لنا كان خالد
وكان بكر في الثراء تميم فيصبح فينا سابق متمهل
أغر، وفي بكر أغم بهميم

قوله:

* وقد يسلع المرء اللثيم اصطناعه *

(٢) خلوف: غائبون.

(١) س: «فقالت المرأة».

(٣) زيادات ر: «من رفع المرء» فصب اصطناعه وأما على تفسير أبي العباس فنصب «اصطناعه» لا غير.

(٤) فتى واسط في قومه: شريف فيهم.

وقوله: «أغم بهيم» فالغمم كثرة شعر الوجه والقفا، قال هذبة بن خشرم العذري:

فَلَا تَنْكِحِي إِنْ فَرَّقَ الدَّهْرُ بَيْنَنَا أَغَمَّ الْقَفَا وَالْوَجْهَ لَيْسَ بِأَنْزَعَا
والعرب تكره الغمم. والبهيم: الذي لا يخلط لونه غيره من أي لون كان.
وقولها:

* ألم تر أن الناب تحلب علبة *

تقول فيها منفعة على حال، والعلبة: إناء لهم من جلود يحلبون فيه، من ذلك قوله:

لَمْ تَتَلَقَّ بِفَضْلِ مِئْزَرِهَا دَعْدٌ، وَلَمْ تُغْذَ دَعْدٌ بِالْعَلْبِ
ومن أمثال العرب: «قد تحلب الضجور العلبة»، يضربون ذلك للرجل البخيل الذي لا يزال يُنال منه الشيء القليل، والضجور: الناقة السيئة الخلق، إنما تحلب حين تطلع عليها الشمس فتطيب نفسها، والثلب: الذي قد انتهى في السن من الإبل.

[من أقوالهم في الفقر والغنى]

وقال آخر:

وَلَمْ أَرْ مِثْلَ الْفَقْرِ أَوْضَعَ لِلْفَتَى
وَلَمْ أَرْ عَزًّا لِأَمْرٍ كَعَشِيرَةٍ
وَلَمْ أَرْ مِنْ عُدْمٍ أَضَرَّ عَلَى أَمْرٍ
وَلَمْ أَرْ مِثْلَ الْمَالِ أَرْفَعَ لِلرَّذَلِ
وَلَمْ أَرْ ذَلًّا مِثْلَ نَائٍ عَنِ الْأَصْلِ
إِذَا عَاشَ بَيْنَ النَّاسِ مِنْ عَدَمِ الْعَقْلِ

وقال آخر:

لَعَمْرِي، لَقَوْمُ الْمَرْءِ خَيْرٌ بَقِيَّةٍ
مِنَ الْجَانِبِ الْأَقْصَى، وَإِنْ كَانَ ذَا غَنًى
[وإن خبرتك النفس أنك قادر
إذا كنت في قوم عدا لست منهم
عليه، وإن عالوا به كل مركب
جزيل ولم يخبرك مثل مجرب
على ماحوت أيدي الرجال فكذب]
فكل ما علقت من خبيث وطيب

العداء: الغرباء فى هذا الموضع، ويقال للأعداء عداء، والعداء الأعداء لا غير.

وقال أعرابى من باهلة:

سَأَعْمَلُ نَصْرَ الْعَيْسِ حَتَّى يَكْفُنِي غَنَى الْمَالِ يَوْمًا أَوْ غَنَى الْحَدَثَانِ
فَلَلَمَوْتُ خَيْرٌ مِنْ حَيَاةٍ يُرَى لَهَا عَلَى الْمَرْءِ ذَى الْعَلِيَاءِ مَسٌّ هَوَانِ
مَتَى يَتَكَلَّمُ يُلْغِ حُكْمُ مَقَالِهِ وَإِنْ لَمْ يَقُلْ قَالُوا عَدِيمٌ بَيَانِ
كَأَنَّ الْغَنَى فِي أَهْلِهِ بُورِكَ الْغِنَى بَغَيْرِ لِسَانٍ نَاطِقٍ بِلِسَانِ

[من أخبار حارثة بن بدر الغداني]

ونظير هذا الشعر ما حدثنا به فى أمر حارثة بن بدر الغداني، فإننا حدثنا عن حارثة بن بدر، وكان رجلاً بنى تميم فى وقته، وكان قد غلب على زياد، وكان الشراب قد غلب عليه، فقليل لزياد: إن هذا قد غلب عليك وهو مستهتر^(١) بالشراب، فقال زياد: كيف لى باطراح رجل هو يسايرنى منذ دخلت العراق، لم يصحك ركابى ركاباه، ولا تقدمنى فنظرت إلى قفاه، ولا تأخر عني فلويت عنقى إليه، ولا أخذ على الشمس فى شتاء قط، ولا الروح فى صيف قط، ولا سألته عن علم إلا ظننت أنه لم يحسن غيره. فلما مات زياد جفاه عبيد الله، فقال له حارثة: أيها الأمير، ما هذا الجفاء مع معرفتك بالحال عند أبى المغيرة^(٢)! فقال له عبيد الله: إن أبا المغيرة كان قد برع بروعا لا يلحقه معه عيب، وأنا حدث، وإنما أنسب إلى من يغلب على، وأنت رجل تديم الشراب، فمتى قربتك فظهرت رائحة الشراب منك لم آمن أن يظن بى، فدع النبذ وكن أول داخل على وآخر خارج عني، فقال له حارثة: أنا لا أدعه لمن يملك ضررى ونفعى، أفأدعه للحال عندك؟ قال: فاختر من عملى ماشئت، قال: تولينى رامهرمز^(٣)، فإنها أرض عذاة^(٤)؛ وسرق^(٥) فإن بها شراباً ووصف لى. فولاه إياهما، فلما خرج شيعه الناس، فقال أنس بن أبى أنيس:

(١) مستهتر بالشراب. مولع به. (٢) كنية زياد.
(٣) رامهرمز: مدينة فى بلاد الفرس. (٤) أرض غداة: طيبة.
(٥) سرق: إحدى كور الأهواز.

فَكُنْ جُرْدًا فِيهَا تَخُونُ وَتَسْرِقُ
فَحَظُّكَ مِنْ مُلْكِ الْعِرَاقَيْنِ سُرْقُ
لِسَانًا بِهِ الْمَرْءُ الْهَيُوبَةُ يَنْطُقُ^(١)
يَقُولُ بِمَا يَهْوَى وَإِمَا مُصَدِّقُ
وَلَوْ قِيلَ: هَاتُوا حَقُّوْا لَمْ يُحَقِّقُوا

أَحَارَ بْنَ بَدْرٍ قَدْ وَلَيْتَ إِمَارَةً
وَلَا تَحْقِرَنَّ يَا حَارَ شَيْئًا وَجَدْتُهُ
وَبَاهُ تَمِيمًا بِالْغِنَى إِنَّ لِلْغِنَى
فَإِنَّ جَمِيعَ النَّاسِ، إِمَّا مُكَذِّبُ
يَقُولُونَ أَقْوَالًا وَلَا يَعْلَمُونَهَا

ورثي حارثة بن بدر زيادا - وكان زياد مات بالكوفة، ودفن بالثوية - فقال:

عِنْدَ الثَّوِيَّةِ يَسْفِي فَوْقَهُ الْمَوْرُ
فَشِمَّ كُلُّ التَّقَى وَالْبِرِّ مَقْبُورُ
وَإِنْ مِنْ غَرَّتِ الدُّنْيَا لِمَغْرُورُ
وَكَانَ عِنْدَكَ لِلنَّكَرَاءِ تَنْكِيرُ
إِنْ كَانَ بَيْتَكَ أَضْحَى وَهُوَ مَهْجُورُ
كَأَنَّمَا نَفَخْتَ فِيهَا الْأَعَاصِيرُ

صَلَّى إِلَهُهُ عَلَى قَبْرِ وَطْهَرَهُ
زَفَتْ إِلَيْهِ قُرَيْشٌ نَعَشَ سَيِّدَهَا
أَبَا الْمَغِيرَةَ وَالِدُنْيَا مُفْجَعَةً
قَدْ كَانَ عِنْدَكَ بِالْعُرُوفِ مَعْرِفَةٌ
وَكُنْتَ تَغْشَى وَتُعْطَى الْمَالُ مِنْ سَعَةٍ
النَّاسُ بَعْدَكَ قَدْ خَفَتْ حُلُومُهُمْ

ونظير هذا قول مهلهل يرثي أخاه كليباً، وكان كليب إذا جلس لم يرفع بحضرته صوت، ولم يستب بفنائهِ اثنان:

وَاسْتَبَّ بَعْدَكَ يَا كَلِيبُ الْمَجْلِسُ
لَوْ كُنْتَ حَاضِرَ أَمْرِهِمْ لَمْ يَنْبَسُوا

ذَهَبَ الْخِيَارُ مِنَ الْمَعَاشِرِ كُلِّهِمْ
وَتَقَاوَلُوا فِي أَمْرِ كُلِّ عَظِيمَةٍ

قول حارثة: «الثوية» فهي بناحية الكوفة، ومن قال الثوية: فهو تصغير الثوية، وكل ياء اتصلت بها ياء أخرى وقعت معتلة طرْقاً في التصغير فوليتها ياء التصغير فهي محدوفة، وذلك قولك في عطاء: عَطَى، وكان الأصل عَطِي، كما تقول في سحاب: سُحِبَ، ولكنها تحذف لاعتلالها، واجتماع ياءين معها، وتقول في تصغير أحوى: أَحَى، في قول من قال في أسود: أُسِيدَ، وهو الوجه الجيد، لأن الياء الساكنة إذا كانت بعدها واو متحركة قلبتها ياء، كقولك: أيام، والأصل «أيوم»، وكذلك سيد، والأصل سيود، ومن قال في تصغير أسود: أُسِيدَ، فهو جائز، وليس كالأول، قال في تصغير أحوى أحوى يافتى، فتثبت الياء، لأنه ليس فيها ما يمنعها من اجتماع الياءات، ومن قال أسود، فإنما أظهر الواو؛ لأنها كانت

(١) الهيوبه: الجبان.

فى التكرير متحركة، ولا تقول فى عجزو إلا عجيذة لأنها ساكنة، وإنما يجوز هذا على بعد إذا كانت الواو فى موضع العين من الفعل، أو ملحقة بالعين، نحو واو جدول، وإنما استجازوا إظهارها فى التصغير للتشبيه بالجمع، لأن ما جاوز الثلاثة فتصغيره على مثال جمعه، ألا تراهم يقولون فى الجمع: أساود وجداول. فهذا على التشبيه بهذا. فإن كانت الواو فى موضع اللام كانت منقلبة على كل حال، تقول فى غزوة: غزية، وفى عروة: عرية، فهذا شرح صالح فى هذا الموضوع، وهو مستقصى فى الكتاب المقتضب.

وقوله: «يسفى فوقه المور»، فمعناه أن الريح تَسْفِيه، وجعل الفعل للمور وهو التراب، وتقول: سَقَاكَ الله الغَيْثَ، ثم يجوز أن تجعل الفعل للغيث، فتقول: سَقَاكَ الغيث يافتى، وقال علقمة بن عبدة:

سَقَاكَ يَمَانُ ذُو حَيٍّ وَعَارِضٌ تَرُوحُ بِهِ جُنْحَ الْعَشِيِّ جَنْوِبُ
وقوله:

* زَفَّتْ إِلَيْهِ قَرِيشُ نَعَشٍ سِيدَهَا *

يقال: زَفَفْتُ السَّرِيرَ، وَزَفَفْتُ الْعُرُوسَ. وحدثني أبو عثمان المازنى قال: حدثني الزيادى قال: سمعت قوما من العرب يقولون: أَرَفَفْتُ الْعُرُوسَ، وهى لغة.

وقوله: «نَعَشَ سِيدَهَا» يريد موضعه من النَّسَبِ، لأنه نسبته إلى أبى سُفْيَانَ. وكان رئيس قريش قبل مَبْعَثِ النَّبِيِّ ﷺ، وله يقول رسول الله ﷺ: «كل الصيد فى بطن الفرا». وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يفرش فراشا فى بيته فى وقت خلافته فلا يجلس عليه إلا العباس بن عبدالمطلب وأبو سفيان بن حرب، ويقول: هذا عم رسول الله ﷺ، وهذا شيخ قريش. وكان حرب بن أمية رئيس: قريش يوم الفجار، فكان آل حرب إذا ركبوا فى قومهم من بنى أمية قَدَمُوا فى المَوَاكِبِ، وَأُخْلِيتْ لَهُم صُدُورُ الْمَجَالِسِ، إِلَّا رَهْطَ عَثْمَانَ رضى الله عنه، فإن التقديم لهم فى الإسلام بعثمان. وكان أبو سفيان صاحب العير يوم بدر، وصاحب الجيش يوم

أُحْدَ وَفِي يَوْمِ الْحَنْدَقِ، وَإِلَيْهِ كَانَتْ تَنْظُرُ قَرِيشٌ فِي يَوْمِ فَتْحِ مَكَّةَ، وَجَعَلَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ مِنْ دَخَلَ فِي دَارِهِ فَهُوَ آمِنٌ فِي حَدِيثٍ مشهور. وقوله:

كأَنا نَفَخْتُ فِيهَا الْأَعاصِيرُ

هذا مثْلٌ، وإنما يراد خَفَّةُ الحُلُومِ. والإعصارُ - فيما ذكر أبو عبيدة: رِيحٌ تَهْبُ بِشِدَّةٍ فيما بين السماء والأرض. ومن أمثال العرب: «إن كنت ريحا فقد لاقيت إعصاراً»، يُضْرَبُ للرجل يكون جَلْدًا فيُصَادَفُ مَنْ هو أَجْلَدُ منه، قال الله عز وجل: ﴿فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ﴾^(١).

وقال رسول الله ﷺ: «كُلُّ الصَّيْدِ فِي بَطْنِ الْفَرَا»، يعنى الحمار الوحشى. وذلك أن أَجَلَ شَيْءٍ يصيده الصائد الحمار الوحشى، فإذا ظفر به، فكأنه قد ظفر بجملته الصيد، والعرب تختلف فيه، فبعضهم يَهْمِزُهُ فيقول: هذا فرأ، كما ترى، وهو الأكثر، وبعضهم لا يَهْمِزُهُ، ومن أمثالهم، «أُنْكَحْنَا الْفَرَا، فَسَرَى»، أى زَوَّجْنَا مِنْ لَا خَيْرَ فِيهِ فَسَنَعْلَمُ كَيْفَ الْعَاقِبَةُ، وَجَمَعُهُ فِي الْقَوْلَيْنِ جَمِيعًا «فِرَاءٌ» كما ترى، ونظيره: جَمَلٌ وَجِمَالٌ، وَجَبَلٌ وَجِبَالٌ، قال الشاعر.^(٢)

بضرب كآذان الفراء فضوله وطعن كإيزاغ المخاض تبورها الإيزاغ: دَفَعَ الناقة ببولها، يقال: أَوْزَعَتْ بِهِ إِيْزَاغًا، وَأَزْغَلَتْ بِهِ إِيْزَاغًا، وذلك حين تَلْقَحُ، فعند ذلك يقال لها: خلفه، وللجميع المخاض، وقد مرّ هذا. والبور: أن تُعْرَضَ عَلَى الْفَحْلِ لِيُعْلَمَ: أَيْ حَامِلٌ أَمْ حَائِلٌ؟

الخبائى البرجمى وهو فى السجن

وقال ضابىء بن الحارث البرجمى^(٣):

وَمَنْ يَكْ أَمْسَى بِالْمَدِينَةِ رَحْلُهُ
فإِنِّى وَقِيَّارًا بِهَا لَغَرِيبٌ
وَمَا عَاجِلَاتُ الطَّيْرِ تَدْنِى مِنَ الْفَتَى
نَجَاحًا وَلَا عَنْ رِثْهِنَّ يَخِيبٌ
وَرُبُّ أُمُورٍ لَا تَضِيرُكَ ضَيْرَةٌ
وَلِلْقَلْبِ مِنْ مَخْشَاتِهِنَّ وَجِيبٌ
وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يُوطِنُ نَفْسَهُ
عَلَى نَائِبَاتِ الدَّهْرِ حِينَ تَنْوِبُ

(٢) هو مالك بن زغبة الباهلى.

(١) سورة البقرة ٢٦٦.

(٣) زيادات ر: «من السجن».

* فإني وقيارا بها لغريب *

أراد: فإني لغريبٌ بها وقياراً، ولو رفع لكان جيداً، تقول: إن زيداً منطلقٌ وعَمراً وعَمُرو، فمن قال: «عمرًا» فإنما رَدَّه على زيد، ومن قال: عمرو فله وجهان من الإعراب: أحدهما جيد، والآخر جائز، فأما الجيد فأن تَحْمِلَ عمرا على الموضع، لأنك إذا قلت: إن زيدا منطلق فمعناه زيد منطلق فرددته على الموضع، ومثل هذا لست بقائم ولا قاعدا، والباء زائدة، لأن المعنى لست قائما ولا قاعدا، ويقرأ على وجهين: ﴿إِنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾^(١)، ﴿وَرَسُولُهُ﴾، والوجه الآخر أن يكون معطوفاً على المضمر في الخبر، فإن قلت إن زيدا منطلق هو وعمرو حسن العطف لأن المضمر المرفوع إنما يحسن العطف عليه إذا أكدته، كما قال الله تعالى: ﴿أَذْهَبَ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا﴾^(٢) و﴿اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾^(٣) وإنما قُبِحَ العطف عليه بغير تأكيد لأنه لا يخلو من أن يكون مُسْتَكْنًا في الفعل بغير علامة، أو في الاسم الذي يَجْرَى مَجْرَى الفعل، نحو إن زيدا ذَهَبَ وإن زيدا ذاهبٌ فلا علامة له، أو تكون له علامةٌ يتغير لها الفعل عما كان عليه نحو ضَرَبْتُ، سَكَنْتَ الباء التي هي لام الفعل من أجل الضمير لأن الفعل والفاعل لا يَنفَك أحدهما عن صاحبه فهما كالشيء الواحد، ولكن المنصوبَ يَجُوزُ العطفُ عليه، وَيَحْسُنُ بلا تأكيد، لأنه لا يُغَيِّرُ الفعل إذ كان الفعل قد يقع ولا مفعول فيه، نحو ضَرَبْتُكَ وزيدا، فأما قول الله عز وجل: ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا﴾^(٤)، فإنما يحسن بغير توكيد لأن «لا» صارت عوضا، والشاعر إذا احتاج أجراه بلا توكيد لاحتمال الشعر ما لا يحسن في الكلام. قال عمر بن أبي ربيعة:

قُلْتُ إِذْ أَقْبَلْتُ وَزُهْرٌ تَهَادَى كِنَعَاكِ الْمَلَأَ تَعَسَّفَنَ رَمَلًا
وقال جرير:

وَرَجَا الْأَخْيَطِلُ مِنْ سَفَاهَةِ رَأْيِهِ مَا لَمْ يَكُنْ وَأَبٌ لَهُ لِينَالًا
فهذا كثير. فأما النعت إذا قلت إن زيدا يقومُ العاقلُ فأنت مخير إن شئت

(٢) سورة المائدة ٢٤

(٣) سورة الأنعام ١٤٨

(١) سورة التوبة ٣

(٣) سورة البقرة ٣٥

قلت العاقل فجعلته نعتا لزيد، أو نصبته على المدح وهو بإضمار أعنى، وإن شئت رفعت على أن تبدله من المضمر فى الفعل، وإن شئت كان على قطع وابتداء، كأنك قلت إن زيدا قام، فقليل من هو؟ فقلت: العاقل، كما قال الله عز وجل: ﴿قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكُمُ النَّارِ﴾^(١)، أى هو النار. والآية تقرأ على وجهين على ما فسرنا: ﴿قُلْ إِنْ رَبِّى يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَامُ الْغُيُوبِ﴾^(٢) وعلامة الغيوب.

وقوله:

وما عَاجِلَاتُ الطَّيْرِ تُدْنِي مِنَ الْفَتَى نَجَاحًا

يقول: إذا لم تعجل له طير سائحة فليس ذلك بمبعد خيرا عنه، ولا إذا أبطأت خاب، فعاجلها لا يأتيه بخير، وأجلها لا يدفعه عنه، إنما له ما قدر له، والعرب تزجر على السائح وتترك به، وتكره البارح وتشاء به، والسائح: ما أراك مبصرة فأمكن الصائد، والبارح: ما أراك ميامنه فلم يمكن الصائد، إلا أن ينحرف له، وقد قال الشاعر:

لَا يَعْلَمُ الْمَرْءُ لَيْلًا مَا يُصَبِّحُهُ إِلَّا كَوَازِبَ مِمَّا يُخْبِرُ الْفَالُ
وَالْفَالُ وَالزَّجْرُ وَالْكُهَّانُ كُلُّهُمْ مُضِلُّونَ، وَدُونُ الْغَيْبِ أَقْفَالُ

وقوله:

وَرُبَّ أُمُورٍ لَا تَضِيرُكَ ضَيْرَةٌ وَلِلْقَلْبِ مِنْ مَخْشَاتِهِنَّ وَجِيبٌ^(٣)
فإن العرب تقول: ضاره يضره ضيرة. ولا ضير عليه، وضره يضره، ولا ضرر عليه [ولا ضرر عليه]^(٤)، ويقال: أصابه ضر، وأصابه ضر بمعنى، والضر مصدر، والضر اسم. وقد يكون الضر من المرض، والضر عاما، وهذا معنى حسن، وقد قال أحد المحدثين، وهو إسماعيل بن القاسم أبو العتاهية:

وَقَدْ يَهْلِكُ الْإِنْسَانُ مِنْ بَابِ أَمْنِهِ وَيَنْجُو بِإِذْنِ اللَّهِ مِنْ حَيْثُ يَحْذَرُ

(٢) سورة سبأ ٤٨.

(٤) الزيادة من س.

(١) سورة الحج ٧٢.

(٣) المخشاة: الخشية: والوجيب: خففاق القلب واضطرابه.

(٥) سورة النساء: ١٩.

وقال الله عز وجل: ﴿فَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ (١).

وقال رجل لمعاوية: والله لقد بايعتك وأنا كاره، فقال معاوية: قد جعل الله في الكره خيراً كثيراً.

وقوله:

وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يُوطِّنُ نَفْسَهُ عَلَىٰ نَائِبَاتِ الدَّهْرِ حِينَ تَنُوبُ

نظيره قول كثير:

أَقُولُ لَهَا، يَا عَزَّ كُلُّ مُصِيبَةٍ إِذَا وُطِّنَتْ يَوْمًا لَهَا النَّفْسُ ذَلَّتْ
وكان عبد الملك بن مروان يقول: لو كان قال هذا البيت في صفة الحرب
لكان أشعر الناس.

وحكى عن بعض الصالحين أن ابناً له مات فلم ير به جزع، ف قيل له في ذلك، فقال: هذا أمر كنا نتوقعه، فلما وقع لم ننكره.

باب

[جرير بن عبد الله البجلي عن معاوية]

قال أبو العباس: وجه على بن أبي طالب رضى الله عنه جرير بن عبد الله البجلي إلى معاوية رحمه الله يأخذه بالبيعة له، فقال له: «إِنَّ حَوْلِي مَنْ تَرَى مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَلَكِنِّي اخْتَرْتُكَ لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِيكَ: «خَيْرُ ذِي يَمَنِ»، إِيْتِ مُعَاوِيَةَ فَخُذْهُ بِالْبَيْعَةِ، فَقَالَ جَرِيرٌ: وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا أَدَّخَرُكَ مِنْ نُصْرَتِي شَيْئًا، وَمَا أَطْمَعُ لَكَ فِي مُعَاوِيَةَ، فَقَالَ عَلَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِنَّمَا قَصْدِي حُجَّةٌ أُقِيمُهَا عَلَيْهِ، فَلَمَّا آتَاهُ جَرِيرٌ دَافَعَهُ مُعَاوِيَةُ، فَقَالَ لَهُ جَرِيرٌ: إِنَّ الْمُنَافِقَ لَا يُصَلِّي حَتَّى لَا يَجِدَ مِنَ الصَّلَاةِ بُدًّا، وَلَا أَحْسَبُكَ تَبَايَعُ حَتَّى لَا تَجِدَ مِنَ الْبَيْعَةِ بُدًّا! فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ: إِنَّهَا لَيْسَتْ بِخُدْعَةِ الصَّبِيِّ عَنِ اللَّبَنِ إِنَّهُ أَمْرٌ لَهُ مَا بَعْدَهُ، فَأَبْلَعْنِي رِيقِي. فَنَظَرَ عَمْرًا، فَطَالَتِ الْمُنَازَرَةُ بَيْنَهُمَا، وَأَلَحَّ عَلَيْهِ جَرِيرٌ، فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ: أَلْقَاكَ بِالْفَصْلِ فِي أَوَّلِ مَجْلِسٍ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

ثم كتب لعمر بن الخطاب بمصر طعنة، وكتب عليه «وَلَا يَنْقُضُ شَرْطُ طَاعَةٍ»، فقال عمرو: يَا غُلَامُ اكْتُبْ: وَلَا تَنْقُضُ طَاعَةً شَرْطًا، فَلَمَّا اجْتَمَعَ لَهُ أَمْرُهُ رَفَعَ عَقِيرَتَهُ^(١) يُنْشِدُ لِيُسْمَعَ جَرِيرًا:

تَطَاوَلَ لَيْلِي وَأَعْتَرَتْنِي وَسَاوِسِي
أَتَانِي جَرِيرٌ وَالْحَوَادِثُ جَمَّةٌ
أَكَايِدُهُ وَالسَّيْفُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ
إِنْ الشَّأْمُ أَعْطَتْ طَاعَةً يَمْنِيَّةً
فَلِنْ يَفْعَلُوا أَصْدَمَ عَلَيَّا بِجِهَةٍ^(٢)
وَإِنِّي لِأَرْجُو خَيْرَ مَا نَالَ نَائِلٌ

[كتاب معاوية إلى علي]

وكتب إلى علي رضى الله عنه:

(٢) البساس في الأصل: الفقر الواسع، يريد الأباطيل.

(١) العقيرة: الصوت.

(٣) زيادات ر: «الجهة: جماعة الخيل».

بسم الله الرحمن الرحيم، من معاوية بن صخر إلى علي بن أبي طالب: أما بعد: فلعمري لو بايعك القوم الذين بايعوك وأنت برىء من دم عثمان كنت كأبي بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم أجمعين، ولكنك أغريت بعثمان المهاجرين، وخذلت عنه الأنصار، فأطاعك الجاهل، وقوى بك الضعيف. وقد أبى أهل الشام إلا قتالك حتى تدفع إليهم قتلة عثمان، فإن فعلت كانت شورى بين المسلمين. ولعمري ما حجتك على كحجتك على طلحة والزبير؛ لأنهما بايعاك ولم أبأيعك. وما حجتك على أهل الشام كحجتك على أهل البصرة؛ لأن أهل البصرة أطاعوك ولم يطعك أهل الشام. وأما شرفك في الإسلام، وقربتك من رسول الله ﷺ وموضعك من قريش فلست أدفعه. ثم كتب إليه في آخر الكتاب بشعر كعب بن جعيل، وهو:

أَرَى الشَّامَ تَكَرَّهُ مُلْكَ الْعِرَاقِ وَأَهْلَ الْعِرَاقِ لَهُمْ كَارِهِنَا
وَكُلًّا لِصَاحِبِهِ مُبْغَضًا يَرَى كُلَّ مَا كَانَ مِنْ ذَلِكَ دِينًا
إِذَا مَا رَمَوْنَا رَمَيْنَاهُمْ وَدَنَاهُمْ مِثْلَ مَا يَقْرَضُونَا
فَقَالُوا: عَلَى إِمَامٍ لَنَا فَقُلْنَا: رَضِينَا ابْنَ هَنْدٍ رَضِينَا
وَقَالُوا: نَرَى أَنْ تَدِينُوا لَهُ فَقُلْنَا: أَلَا لَا نَرَى أَنْ نَدِينَا
وَمِنْ دُونِ ذَلِكَ خَرَطُ الْقَتَادِ وَضَرْبُ وَطْعَنٍ يَقْرُ الْعِيُونَا

وأحسن الروایتين: «يفض الثنونا»، وفي آخر هذا الشعر ذم لعلي بن أبي طالب رضى الله عنه أمسكنا عن ذكره.

قوله: «ولكنك أغريت بعثمان المهاجرين» فهو من الإغراء وهو التحريض عليه، يقال أغريته به، وأسدته عليه، وأسدت الكلب على الصيد أسدته إيساداً، ومن قال: أشليت الكلب في معنى أغريت فقد أخطأ، إنما أشليت دعوته إلى، وأسدته أغريته.

وقول ابن جعيل:

* وأهل العراق لهم كارهينا *

محمول على «أرى»، ومن قال:

* أهل العراق لهم كارهونا *

فالرفع من وجهين: أحدهما قطعٌ وابتداءٌ، ثم عطفَ جملة على جملة بالواو، ولم يحملها على أرى، ولكن كقولك كان زيدٌ منطلقاً، وعمرُو منطلقٌ الساعة، خَبَرْتُ بخبر بعد خبر، والوجه الآخر أن تكون الواو وما بعدها حالا، فيكون معناها «إذ» كما تقول رأيت زيدا قائماً وعمرُو منطلق، تريد إذ: عَمَرُو منطلق. وهذه الآية تُحْمَلُ على هذا المعنى، وهو قول الله عز وجل: ﴿يَغْشَى طَائِفَةٌ مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ﴾^(١)، والمعنى - والله أعلم: إذ طائفةٌ في هذه الحال - وكذلك قراءة من قرأ: ﴿وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾^(٢)، أى والبحرُ هذه حاله، ومن قرأ ﴿وَالْبَحْرُ﴾ فعلى «أن».

وقوله:

* وَدَنَاهُمْ مِثْلَ مَا يَقْرَضُونَا *

يقول جزيناها. وقال المفسرون فى قوله عز وجل: ﴿مَالِكِ يَوْمَ الدِّينِ﴾^(٣). قالوا: يومَ الجزاء والحساب، ومن أمثلة العرب: «كما تدينُ تُدانُ»، وأنشد أبو عبيدة^(٤).

وَأَعْلَمَ وَأَيَقِنُ أَنَّ مُلْكَكَ زَائِلٌ وَأَعْلَمُ بِأَنَّ كَمَا تَدِينُ تُدَانُ
وللدين مواضع: منها ما ذكرنا، ومنها الطاعة ودينُ الإسلام من ذلك يقال: فلان فى دين فلان، أى فى طاعته، ويقال: كانت مكة بلداً لقاها، أى لم يكونوا فى دين ملك، وقال زهير:

لَئِنْ حَلَلْتَ بِجَوْ فِى بَنَى أَسَدٍ فِى دِينِ عَمَرٍ وَحَالَتْ بَيْنَنَا فَدَكُ
فهذا يريد: فى طاعة عمرو بن هند، والدين: العادة، يقال: ما زال هذا دينى ودأبى وعادتى وديدى وإجرباى، قال المُنَقَّبُ العبدى:

(١) سورة آل عمران ١٥٤.

(٢) سورة لقمان ٢٧.

(٣) سورة الفاتحة ٤.

(٤) زيادات: «الشعر ليزيد بن الصعق الكلابى وله خبر». وقد أورد هذا الخبر المرصفى فى رغبة الأمل: ٣.

٢١٤، ٢١٥.

تَقُولُ إِذَا دَرَأْتُ لَهَا وَضِيئِي أَهَذَا دِينُهُ أَبَدًا وَدِينِي!
أَكَلَّ الدَّهْرُ حَلًّا وَارْتَحَالَ أَمَا تُبْقَى عَلَيَّ وَمَا تَقِينِي!

وقال الكميت بن زيد:

عَلَى ذَاكَ إِجْرِيَايَ وَهِيَ ضَرِيَّتِي وَإِنْ أَجْلَبُوا طَرَأُ عَلَيَّ وَأَحْلَبُوا^(١)
وقوله:

* فقلنا رضىنا ابن هند رضىنا *

يعنى معاوية بن أبى سفيان، وأمه هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس
ابن عبد مناف.

وقوله: «أَنْ تَدِينُوا لَهُ» أى أَنْ تَطِيعُوهُ وَتَدْخُلُوا فِي دِينِهِ: أى فِي طَاعَتِهِ:
وقوله:

* وَمِنْ دُونِ ذَلِكَ خَرَطَ الْقَتَادُ *

فهذا مثل من أمثال العرب، والقَتَادُ: شُجِيرَةٌ شَاكَةٌ غَلِيظَةٌ أَصُولُ الشَّوْكِ،
فلذلك يَضْرِبُ خَرَطُهُ مَثَلًا فِي الْأَمْرِ الشَّدِيدِ، لَأَنَّهُ غَايَةُ الْجَهْدِ. وَمَنْ قَالَ: «يَفْضُ
الشُّوْنَا»، فَيَفْضُ يُفَرِّقُ، تقول: فَضَضْتُ عَلَيْهِ الْمَالَ. وَالشُّوْنَا، وَاحِدُهَا شَأْنٌ،
وَهِيَ مَوَاصِلُ قَبَائِلِ الرَّأْسِ، وَذَلِكَ أَنَّ لِلرَّأْسِ أَرْبَعَ قَبَائِلَ، أَيْ قِطْعَ مَشْعُوبٍ بَعْضُهَا
إِلَى بَعْضٍ، فَمَوْضِعُ شُعْبِهَا يُقَالُ لَهُ: الشُّوْنَا، وَاحِدُهَا شَأْنٌ، وَزَعَمَ الْأَصْمَعِيُّ قَالَ:
يُقَالُ إِنْ مَجَارَى الدَّمُوعِ مِنْهَا، فَلِذَلِكَ يُقَالُ: اسْتَهَلْتُ شُئُونَهُ، وَأَنْشَدَ قَوْلَ أَوْسَ بْنِ
حَجَرَ:

لَا تَحْزِنِيَنِ بِالْفِرَاقِ فَإِنِّي لَا تَسْتَهْلُ مِنْ الْفِرَاقِ شُئُونِي

وَمَنْ قَالَ «يَقْرُ الْعَيُونَا»، ففیه قولان: أحدهما للأصمعي، وكان يقول: لَا
يجوز غيره، يقال: قَرَّتْ عَيْنُهُ وَأَقْرَّهَا اللَّهُ، وَقَالَ: إِنَّمَا هُوَ بَرَدَتْ مِنَ الْقُرِّ، وَهُوَ
خِلَافُ قَوْلِهِمْ: سَخَنْتُ عَيْنَهُ وَأَسَخَّنَهَا اللَّهُ، وَغَيْرُهُ يَقُولُ: قَرَّتْ هَدَاةً، وَأَقْرَّهَا اللَّهُ
أَهْدَاها اللَّهُ، وَهَذَا قَوْلٌ حَسَنٌ جَمِيلٌ، وَالْأَوَّلُ أَغْرَبُ وَأَطْرَفُ.

(١) اجرياي: عادتي. وأجلبوا: صاحوا. وأحلبوا: تألبوا.

[المعاوية جواب علي بن أبي طالب]

فكتب إليه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه جواب هذه الرسالة:

بسم الله الرحمن الرحيم: من علي بن أبي طالب إلى معاوية بن صخر، أما بعد: فإنه أتاني منك كتابٌ أمرني ليس له بصَرٌ يهديه، ولا قائد يرشده، دعا الهوى فأجابه، وقاده فاتبعه، زعمت أنك إنما أفسد عليك بيعتي خطيئتي في عثمان. ولعمري ما كنت إلا رجلاً من المهاجرين أوردت كما أوردوا، وأصدرت كما أصدروا، وما كان الله ليجمعهم على ضلال، ولا ليضربهم بالعمى!

وبعد، فما أنت وعثمان! إنما أنت رجل من بني أمية، وبنو عثمان أولى بمطالبة دمه، فإن زعمت أنك أقوى على ذلك، فادخل فيما دخل فيه المسلمون، ثم حاكم القوم إلى. وأما تمييزك بينك وبين طلحة والزبير وأهل الشام وأهل البصرة. فلعمري ما الأمر فيما هناك إلا سواء، لأنها بيعة شاملة، لا يستثنى فيها الخيار، ولا يستأنف فيها النظر. وأما شرفي في الإسلام، وقرابتي من رسول الله ﷺ، وموضعي من قریش، فلعمري لو استطعت دفعه لدفعته.

ثم دعا النجاشي أحد بني الحارث بن كعب فقال له: إن ابن جعيل شاعر أهل الشام، وأنت شاعر أهل العراق، فأجب الرجل، فقال: يا أمير المؤمنين، أسمعني قوله، قال: إذا أسمعك شعر شاعر، فقال النجاشي يجيبه: دَعَا يَامُعَاوَى مَا لَنْ يَكُونَا فَقَدْ حَقَّقَ اللَّهُ مَا تَحْذَرُونَا أَتَاكُمْ عَلَىٰ بِأَهْلِ الْعِـرَاقِ وَأَهْلَ الْحِجَازِ فَمَا تَصْنَعُونَا! وبعد هذا ما نُمسك عنه.

قوله: «ليس له بصَرٌ يهديه»، فمعناه يقوده، والهادى: هو الذي يتقدم فيدل، والهادى: الذي يتأخر فيسوق، والعنق يسمى الهادى لتقدمه، قال الأعشى: إِذَا كَانَ هَادِي الْفَتَى فِي الْبَلَا دِ صَدَرَ الْقَنَاءِ أَطَاعَ الْأَمِيرَا يصف أنه قد عمى فإنما تهديه عصاً، ألا تراه يقول: وَهَابَ الْعِثَارُ إِذَا مَا مَشَى وَخَالَ السُّهُولَةَ وَعَثَا وَعُورَا

وقال القُطامي:

إِنِّي وَإِنْ كَانَ قَوْمِي لَيْسَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ قَوْمِكَ إِلَّا ضَرْبَةُ الْهَادِي

وقال أيضاً:

قَرَّبَنَ يَقْصُرْنَ مِنْ بَزْلِ مُخَيَّسَةٍ وَمِنْ عِرَابٍ بَعِيدَاتٍ مِنَ الْحَادِي

وقوله: «ولا قائد يُرْشِدُهُ» قد أبان به الأول.

وقوله: «دعاه الهوى» فالهوى من «هويت» مقصور، وتقديره «فَعَلَ»، فانقلبت الياء ألفاً، فلذلك كان مقصوراً، وإنما كان كذلك لأنك تقول: هَوِيَ يَهْوَى، كما تقول: فَرَّقَ يَفَرِّقُ وهو هَوٍ، كما تقول: هَوَّ فَرَّقُ، كما ترى، وكان المصدر على «فَعَلَ» بمنزلة الفَرَّقِ والحَذَرِ والبَطْرِ؛ لأن الوزن واحد في الفعل واسم الفاعل، فأما الهواءُ، من الجَوِّ فممدود، يَدُلُّكَ على ذلك جمعه إذا قلت: أهويةٌ، لأن أفعلة إنما تكون جمع فعّال وفعال وفَعُول وفَعِيل، كما تقول قَدَالٌ وَأَقْدَلَةٌ وحمار وأحمرَةٌ، فَهَوَاءٌ كذلك، والمَقْصُورُ جمعه أهواء فاعلم، لأنه على فَعَلَ، وجمع فعل أفعالٌ، كما تقول: جَمَلٌ وأَجْمَالٌ وَقَتَبٌ وأَقْتَابٌ، قال الله عز وجل: «وَاتَّبِعُوا أَهْوَاءَ هُمْ»^(١). وقوله هذا هواء يافتى في صفة الرجل إنما هو دَمٌّ، يقول: لا قَلْبَ له، قال الله عز وجل: «وَأَفْعَدْتُهُمُ هَوَاءً»^(٢) أى خالية، وقال زهيرٌ:

كَأَنَّ الرَّحْلَ مِنْهَا فَوْقَ صَعْلٍ مِنَ الظُّلْمَانِ جُؤْجُؤُهُ هَوَاهُ

وهذا من هَوَاءِ الجَوِّ، قال الهذلي^(٣):

هَوَاءٌ مِثْلُ بَعْلِكَ مُسْتَمِيتٌ عَلَى مَا فِي وَعَائِكَ كَالْخِيَالِ

وكل واو مكسورة وقعت أولاً فهمزها جائز يُشَدُّ: «على ما في إعانك»، ويقال: وسادةٌ وإسادةٌ ووِشاحٌ وإِشاحٌ.

وأما قوله: «فما أنتَ وعثمانُ» فالرفع فيه الوجه لأنه عطف اسماً ظاهراً على اسم مضمّر منفصلٌ وأجراه مجراه، ولس ههنا فَعْلٌ، فَيُحْمَلُ على المفعول، فكأنه قال: فما أنتَ وما عثمان، هذا تقديره في العربية، ومعناه لَسْتُ منه في شيء، قد

(٢) سورة إبراهيم ٤٣.

(١) سورة محمد ١٤.

(٣) هو حبيب الأعمى، وانظر ديوان الهذليين ٢: ٨٣.

ذكر سيبويه رحمه الله النصب وجوزه جوازاً حسناً وجعله مفعولاً معه، وأضمر
كان من أجل الاستفهام، فتقديره عنده: ما كنت وفلاًناً. وهذا الشعر كما أصف
لك ينشد:

وَأَنْتَ امْرُؤٌ مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ وَأَهْلُنَا تَهَامٌ وَمَا النَّجْدِيُّ وَالْمُتَغَوِّرُ!
وكذلك قوله (١):

تَكَلَّفْنِي سَوِيْقَ الْكَرْمِ جَرْمٌ وَمَا جَرْمٌ وَمَا ذَاكَ السَّوِيْقُ!
فإن كان الأول مضمراً متصلاً كان النصب، لئلا يُحْمَلَ ظاهر على مضمّر،
تقول: مالكٌ وزيداً، وذلك أنه أَضْمَرَ الفعلَ، فكانه قال في التقدير: وَمُلاَبَسَتَكَ
زيداً، وفي النحو تقديره: مع زيد. وإنما صَلَحَ الإضمار لأن المعنى عليه إذا قلت:
مالكٌ وزيداً! فإنما تهاه عن ملابسته، إذا لم يجز «زيد» وَأَضْمَرْتَ لأن حروف
الاستفهام للأفعال، فلو كان الفعل ظاهراً لكان على غير إضمار، نحو قولك:
مازلت وعبد الله حتى فعل، لأنه ليس يريد: ما زلتُ وما زال عبدُ الله، ولكنه
أراد: وما زلتُ بعبد الله. فكان المفعول مخفوضاً بالياء، فلما زال ما تخفضه وصل
الفعل إليه فنصبه، كما قال تعالى: ﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا﴾ (٢)،
فالواو في معنى مع، وليست بخافضة، فكان ما بعدها على الموضع، فعلى هذا
ينشد هذا الشعر (٣):

فَمَالِكَ وَالتَّلْدُدَ حَوْلَ نَجْدٍ وَقَدْ غَصَّتْ تِهَامَةٌ بِالرَّجَالِ (٤)

ولو قلت: ما شأنك وزيداً! لاختير النصب، لأن زيداً لا يلتبس بالشأن،
لأن المعطوف على الشيء أبداً في مثل حاله، ولو قلت: ما شأنك وشأنُ زيد
لرفعت، لأن الشأن يعطف على الشأن، وهذه الآية تفسرُ على وجهين من
الإعراب: أحدهما هذا، وهو الأجود فيها، وهو قوله عز وجل: ﴿فَأَجْمَعُوا
أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ﴾ (٥) فالمعنى والله أعلم: مع شركائكم، لأنك تقول: جمعت

(٢) سورة الأعراف ١٥٥.

(٤) التلدد: التلفت يمينا وشمالا.

(١) زيادات ر: «هو الأعجم».

(٣) زيادات ر: «هو مسكين الدارمي».

(٥) سورة يونس: ١٧.

قومي، وأَجْمَعْتُ أُمْرِي. ويجوز أن يكون لما أَدْخَلَ الشركاء مع الأمر حملة على مثل لفظه؛ لأن المعنى يرجع إلى شيء واحد. فيكون كقوله^(١).
يَا لَيْتَ زَوْجَكَ قَدْ غَدَا مُتَقَلِّدًا سَيْفًا وَرُمْحًا
وقال آخر:

* شَرَّابُ الْبَانِ وَتَمَرٍ وَأَقِطُ *

وهذا بين.

[بخالد بن يزيد بن معاوية عند عبد الملك بن مروان]

ويروى أن عبد الله بن يزيد بن معاوية أتى أخاه خالدًا، فقال: يا أخي، لقد هَمَمْتُ اليومَ أن أَفُتِكَ بالوليد بن عبد الملك فقال له خالد: بئس والله ما هَمَمْتَ به في ابن أمير المؤمنين، ووكلي عهد المسلمين! فقال: إن خيلي مَرَّتْ به فَعَبَثَ بها وَأَصْغَرَنِي، فقال له خالد: أنا أَكْفِيكَ. فدخل خالد على عبد الملك والوليد عنده؟ فقال: يا أمير المؤمنين، الوليدُ ابن أمير المؤمنين، ووكلي عهد المسلمين، مَرَّتْ به خيل ابن عمه عبد الله بن يزيد فَعَبَثَ بها، وَأَصْغَرَهُ. وعبد الملك مُطْرَقٌ، فرفع رأسه، فقال: ﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَهْلَهَا أَذَلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾^(٢)، فقال خالد: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾^(٣)، فقال عبد الملك: أفى عبد الله تُكَلِّمَنِي؟ والله لقد دَخَلَ عَلَى فَمَا أَقَامَ لِسَانَهُ لِحْنًا! فقال له خالد: أَفَعَلَى الْوَلِيدِ تُعَوِّلُ؟ فقال عبد الملك: إن كان الوليدُ يَلْحَنُ فَإِنْ أَخَاهُ سُلَيْمَانُ، فقال له خالد: وإن كان عبد الله يَلْحَنُ فَإِنْ أَخَاهُ خَالِدُ، فقال له الوليد: اسكت يا خالد، فوالله ما تعد في العير ولا في النفير، فقال خالد: اسْمَعْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ وَقَالَ: وَيَحْكُ فَمَنِ الْعِيرِ وَالنَّفِيرِ غَيْرِي؟ جدي أبو سفيان صاحب العير، وجدي عتبة بن ربيعة صاحب النفير، ولكن لو قلت: غَنِيْمَاتٌ، وَحَبِيْلَاتٌ، وَالطَّائِفُ، وَرَحِمَ اللَّهُ عُثْمَانَ لَقُلْنَا: صَدَقْتَ!

(١) زيادات ر: «هو عبد الله بن الزبير».

(٢) سورة النمل: ٣٤.

(٣) سورة الإسراء: ١٦.

أما قوله: «فى العير» فهى عير قُرَيْشِ التى أَقْبَلَ بها أبو سفيان من الشام فَنَهَدَ إِلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَنَدَبَ إِلَيْهَا الْمُسْلِمِينَ، وقال: «لَعَلَّ اللَّهَ يُنْفِلَكُمُوهَا»، فكانت وقعة بدر وساحل أبو سفيان بالعير، فكانت الغنيمة ببدر، كما قال الله عز وجل: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾ (١). أى غَيْرَ الْحَرْبِ، فلما ظفر رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بأهل بدر، قال المسلمون: انهد بنا (٢) يا رسول الله إلى العير، فقال العباس رحمه الله: إنما وعدكم الله إحدى الطائفتين.

وأما النفير فَمَنْ نَفَرَ من قريش لِيَدْفَعَ عن العير. فجاءوا فكانت وقعة بدر، وكان شيخُ القوم عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، وهو جدُّ خالد من قَبْلِ جَدَّتِهِ هِنْدُ أمّ معاوية بنت عتبة، ومن أمثال العرب: لَسْتُ فى الْعَيْرِ يَوْمَ يَحْدُونُ بِالْعَيْرِ ولا فى النَّفِيرِ يَوْمَ النَّفِيرِ ثم اتسع هذا المثل حتى صار يقال لَمَنْ لا يَصْلُحُ لخير ولا لشرٍ ولا يُحْفَلُ به: «لا فى العير، ولا فى النفير».

وقوله: «غنيمات، وحبيلات»، يعنى أن رسول الله ﷺ لما أطرده الحكم بن أبى العاصى بن أمية. وهو جدُّ عبد الملك بن مروان لجأ إلى الطائف، فكان يرعى غنيمات، ويأوى إلى حبيلة - وهى الكَرَمَة. وقوله: «رحم الله عثمان»: أى لِرَدِّهِ إِيَّاهُ.

وقولنا «أطرده»: أى جعله طريداً، وطَرَدَهُ: نَحَاهُ، كما تقول حمدته، أى شكرته، وأَحْمَدْتُهُ، أى صادفته محموداً. وكان عثمان رحمه الله استأذن رسول الله ﷺ فى رده متى أفضى الأمرُ إليه، روى ذلك الفقهاء.

(١) سورة الأنفال: ٧.

(٢) نهد ونهض كلاهما بمعنى واحد.

باب

الرجل من بنى أسد يمدح يحيى بن حيان

قال أبو العباس: قال رجلٌ من بنى أسد بن خزيمة يمدح يحيى بن حيان
أخا النخع بن عمرو بن علة بن جلد بن مذحج، وهو مالك.

أَلَا جَعَلَ اللَّهُ الْيَمَانِينَ كُلَّهُمُ فِدَى لَفْتَى الْفَتِيَانِ يَحْيَى بَنِ حَيَّانِ
وَلَوْلَا عُرَيْقٌ فِي مَنْ عَصَبِيَّةَ لَقُلْتُ وَأَلْقَا مِنْ مَعَدِّ بْنِ عَدْنَانَ
وَلَكِنْ نَفْسِي لَمْ تَطْبُ بِعَشِيرَتِي وَطَابَتْ لَهُ نَفْسِي بِأَبْنَاءِ قَحْطَانَ

وهذا من التَّعَصُّبِ الْمُفْرِطِ.

وحدثني شيخ من الأزدي ثقة عن رجل منهم أنه كان يطوف بالبيت، وهو
يدعو لأبيه، ف قيل له: ألا تدعو لأمك! فقال: إنها تميمية.

وسمِعَ رجلٌ يطوف البيت، وهو يدعو لأُمِّهِ ولا يذكر أباه، فعوتِبَ، فقال:
هذه ضعيفة، وأبى رجل يحتال لنفسه.

وحدثني المازني عن حدثه قال: رأيت رجلا يطوف بالبيت، وأُمُّهُ عَلَى
عُنُقِهِ، وهو يقول:

أَحْمِلُ أُمِّي وَهِيَ الْحَمَّالَةُ تَرْضِعُنِي الدُّرَّةَ وَالْعُلالَةَ

* ولا يجازى والد فعاله *

قوله: «الدرة»، فهو اسم ما يدر من ثدييها، ابتداءً كان ذلك أو غير ذلك.
والعُلالَةُ لا تكون إلا بعدد، يقال: عِلَّةٌ يَعِلُّهُ وَيَعِلُّهُ عِلًّا، والاسم العُلالَةُ، وكلُّ
شَيْءٍ كَانَ عَلَى «فَعَلْتُ» مِنَ الْمَدْغَمِ، فمضارعه إِذَا كَانَ مُتَعَدِّيًا إِلَى مَفْعُولٍ يَكُونُ
عَلَى يَفْعَلُ، نَحْوُ رَدَّهُ يَرُدُّهُ، وَشَجَّهُ يَشْجُهُ، وَفَرَّهُ يَفْرُهُ. فَإِذَا قُلْتُ: فَرَّ يَفْرُ، فَإِنَّمَا
ذَلِكَ لِأَنَّهُ غَيْرُ مُتَعَدِّ إِلَى مَفْعُولٍ. وَلَكِنْ تَقُولُ: فَارَرْتُ الدَّابَّةَ أَفْرُهُ. وَجَاءَ «فَعَلَ»
يَفْعَلُ مِنَ الْمُتَعَدِّ فِي ثَلَاثَةِ أَحْرَفٍ يُقَالُ: عِلَّةٌ يَعِلُّهُ وَيَعِلُّهُ، وَهَرَّةٌ يَهْرُهُ وَيَهْرُهُ، إِذَا
كَرِهَهُ، وَيُقَالُ: أَحَبَّهُ يَحِبُّهُ، وَجَاءَ حَبَّهُ يَحِبُّهُ، وَلَا يَكُونُ فِيهِ يَفْعَلُ، قال الشاعر:

لَعَمْرُكَ إِنَّنِي وَطِلَابَ مَضْرٍ لَكَالْمُزْدَادِ مِمَّا حَبَّ بُعْدًا

وقال آخر:

وَأُقْسِمُ لَوْلَا تَمَرُهُ مَحَبَّبَتْهُ وَكَانَ عِيَاضُ مِنْهُ أَدْنَى وَمُشْرِقُ

وقرأ أبو رجاء العطاردي: ﴿فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾^(١)، ففعل في هذا شيئين أحدهما أنه جاء به من «حببت»، والآخر أنه أدغم في موضع الجزم، وهو مذهب تميم وقيس وأسد. وجماعة من الغرب يقولون: رد يا فتى، يدغمون، ويحركون الدال الثانية لالتقاء الساكنين فيتبعون الضمة الضمة. ومنهم من يفتح لالتقاء الساكنين فيقول: رد يا فتى، لأن الفتح أخف الحركات، ومنهم من يقول: رد يا فتى فيكسر: لأن حق التقاء الساكنين الكسر، فإذا كان الفعل مكسوراً ففيه وجهان: تقول: فر يا فتى للإتباع وللأصل في التقاء الساكنين، وتفتح؛ لأن الفتح أخف الحركات، وإذا كان مفتوحاً فالفتح للإتباع، ولأنه أخف الحركات، والكسر على أصل التقاء الساكنين، نحو: عض، يا فتى، وعض يا فتى، فإذا لقيته ألف ولام فالأجود الكسر، من أجل ما بعده، وهى لام المعرفة، نحو:

فَغَضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نَمِيرٍ [فَلَا كَعْبًا بَلَّغْتَ وَلَا كِلَابًا]
ومنهم من يجزئيه مجزئ الأول، فتقع لام المعرفة بعد انقضاء الحركة في الأول فيقول^(٢):

دُمَّ الْمَنَازِلَ بَعْدَ مَنَزَلَةِ اللَّوَى وَالْعَيْشَ بَعْدَ أَوْلَئِكَ الْأَيَّامِ
ومن كان من شأنه أن يتبع أو يكسر فعلى ذلك، ومما جاء في القرآن على لغة من يكسر قوله عز وجل: ﴿وَمَنْ يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾^(٣).

وأما أهل الحجاز فيجرونه على القياس الأصلي، فيقولون: اردد واغضض، ويقولون: افرر من زيد واغضض. لما سكن الثاني ظهر التضعيف لأنه لا يلتقى ساكنان، وكل ذلك من قولهم، وقول التميميين قياس مطرد بين، وقد شرحناه في الكتاب المقتضب على حقيقة الشرح.

(١) سورة آل عمران ٣١.

(٢) زيادات ر: «هو جرير».

(٣) سورة الحشر ٥.

الرجل في الصبر

وقال الآخر:

إِذَا ضَيِّقَتْ أَمْرًا ضَاقَ جَدًّا وَإِنْ هَوَّنَتْ مَا قَدَّ عَزَّ هَانَا
فَلَا تَهْلِكْ لَشَيْءٍ فَاتٍ يَأْسَا فَكَمْ أَمْرٍ تَصَعَّبَ ثَمَّ لَنَا
سَأْصْبِرُ عَنْ رَفِيقِي إِنْ جَفَانِي عَلَى كُلِّ الْأَذَى إِلَّا الْهَـوَانَا
فَإِنْ الْمَرْءَ يَجْزَعُ فِي خَلَاءٍ وَإِنْ حَضَرَ الْجَمَاعَةَ أَنْ يُهَانَا

الحبيبة بن أيوب العنبري

وقال آخر أحسبه من لصوص بني سعد:

[قال أبو الحسن: هو عبيد بن أيوب العنبري، وأنشد هذا الشعر ثعلب]:

فإِنِّي وَتَرَكِي الْإِنْسَ مِنْ بَعْدِ حُبِّهِمْ وَصَبْرِي عَمَّنْ كُنْتُ مَا إِنْ أُرَايِلُهُ
لِكَالصِّقْرِ جَلَى بَعْدَ مَا صَادَ قُنْيَةً قَدِيرًا وَمَشُورًا عَبِيطًا خَرَادِلُهُ
أَهَابُوا بِهِ فَازْدَادَ بُعْدًا وَصَدَهُ عَنِ الْقُرْبِ مِنْهُمْ ضَوْءُ بَرْقٍ وَوَابِلُهُ
أَلَمْ تَرْنِي صَاحِبَتُ صَفَرَاءُ نَبْعَةٍ لَهَا رِبْذِي لَمْ تُفَلِّلْ مَعَابِلُهُ
وَطَالَ احْتِضَانِي السِّيفَ حَتَّى كَأَنَّمَا يُلَاطُ بِكَشْحِي جَفْنُهُ وَحَمَائِلُهُ
أَخَوْفَلَوَاتُ صَاحِبَ الْجَنِّ وَانْتَحَى عَنِ الْإِنْسِ حَتَّى قَدْ تَقَضَّتْ وَسَائِلُهُ
لَهُ نَسَبُ الْإِنْسِيِّ يُعْرِفُ نَجْرَهُ وَلِلْجَنِّ مِنْهُ شَكْلُهُ وَشَمَائِلُهُ

قوله:

* وَصَبْرِي عَمَّنْ كُنْتُ مَا إِنْ أُرَايِلُهُ *

إن: زائدة، وهي تَزَادُ مُغَيَّرَةً لِلْإِعْرَابِ، وتزاد توكيداً، وهذا موضع ذلك، فالوضع الذي تُغَيَّرُ فِيهِ الْإِعْرَابُ هو وقوعها بعد «ما» الحجازية، تقول: ما زيد أخاك، وما هذا بشراً، فإذا أَدْخَلْتَ إِنْ هَذِهِ بَطَلَ النِّصْبُ بِدُخُولِهَا، فقلت: ما إن زيدٌ منطلق، قال الشاعر^(١):

وَمَا إِنْ طِينًا جُبْنٌ وَلَكِنْ مَنَايَانَا وَدَوْلَةٌ أَخْرَيْنَا

(١) زيادات ر: «هو فروة بن مسبك».

فرغم سبويه أنها مَنَعَتْ «ما» العَمَلَ كما منعت «ما» إِنَّ الثَّقِيلَةَ أَنْ تَنْصَبَ، تقول: إِنْ زَيْدًا مُنْطَلِقًا، فَإِذَا أَدْخَلْتَ «ما» صارت من حروف الابتداء، ووقع بعدها المبتدأ وخبره والأفعال، نحو: إِنْما زَيْدٌ أَخوكَ، و﴿وَإِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾^(١) ولولا «ما» لم يقع الفعل بعد «إِنَّ» لأن «إِنَّ» بمنزلة الفعل، وَلَا يَلِيَّ فَعْلًا لِأَنَّهُ لَا يَعْمَلُ فِيهِ، فَأَمَّا كَانَ يَقُومُ زَيْدٌ، وَكَأَدَ تَزِيْعُ قُلُوبُ فَرِيْقٍ مِنْهُمْ، فَفِي كَانَ وَكَأَدَ فاعلان مَكْنِيَّانِ.

و«ما» تُزَادُ عَلَى ضَرْبَيْنِ: فَأَحَدُهُمَا أَنْ يَكُونَ دَخُولُهَا فِي الْكَلَامِ كَالْغَائِثِ، نَحْوُ ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ﴾^(٢) أَيْ فَبِرَحْمَةٍ، وَكَذَلِكَ: ﴿مِمَّا خَطِيئَاتُهُمْ أُغْرِقُوا﴾^(٣) وَكَذَلِكَ: ﴿مَثَلًا مَّا بَعُوضَةٌ﴾^(٤) وَتَدْخُلُ لِتَغْيِيرِ اللَّفْظِ، فَتُوجِبُ فِي الشَّيْءِ مَا لَوْ لَا هِيَ لَمْ يَقَعْ، نَحْوُ رُبَّمَا يَنْطَلِقُ زَيْدٌ، و﴿رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾^(٥) وَلَوْ لَا «ما» لَمْ تَقَعْ رُبٌّ عَلَى الْأَفْعَالِ، لِأَنَّهُمَا مِنْ عَوَامِلِ الْأَسْمَاءِ، وَكَذَلِكَ جِئْتُ بَعْدَ مَا قَامَ زَيْدٌ، كَمَا قَالَ الْمَرَارُ^(٦):

أَعْلَاقَةٌ أَمَّ الْوَلِيدِ بَعْدَ مَا أَفْتَنَ رَأْسُكَ كَالنِّعَامِ الْمُخْلِسِ^(٧)

فلولا «ما» لم يقع بعدها إلا اسم واحد، وكان مخفوضا بإضافة «بعد» إليه، تقول: جِئْتُكَ بَعْدَ زَيْدٍ.

وقوله: «كَالْصَّقَرِ جَلِيٍّ»، تَأْوِيلُ التَّجَلَّى أَنْ يَكُونَ يُحْسُ شَيْئًا فَيَتَشَوَّقُ إِلَيْهِ، فَهَذَا مَعْنَى «جَلِيٍّ»، قَالَ الْعَجَّاجُ:

تَجَلَّى الْبَازِي إِذَا الْبَازِي كَسَرَ

أَيْ نَظَرَ. وَيُقَالُ: تَجَلَّى فَلَانٌ فَلَانَةً تَجَلِّيًّا، وَاجْتَلَاهَا اجْتِلَاءً، أَيْ نَظَرَ إِلَيْهَا وَتَأَمَّلَهَا، وَالْأَصْلُ وَاحِدٌ.

وقوله: «قَدِيرًا»، هُوَ مَا يُطْبَخُ فِي الْقَدْرِ، يُقَالُ: قَدِيرٌ وَمَقْدُورٌ، كَقَوْلِكَ: قَتِيلٌ وَمَقْتُولٌ.

(٢) سورة آل عمران ١٥٩.

(٤) سورة البقرة ٢٦.

(٦) زيادات ر: «هو المراد الفقعي».

(٧) العلاقة: الحب. والوليد: تصغير الوليد، والأفتان في الأصل: الغصون، وأراد بها هاهنا خصل الشعر.

(١) سورة فاطر ٢٨.

(٣) سورة نوح ٢٥.

(٥) سورة الحجر ٢.

وقوله: «عَبِطًا خَرَّادَلُهُ»، فالعَبِطُ الطَّرِيُّ، يقال: لحم عَبِيط إذا كان طَرِيًّا، وكذلك دَم عَبِيطٌ، ويقال: اعْتَبَطَ فلانٌ بَكَرَّتِهِ إذا نَحَرَهَا شَابَةً من غيرِ عِلَّةٍ، وكذلك اعْتَبَطَ فلان إذا مات شابًا، قال أُمِيَّةُ (١):

مَنْ لَمْ يَمْتَ عَبْطَةً يَمْتَ هَرَمًا لِلْمَوْتِ كَأْسُ فَاَلْمَرَّةِ ذَائِقُهَا

وحدثني الزيادة إبراهيم بن سفيان بن أبي بكر بن عبدالرحمن بن زياد، قال: تَحَدَّثَ رجل من الأعراب، قال نزلتُ برجل من طَيٍّ، فَنَحَرَ لِي نَاقَةً فَأَكَلْتُ منها، فلما كان الغد نحر أخرى، فقلت: إنَّ عندك من اللحم ما يُغْنِي ويَكْفِي، فقال: إني والله لا أَطْعَمُ ضيفي إلا لحما عَبِيطًا، قال: وفعلَ ذلك في اليوم الثالث - وفي كل ذلك أَكَل شَيْئًا، ويأكل الطائي أَكَل جماعَةً - ثم نُوتِي باللبن فَأَشْرَبُ شَيْئًا، وَيَشْرَبُ عامَةً الوَطْبِ (٢)، فلما كان في اليوم الثالث ارتَقَبْتُ غَفْلَتَهُ فاضْطَجَع، فلما امتلأَ نومًا اسْتَقْتُ قُطِيعًا من إبله فَأَقْبَلْتُهُ الْفَجَّ (٣)، فانتبه واختَصَرَ عَلَى الطَّرِيقِ حتَّى وقف لي في مَضِيقٍ منه، فَأَلْقَمَ وَتَرَهُ فَوْقَ (٤) سَهْمِهِ، ثم نادى بي: لَتَطْبُ نَفْسُكَ عنها! قلت: أرني آيَةً، فقال: انظر إلى ذلك الضَّبِّ، فإنِّي واضعٌ سَهْمِي في مَغْرَزِ ذَنْبِهِ، فرماه فَأَنْذَرَ ذَنْبَهُ (٥) فقلت: زدني، فقال: انظر إلى أعلى فَقَارِهِ، فرماه فَأَثْبَتَ سَهْمَهُ في الموضع، ثم قال لي: الثالثةُ والله في كِبْدِكَ! فقلت: شَأْنُكَ يَا بِلْكَ! فقال: كلا حتَّى تسوقها إلى حَيْثُ كَانَتْ. قال: فلما انتهيت بها قال: فَكَّرْتُ فَيْكَ فلم أَجد لي عندك تَرَةً تُطَالِبُنِي بها. وما أَحْسِبُ الذي حملك على أخذِ إبلى إلا الحاجة. قال: قلتُ هو والله ذاك. قال: فاعمد إلى عشرين من خيارها فخذها، فقلت: إذا والله لا أفعل حتَّى تَسْمَعَ مَدْحَكَ. والله ما رأيتُ رجلًا أَكْرَمَ ضِيافَةً، ولا أَهْدَى لَسْبِيلَ، ولا أَرْمَى كَفًّا، ولا أَوْسَعَ صَدْرًا، ولا أَرْغَبَ (٦) جَوْفًا، ولا أَكْرَمَ عَفْوًا منك قال: فاستحيا فَصَرَفَ وَجْهَهُ عَنِّي، ثم قال: انصرف بالقطيع مُبَارَكًا لَكَ فيه.

وقوله: «خرادله» يعنى قَطْعُهُ، يقال: ضَرَبَهُ ضَرْبًا خَرَدَلُهُ، وتأويله قَطَعَهُ،

كما قال:

(١) زيادات ر: «ابن أبي الصلت، والصحيح أنه لرجل من الخوارج، عن الأصمعي».

(٢) الوطب: سقاء اللبن.

(٣) الفج: الطريق الواضح.

(٤) الفوق: مشق رأس السهم حيث يقع الوتر.

(٥) أنذرذنبه: قطعه.

(٦) من الرغب، وهو سعة البطن وكثرة الأكل.

﴿ وَالضَّرْبُ يَمْضَى بَيْنَا خَرَادِلًا ﴾ *

وقوله: «أهابوا به» يقول: دَعَوْه، يقال أَيَّهَ بِهِ، وأَهَابَ بِهِ: أى ناداه. قال القرشي:

أَهَابَ بِأَحْزَانِ الْفُؤَادِ مُهَيِّبٌ وَمَاتَتْ نَفُوسٌ لِلْهَوَىٰ وَقُلُوبٌ
وقوله: «ضَوْءٌ بَرَقَ وَوَابِلُهُ»، أراد صَدَّهُ عَنْهُمْ ضَوْءُ بَرَقَ وَوَابِلُهُ، فأضاف
الوابل من المطر إلى البرق. وإنما الإضافة إلى الشيء على جهة التضمين، ولا
يضاف الشيء إلى الشيء إلا وهو غيره أو بعضه، فالذى هو غيره: غلام زيد ودار
عمرو، والذى هو بعضه: ثَوْبٌ خَزٌّ، وخَاتَمٌ حَدِيدٌ، وإنما أضاف الوابل إلى
البرق، وليس هُوَ لَهُ، كما قلت: دار زيد، على جهة المجاورة، وأنها راجعان
إلى السحابة، وقد يضاف ما كان كذا على السعة، كما قال الشاعر:
حَتَّى أَنْخَتُ قُلُوصِي فِي دِيَارِكُمْ بِخَيْرٍ مَنْ يَحْتَذِي نَعْلًا وَحَافِيهَا

فأضاف الحافى إلى النعل، والتقدير: حافٍ منها.

وقوله:

﴿ أَلَمْ تَرْنِي صَاحِبَتِ صَفْرَاءَ نَبْعَةٍ ﴾ *

فالنَّبعُ خير الشجر للقيس، ويقال: إن النَّبْعَ والشَّوْحَطَ والشَّرِيَانَ شَجَرَةٌ
واحدة، ولكنها تختلف أسماءها وتكثُرُ وتَحْسُنُ بمنابتها، فما كان فى قُلَّةِ الجبل
منها فهو النَّبْعُ، وما كان فى سَفْحِهِ فهو الشَّوْحَطُ، وما كان فى الحضيض فهو
الشَّرِيَانَ.

وقوله: «لها رَبَذِي» يريد وَتَرًا شديد الحركة عند دفع السهم، يقال: رجل رَبَذٌ
اليد إذا كان يكثر التحريك ليديه والعَبَثُ بهما، ويوصف به الفرس لكثرة حركة
قوائمه، وكان الأصل رَبَذًا لأنه «رَبَذَ»، ولكن ما كان من «فَعَلٍ» فَنُسِبَ إليه فتح
موضع العين منه استثقالاً لاجتماع ياءى النسب وكسرة اللام، لأن ياءى النسب
تَكْسِرَانِ ما تَلِيَانَهُ، فلم يَدْعُوا مع ذلك الْعَيْنَ مكسورة، تقول فى النسب إلى النَّمِرِ
ابن قَاسِطٍ: نَمَرِيٌّ، وإلى الحَبَطَاتِ: حَبْطِيٌّ، وإلى شِقْرَةٍ - وهو الحرث بن تميم ابن
مُرٍ - : شَقْرِيٌّ، وفى النسب إلى عَمِّ عَمَوِيٍّ يَافَتِيٌّ.

وقوله: «لَمْ تُقَلِّلْ مَعَابِلَهُ»، يريد لم ينكسر حَدُّهَا، من الْفُلُولِ.

ويروى أن عُرْوَةَ بن الزُّبَيْرِ سأل عبدالمملك أن يرُدَّ عليه سيف أخيه عبدالله بن الزبير فأخرجهُ إليه فى سيفٍ مُتَنَضِّاةٍ، فأخذه عروة من بينها، فقال له عبدالمملك: بِمِ عَرَفْتَهُ؟ فقال: بما قال النابغة:

وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سُيُوفَهُمْ بِهِنَّ فُلُولٌ مِنْ قِرَاعِ الْكَتَائِبِ
وَالْمِعْبَلَةُ: واحدة المعابل، وهى سهم خفيف، قال عَنَتَرَةُ:

وَأَخْرَجَ مِنْهُمْ أَجْرَرْتُ رُمَحَى وَفَى الْبَجَلَى مِعْبَلَةً وَقِيعٌ^(١)
يَاسْكُنُ الْجِيمَ لَا غَيْرَ.

[قال أبو الحسن: بَجِيلَة: قبيلة من بنى الهُجَيْمِ، من اليَمَنِ].

(١) الوقيع، من وقع المذبة ونحوها يقعها وقعا: أحدها. والبجلى: منسوب إلى بجلة، لقب مالك بن ثعلبة.

باب

[البعض الشعراء يحرض على خالد بن يزيد]

قال أبو العباس: تزوج خالد بن يزيد بن معاوية نساءً هن شرفٌ من هنَّ منه، منهنَّ أمُّ كلثوم بنت عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، وآمنة بنت سعيد بن العاصي بن أمية، ورملة بنت الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي، ففي ذلك يقول بعض الشعراء يحرض عليه عبد الملك:

عَلَيْكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِخَالِدٍ ففَى خَالِدٍ عَمَّا تُحِبُّ صُدُودُ
إِذَا مَا نَظَرْنَا فِي مَنَاكِحِ خَالِدٍ عَرَفْنَا الَّذِي يَنْوِي، وَأَيْنَ يُرِيدُ؟

فَطَلَّقَ آمنة بنت سعيد، فتزوجها الوليد بن عبد الملك، ففي ذلك يقول خالد:

فَتَاةٌ أَبُوهَا ذُو الْعَصَابَةِ، وَابْنُهُ، وَعُثْمَانُ، مَا أَكْفَاؤُهَا بِكَثِيرِ
فَإِنْ تَفْتَلْتَهَا وَالْخِلَافَةَ تَنْقَلِبُ بِأَكْرَمِ عِلْقَى مَنَبَرٍ وَسَرَيرِ

قوله: «أبوها ذو العصابة» يعنى سعيد بن العاصي بن أمية، وذلك أن قومه يذكرون أنه كان إذا اعتَمَّ لم يَعْتَمَّ قُرَشِيٌّ إعظاماً له، وينشدون:

أَبُو أَحْيَحَةَ مَنْ يَعْتَمَّ عِمَّتُهُ يُضْرَبُ وَإِنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَذَا عَدَدٍ
ويزعم الزبيريون أن هذا البيت باطل موضوع.

وقوله: «فإن تفتلتها»: يقول: تأخذها فجاءةً، ومن ذلك قول الشاعر:

مَنْ يَأْمَنُ الْأَيَّامَ بَعْدَ صُبَيْرَةِ الْقُرَشِيِّ مَاتَا (١)
سَبَقَتْ مِنْيَتُهُ الْمَشِيبَ وَكَانَ مِيَتَّتُهُ أَفْئِلَاتَا

وفى الحديث أن رجلاً قال: يا رسول الله، إن أُمِّي افْتَلَتَتْ، أَى مَاتَتْ فجاءةً.

(١) زيادات ر: «صبيرة، بالصاد مهملة فى الرواية المشهورة، وبالضاد معجمة، رواية عاصم، على الشرط وكسر النون لالتقاء الساكنين» رواية ابن سراج برفع «يأمن»، على الاستفهام.

الخالد بن يزيد في رملة بنت الزبير

ويروى أن آمنة لَبِثَتْ عند الوليد، فلما هَلَكَ عبدُ الملك سَعَى بها ساعٍ إلى الوليد. قال أبو العباس: وبلغني أنها سَعَتْ بها إحدى ضُرَّاتها إلى الوليد بأنها لم تَبْكْ على عبد الملك كما بَكَى نظائرها، فقال لها الوليد في ذلك، فقالت: صَدَقَ القائلُ، أَكُنْتُ قائلَةً؟ ماذا أقول! يالَيْتَهُ كانَ بَقِيَ حتى يَقْتُلَ أَخًا لى آخرَ كعمرو بن سعيد!

وفي رَمْلَةَ بنت الزُّبَيْرِ يقول خالد:

تَجُولُ خَلاخِيلَ النِّسَاءِ وَلَا أَرَى لِرَمْلَةَ خَلْجًا لَا يَجُولُ وَلَا قُلْبًا (١)
فَلَا تُكْثِرُوا فِيهَا الْمَلَامَ فَإِنِّي تَخَيَّرْتُهَا مِنْهُمْ زُبَيْرِيَّةً قُلْبًا (٢)
أَحِبُّ بَنَى الْعَوَامِ طَرًّا لِحُبِّهَا وَمِنْ أَجْلِهَا أَحَبَبْتُ أَخْوَالَهَا كَلْبًا

وزيد فيها:

فإن تُسَلِّمِي أُسَلِّمَ وإن تَتَصَّرِي يُعَلِّقَ رِجَالٌ بَيْنَ أَعْيُنِهِمْ صُلْبًا

فيروى أن عبد الملك ذَكَرَ له هذا البيت، فقال له: يا خالد، أترَوِى هذا البيت؟ فقال: يا أمير المؤمنين، على قائله لعنة الله!

[زواج الحجاج بن يوسف بابنة عبد الله بن جعفر ثم طلاقه لها]

وذكر العُتْبِيُّ أن الحَجَّاجَ بن يوسف بن الحَكَمِ الثَّقَفِيَّ لما أَكْرَهَ عبد الله بن جعفر على أن زوجه ابنته استأجله في نقلها سنة، فَفَكَّرَ عبد الله بن جعفر في الانفكاك منه، فَأَلْقَى في رُوعِهِ خالد بن يزيد، فَكَتَبَ إِلَيْهِ يُعَلِّمُهُ ذلك، وكان الحجاج تَزَوَّجَهَا بإذن عبد الملك، فورد على خالد كتابه ليلاً، فاستأذن من ساعته على عبد الملك، فقبل له: أفى هذا الوقت؟ فقال: إنه أمرٌ لا يُؤَخَّرُ، فَأَعْلَمَ عبد الملك بذلك. فَأَذَّنَ له، فلما دخل عليه، قال له عبد الملك: فيم السُّرَى يا أباهاشم؟ قال: أمرٌ جليلٌ لم آمن أن أؤخره، فَتَحَدَّثَ عَلَى حَادِثَةٍ فَلَا أَكُونُ قَضِيْتُ حَقَّ بَيْعَتِكَ، قال: وما هو؟ قال: أَتَعْلَمُ أنه ما كان بين حَيِّينِ مِنَ الْعِدَاوَةِ

(١) القلب هنا: السوار.

(٢) امرأة قلب، بفتح القاف: خالصة النسب.

والبغضاء ما كان بين آل الزبير وآل أبي سفيان؟ قال لا: فإن تزويجي إلى آل الزبير حلل ما كان لهم في قلبي، فما أهل بيت أحب إلي منهم. قال: فإن ذلك ليكون، قال: فكيف أدنت للحجاج أن يتزوج في بني هاشم، وأنت تعلم ما يقولون ويقال فيهم، والحجاج من سلطانك بحيث علمت! قال: فجزاه خيرا، وكتب إلى الحجاج بعزيمة أن يطلقها فطلقها، فغدا الناس عليه يعزونه عنها، فكان فيمن أتاه عمرو بن عتبة بن أبي سفيان، فأوقع الحجاج بخالد، فقال: كان الأمر لآبائه فعجز عنه حتى انتزع منه. فقال له عمرو بن عتبة: لا تقل ذا أيها الأمير، فإن لخالد قديما سبق إليه، وحديثا لم يغلب عليه، ولو طلب الأمر لطلبه بحد وجد، ولكنه علم علما، فسلم العلم إلى أهله، فقال الحجاج: يا آل أبي سفيان، أنتم تحبون أن تحلموا ولا يكون الحلم إلا عن غضب، فحن نغضبكم في العاجل ابتغاء مرضاتكم في الآجل، ثم قال الحجاج: والله لا تزوجن من هو أمس به رحما، ثم لا يمكنه فيه شيء، فتزوج أم الجلاس بنت عبدالله بن خالد بن أسيد.

أما قوله: «ألقي في روعه»، فإن العرب تقول ألقى في روعي، وفي قلبي وفي جخيفي وفي تاموري كذا كذا، ومعناه كله واحد، إلا أن لهذه الأشياء مواضع مختصة، وفي الحديث عن النبي ﷺ: «إن روح القدس نفث في روعي»: فالروح والجخيف غير مختلفين، والعرب تقول: أذهب الله قلبه، ولا قلب له. ولا تقول: لا روع له؛ فكان الروح هو متصل بالقلب، وعنه يكون الفهم خاصة، ويقال: رأيت قلب الطائر. ولا يقال: رأيت روع الطائر، والتامور عند العرب: بقية النفس عند الموت، وبعضهم يفصح عنه فيجعل دم القلب خاصة الذي يبقى للإنسان ما بقي، يقال: ضعه في تامورك وفي قلبك وفي روعك وفي جخيفك. والذماء، ممدود: مثل التامور سواء، تقول العرب: ليس في الحيوان أطول ذماء من الضب، وذلك أنه يذبح ثم يطرح في النار بعد أن ظن أنه قد برد فربما سعى من النار.

[نبذ من أقوال الحكماء]

وقال رجل لإبراهيم بن أدهم: عظمي، فقال: اتخذ الله صاحباً وذرا الناس جانبا.

قال سعيد بن المسيَّب: كنت بين القبر والمنبر مُفَكِّراً، فسمعت قائلاً يقول ولم أَره: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عملاً باراً. ورزقا داراً. وعيشاً قاراً. (١)

قال سعيد: فلزمتُهُنَّ فلم أر إلا خيراً.

وقال الأصمعيُّ: كان من دعاء أبي المَجِيب: اللهم اجعلْ خيرَ عملي ما قاربَ أَجلى.

قال: وكان يقول في دعائه: اللهم لا تَكِلْنَا إلى أنفسنا فنَعْجزَ، ولا إلى الناس فنَضِيعَ.

[أعرابي في حلقة يونس]

قال وحدثني أبو عثمان المازنيُّ قال: حدثني أبو زيد قال: وقف علينا أعرابيُّ في حلقة يونس النحوي فقال: الحمد لله كما هو أهله، وأعوذ بالله أن أذكر به وأنساه، خرجنا من المدينة، مدينة رسول الله ﷺ، ثلاثين رجلاً من أخرجته الحاجة، وحُمِلَ على المكروه، لا يَمَرِّضُونَ مَرِيضَهُمْ، ولا يَدْفِنُونَ مَيِّتَهُمْ، ولا يَنْتَقِلُونَ مِنْ مَنْزِلٍ إِلَى مَنْزِلٍ وَإِنْ كَرِهَوْهُ. والله يا قوم لقد جُعْتُ حَتَّى أَكَلْتُ النَّوَى الْمُحْرَقَ، وَلَقَدْ مَشَيْتُ حَتَّى انْتَعَلْتُ، وَحَتَّى خَرَجَ مِنْ قَدَمِي بَخْصٌ وَلَحْمٌ كَثِيرٌ، أَقْلًا رَجُلٌ يَرْحَمُ ابْنَ سَبِيلٍ، وَقَلَّ طَرِيقٌ، وَنَضَوْ سَفَرًا! فَإِنَّهُ لَا قَلِيلَ مِنَ الْأَجْرِ، وَلَا غَنَى عَنْ ثَوَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَلَا عَمَلٍ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَهُوَ الَّذِي يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ﴾ (٢). مَلَى وَفِيَّ مَا جِدَّ وَاجِدٌ جَوَادٌ، لَا يَسْتَقْرِضُ مِنْ عَوَزٍ، وَلَكِنَّهُ يَبْلُو الْأَخْيَارَ.

قال: فبلغني أنه لَمْ يَبْرَحْ حَتَّى أَخَذَ سِتِينَ دِينَارًا.

قوله: «بخص»، يريد اللحم الذي يَرْكَبُ الْقَدَمَ، هَذَا قَوْلُ الْأَصْمَعِيِّ، وَقَالَ غَيْرُهُ: لَحْمٌ يَخْلُطُهُ بَيَاضٌ مِنْ فُسَادٍ يَحِلُّ فِيهِ، وَيُقَالُ: بَخَصْتُ عَيْنَهُ، بِالصَّادِ، وَلَا يَجُوزُ إِلَّا ذَلِكَ، وَيُقَالُ بَخَسْتُهُ حَقَّةً، بِالسَّيْنِ: إِذَا ظَلَمْتَهُ وَنَقَصْتَهُ، كَمَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ (٣)، وَفِي الْمَثَلِ: «تَحَسَّبُهَا حَمَقَاءٌ وَهِيَ بَاخِسٌ». وَيَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ اللَّحْمُ الَّذِي قَدْ خَالَطَهُ الْفُسَادُ قَوْلُ الرَّاجِزِ:

(٢) سورة البقرة ٣٤٥.

(١) قارأ: مستقرا.

(٣) سورة الأعراف ٨٥.

[قال أبو الحسن علي بن سليمان الأخفش: الراجز هو أبو شُرَاعَة]

يَأْقُدَمِيَّ لَا أَرَى لِي مَخْلَصًا مِمَّا أَرَاهُ أَوْ تَعُودَا بَخَصًا^(١)
وقوله «فل» فالفل في أكثر كلامهم: المنهزم الذاهب.

وفى خبر كَعْب بن مَعْدَانَ الأشعري^(٢) «إنا آثرنا الحَدَّ على الفَلِّ» يعنى مجاهدتهم عَبْدَ رَبِّهِ الصَّغِيرِ؛ لَأَنَّهُ كَانَ مُقْبِلًا عَلَى حَرْبِهِمْ وَتَرَكَهُمْ قَطْرِيًّا لَأَنَّهُ كَانَ مِنْهَزِمًا.

[خبر الحجاج بن علاط السلمى مع قريش]

وفى حديث الحجاج بن علاط السُّلَمِيِّ. وكان قد أسلم ولم تعلم قريش بإسلامه، فاستأذن رسول الله ﷺ يوم خَيْبَر فى أن يصير إلى مكة فيأخذ ما كان له من مال، وكانت له هناك أموال متفرقة، وهو غريب بينهم - إنما هو أَحَدُ بَنِي سُلَيْم بن منصور، ثم أَحَدُ بَنِي بَهْز - فَأَذِنَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فقال: يا رسول الله، إني أحتاج أن أقول، قال: «فَقُلْ».

قال أبو العباس: وهذا كلامٌ حَسَنٌ وَمَعْنَى حَسَنٌ، يقول: أقول - على جهة الاحتيال - غيرَ الْحَقِّ، فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه من باب الحيلة، وليس هو من باب الفساد، وأكثر ما يقال فى هذا المعنى تقول، كما قال المولى عز وجل: ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ﴾^(٣)، فصار إلى مكة فقالت قريش: هذا لَعَمْرُ اللَّهِ عنده الخبر، قال: فقولوا، فقالوا: بلغنا أن القاطع^(٤) قد يخرج إلى أهل خيبر، فقال الحجاج: نَعَمْ، فقتلوا أصحابه قتلا لم يُسَمَعْ بمثله، وأخذوه أسيرًا، وقالوا: نَرَى أَنَّ نِكَارِمَ بِهِ قَرِيشًا، فَندفعه إليهم، فلا تنال لنا هذه اليد فى رقابهم. وإنما بَادَرْتُ لجمع مالى لَعَلِّي أُصِيبُ بِهِ مِنْ فُلِّ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ قَبْلَ أَنْ تَسْبِقَنِي إِلَيْهِ

(١) قال المصنفى: «يريد ذواتى بخس».

(٢) زيادات ر: «الأشعري، بالقاف لاغير». وخبر كعب هو حديثه مع الحجاج بن يوسف، وكان قد وجهه المهلب بن أبى صفوة الأزدي يبشره بمناجذته الخوارج وفراغه لهم.
وانظر رغبة الأمل ٥: ٢٨.

(٣) سورة الطور ٤٤.

(٤) يصفون محمدا بقطع الأرحام، وحاشاه.

التَّجَارُ وَيَتَصَلُّ بِهِمُ الْحَدِيثُ. قَالَ: فَاجْتَهِدُوا فِي أَنْ جَمَعُوا إِلَىَّ مَالِي أَسْرَعَ جَمْعٌ، وَسُرُّوا أَكْثَرَ السَّرُورِ، وَقَالُوا بَلَا رَغْمٍ ^(١)، وَأَتَانِي الْعَبَّاسُ وَهُوَ كَالْمَرْأَةِ الْوَالِهَةِ ^(٢) فَقَالَ: وَيَحْكُ يَا حُجَّاجُ مَا تَقُولُ! قَالَ: فَقُلْتُ: أَكَاتِمُ أَنْتَ عَلَيَّ خَبْرِي؟ فَقَالَ: إِي وَاللَّهِ! قَالَ: فَقُلْتُ: فَالْبَيْتُ عَلَى شَيْئًا حَتَّى يَخْفَ مَوْضِعِي. قَالَ: فَسَرْتُ إِلَيْهِ، فَقُلْتُ. الْخَبْرُ وَاللَّهُ عَلَى خِلَافِ مَا قُلْتُ لَهُمْ، خَلَفْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَقَدْ فَتَحَ خَيْبَرَ، وَخَلَفْتُهُ وَاللَّهُ مُعْرَسًا بِابْنَةِ مَلِكِهِمْ، وَمَا جِئْتُكَ إِلَّا مُسْلِمًا، فَاطُوبَى الْخَبْرَ ثَلَاثًا حَتَّى أُعْجَزَ الْقَوْمُ، ثُمَّ أَشْعُهُ، فَإِنَّهُ وَاللَّهُ الْحَقُّ، فَقَالَ: الْعَبَّاسُ: وَيَحْكُ، أَحَقُّ مَا تَقُولُ؟ قُلْتُ: إِي وَاللَّهِ! قَالَ: فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ ثَلَاثَةِ تَخَلَّقَ الْعَبَّاسُ، وَأَخَذَ عَصَاهُ وَخَرَجَ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ. قَالَ: فَقَالَتْ قَرِيشُ: يَا أَبَا الْفَضْلِ، هَذَا وَاللَّهُ التَّجَلَّدُ لِحَرِّ الْمَصِيبَةِ! فَقَالَ: كَلَّا، وَمَنْ حَلَفْتُمْ بِهِ! لَقَدْ فَتَحَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَأَعْرَسَ بِابْنَةِ مَلِكِهِمْ! فَقَالُوا: مَنْ أَتَاكَ بِهَذَا الْحَدِيثِ؟ فَقَالَ: الَّذِي أَتَاكُمْ بِخِلَافِهِ، وَلَقَدْ جَاءَنَا مُسْلِمًا، ثُمَّ أَتَتْ الْأَخْبَارُ مِنَ النُّوَاحِي بِذَلِكَ، فَقَالُوا: أَفَلَتَنَا الْخَبِيثُ، أَوْلَى لَهُ ^(٣).

وَأَصْلُ الْفَلِّ مَاخُودٌ مِنْ فَلَّتِ الْحَدِيدَةُ ^(٤) إِذَا كَسَرْتَ حَدَّهَا. وَالنَّضْوُ: الْبَالِيُّ الْمَجْهُودُ، وَيُقَالُ نَاقَةٌ نَضَوُ: إِذَا جَهَدَهَا السَّيْرُ، وَجَمَعَهُ أَنْضَاءٌ، وَفُلَانٌ نَضَوُ مِنْ الْمَرَضِ.

وَقَوْلُهُ: «لَا يَسْتَقْرِضُ مِنْ عَوَزٍ»، فَالْعَوَزُ: تَعَذُّرُ الْمَطْلُوبِ، يُقَالُ: أَعُوَزَ فُلَانٌ فَهُوَ مُعَوَزٌ إِذَا لَمْ يَجِدْ، وَالْمَعَاوِزُ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ: الثِّيَابُ الَّتِي تُبَدَّلُ لِيُصَانَ بِهَا غَيْرُهَا.

وَقَوْلُهُ: «وَلَكِنْ لِيَبْلُو الْأَخْيَارَ»، يُقَالُ: اللَّهُ يَبْلُوهُمْ وَيَبْتَلِيهِمْ وَيَخْتَبِرُهُمْ فِي مَعْنَى، وَتَأْوِيلُهُ: يَمْتَحِنُهُمْ، وَهُوَ الْعَالَمُ عَزَّ وَجَلَّ بِمَا يَكُونُ كَعَلَمِهِ بِمَا كَانَ، قَالَ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ ^(٥).

قَالَ: وَحَدَّثَنِي أَبُو عَثْمَانَ الْمَازَنِيُّ قَالَ: رَأَيْتُ أَبَا فِرْعَوْنَ الْعَدَوِيَّ، وَمَعَهُ

(١) الرغم هنا: الكره.

(٢) الواله: الحزينة.

(٣) أولى له: كلمة تهديد وتوعد، غلبت في الدعاء بالعسر.

(٤) الحديدية: وصف للسكين يقال سكين حديدية، وحادة.

(٥) سورة هود: ٧.

ابتناه، وهو فى سكة العطارين بالبصرة يقول:

بَنَيْتِ صَابِرًا أَبَاكُمَا إِنَّكُمَا بَعَيْنِ مَنْ يَرَاكُمَا
اللَّهُ رَبِّي سَيِّدِي مَوْلَاكُمَا وَلَوْ يَشَاءُ عَنْهُمْ أَغْنَاكُمَا

وكان أبو فرعون، وهو من بنى عدى بن الرباب بن عبد مناة بن أد، وقال
اليزيدى: هو مولاهم، وكان فصيحاً، وقَدِمَ قوم من الأعراب البصرة من أهله،
ف قيل له: تعرّض لمعروفهم، فقال:

وَلَسْتُ بِسَائِلِ الْأَعْرَابِ شَيْئًا حَمِدْتُ اللَّهَ إِذْ لَمْ يَأْكُلُونِي

[حديث رجل من الصيارفة افتقر]

وروى الأسدى أنه افتقر رجل من الصيارفة بالحاح الناس فى أخذ أموالهم
التي كانت لهم لديه، وتعدّر أمواله التي كانت له عند الناس، فسأل جماعة من
الجيران أن يصيروا معه إلى رجل^(١) من قريش كان موسراً من أولاد أجودهم ليسدّ
من خلّته، فصاروا إليه، فجلسوا فى الصحن، فخرج إليهم يخطر بقضيب فى
يده، حتّى ثنى وسادة فجلس عليها، فذكروا حاجتهم وخلة صاحبهم، مع قديم
نعمته وقريب جواره، فخطر بالقضيب، ثم قال مُتمثلاً^(٢):

إِذَا الْمَالُ لَمْ يَوْجِبْ عَلَيْكَ عَطَاءً صَنِيعَةٌ تَقْوَى أَوْ صَدِيقٌ تَوَامِقُهُ^(٣)
بَخَلْتَ وَبَعْضُ الْبَخْلِ حَزْمٌ وَقُوَّةٌ فَلَمْ يَفْتِلْكَ الْمَالُ إِلَّا حَقَائِقُهُ

ثم أقبل على القوم، فقال: إنا والله ما نحمد عن الحق، ولا نصدّق فى
الباطل، وإن لنا لحقوقاً تشغل فضول أموالنا، وما كل من أفلس من الصيارفة
احتلنا لجبره، قوموا رحمكم الله! قال: فابتدر القوم الأبواب.

قوله: «فلم يفتلك المال»، يقول: لم يقطع منك، يقال فلذ له من العطاء،
أى قطع له، وقال رسول الله ﷺ يوم بدر حين قال الغلامان: فى القوم عتبة بن
ربيعه، وشيبة بن ربيعة، وأبو الحكم ابن هشام، وأمّية بن خلف وفلان وفلان،
فقال رسول الله ﷺ: «هذه مكة قد ألقت إليكم أفلاذ كبدها».

(١) هو ابن عمران الطلحي.

(٢) زيادات ر: «الشعر لضيب؛ وقيل لكثير، والأول أثبت».

(٣) توامقه: توده.

وقال أبو قُحافة أعشى باهلة - يعنى المُنتشر بن وهب الباهليّ:
تَكْفِيهِ فِلْدَةٌ كَبِدٍ إِنْ أَلَمَ بِهَا مِنْ الشَّوَاءِ وَيَكْفِي شَرِبُهُ الْغُمَرُ

[رجل من ازد شنوءة بين يدي عتبة بن أبي سفيان]

قال عبد الملك بن عميد: استعمل عتبة بن أبي سفيان رجلا من آلِه على الطائف، فَظَلَمَ رجُلًا من أزدِ شُئوءة، فَأَتَى الأزدِيَّ عُتْبَةً، فَمَثَلَ بين يديه، فقال:
أَمَرْتُ مَنْ كَانَ مَظْلُومًا لِيَأْتِيَكُمْ فَقَدْ أَتَاكُمْ غَرِيبُ الدَّارِ مَظْلُومٌ
ثم ذكر ظُلَامَتِهِ، فقال له عتبة: إني أراك أعرابيا جافيا، والله ما أحسبك
تدرى كم تصلى في كل يوم وكيلة! فقال: أرايت إن ألبأتك ذلك: أتجعل لى عليك
مسألة؟ قال نعم، فقال الأعرابي:
إِنَّ الصَّلَاةَ أَرْبَعٌ وَأَرْبَعٌ ثُمَّ ثَلَاثٌ بَعْدَهُنَّ أَرْبَعٌ

ثم صَلَاةُ الْفَجْرِ لَا تَضِيعُ

فقال: فاسأل. فقال: كم فقارٌ ظُهرِك؟ فقال: لا أدري، فقال: أَفَتَحْكُمُ بين
الناس وأنت تَجْهَلُ هذا من نفسك! قال: ردوا عليه غَنِيْمَتَهُ.

قوله «فقار» إنما هو جمع فقارة، ويقال فقرة. فمن قال فى الواحد فقرة قال
فى الجميع: فقر، كقولك: كسرة وكسر، ومن قال للواحدة: فقارة، قال للجميع:
فقار. كقولك دجاجة ودجاج، وحمامة وحمام.

[أعرابي عند معاوية]

وشهد أعرابي عند معاوية بشيء كرهه. فقال له معاوية: كَذَبْتَ! فقال
الأعرابي: الكاذب والله مُتَزَمِّلٌ فى ثيابك. فقال معاوية - وتبسّم: هذا جزاء مَنْ
عَجَلَ.

[حديث السواقط]

قال أبو العباس: قرأت على عبد الله بن محمد المعروف بالتَوَزَّى عن أبي
عُبَيْدَةَ مَعْمَرِ بنِ المثنى التيمى، قال: كانت السَّوَاقِطُ تَرِدُ الْيَمَامَةَ فى الأشهر الحرم
لطلب التمر، فإن وافقت ذلك، وإلا أقامت بالبلد إلى أوانه، ثم تخرج منه فى

شهر حرام، فكان الرجل منهم إذا قدم يأتي رجلا من بني حنيفة، وهم أهل اليمامة، - أعني بني حنيفة بن لُجَيْم بن صَعْب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط ابن هنب بن أفصى بن دُعْمَى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن مزار - فيكتب له على سهم أو غيره: «فلان جار فلان» - والسواقط: من ورد اليمامة من غير أهلها، وقد كان النعمان بن المنذر أراد أن يجليهم منها، فأجارهم مُرارة بن سلمى الحنفي. ثم أحد بني ثعلبة بن الدول بن حنيفة، فسوغه الملك ذلك، فقال أوس بن حجر يحض النعمان عليه:

زعم ابن سلمى مُرارة أنه مولى السواقط دون آل المنذر
منع اليمامة حزنها وسهولها من كل ذي تاج كريم المفخر

وذكر أبو عبيدة أن رجلا من السواقط من بني بكر بن كلاب قدم اليمامة، ومعه أخ له، فكتب له عمير بن سلمى أنه له جار - وكان أخو هذا الكلابي جميلاً - فقال له قرين، أخو عمير: لا تردن أبياتنا بأخيك هذا، فرآه بعد بين أبياتهم، فقتله.

قال أبو عبيدة: وأما المولى^(١) فذكر أن قريناً أخا عمير كان يتحدث إلى امرأة أخى الكلابي، فعثر عليه زوجها فخافه قرين عليها فقتله، وكان عمير غائباً، فأتى الكلابي قبر سلمى أبى عمير وقرين. فاستجار به وقال:

[قال أبو الحسن الأخفش، قال أبو العباس: قرين، ووجدته بخط دماذ، صاحب أبى عبيدة قريناً].

وإذا استجرت من اليمامة فاستجر وأتيت سلمياً فعذت بقبره
أقرين إنك لو رأيت فوارسي حدثت نفسك بالوفاء ولم تكن
زيد بن يربوع وآل مُجَمَّع وأخو الزمانة عائد بالأمنع^(٢)
بعمائتين إلى جوانب ضلفع^(٣) للغدر خائنة مغل الإصبع
بن عبدة بن يربوع بن ثعلبة بن الدول بن حنيفة، فحمل قتادة بن مسلمة بن عبدة بن يربوع بن ثعلبة بن الدول بن حنيفة، فحمل قتادة إلى الكلابي ديات مضاعفة، وفعلت وجوه بني حنيفة مثل

(١) السواقط هنا: اللثام. (٢) هو الذى أجاره عمير.

(٣) الزمانة: العاهة، يريد بها هنا الضعف. والأمنع: الذى به قوة تمنع من يريده بسوء.

(٤) عماية: جبل بنجد، وإنما ثناه بما حوله.

ذلك، فأبى الكلابي أن يقبل، فلما قدم عمير قالت له أمه وهي أم قرين: لا تقتل أخاك، وسق إلى الكلابي جميع ماله، فأبى الكلابي أن يقبل، وقد لجأ قرين إلى خاله السمين بن عبدالله فلم يمنع عميراً منه، فأخذه عمير فمضى به حتى قطع الوادي فربطه إلى نخلة، وقال للكلابي: أما إذ أبيت إلا قتله فأمهل حتى أقطع الوادي، وارتحل عن جوارى فلا خير لك فيه، فقتله الكلابي، ففى ذلك يقول عمير:

قَتَلْنَا أَخَانَا لِلوفاء بجارانَا وكان أبونا قد تُجِيرُ مقابره

وقالت أم عمير:

تَعُدُّ معاذِرًا لا عُدْرَ فيها وَمَنْ يَقْتُلْ أخاه فَقَدْ أَلَامَا

وقوله:

«ولم تكن للغدر، خائنة»، ولم يقل خائنا. فإنما وُضِعَ هذا فى موضع المصدر، والتقدير: ولم تكن ذا خيانة.

وقوله «للاغدر» أى من أجل الغدر، وقال المفسرون والنحويون فى قول الله عز وجل: ﴿وَإِنَّهُ لَحُبُّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾^(١)، أى لشديد من أجل حب الخير، والخير ههنا: المال، من قوله تعالى: ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ﴾^(٢).

وقوله «لشديد»: أى لبخيل، والتقدير والله أعلم: إنه لبخيل من أجل حبه للمال، تقول العرب: فلان شديد ومُتَشَدِّدٌ أى بخيل، قال طرفة:

أرى الموتَ يَعْتَامُ الكرامَ وَيَصْطَفِي

عَقِيلَةَ مَالِ الْفَاحِشِ الْمُتَشَدِّدِ^(٣)

وقلما يجيء المصدر على فاعل، فمما جاء على وزن «فاعِلٍ»: قولهم عوفى عافية، وفلج فالجاً، وقم قائماً، أى قم قياماً، وكما قال:

(١) سورة العاديات ٨.

(٢) سورة البقرة ١٨.

(٣) يعتام: يختار، وعقيلة المال: أكرمه، والفاشش: السيئ الخلق.

ولا خارجاً من في زور كلام

أى ولا يخرجُ خروجاً، وقد مضى تفسير هذا.

وَالْمَغْلُ الَّذِي عِنْدَهُ غُلُولٌ، وهو ما يُخْتَانُ وَيَحْتَجِنُ، ويستعمل مستعاراً في غير المال، يقال: غَلَّ يَغْلُ كَقَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾^(١). ويقال: أَغْلَّ فهو مُغْلٌ إذا صُودِفَ يَغْلٍ، أو نُسِبَ إليه، ومن قرأ: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَغْلَ﴾^(٢). فتأويله أن يأخذ ويستأثر، ومن قرأ ﴿يَغْلُ﴾ فتأويله على ضربين يكون أن يقال ذلك فيه، ويكون وهو الذي يختار أن يُخَوَّنَ، فإن قال قائل كيف يكون التقدير، وقد قال: ما كان لنبي أن يغْلَ فيُغْلَ لغيره، وأنت لا تقول ما كان لزيد أن يقومَ عمرو؟ فالجواب أنه في التقدير على معنى ما ينبغي لنبي أن يُخَوَّنَ، كما قال: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾^(٣). ولو قلت: ما كان لزيد أن يقومَ عمرو إليه لكانَ جيِّداً، على تقديرِكَ: ما كان زيد ليقومَ عمرو إليه، كما قلنا في الآية.

وَالِإِصْبَعُ، أفصح ما يقال وقد يقال: أَصْبَعُ وَإِصْبَعُ! وَأَصْبَعُ. موضعها هاهنا موضع اليد، يقال: لفلان عليك يدٌ، ولفلان عليك إصْبَعُ، وكلٌ جيّدٌ، وإنما يعنى هاهنا النعمة.

وأما قوله:

قتلنا أخانا للوفاء بجارنا

فيكون على ضربين: أحدهما أن يكون فَخَّمَ نفسه وعظمها، فذكرها باللفظ الذي يُذَكَّرُ الجميع به، والعرب تفعل هذا ويُعَدُّ كِبَرًا، ولا ينبغي على حكم الإسلام أن يكون هذا مستعملاً إلا عن الله عز وجل، لأنه ذو الكبرياء، كما قال تبارك وتعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾^(٤). و﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾^(٥)، وكل صفات الله على الصفات وأَجْلَهَا، فما اسْتَعْمَلَ في المخلوقين على تلك الألفاظ

(١) سورة آل عمران ١٦١.

(٢) قال المصنف: يريد أنه مأخوذ من غل الثلاثي المبني للمفعول، وتأويله: أن يؤخذ.

(٣) سورة آل عمران ١٤٥.

(٤) سورة القدر ١.

(٥) سورة النساء ١٦٣.

وإن خالفتُ في الحكم فحسنٌ جميل، كقولك: فلان عالم، وفلان قادرٌ، وفلان رحيم، وفلان ودودٌ، إلا ما وصفنا قبلُ من ذكر التكبر، فإنك إذا قلت: فلان جبار أو متكبر كان عليه عيبًا ونقصًا، وذلك لمخالفة هاتين الصفتين الحق، وبُعدهما من الصواب، لأنهما للمبدئ المعيد الخالق البارئ، ولا يليق ذلك بمن تكسره الجوع، وتطغيه الشبعة، وتنقصه اللحظة، وهو في كل أموره مدثرٌ، وأما القول الآخر في البيت وهو «قتلنا أخانا»، فمعناه أنه له ولمن شايعة من عشيرته. وأما قولها:

* ومن يقتل أخاه فقد ألاما *

تقول: أتى ما يُلام عليه، يقال: ألام الرجل إذا تعرض لأن يُلام.

باب

[هما أنشد أبو مجلم السعدي]

قال أبو العباس: أنشدني السعدي أبو محلم:

إِنَّا سَأَلْنَا قَوْمَنَا فَخَيَّرَهُمْ مَنْ كَانَ أَفْضَلَهُمْ أَبُوهُ الْأَوَّلُ
أَعْطَى الذِّي أَعْطَى أَبُوهُ قَبْلَهُ وَتَبَخَّلَتْ أَبْنَاءُ مَنْ يَتَبَخَّلُ

وأنشدني أيضاً:

لَطْلَحَةُ بْنُ حَبِيبٍ حِينَ تَسَأَلُهُ أَنْدَى وَأَكْرَمُ مِنْ فَنْدِ بْنِ هَطَالٍ
وَبَيْتُ طَلْحَةَ فِي عَزٍّ وَمَكْرُمَةٍ وَبَيْتُ فَنْدٍ إِلَى رَبِيقٍ وَأَحْمَالٍ^(١)
أَلَا فَتَى مِنْ بَنِي ذُبْيَانَ يَحْمِلُنِي^(٢) وَلَيْسَ يَحْمِلُنِي إِلَّا ابْنُ حَمَّالٍ
فَقُلْتُ طَلْحَةُ أَوْلَى مِنْ عَمَدَتُ لَهُ وَجِئْتُ أَمْشِي إِلَيْهِ مَشْيَ مُخْتَالٍ
مُسْتَيْقِناً أَنَّ حَبْلِي سَوْفَ يُعْلِقُهُ فِي رَأْسِ ذِيَالَةٍ أَوْ رَأْسِ ذِيَالٍ

قوله: «إلى ربوق وأحمال»، إنما أراد جمع حمل على القياس، كما تقول في جميع باب فعل: جمل وأجمال، وصنم وأصنام.

وقوله:

* أَلَا فَتَى مِنْ بَنِي ذُبْيَانَ يَحْمِلُنِي *

يعني ذُبْيَانَ بْنَ بَغِيضِ بْنِ رَيْثِ بْنِ غَطَفَانَ بْنِ سَعْدِ بْنِ قَيْسِ بْنِ عَيْلَانَ بْنِ مُضَرَ، وأنشد بعضهم.

* وَلَيْسَ حَامِلُنِي إِلَّا ابْنُ حَمَّالٍ *

وهذا لا يجوز في الكلام، لأنه إذا نُونَ الاسم لم يتصل به المضمرة؛ لأن المضمرة لا يقوم بنفسه، وإنما يقع معاقباً للتونين، تقول: هذا ضاربٌ زيدا غداً، وهذا ضاربٌك غداً، ولا يقع التونين ها هنا، لأنه لو وقع لانفصل المضمرة، وعلى هذا قول الله تعالى: ﴿إِنَّا مَنجُوكَ وَأَهْلَكَ﴾^(٣). وقد روى سيبويه بيتين محمولين

(١) ربوق: جبل فيه عدة عرا تشد به إليهم، وأحمال: جمع حمل بالفتح، وهو الخروف وفيه أيضاً أجمال جمع جمل.

(٢) يحملني. من حملة إذا أعطاه ما يحمله من الدواب.

(٣) سورة العنكبوت ٣٣.

على الضرورة، وكلاهما مصنوع، وليس أحد من النحويين المُفْتَشِينَ يُجِيزُ مثل هذا في الضرورة، لما ذكرتُ من انفصال الكناية، والبيتان اللذان رواهما سيويه:

هُمُ الْقَائِلُونَ الْخَيْرَ وَالْأَمْرُونَهُ إِذَا مَاخَشَوْا يَوْمًا مِنَ الْأَمْرِ مُعْظَمًا

وأنشد:

وَلَمْ يَرْتَفِقْ وَالنَّاسُ مُحْتَضِرُونَهُ جَمِيعًا وَأَيْدِي الْمُعْتَفِينَ رَوَاهِقُهُ^(١)

وإنما جاز أن تُبَيِّنَ الحركةَ إِذَا وَقَفْتَ فِي نون الاثنين والجميع لأنه لا يلتبس بالمضمر، تقول: هما رَجُلَانِه، وهم ضَارِبُونِه، إِذَا وَقَفْتَ، لأنه لا يلتبس بالمضمر إِذْ كَانَ لَا يَقَعُ هَذَا الْمَوْقِعَ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ تَقُولَ ضَرَبْتُهُ، وَأَنْتَ تَرِيدُ ضَرَبْتُ، والهاء لبيان الحركة، لأن المفعول يقع في هذا الموضع فيكون لبسا، فأما قولهم: ارمه واغزه فَتُلَحِّقُ الهاءَ لبيان الحركة، فإنما جاز ذلك لِما حذفتُ من أصل الفعل، ولا يكون في غير المحذوف.

وقوله: «في رأس ذبالة»، يعني فرساً أثني أو حصاناً، والذِّبَالُ: الطويل الذَّئِبُ، وإنما يُحْمَدُ منه طول شعر الذَّئِبِ، وَقَصُرَ الْعَسِيبُ^(٢)، وأما الطَّوِيلُ الْعَسِيبُ فمذموم، ويُقال ذلك لِلثَّوْرِ أَيْضًا، أعنى ذِيَالًا، قال امرؤ القيس:

فَجَالَ الصُّوَارُ وَاتَّقَيْنَ بِقَرَهَبٍ طَوِيلَ الْقَرَا وَالرُّوقَ أَخْنَسَ ذِيَالٍ^(٣)

ويقال أَيْضًا لِلرَّجُلِ: ذِيَالٌ، إِذَا كَانَ يَجْرُ ذَيْلُهُ اخْتِيَالًا، ويقال له: فَضْفَاضٌ في ذلك المعنى.

[من كلام عمر بن عبد العزيز لمؤدبه]

ويروى عن عمر بن عبد العزيز أنه قال لمؤدِّبِه: كيف كانت طاعتي إياك وأنت تُؤدِّبُنِي؟ فقال: أحسن طاعة. قال: فَأَطَعْنِي الْآنَ كَمَا كُنْتُ أُطِيعُكَ إِذْ ذَاكَ. خُذْ مِنْ شَارِبِكَ حَتَّى تَبْدُو شَفَتَاكَ، وَمِنْ ثَوْبِكَ حَتَّى تَبْدُو عَقِبَاكَ.

وقال رسول الله ﷺ: «فضل الإزار في النار».

(١) يرتفق: يتكئ على يده. المعتفون: طلاب المعروف. ورواهقه: دانية منه.

(٢) العسب: مستدق عظم الذئب.

(٣) الصوار: القطيع من بقر الوحش. والقَرَهَب: الثور المسن الضخم. والقرا: الظهر. والروق: القرن.

* كالعبد إذ قيّد أجماله *

يريد أنه غير مُكْتَرِت لاكتساب المجد والفضل، وذلك أن العبد الراعى إذا قيّد أجماله لفّ رأسه ونام حجرةً، وهذا شبيه بقوله:

* واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسى *

وقوله:

* فدخلوا المرء وسرباله *

يروى أنه طعن فارساً منهم فأحدث، فقال: نطفوه فإنى لا أدفن القتيل منكم إلا طاهراً، وقوله:

* والدرع لا أبغى بها نثرة *

فالنثرة: الدرع السابعة، يقول: درعى هذه تكفينى، وقوله:

* كل امرئ مستودع ماله *

أى مسترهن بأجله، وهو كقول الأعشى:

كنت المقدم غير لابس جنة بالسيف تضرب معلماً أبطالها
وعلمت أن النفس تلقى حتفها ما كان خالقها الفضيل قضى لها

وقوله:

* الرمح لا أملأ كفى به *

يتأول على وجهين: أحدهما أن الرمح لا يملأ كفى وحده، أنا أقاتل بالسيف وبالرمح وبالقوس وغير ذلك، والقول الآخر أنى لا أملأ كفى به إنما اختلس به اختلاسا، كما قال الشاعر:

ومدجج سبقت يداى له تحت الغبار بطعنة خلّس

وقوله:

* واللبد لا أتبع تزواله *

يقول: إن انحلّ الحزام فمال اللبد لم أمل معه، أى أنا فارس ثبت.

الفرزدق وقد نزل به ذئب فأضافه

وقال الفرزدق، ونزل به ذئب فأضافه:

وأطلسَ عَسَّالَ وما كان صاحبًا رَفَعْتُ لِنَارِي مَوْهِنًا فَأَتَانِي
فَلَمَّا دَنَا قَلْتُ أَدُنْ دُونَكَ إِنِّي وَإِيَّاكَ فِي زَادِي لَمْ شُتَّرْكَانَ
فَبِتْ أَقْدَ الزَادَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ عَلَى ضَوْءِ نَارِ مَرَّةٍ وَدُحَانِ
وَقَلْتُ لَهُ لِمَا تَكْشُرُ ضَاحِكًا وَقَائِمُ سَيْفِي مِنْ يَدِي بِمَكَانِ
تَعَشَّ فَإِنْ عَاهَدْتَنِي لَا تَخُونَنِي نَكُنْ مِثْلَ مَنْ يَذْئِبُ يَصْطَحِبَانِ
وَأَنْتَ أَمْرُؤُ يَذْئِبُ وَالْغَدْرُ كُتْمَا أَخَيَيْنِ كَانَا أَرْضِعَا بِلَبَانِ
وَلَوْ غَيْرُنَا نَبَّهْتَ تَلْتَمِسُ الْقَرَى رَمَّاكَ بِسَهْمٍ أَوْ شَبَابَةِ سِنَانِ

قوله: «وأطلسَ عَسَّالَ»، فالأطلسُ الأَغْبَرُ. وحدثني مسعود بن بشرٍ قال:

أنشدني طاهر بن علي الهاشمي قال: سمعت عبد الله بن طاهر بن الحسين ينشد في صفة الذئب:

بِهِمْ بَنَى مُحَارِبٍ مُزْدَارُهُ^(١) أَطْلَسُ يَخْفَى شَخْصَهُ غِبَارُهُ

* فِي شِدْقِهِ شَفْرَتُهُ وَنَارُهُ *

قوله: «يَخْفَى شَخْصَهُ غِبَارُهُ»، يقول: هو في لون الغبار، فليس يَتَبَيَّنُ فِيهِ.

وقوله: «عَسَّالَ»، فإنما نَسَبَهُ إِلَى مَشْيَتِهِ، يُقَالُ: مَرَّ الذَّئْبُ يَعْسِلُ، وَهُوَ مَشْيٌ خَفِيفٌ كَالْهَرَوَلَةِ، قَالَ الشَّاعِرُ^(٢) يَصِفُ رَمَحًا:

لَدَنْ بِهِزِ الْكَفِّ يَعْسِلُ مَتْنُهُ فِيهِ كَمَا عَسَلَ الطَّرِيقَ الشَّعْلُبُ

وقال لبید:

عَسَلَانَ الذَّئْبِ أَمْسَى قَارِبًا بَرَدَ اللَّيْلُ عَلَيْهِ فَنَسَلَ

قال أبو عبيدة: نَسَلَ فِي مَعْنَى عَسَلَ، وَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾^(٣). وَخَفَضَ بِهِذِهِ الْوَاوِ لِأَنَّهَا فِي مَعْنَى «رُبَّ»، وَإِنَّمَا

(١) البهم: واحدها بهمة، وهي الصغيرة من أولاد الغنم.

(٢) هو ساعدة بن جوية الهذلي، وانظر ديوان الهذليين ج ١ ص ١٩٠.

(٣) سورة الأنبياء ٩٦.

جاز أن يُخَفَّضَ بها لوقوعها في معنى «رب»؛ لأنها حرف خفض، وهى - أعنى الواو - تكون بدلا من الباء في القسم لأن مخرجها في مخرج الباء من الشفة، فإذا قلت: والله لأفعلنَّ، فمعناه: أَقْسَمُ بالله لأفعلنَّ، فإن حذفها قلت: الله لأفعلنَّ، لأن الفعل يقع على الاسم فينصبه، والمعنى معنى «الباء» كما قال الله عز وجل: ﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا مِّمَّقَاتَنَا﴾^(١). وَصَلَ الفعل فَعَمَلَ، والمعنى معنى «من» لأنها للتبعيض، فقد صارت «الواو» تَعْمَلُ بلفظها عَمَلَ «الباء» وتكون في معناها، وتعمل عمل «رب» لاجتماعهما في المعنى للاشتراك في المخرج.

وقوله: «رفعت لنارى»، من المقلوب، إنما أراد رَفَعْتُ له نارى والكلام إذا لم يَدْخُلْه لَيْسَ جاز القلب للاختصار، قال الله عز وجل: ﴿وَأَتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ﴾^(٢). والعصبة تنوء بالمفاتيح، أى تستقل بها فى ثَقَل، ومن كلام العرب: إن فلانة لتنوء بها عجيزتها، والمعنى لتنوء بعجيزتها، وأنشد أبو عبيدة الأخطل:

أَمَّا كُلَيْبُ بْنُ يَرْبُوعٍ فَلَيْسَ لَهَا عِنْدَ التَّفَاخُرِ إِيرَادٌ وَلَا صَدْرُ
مُخَلَّفُونَ وَيَقْضَى النَّاسُ أَمْرَهُمْ وَهُمْ بَغِيْبٌ وَفِي عَمِيَاءَ مَاشَعَرُوا
مِثْلُ الْقَنَافِذِ هَدَاجُونَ قَدْ بَلَغَتْ نَجْرَانُ أَوْ بَلَغَتْ سَوَاتِيَهُمْ هَجَرُ

فجعل الفعل للبلدين على السعة.

ويروى أن يونس بن حبيب قال لأبى الحسن الكسائى: كيف تُنْشِدُ بيت الفرزدق؟ فأنشده:

غَدَاةٌ أَحَلَّتْ لَابِنَ أَصْرَمَ طَعْنَةً

حُصَيْنٌ عَيْطَاتِ السَّدَائِفِ وَالْخَمْرُ^(٣)

فقال الكسائى لما قال:

«غداة أحلت لابن أصرم طعنة حُصَيْنٌ عَيْطَاتِ السَّدَائِفِ . . .»

تم الكلام. فَحَمَلَ الخمر على المعنى، أراد: وَحَلَّتْ له الخمر، فقال له

(١) سورة الأعراف ١٥٥. (٢) سورة القصص ٧٦.

(٣) هو حُصَيْنُ بْنُ أَصْرَمَ، من بنى ضبة، وكان نذر ألا يأكل لحما ولا يشرب خمرا حتى يقتل ابن الجون الكندى. والسدائف: جمع سديف وهو السنام، والعبيطات: الطرية.

يونس: ما أَحْسَنَ ما قلت! ولكن الفرزدق أَنشدَنِيهِ على القَلْبِ، فنصب الطعنة ورفع العبيطات والخمر على ما وصفنا من القَلْبِ. والذي ذهب إليه الكسائي أَحسن في مَحْضِ العربية، وإن كَانَ إنشاد الفرزدق جَيِّدًا.

وقوله: «فلما دنا قلت ادنْ دونك» أمرٌ بعد أمر، وحَسَنَ ذلك لأن قوله: «أذنْ» للتقريب، وفي قوله: «دونك»، أمرُهُ بالأكل؛ كما قال جرير لعيَّاش بن الزبرقان:

أَعْيَاشٌ قَدْ ذَاقَ الْقُيُونُ مَوَاسِمِي^(١) وَأَوْقَدْتُ نَارِي فَادُنْ دُونَكَ فَاصْطَلْ
وقوله:

على ضوء نارٍ مرةً ودخان

يكون على وجهين: أحدهما على ضوء نار، وعلى دخان، أى على هاتين الحالتين ارتفعت النار أو خَبَتْ. وجائز أن يَعْطَفَ الدخان على النار، وإن لم يكن للدخان ضياءٌ، ولكن للاشتراك، كما قال الشاعر:

يَا لَيْتَ زَوْجَكَ قَدْ غَدَا مُتَقَلِّدًا سَيْفًا وَرُمْحًا
لأن معناهما الحَمَل، وكما قال:

شَرَّابُ أَلْبَانٍ وَتَمْرٍ وَأَفِط

فأدخل التمر فى المشروب لاشتراك المأكول والمشروب فى الخلق وهذه الآية تُحْمَلُ على هذا: ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوَاظٌ مِّنْ نَّارٍ وَنُحَاسٌ﴾^(٢).

والشَّوَاظُ: اللهبُ لا دخان له، والنُّحَاسُ: الدخان. وهو معطوف على النار، وهى مخفوضة بالشواظ لما ذَكَرْتُ لك، قال النابغة الجعدي:
تَضِيءُ كَمِثْلِ سِرَاجِ الذِّئْبِ لِمَ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ فِيهِ نُحَاسًا
وقوله:

نَكُنْ مِثْلَ مَنْ يَدُوبُ يَصْطَحِبَانِ^(٣)

(١) زيادات ر: «جمع ميسم، وهو حديدة يصنع بها البيطار».

(٢) سورة الرحمن ٣٥.

(٣) زيادات ر: «من يجوز أن تكون نكرة موصوفة تقديره مثل اثنين يصطحبان، وأن تكون بمعنى الذى، ويصطحبان: صلته».

ف«من» تقع للواحد والاثنين والجميع والمؤنث على لفظ واحد، فإن شئت حَمَلْتَ خبرها على لفظها فقلت: مَنْ فِي الدَّارِ يُحِبُّكَ، عَنِيتَ جَمِيعاً أَوْ اثْنَيْنِ أَوْ واحداً أَوْ مؤنثاً. وَإِنْ شِئْتَ حَمَلْتَهُ عَلَى الْمَعْنَى فقلت: يُحِبُّانِكَ، وَتَحِبُّكَ - إِذَا عَنِيتَ امْرَأَةً - وَيَحِبُّونَكَ - إِذَا عَنِيتَ جَمِيعاً - كُلُّ ذَلِكَ جَائِزٌ جَيِّدٌ، قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ﴾^(١). ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَئِذْنَ لِي وَلَا تَفْتِنِي﴾^(٢). وَقَالَ - فَحَمَلَ عَلَى الْمَعْنَى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمْعُونَ إِلَيْكَ﴾^(٣). وَقَرَأَ أَبُو عَمْرٍو: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُكَنَّاهُ وَرَسُولُهُ وَتَعْمَلْ صَالِحاً﴾^(٤)، فَحَمَلَ الْأَوَّلَ عَلَى اللَّفْظِ وَالثَّانِي عَلَى الْمَعْنَى. وَفِي الْقُرْآنِ: ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾.

فهذا كله على اللفظ، ثم قال: ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ على المعنى.

وقوله: «أَوْ شِبَاةُ سَنَانٍ» فالشِّبَا والشِّبَاةُ واحد وهو الحد.

[فِي وَصْفِ الْجُودِ وَالْحَثِّ عَلَى الْمُبَادَرَةِ بِهِ]

وَمَا يُسْتَحْسَنُ فِي وَصْفِ الْجُودِ وَالْحَثِّ عَلَى الْمُبَادَرَةِ بِهِ، وَتَعْرِيفِ حَدِّ الْعَاقِبَةِ فِيهِ، قَوْلُ النَّمْرِ بْنِ تَوَلِّبِ الْعُكْلِيِّ، أَحَدِ بَنِي عُكْلٍ بْنِ عَبْدِ مَنَاةَ بْنِ أَدِّ بْنِ طَابِخَةَ بْنِ إِيَّاسٍ^(٥) بْنِ مُضَرَ:

أَعَاذِلْ إِنْ يُصْبِحُ صَدَايَ بِقَفْرَةٍ بَعِيداً نَأْنَى صَاحِبِي وَقَرِيبِي
تَرَى أَنَّ مَا أَبْقَيْتُ لَمْ أَكُ رَبِّهِ وَأَنَّ الَّذِي أَنْفَقْتُ كَانَ نَصِيبِي
وَذِي إِبِلٍ يَسْعَى وَيَحْسِبُهَا لَهُ أَخِي نَصَبٌ فِي رَعْيِهَا وَدُءُوبِ
غَدَتُ وَغَدَا رَبُّ سَوَاهُ يَقُودُهَا وَبُدِّلَ أَحْجَاراً وَجَالٌ قَلِيبِ

(١) سورة يونس ٤٠.

(٢) سورة التوبة ٤٩.

(٣) سورة يونس ٤٢.

(٤) سورة الأحزاب ٣١.

(٥) زيادات ر: «قال ابن السراج: من رواه إِيَّاس فقد أخطأ، إنما هو ابن إِيَّاس بوصل الألف وكسر السين، والألف واللام للتعريف، والاسم «يَّاس» مشتق من يئست.

قوله: «إن يصبح صدای بقفرة» فالصدى على ستة أوجه: أحدها ما ذكرنا، وهو ما يبقى من الميت فى قبره، والصدى: الذکر من البوم، قال ابن مفرغ^(١):

وَشَرِيَتْ بُرْدًا لِيَتَنَى مِنْ بَعْدِ بُرْدٍ كُنْتُ هَامَهُ^(٢)
هتافه تدعو صدى بين المشقر واليَمَامَه

ويقال: فلان هامة اليوم أو غد، أى يموت فى يومه أو فى غده. ويقال ذلك للشيخ إذا أَسَنَّ، والمريض إذا طالت علته، والمحتقر^(٣) لمدة الآجال. وفى الحديث أن حسلاً^(٤) - أبا حذيفة بن حسل بن اليمان - قال لشيخ آخر تخلف معه فى غزوة أحد: انهض بنا ننصر رسول الله ﷺ، فإنما نحن هامة اليوم أو غد - وكأنا قد أَسْنَا. والصدى: حشوة الرأس. يقال لذلك: الهامة، وتأويل ذلك عند العرب فى الجاهلية أن الرجل كان عندهم إذا قُتِل فلم يدرك به الثأر أنه يخرج من رأسه طائر كالبومة وهى الهامة - والذكر: الصدى - فيصبح على قبره: اسقونى اسقونى! فإن قُتِل قاتله كف ذلك الطائر. قال ذو الإصبع^(٥) العدوانى أحد بنى عدوان بن عمرو بن قيس بن عيلان بن مضر:

يَا عَمْرُو إِلَّا تَدْعُ شَتْمِي وَمَنْقَصَتِي أَضْرِبُكَ حَيْثُ تَقُولُ الْهَامَةُ اسْقُونِي
وَالصَّدَى: ما يرجع عليك من الصوت إذا كنت بمتسع من الأرض، أو بقرب جبل، كما قال:

إِنِّى عَلَى كُلِّ إِيسَارٍ وَمَعْسَرَتِي أَدْعُو حَنِيفًا كَمَا تُدْعَى ابْنَةُ الْجَبَلِ

يعنى الصدى، وتأويله أنه يجيبنى فى سرعة إجابة الصدى. وقال آخر:

كَأَنِّى إِذْ دَعَوْتُ بَنَى سُلَيْمٍ دَعَوْتُ بِدَعْوَتِي لَهُمُ الْجَبَالَا

(١) زيادات ر: «اسمه ربيعة، وسمى مفرغا لأنه شرب سقاءين ففرغهما».

(٢) شريت هنا: بعث.

(٣) زيادات ر: رواية عاصم بن أيوب رحمه الله برفع «المحتقر» يرفعه بالابتداء ويضمم الخبر، فيكون التقدير: والمحتقر لمدة الآجال، يقال ذلك له، ورواية ابن سراج بالخفض على العطف.

(٤) زيادات ر: «حسل أبو حذيفة، هو حسل بن جابر، وهو اليمان، والشيخ الذى تخلف معه ثابت بن وقش الأنصارى».

(٥) زيادات ر: «هو حرثان من محرث، سمي بذى الإصبع؛ لأنه كان له إصبع زائدة، وقيل: لأن حية عضته فى إصبعه».

والصدأ، مهموز: صدأ الحديد وما أشبهه، قال النابغة الذبياني:

سَهْكِينَ مِنْ صَدَأِ الْحَدِيدِ كَأَنَّهُمْ تَحْتَ السَّنُورِ جِنَّةُ الْبَقَارِ^(١)
وقال الأعشى:

فَأَمَّا إِذَا رَكَبُوا فَالْوُجُوهُ فِي الرَّوْعِ مِنْ صَدَأِ الْبَيْضِ حُمُ^(٢)
والصدى: مصدر الصدى، وهو العطشان، يقال: صدى يصدى صدًى، وهو صد، قال طرفة:

سَتَعْلَمُ إِنِّ مِتْنَا صَدًى أَيْنَا الصَّدًى^(٣) *

وقال القطامي:

فَهُنَّ يَنْبِذْنَ مِنْ قَوْلٍ يُصْبِنُ بِهِ مَوَاقِعَ الْمَاءِ مِنْ ذِي الْغُلَّةِ الصَّادِي
تأويل قوله: «أنانى» يكون على ضربين، يكون أبعدنى، وأحسن [من]^(٤) ذلك أن يقول: «أنانى». وقد رويت هذه اللغة الأخرى، وليست بالحسنة، وإنما جاءت فى حروف: يقال: غاض الماء وغيضته، ونزحت البئر ونزحتها، وهبط الشيء وهبطته، وبنو تميم يقولون: أهبطته، وأحرف سوى هذه يسيرة. والوجه فى «فعل أفعلته»، نحو دخل وأدخلته، ومات وأماته الله، فهذا الباب المطرد. ويكون «نأى» فى موضع «نأى عنى» كما قال الله عز وجل: ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾^(٥)، أى كالوا لهم أو وزنوا لهم.

وقوله: «ودءوب»، يقول: وإلحاح عليه، تقول: دأبت على الشيء، قال الشاعر^(٦):

دَأَبْتُ إِلَى أَنْ يَنْبِت الظِّلُّ بَعْدَمَا تَقَاصَرَ حَتَّى كَادَ فِي الْآلِ يَمْصَحُ
وقوله جل ثناؤه: ﴿كَدَّابِ آلِ فِرْعَوْنَ﴾^(٧) يقول: كعادتهم وسيتهم، ومثله الدين والديدن، وقد مر هذا.

(١) سهكين، من السهك، وهو ريح صدأ الحديد. والسنور هنا: الدروع، وجنة البقار: موضع رمل عالج.

(٢) حم: جمع أحم، وهو الأسود من كل شيء.

(٣) زيادات ر: «ويروى: «صدى أيننا» بخفض «أيننا» على الإضافة: فصدى على هذه الرواية يرتفع بالابتداء، والصدى: الخبر».

(٥) سورة المطففين ٣.

(٤) تكملة من س.

(٧) سورة آل عمران ١١.

(٦) زيادات ر: «هو الراعى».

وقوله:

وَبَدَّلَ أَحْجَارًا وَجَالَ قَلْبٌ

فالجال الناحية، يقال لكل ناحية من البئر والقبر وما أشبه ذلك: جالٌ وجُولٌ، وقال مُهَلِّهْلٌ:

كَأَنَّ رِمَاحَهُمْ أَشْطَانُ بَيْرٍ بَعِيدٍ بَيْنَ جَالِيهَا جَرُورٍ^(١)

ويقال: رجل ليس له جُولٌ، أى ليس له عقل، وهذا الشعر نظير قول حاتم الطائي:

أَمَاوَى إِنْ يُصْبِحَ صَدَاىَ بَقْفَرَةٍ مِنْ الْأَرْضِ، لَامَاءٌ لَدَى وَلَا خَمْرُ
تَرَى أَنَّ مَا أَبْقَيْتُ لَمْ أَكُ رَبَّهُ وَأَنَّ يَدِي مِمَّا بَخِلْتُ بِهِ صِفْرُ

[الحارث بن حلزة يشكرى في الجود]

وقال الحارث بن حلزة اليشكرى في هذا المعنى:

قُلْتُ لَعَمْرُو حِينَ أَرْسَلْتُهُ وَقَدْ خَبَا مِنْ دُونِنَا عَالِجُ
لَا تَكْسَعُ الشَّوْلَ بِأَغْبَارِهَا إِنَّكَ لَا تَدْرِي مِنَ النَّاتِجِ
وَأَصْبَبَ لِأَضْيَافِكَ أَلْبَانَهَا فَإِنَّ شَرَّ اللَّبَنِ الْوَالِجِ

قوله:

لَا تَكْسَعُ الشَّوْلَ بِأَغْبَارِهَا

فإن العرب كانت تنضح على ضروعها الماء البارد ليكون أسمنَ لأولادها التى فى بطونها. والغبر: بقية اللبن فى الضرع، فيقول: لا تُبقِ ذلك اللبن لِسمنِ الأولاد، فإنك لا تدري من ينتجها، فلعلك تموت، فتكون للوارث أو يُغار عليها.

وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «يقول بن آدم مالى مالى، ومالك من مالك إلا ما أكلت فأفنيته، أو لبست فأبليت، أو أعطيت فأمضيت».

(١) الأشطان: جمع شطن، وهو الحبل الشديد الفتل. وجرور: نعت للبئر: وهى التى يدق عمقها حتى يجبر دلوها على شفيرها.

ويروى عن بعضهم أنه قال: إني أحبُّ البقاء، وكالبقاء عندي حُسْنُ الثَّناء. وأنشد أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ:

فَإِذَا بَلَغْتُمْ أَرْضَكُمْ فَتَحَدِّثُوا ومن الحديث مَتَالِفٌ وَخُلُودٌ

وأنشد:

فَأَتْنُوا عَلَيْنَا لَا أَبَا لِأَبِيكُمْ بأفعالننا، إِنَّ الثَّناء هُوَ الْخُلْدُ

وقال معاوية لابن الأشعث بن قيس: ما كَانَ جَدُّكَ قَيْسُ بْنُ مَعْدَى كَرِبَ
أَعْطَى الْأَعْشَى؟ فقال: أعطاه مالا، وظَهْرًا، وَرَقِيْقًا، وَأَشْيَاءَ أُنْسِيَتْهَا، فقال
معاوية: لكن ما أعطاكم الأعشى لا يُنسى!

وقال عمر بن الخطَّاب رضى الله عنه لابنة هَرَمِ بْنِ سِنَانِ الْمُرِّيِّ: ما وَهَبَ
أَبُوكَ لَزُهَيْرٍ؟ فقالت: أعطاه مالا وأثاثا أفناه الدهر. فقال عمر: لَكُنْ ما أعطاكموه
لا يُفْنِيهِ الدَّهْرُ.

وقال المفسرون فى قول الله عزَّ وجلَّ عن إبراهيم صلوات الله عليه:

﴿وَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾^(١) أى ثَنَاءً حَسَنًا، وفى قوله
تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ سَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾^(٢) أى يقال له هذا فى
الآخِرِينَ، والعرب تَخَذِفُ هَذَا الْفِعْلُ مِنْ «قَالَ» «وَيَقُولُ» استغناءً عنه، قال الله
عزَّ وجلَّ: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾^(٣)، أى فقال لهم.
ومثله: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾^(٤) أى
يقولون، وكذلك: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾^(٥).

(١) سورة الشعراء ٨٤. (٢) سورة الصافات ١٠٨، ١٠٩. (٣) سورة آل عمران ١٠٦.

(٤) سورة الزمر ٣. (٥) سورة الرعد ٢٣، ٢٤.

(٥) زيادات رُبعَ ذلك ما يأتى: «حدثنا يموت بن المزرع البصرى قال: حدثنا رفيع بن سلمة المنبى بدماذ قال:
حدثنا أبو عبيدة قال: قال الحجاج يوماً لعماثر العرب وهم فى مجلسه: ما أحسب هذا المزونى بناصرنا فى
حربنا - يعنى المهلب - والرأى مشترك، فقالوا: الرأى للأمير - أصلحه الله - أن يكتب إلى ابن الفجاءة : بإطعامه
بعض الأرضين، فإذا هو نخع بطاعته وأظهر الدعوة له سهلت الحيلة فيه، فقال: وفقكم الله، وكتب إلى ابن
الفجاءة، وأنفذه على يد الغضبان بن القبيعرى الشيبانى . نسخة الكتاب:

«بسم الله الرحمن الرحيم: من الحجاج بن يوسف إلى قطرى بن الفجاءة، سلام عليك، الموحد الله، والمصلى
عليه محمد عليه السلام. أما بعد، فإنك كنت أعرابياً يدويا تستطعم الكسرة، وتحف إلى التمرة، ثم خرجت
تحاول ما ليس لك بحق، وأعرضت عن كتاب الله، ومرقت من سنة رسول الله ﷺ، فأرجع عما

= أنت عليه بما زين لك، وادعوني فقد آن لك». فلما أوصل الغضببان الكتاب إلى قطرى قال: يا غلام، ازبر هذه الصحيفة، فتلا عليه ما فيها فتنهد قطرى الصعداء، فقال: يا غضبان ألفتني محزوناً، وأنشأ يقول:

ويا كـبـدا من وجـد أم حـكـيم	فيا كـبـدا من غـير جـوع ولا ظمأ
طـعان فـتى فـى الحـرب غـير لئـيم	فلو شـهدتـنى يـوم دولا بـ أبـصرت
وعـجنا صـدور الخـيل نـحو تـيم	غـداة طـفت عـلماء بـكر بن وائل
وأب عمـيد الأزد غـير ذمـيم	وكان بـعبـد القـيس أول حـدها

- يعنى المهلب، وأم حكيم هذه: امرأة من الخوارج قتلت بين يديه، ثم قال: يا غلام، اكتب، «بسم الله الرحمن الرحيم» من قطرى بن الفجاءة إلى الحجاج بن يوسف. سلام على من اتبع الهدى. ذكرت فى كتابك أنى كنت يدويا أستطعم الكسرة، وأبدر إلى النمرة، وبالله لقد قلت زورا، بل الله بصرنى من دينه ما أعماك عنه؛ إذ أنت سايع فى الضلالة غرق فى غمرات الكفر، ذكرت أن الضرورة طالت بى فهلا برزلى من حزبك من نال الشيع، واتكأ فاتدع! أما والله لئن أبرز الله صفحتك، وأظهر لى صلعتك، لتكرن شيعك، ولتعلمن أن مقارعة الأبطال، ليس كتستجير الأمثال».

باب

[من خطبة لعلي بن أبي طالب]

قال أبو العباس: قال علي بن أبي طالب رضى الله عنه فى خطبة له: أيها الناس، اتقوا الله الذى إن قلتم سَمِعَ، وإن أضمرتم عَلمَ. وبادروا الموت الذى إن هَرَبْتُمْ منه أدرَككم، وإن أقمتهم أَخَذَكُم.

[خطبة الحجاج حين قدم أميراً على العراق]

قال: وحدثنى التَّوَزَى فى إسناد ذكره آخره عبدُالمَلِك بن عُمَيْرِ اللَّيْثِي، قال: بينما نحن فى المسجد الجامع بالكوفة، وأهل الكوفة يومئذ ذُوو حال حَسَنَة، يَخْرُجُ الرجلُ منهم فى العشرة والعشرين من مَوَالِيه، إِذْ أَتَى آت فقال: هَذَا الْحَجَّاجُ قَدِمَ أَمِيرًا عَلَى الْعِرَاقِ. فإِذَا بِهِ قَدْ دَخَلَ الْمَسْجِدَ مُعْتَمًا بِعِمَامَةٍ غَطَّى بِهَا أَكْثَرَ وَجْهِهِ، مُتَقَلِّدًا سَيْفًا، مُتَنَكِّبًا قَوْسًا، يَوْمُ الْمَنْبَرِ، فَقَامَ النَّاسُ نَحْوَهُ، حَتَّى صَعَدَ الْمَنْبَرِ، فَمَكَثَ سَاعَةً لَا يَتَكَلَّمُ، فَقَالَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: قَبِّحَ اللَّهُ بَنِي أُمَيَّةٍ حَيْثُ تَسْتَعْمِلُ مِثْلَ هَذَا عَلَى الْعِرَاقِ! حَتَّى قَالَ عُمَيْرُ بْنُ ضَبَائِىءَ الْبَرْجُمِي: أَلَا أَحْصَيْتُمْ لَكُمْ؟ فَقَالُوا: أَمَهْلُ حَتَّى نَنْظُرَ، فَلَمَّا رَأَى عَيُونَ النَّاسِ إِلَيْهِ حَسَرَ اللَّثَامَ عَنْ فِيهِ وَنَهَضَ وَقَالَ^(١):

أَنَا ابْنُ جَلَّالٍ وَطَلَّاعُ الثَّنَايَا مَتَى أَضْعَعَ الْعِمَامَةَ تَعْرِفُونِي
ثُمَّ قَالَ: يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ، إِنِّي لَأَرَى رَعُوسًا قَدْ أَيْعَتَ وَحَانَ قَطَافُهَا، وَإِنِّي لَصَاحِبُهَا، وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى الدِّمَاءِ بَيْنَ الْعِمَائِمِ وَاللَّحَى، ثُمَّ قَالَ^(٢):

هَذَا أَوَانُ الشَّدِّ فَاشْتَدَّى زَيْمٌ قَدْ لَفَّهَا اللَّيْلُ بِسَوَاقٍ حُطِمَ
لَيْسَ بِرَاعِي إِبِلٍ وَلَا غَنَمٍ وَلَا بِجَزَارٍ عَلَى ظَهْرٍ وَضَمَ
ثُمَّ قَالَ:

قَدْ لَفَّهَا اللَّيْلُ بِعَصَلْبِي أَرْوَعَ خَرَجَ رَاجٍ مِنَ الدَّوَى
مُهَاجِرٌ لَيْسَ بِأَعْرَابِي

وقال:

قَدْ شَمَّرَتْ عَنْ سَاقِهَا فَشُدُّوا وَجَدَّتْ الْحَرْبُ بِكُمْ فَجِدُّوا

(٢) زيادات ر: «الشعر لرويشد بن وميض العنبري».

(١) زيادات ر: «هو لسحيم بن وثيل الرياش».

وَالْقَوْسُ فِيهَا وَتَرَّ عُرْدٌ مِثْلُ ذِرَاعِ الْبَكْرِ أَوْ أَشَدُّ

* لَا بُدَّ مِمَّا لَيْسَ مِنْهُ بُدٌّ *

إني والله يا أهل العراق ما يُقَعِّعُ لِي بِالشَّنَانِ، وَلَا يُغَمِّزُ جَانِبِي كَتَغَمَازِ التَّيْنِ. وَلَقَدْ فُرِّرْتُ عَنْ ذِكَاةٍ، وَفُتِّشْتُ عَنْ تَجْرِيبَةٍ، وَإِنْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ - أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ - نَشَرَ كِنَانَتَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَعَجِمَ عِيدَانَهَا، فَوَجَدَنِي أَمْرَهَا عَوْدًا. وَأُصْلِبُهَا مَكْسِرًا، فَرَمَاكُم بِي. لَأَنْكُم طَالَمَا أَوْضَعْتُمْ فِي الْفِتْنَةِ، وَاضْطَجَعْتُمْ فِي مَرَاقِدِ الضَّلَالِ. وَاللَّهُ لَا حَزْمَ لَكُمْ حَزْمَ السَّلْمَةِ، وَلَا ضَرْبَ لَكُمْ ضَرْبَ غَرَائِبِ الْإِبِلِ، فَإِنْ كُنْتُمْ لِكَاهِلِ قَرْيَةٍ كَانَتْ أَمْنَةً مَطْمَئِنَةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ، فَكَفَرْتُ بِأَنْعَمِ اللَّهِ فَأَذَقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ. وَإِنِّي وَاللَّهُ مَا أَقُولُ إِلَّا وَفِيَّتُ، وَلَا أَهْمُ إِلَّا أَمْضِيَّتُ، وَلَا أَخْلُقُ إِلَّا فَرِيَّتُ، وَإِنْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَمَرَنِي بِإِعْطَائِكُمْ أَعْطَيْتُكُمْ، وَأَنْ أُوْجِّهَكُمْ لِمُحَارَبَةِ عَدُوِّكُمْ مَعَ الْمُهَلَّبِ بْنِ أَبِي صَفْرَةَ. وَإِنِّي أَقْسِمُ بِاللَّهِ لَا أَجِدُ رَجُلًا تَخَلَّفَ بَعْدَ أَخْذِ عَطَائِهِ بِثَلَاثَةِ أَيَّامٍ إِلَّا ضَرَبْتُ عُنُقَهُ! يَا غُلَامَ اقْرَأْ عَلَيْهِمْ كِتَابَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ. فَقَرَأَ:

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَبْدِ الْمَلِكِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى مَنْ بِالْكُوفَةِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ. سَلَامٌ عَلَيْكُمْ». فَلَمْ يَقُلْ أَحَدٌ مِنْهُمْ شَيْئًا، فَقَالَ الْحِجَااجُ: أَكْفَفُ يَا غُلَامُ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ، فَقَالَ: أَسَلَّمَ عَلَيْكُمْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَلَمْ تَرُدُّوا عَلَيْهِ شَيْئًا! هَذَا أَدَبُ ابْنِ نَهْيَةٍ! أَمَّا وَاللَّهِ لَا أُؤَدِّبُكُمْ غَيْرَ هَذَا الْأَدَبِ أَوْ لَتَسْتَقِيمَنَّ. اقْرَأْ يَا غُلَامُ كِتَابَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، فَلَمَّا بَلَغَ إِلَى قَوْلِهِ: «سَلَامٌ عَلَيْكُمْ» لَمْ يَبْقَ فِي الْمَسْجِدِ أَحَدٌ إِلَّا قَالَ: وَعَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ السَّلَامُ^(١).

ثُمَّ نَزَلَ، فَوَضَعَ لِلنَّاسِ أَعْطِيَاتِهِمْ، فَجَعَلُوا يَأْخُذُونَ حَتَّى أَتَاهُ شَيْخٌ يُرْعَشُ كِبَرًا، فَقَالَ: أَيُّهَا الْأَمِيرُ، إِنِّي مِنَ الضَّعِيفِ عَلَى مَا تَرَى، وَلِي ابْنٌ هُوَ أَقْوَى عَلَى الْأَسْفَارِ مِنِّي فَتَقَبَّلْهُ بَدَلًا مِنِّي. فَقَالَ الْحِجَااجُ: نَفْعَلُ أَيُّهَا الشَّيْخُ، فَلَمَّا وَلَّى قَالَ لَهُ قَائِلٌ^(٢): أَتَدْرِي مَنْ هَذَا أَيُّهَا الْأَمِيرُ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: هَذَا عُمَيْرُ بْنُ ضَابِيٍّ الْبُرْجُمِيُّ الَّذِي يَقُولُ أَبُوهَ:

هَمَمْتُ وَلَمْ أَفْعَلْ وَكِدْتُ وَلَيْتَنِي تَرَكْتُ عَلَى عِثْمَانَ تَبْكِي حَلَالُثُهُ

(١) زيادات ر: «زعم أبو العباس أن ابن نهية رجل كان على الشرطة بالبصرة قبل الحجاج».

(٢) قال المصنف: «هو عنبسة بن سعيد بن العاصي الأموي».

ودخل هذا الشيخ على عثمان مقتولاً فَوَطِئَ بطنه، فكسر ضلعَيْن من أضلَاعه، فقال: رُدُّوه! فلما رُدَّ، قال له الحجاج: أيها الشيخ؛ هلا بَعَثْتَ إلى أمير المؤمنين عثمانَ بدلاً يوم الدار! إن في قتلِكَ أيها الشيخ لَصَلاحاً للمسلمين: يا حَرَسِي، اضْرِبْ عُنقه. فجعل الرجل يَضِيقُ عليه أمره فيرتحل، ويأمر وليه أن يَلْحَقَه بزاده، ففي ذلك يقول عبدالله بن الزبير الأَسَدِيُّ^(١):

تَجَهَّزْ فَإِذَا أَنْ تَزُورَ ابْنَ ضَابِيٍّ عُمَيْرًا وَإِذَا أَنْ تَزُورَ الْمُهَلَّبَا
هَما خُطَّتَا خَسَفَ نَجَاؤُكَ مِنْهُمَا رُكُوبَكَ حَوْلًا مِنَ الثَّلْجِ أَشْهَبَا^(٢)
فَأَضْحَى وَلَوْ كَانَتْ خُرَاسَانُ دُونَهُ^(٣) رَأَاهَا مَكَانَ السُّوقِ أَوْ هِيَ أَقْرَبَا

قوله: «أنا ابن جلا»، إنما يريد المُنْكَشَفَ الأَمْرَ، ولم يصرف «جلا» لأنه أراد الفعل فحكى، والفعل إذا كان فاعله مُضْمَرًا أو مُطَهَّرًا لم يكن إلا حكاية، كقولك: تَأَبَّطْ شَرًّا، وكما قال الشاعر:

كَذَبْتُمْ وَبَيْتَ اللَّهِ لَا تَأْخُذُونَهَا بَنَى شَابَ قَرْنَاهَا تَصُورُ وَتَحْلُبُ

وتقول: فرأت: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾^(٤) لأنك حكيت، وكذلك الابتداء والخبر، تقول: قرأت: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

وقال الشاعر:

وَاللَّهِ مَا زَيْدٌ بِنَامٍ صَاحِبُهُ^(٥)

وقوله:

أَنَا ابْنُ جَلَا وَطَلَّاعُ الثَّنَايَا

لسُحَيْمِ بْنِ وَثِيلِ الرِّيَاحِيِّ، وإنما قاله الحجاج متمثلاً.

وقوله: «وطلاّعُ الثَّنَايَا» الثَّنَايَا: جمع ثَنِيَّةٍ، والثَّنِيَّةُ: الطريق في الجبل.

(١) زيادات ر: الأسدى أسد خزيمه، وليس من أسد قريش.

(٢) حوليا: يريد مهرا أتى عليه حول. من الثلج أشبهها: يريد أن لونه أشد شبهة من الثلج.

(٣) زيادات ر: «دونه عائدة على المهلب. وأقرب: ظرف، وقيل مفعول ثان».

(٤) سورة القمر ١.

(٥) بقبته كما في زيادات ر

* ولا مخالط اللبان جانبه *

والطريقُ في الرمل قال له: الخَلُّ، وإنما أراد به أنه جَلَدٌ يَطْلُعُ الثَّيَابُ فِي ارتفاعِها وصُعوبتها، كما قال دُرَيْدُ بْنُ الصَّمَّةِ يَعْنِي أَخَاهُ عَبْدِ اللَّهِ:

كَمِيشُ الْإِزَارِ خَارِجٌ نِصْفُ سَاقِهِ بَعِيدٌ مِنَ السَّوَاءِ طَلَعُ أَنْجِدٍ
وَالنَّجْدُ: مَا ارْتَفَعَ مِنَ الْأَرْضِ، وَقَدْ مَضَى تَفْسِيرُ هَذَا.

وقوله: «إِنِّي لَأَرَى رُءُوسًا قَدْ أَيْنَعَتْ»، يريد أدركت، يقال: أَيْنَعَتِ الثَّمَرَةُ إِيْنَاعًا وَيَيْنَعَتْ يِنْعًا وَيُنْعًا، وَيَقْرَأُ: «انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ»^(١) و«يَنْعِهِ»، كلاهما جائز.

قال أبو عبيدة: هذا الشعر يُخْتَلَفُ فِيهِ، فبعضهم ينسبه إلى الأَحْوصِ وبعضهم ينسبه إلى يزيد بن معاوية. [قال أبو الحسن: الصحيح أنه ليزيد يصف جارية] وهو:

وَلَهَا بِالْمَاطِرِينَ^(٢) إِذَا أَكَلَ النَّمْلُ الَّذِي جَمَعَا
خُرْفَةً حَتَّى إِذَا رَبَّعَتْ سَكَنْتَ مِنْ جَلْقٍ بِيْنَعَا^(٣)
فِي قِبَابِ حَوْلِ دَسْكَرَةٍ حَوْلَهَا الزَّيْتُونُ قَدْ يِنْعَا

[قال أبو الحسن: أول هذه الأبيات:

طَالَ هَذَا الْهَمُّ فَاسْتَنْعَا وَأَمَرَ النَّوْمُ فَاْمْتَنْعَا
وبعد هذا ما أنشده أبو العباس، ويروى «بالماطرون».

قال أبو العباس: وقوله:

هَذَا أَوَانُ الشَّدِّ فَاشْتَدَّى زَيْمٌ

يعنى فرساً أو ناقة، والشعر للحطم القيسى.

وقوله:

قَدْ لَفَهَا اللَّيْلُ بِسَوَاقِ حُطْمٍ

(١) سورة الأنعام ٩٩.

(٢) الماطرون: موضع قرب دمشق. ورواه أبو العباس معرباً، ورواية ياقوت «دولها بالماطر»

(٣) الخرفة: ما يجتنب من الفاكهة. وربعات: دخلت في الربيع، وجلق: من قرى دمشق.

فهو الذى لا يُبْقَى من السير شيئاً، ويقال: رجل حُطِمَ للذى يأتى على الزاد لشدة أكله، ويقال للنار التى لا تُبْقَى: حُطْمَةٌ.

وقوله: «على ظهر وَضَمَ»، فالوَضَمُّ: كل ما قُطِعَ عليه اللحم. قال الشاعر^(١):

وفتيان صدق حسان الوجو ه لا يَجِدُونَ لشيء أَلَمٌ
من ال مُغِيرَةٍ لا يشهدو ن عِنْدَ المَجَازِرِ لَحْمَ الوَضَمِ
وقوله:

قد لفها الليل بعصلي

أى شديد. وأرَوَعَ، أى ذكى.

وقوله: «خَرَّاجٌ من الدَّوَى»، يقول: خَرَّاجٌ من كل غَمٍّ شديدة^(٢):

ويقال للصحراء دَوِيَّةٌ، وهى التى لا تكاد تنقضى، وهى منسوبة إلى الدَّوِّ، والدَّوُّ: صحراء مَلَسَاءَ لا عِلْمَ بها ولا أَمارة، قال الحُطَيْئَةُ^(٣):

وأنى اهتدت والدَّوُّ بينى وبينها وماخلت سارى الليل بالدَّوِّ يهتدى

والداوية: المتسعة التى تسمع لها دَوِيًّا بالليل، وإنما ذلك الدَّوِيُّ من أخفاق الإبل تنفسح أصواتها فيها. وتقول جهلة الأعراب: إن ذلك عَرِيفُ الجن.

وقوله:

والقوس فيها وتر عُرْدٌ

فهو شديد ويقال عُرْدٌ فى هذا المعنى.

وقوله: «إنى والله ما يُقْعَقَعُ لى بالشَّنان»، واحدها شَنٌّ، وهو الجلد اليابس، فإذا قُعْقَعَ به نفرت الإبل منه، فَضْرَبَ ذلك مثلاً لنفسه، وقال النابغة الذبياني:

كأنك من جِمال بنى أفيش^(٤) يُقْعَقَعُ بين رجليه بشن
وقوله: «ولقد فُرِرتُ عن ذكاء»، يعنى تمام السن. والذكاء على ضربين:

(١) زيادات ر: «هو عمر بن أبى ربيعة».

(٢) زيادات ر: «غما، مقصور، رواية عاصم».

(٣) زيادات ر: «يصف خيالها وأنت على معنى المرأة».

(٤) زيادات ر: «أفيش: من عكل».

أحدهما تمام السنّ، والآخر الحدة حدّة القلب، فمما جاء فى تمام السن قول قيس
ابن زهير: جَرَى المذَكِّيَاتِ غَلَابٌ^(١)، وقال زهير:

يُفْضِلُهُ إِذَا اجْتَهَدَا عَلَيْهِ تَمَامُ السِّنِّ مِنْهُ وَالذِّكْرُ
وقوله: «فَعَجَمَ عِيدَانَهَا»، يقول: مَضَعَهَا لِيَنْظُرَ أَيُّهَا أَصْلَبُ، يقال: عَجَمْتُ
العود؛ إِذَا مَضَعْتَهُ، وكذلك فى كل شىء قال النابغة:

فَظَلَّ يَعْجَمُ أَعْلَى الرَّوْقِ مُنْقَبِضًا فى حَالِكِ اللّوْنِ صَدَقَ غَيْرَ ذِى أُودٍ
والمصدر العَجْمُ، يقال عَجَمْتُهُ عَجْمًا: وَيَقَالُ لِنَوَى كُلِّ شَيْءٍ: عَجَمٌ،
مفتوح، ومن أسكن فقد أخطأ، كما قال الأعشى:

﴿وَجَدُّعَانَهَا كَلْقِيطِ الْعَجَمِ^(٢)﴾

وقوله: «طالما أَوْضَعْتُمْ فى الفتنَةِ»، الإيضاعُ: ضَرَبٌ مِنَ السَّيْرِ. وقوله:

﴿فَأَضْحَى وَلَوْ كَانَتْ خِرَاسَانُ دُونَهُ﴾

يعنى دون السفر رآها مكان السُّوقِ للخوف والطاعة.

[خبر ضابئ البرجم مع عثمان]

وكان من قصة عمير بن ضابئ أن أباه ضابئ بن الحارث البرجمي وجب
عليه حبس عند عثمان - رحمه الله - وأدب، وذلك أنه كان استعار من قوم كلبا
فأعاروه إياه، ثم طلبوه منه - وكان فحاشا - فرمى أمهم به، فقال فى بعض
كلامه:

وَأُمِّكُمْ لَا تَتْرَكُوها وَكَلْبَكُمْ فَإِنْ عُقِيقَ الْوَالِدَاتِ كَبِيرُ

فاضطعن على عثمان ما فعل به فلما دعى به ليؤدب شد سكينًا فى ساقه
ليقتل بها عثمان، فُعْثِرَ عليه، فأحسن أدبه، ففى ذلك يقول:

(١) زيادات ر: «ويروى: غلاء».

(٢) شدره كما فى زيادات ر:

* غزاتك بالخيال أرض العدو *

وقائلة إن مات في السجن ضابئ
وقائلة لا يبعدن ذلك الفتى
وقائلة لا يبعد الله ضابئاً
وقائلة لا يبعد الله ضابئاً
فلا تبعني إن هلكت ملامه
هممت ولم أفعل، وكدت وليتني
وما الفتك ما أمرت فيه ولا الذي
لنعم الفتى نخلو به ونواصله
ولا تبعدن أخلاقه وشمائله
إذ الكبش لم يوجد له من ينارله
إذا الخصم لم يوجد له من يقاوله
فليس بعار قتل من لا أقاتله
تركت علي عثمان تبكي حلاله
تخبر من لا قيت أنك فاعله

[حديث أبي شجرة السلمي مع عمر بن الخطاب]

قال أبو العباس: وشييه بقوله ما حدثنا به عن أبي شجرة السلمي - وكان من قتاك العرب^(١) - فأتني عمر بن الخطاب - رحمه الله - يستحمله^(٢)، فقال له عمر: ومن أنت؟ فقال: أنا أبو شجرة السلمي، فقال له عمر: أي عدى نفسه، أأست القائل حيث ارتددت:

وَرَوَيْتُ رُمْحِي مِنْ كَتِيبَةِ خَالِدٍ وَإِنِّي لَأَرْجُو بَعْدَهَا أَنْ أُعَمَّرَ^(٣)
وَعَارَضْتُهَا شَهْبَاءَ تَخْطُرُ بِالْقَنَا تَرَى الْبَيْضَ فِي حَافَاتِهَا وَالسَّنَوْرَا^(٤)

ثم انحنى عليه عمر بالدرّة، فسعى إلى ناقته فحل عقاليها وأقبلها حرّة بنى سليم بأحث السير هرباً من الدرّة، وهو يقول:

قَدْ ضَنَّ عَنْهَا أَبُو حَفْصٍ بَنَائِلَهُ وَكُلُّ مُخْتَطِطٍ يَوْمًا لَهُ وَرَقٌ
مَازَالَ يَضْرِبُنِي حَتَّى خَذَيْتُ لَهُ وَحَالَ مِنْ دُونِ بَعْضِ الرِّغْبَةِ الشَّفَقُ^(٥)

(١) زيادات ر: «أبو شجرة هو عمرو بن عبدالعزيز، وأمه الخنساء. وقال الطبري: اسمه سليم بن عبدالعزيز».

(٢) يستحمله: يسأله أن يحمله على ركوبه.

(٣) زيادات وبروي: «أن أعمر، بكسر الميم، ومعناه أن أفعل ذلك بكتيبة عمر».

(٤) شهباء: من الشبهة: وهو بياض في خلاله سواد. وتخطر، من الخطران؛ وهو الاهتزاز.

(٥) الشفق: من الإشفاق، وهو الخوف.

ثُمَّ التَفَتُ إِلَيْهَا وَهِيَ حَانِيَةٌ مِثْلَ الرِّتَاجِ إِذَا مَا لَزَّهَ الْغُلُقُ^(١)
أَقْبَلْتُهَا الْخَلَّ مِنْ شَوْرَانَ مَجْتَهِدًا إِنِّي لِأُزْرِي عَلَيْهَا وَهِيَ تَنْطَلِقُ^(٢)

ويروى أنه كان يرمى المسلمين يوم الرِّدَّةِ فلا يُغْنِي شَيْئًا، فجعل يقول:
هَإِنْ رَمَيْي عَنْهُمْ لَمَعْبُولٌ فَلَا صَرِيحَ الْيَوْمِ إِلَّا الْمَصْقُولُ
وقوله:

وكل مختبط يوما له ورق

أصل هذا في الشجرة أن يختبطها الراعى، وهو أن يضربها حتى يسقط ورقها، فضرب ذلك مثلا لمن يطلب فضله، وقال زهير:
وَلَيْسَ مَانَعٌ ذِي قُرْبَى وَذِي نَسَبٍ يَوْمًا وَلَا مُعْدَمٌ مِنْ خَابِطٍ وَرَقًا^(٣)
وقوله: «حتى خذيتُ له»، يقول: خَضَعْتُ له، وأكثر ما تَسْتَعْمَلُ العامةُ هذه اللفظة بالزيادة، تقول: اسْتَخَذْتُ له. وزعم الأَصْمَعِيُّ أَنَّهُ شَكَّ فِيهَا، وَأَنَّهُ أَحَبُّ أَنْ يَسْتَشْتَبَ: أَهْيَ مَهْمُوزَةٌ أَمْ غَيْرُ مَهْمُوزَةٍ؟ قَالَ: فَقُلْتُ لِأَعْرَابِيٍّ: أَتَقُولُ: اسْتَخَذْتُ^(٤) أَمْ اسْتَخَذْتُ؟ قَالَ: لَا أَقُولُهُمَا، قُلْتُ: وَلَمْ؟ فَقَالَ: لِأَنَّ الْعَرَبَ لَا تَسْتَخْذِي. وهذا غير مهموز^(٥). واشتقاقه من قولهم: أَذْنٌ خَذَوَاءٌ وَيَنْمَةُ خَذَوَاءٌ، أَيْ مُسْتَرْخِيَةٌ.

[قال أبو الحسن: النِّمَّة: نبت مسترخ على وجهه الأرض تأكله الإبل فتكثر عنه ألبانها].

-
- (١) حانية: لاوية عتفها. والغلق اسم لما يغلق به، والرتاج: الباب الكبير. واللزة الشد والإلصاق.
(٢) الخل: الطريق النافذ بين الرمال. وشوران: جبل مرتفع قرب المدينة.
(٣) زيادات ر: «قوله: ولا بعدم بالخفض؛ عطفه على توهم الباء في مانع ومثله ما أنشده: مشائيم ليسوا مصلحين عشيرة ولا ناعب إلا بين غرابها على توهم الباء في «مصلحين» و«من» في «خابط» زائدة.
(٤) استخذي: خضع.
(٥) هنا آخر الحرم الموجود في نسخة الأصل.

قال الأصمى: وقلت لأعرابي: أَتَهْمِزُ الْفَأْرَةَ! قال: تَهْمِزُهَا الْهَرَّةَ.

وقوله: «إني لأزرى عليها»، يقول: أَسْتَحْثُّهَا، يقال: زَرَى عليه: أَى عاب عليه، وَأَزْرَى به أَى قَصَرَ به، فيقول: إنها لمجتهدة، وإني لأزرى عليها، أَى أعيب عليها لَطَلَبِي النَّجَاءَ والسَّرعَة، وقال الأَخْطَلُ:

فَظَلَّ يُفَدِّيْهَا وَظَلَّتْ كَأَنَّهَا عُقَابٌ دَعَاها جُنْحٌ لَيْلٍ إِلَى وَكُرٍ

وقوله: «ها إن رَمِي عَنْهُمْ لَمْعُولٌ»، يقول: مَخْبُولٌ مُردودٌ. والصَّرِيحُ: المَحْضُ الخالص، يقال ذلك للبن إذا لم يَشْبُهْ ماءً، ويقال: عَرَبِيٌّ صَرِيحٌ ومَوْلَى صريح، أَى خالص.

[خطبة لعمر بن الخطاب حين سمع أن قوما يفضلونه على أبي بكر]

قال: وحدثني محمد بن إبراهيم الهاشمي في إسناد ذكره قال: بلغ عمر بن الخطاب رحمه الله أن قوما يفضلونه على أبي بكر الصديق رحمه الله، فَوَثَبَ مُغَضِّبًا حَتَّى صَعَدَ الْمَنْبَرِ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَصَلَّى عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ، ثُمَّ قَالَ:

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي سَأُخْبِرُكُمْ عَنِّي وَعَنْ أَبِي بَكْرٍ، إِنَّهُ لَمَّا تَوَفَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ارْتَدَّتِ الْعَرَبُ، وَمَنَعَتْ شَاتِئَهَا وَبَعِيرَهَا، فَأَجْمَعَ رَأْيُنَا كُلُّنَا أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ أَنْ قُلْنَا لَهُ: يَا خَلِيفَةُ رَسُولِ اللَّهِ، إِنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَانَ يُقَاتِلُ الْعَرَبَ بِالْوَحْيِ وَالْمَلَائِكَةِ يُمِدُّهُ اللَّهُ بِهِمْ، وَقَدْ انْقَطَعَ ذَلِكَ الْيَوْمَ، فَالْزَمْ بَيْتَكَ وَمَسْجِدَكَ، فَإِنَّهُ لَا طَاقَةَ لَكَ بِقِتَالِ الْعَرَبِ. فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الصَّدِيقُ: أَوْ كُلِّمَ رَأْيَهُ عَلَى هَذَا؟ فَقُلْنَا: نَعَمْ! فَقَالَ: وَاللَّهِ لَأَنْ أُخْرَ مِنْ السَّمَاءِ فَتَخْطِفَنِي الطَّيْرُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ هَذَا رَأْيِي! ثُمَّ صَعَدَ الْمَنْبَرِ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَكَبَّرَهُ وَصَلَّى عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ، أَيُّهَا النَّاسُ، أَأَنْ كَثُرَ أَعْدَاؤُكُمْ، وَقُلَّ عِدَدُكُمْ، رَكِبَ الشَّيْطَانُ مِنْكُمْ هَذَا الْمَرْكَبَ! وَاللَّهُ لِيُظْهِرَنَّ اللَّهَ هَذَا الدِّينَ عَلَى الْأَدْيَانِ كُلِّهَا وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ. قَوْلُهُ الْحَقُّ، وَوَعْدُهُ الصَّدَقُ، ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾، وَ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَبِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾. وَاللَّهُ أَيُّهَا النَّاسُ، لَوْ أَفْرَدْتُ مِنْ جَمِيعِكُمْ لَجَاهِدْتُهُمْ فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ حَتَّى أُبْلَى بِنَفْسِي

عُدْرًا أَوْ أُقْتَلَ قَتْلًا، وَاللَّهُ أَيُّهَا النَّاسُ لَوْ مَنَعُونِي عَقَالًا لَجَاهَدْتُهُمْ عَلَيْهِ، وَاسْتَعَنْتُ عَلَيْهِمُ اللَّهَ وَهُوَ خَيْرٌ مَعِينٍ.

ثم نزل فجاهد في الله حقَّ جهاده حتى أذعنَتِ العربُ بالحق.

قوله: «كم من فئة» فهي الجماعة، وهي مهموزة، وتخفيف الهمز في هذا الموضع أن تُقْلَبَ الهمزة ياءً، وإن كانت قبلها ضمة وهي مفتوحة قَلْبَتْهَا واوًا، نحو جُؤُنَ^(١) تقول جُؤُنٌ.

وقوله: «لو منعوني عقالا لجاهدتهم عليه» على خلاف ما تتأوله العامة، ولقول العامة وجه قد يجوز، فأما الصحيح فإن المَصْدُقَ^(٢) إذا أخذ من الصدقة ما فيها ولم يأخذ ثمنها قيل: أخذ عِقَالًا، وإذا أَخَذَ الثَّمَنُ قيل: أخذ نَقْدًا، قال الشاعر:

أَتَانَا أَبُو الْخَطَّابِ يَضْرِبُ طَبْلَهُ^(٣) فَرُدَّ وَكَمْ يَأْخُذُ عِقَالًا وَلَا نَقْدًا

والذي تقوله العامة تأويله: لو منعوني ما يساوي عقالا، فضلًا عن غيره. وهذا وجه، والأول هو الصحيح؛ لأنه ليس عليهم عقال يُعْقَلُ به البعير فيَطْلَبُهُ فيُثَمِّنُهُ، ولكن مجازه في قول العامة ما ذكرنا.

ومن كلام العرب: أتانا بجَفَنَةٍ يَقْعُدُ عليها ثلاثة، أى لو قعد عليها ثلاثة لَصَلَحَ.

من أبيات الحطيئة حين ارتد بعض العرب

وكان ارتداد من ارتدَّ من العرب أن قالوا: نُقِمْ الصلاةَ ولا نُؤْتِى الزكاةَ، فمن ذلك قول الحطيئة:

أَلَا كُلُّ أَرْمَاحٍ قِصَارٌ أَذْلَةٌ فَبَاسَتْ بَنَى عَبَسٍ وَأَسْتَاهُ طِيئٌ
فَدَاءٌ لَأَرْمَاحٍ نُصِبْنَ عَلَى الْغَمْرِ^(٤) وَأَبَاسَتْ بَنَى دُودَانَ حَاشَا بَنَى نَصْرٍ
وَطَعْنٌ كَأَفْوَاهِ الْمَرْفَتَةِ الْحُمْرِ^(٥) فَيَا لَهْفَتَا مَا بَالُ دِينَ أَبِي بَكْرٍ!

(١) زيادات ر: «الجؤنة: الحقة يجعل فيها الحلى». (٢) المصدق: جابى الزكاة.

(٣) زيادات ر: «كانت الأمراء إذا خرجت لأخذ الصدقة تضرب الطبول».

(٤) الغمر هنا: اسم ماء. (٥) زيادات ر: «المرفقة: المطلية بالزفت، وهو القطران».

أَيُّورُثُهَا بَكْرًا إِذَا مَاتَ بَعْدَهُ، فَتَلَّكَ وَبَيَّتَ اللَّهُ قَاصِمَةَ الظَّهْرِ
فَقُومُوا وَلَا تَعْطُوا اللَّثَامَ مَقَادَةَ وَقُومُوا وَلَوْ كَانَ الْقِيَامُ عَلَى الْجَمْرِ
فَدَى لَبْنَى نَصْرٍ طَرِيفَى وَتَالِدَى عَشِيَّةَ زَادُوا بِالرَّمَاكِ أَبَا بَكْرٍ^(١)

قوله: «يجثم الهام وقعه»، إنما هو مثلٌ، يقال: جَثَمَ الطائرُ؛ كما يقال: برك
الجمال، وربض البعير.

وكان قيسُ بن عاصم بن سنان بن خالد بن منقرٍ عاملاً على صدقاتِ بني
سعدٍ، فقسم ما كان في يده من أموال الصدقات على بني منقرٍ، وقال:
فَمَنْ مَبْلُغٌ عَنِّي قُرَيْشًا رِسَالَةً إِذَا مَا أَتَتْهَا مُحْكَمَاتُ الْوَدَائِعِ
حَبَوْتُ بِمَا صَدَقْتُ فِي الْعَامِ مِنْقَرًا وَأَيَّاسْتُ مِنْهَا كُلَّ أَطْلَسٍ طَامِعٍ

قوله: «فأجمع رأينا كلنا أصحابَ محمد» فإنما خَفَضَ «كلاً» على أنه تأكيد
لأسمائهم المضمرة، والظاهرة لا تكون بدلاً من المضمرة الذي يعنى به المتكلمُ
نفسه، أو يعنى به المخاطب. لا يجوز أن تقول مررتُ بى زيد، لأن هذه الياء لا
يَشْرُكُهَا فِيهَا شَرِيكٌ فَتَحْتَاجُ إِلَى التَّسْيِينِ، وكذلك لا يجوز: ضَرَبْتُكَ زَيْدًا؛ لأن
المخاطب منفرد بهذه الكاف، فأما الهاء نحو مررت به عبدالله، فيجوز لأننا نحتاج
إلى أن يُعَرِّفَنَا مُبَيَّنًا: مَنْ صَاحِبُ الْهَاءِ؟ لَأَنَّهُ لَا يَسْتَلِيزُ لِلَّذِي يَخَاطِبُهُ فَلَا يَنْكُرُ نَفْسَهُ،
وإنما يُحَدِّثُ بِهِ عَنْ غَائِبٍ فَيَحْتَاجُ إِلَى الْبَيَانِ.

وقوله: «أصحابَ محمد» اختصاص: ويتنصب بفعل مضمرة، وهو «أعنى»
ليبين من هؤلاء الجماعة. كما ينشد:

نحن بنى ضبة أصحاب الجمل

أراد: نحن أصحاب الجمل، ثم بين من هم؛ لأن هذا قد كان يقع على من
دون بنى ضبة معه، وعلى من فوقها إلى مضر ونزار ومعدٍّ ومن بعدهم. وكذلك:
نحن العرب أقرى الناس للضيف، ونحن الصعاليك لا طاقة لنا على المروءة.

(١) زيادات ر: «قوله: «ذادوا بالرماح أبابكر» كذب، إنما خرجوا على الإبل فقعقعوا لها بالشان فنفرت
وفرت».

ويختار من الشعر^(١):

إنا بنى منقـر ذوو حـسبٍ فينا سراة بنى سعد وناديها
وقليل هذا يدلّ على جميع هذا الباب، فافهم.

كمل الجزء الأول من كتاب الكامل بحمد الله وعونه

ويليه الجزء الثانى

(١) زيادات ر: «هو لعمر بن الأهتم».

فهرس الموضوعات

صفحة

باب

٣	بيان
٥	مقدمة
٧	وصف رسول الله للأنصار
٨	حديث: «ألا أخبركم بأحبكم إلي»
١٠	كلمة أبي بكر في مرضه لعبد الرحمن بن عوف
١٣	عهد أبي بكر بالخلافة إلى عمر
١٤	أول خطبة خطبها عمر بن الخطاب حين ولي الخلافة
١٥	رسالة عمر في القضاء إلى أبي موسى الأشعري
١٨	كتاب عثمان إلى علي بن أبي طالب حين أحيط به
٢٠	عتاب عثمان لعلي بن أبي طالب
٢٠	خطبة علي بن أبي طالب حين بلغه قتل عامله حسان بن حسان

باب

٢٧	من ألفاظ العرب البينة القرية المفهمة
٢٧	مما وقع من الكلام كالإيماء
٢٩	مما يفضل من أقوال الشعراء لتخلصه من التكلف
٣٠	الاستعانة في الكلام
٣١	لأعرابي من بني كلاب
٣٣	لأعرابي من بني سعد وقد نزل به أضياف
٣٨	لطخيم بن أبي الطخماء الأسدي يمدح قوما من أهل الحيرة
٤٠	قول مخيس بن أرطاة الأعرجي لرجل من بني حنيفة
٤١	قول ابن ميادة لرياح بن عثمان المرّي
٤٣	نبذ من أقوال الحكماء
٤٤	لرجل يهجو بلال بن البعير المحاربي

- ٤٤ لأبى الطمجان القينى يفخر بقومه
- ٤٥ لإياس بن الوليد يمدح قومه
- ٤٥ لرجل يهجو
- ٤٥ لرجل من بنى نهشل بن دارم ينأى بنفسه
- ٤٦ لنبهان بن عكى فى النسيب
- ٤٩ للقتال الكلابى يفخر بنفسه وقومه
- ٥٢ لرجل من بنى عبس وكان عروة بن الورد قد شتمه
- ٥٣ لرجل من بنى تميم يهجو تعله بن مسافر
- ٥٥ للقطامى يفخر

باب

- ٥٦ نبذ من أقوال الحكماء

باب

- ٥٨ لرجل من بنى سعد يرثى رجلا
- ٦٠ لجميل بن معمر فى النسيب

باب

- ٦٥ نبذ من أقوال الحكماء

باب

- ٦٧ لرجل من بنى عبدالله بن غطفان كان وقد جاور فى طيئ
- ٦٧ لرجل من بنى سلامان يمدح طيئا
- ٦٧ لعبيد بن العرندس الكلابى يصف قوما نزل بهم
- ٦٩ للمكعبير الضبى يمدح بنى مازن ويذم بنى العنبر
- ٧٣ لرجل تميمى فى الرثاء
- ٧٦ لنضلة السلمى فى يوم غول
- ٧٨ لأعرابى من بنى سعد فى خلاف الدمامة
- ٧٩ العرب تمدح الطول

لأعرابي يرد على مغنية عابته بالقصر ٨٠

باب

صبرة بن شيمان عند معاوية ٨٤

كلمة يزيد بن معاوية حين أرتج عليه ٨٤

جواب عامر بن قيس لعثمان بن عفان ٨٤

جواب على بن أبي طالب حين سئل: أين ربنا؟ ٨٤

للحسن البصرى فى المواعظ ٨٤

باب

ليزيد بن الصقيل، وكان يسرق الإبل ثم تاب ٨٨

لابن حبناء التميمى فى مكارم الأخلاق ٨٨

لأعرابي من بنى الحارث بن كعب ٩١

لأحد الأعراب ٩٢

لأبى مخزوم النهشلى يفخر بقومه ٩٥

باب

من كلام عمر بن عبدالعزيز ٩٩

من كلام الحسن البصرى ٩٩

كلام عمر بن ذر حينما دخل على ابنه وهو يجود بنفسه ٩٩

جواب أبى دلالة حينما سأله المنصور عما أعده ليوم القيامة ٩٩

الفرزدق فى سجن مالك بن المنذر بن الجارود ١٠٠

للفرزدق حين قتل عمر بن يزيد الأسيدى ١٠٠

لقاء الحسن البصرى والفرزدق فى جنازة ١٠١

الفرزدق وأولاد بنى تميم ١٠١

الفرزدق وأبو هريرة الدوسى ١٠١

قول الفرزدق حينما تعلق بأستار الكعبة ١٠٢

للفرزدق فى أيام نسكه ١٠٣

١٠٣ للفرزدق حين طلق النوار

باب

١٠٤ للقيط بن زرارة في الشراب

١٠٤ خبر هانيء بن عروة المرادى مع معاوية

١٠٥ نبذ من أقوال الشعراء في الخمر وشاربيها

باب

١٠٧ نبذ من أقوال الحكماء

باب

١١٠ لرجل من رجاز بنى تميم في وقعة الجفرة

١١٠ أقوال في قلة النوم

١١٥ لعروة بن الورد

باب

١١٥ من كلام ابن عباس

١١٥ من كلام عبدالله بن جعفر

١١٥ ليزيد بن المهلب وقد مر بأعرابية عند خروجه من سجنه

١١٥ حديث للأصمعي عن ضرار بن القعقاع

١١٦ بين زياد بن عمرو العتكي والأحنف بن قيس التميمي

باب

١٢١ لذي الرمة في الزجر

١٢١ مما قيل في المال

١٢٢ لشبيب بن البرصاء يفخر بكرمه

باب

١٢٤ لعمر بن عبدالعزيز حينما سئل: أى الجهاد أفضل؟

١٢٤ لرجل من الحكماء في مجاهدة النفس

١٢٤ لمحمد بن على بن الحسين في الزهد

- ١٢٥ لعلى بن أبى طالب فى وصف الدنيا
- ١٢٦ مقدم الربيع بن زياد الحارثى على عمر بن الخطاب
- ١٢٩ خطبة لعمر بن عبدالعزيز
- ١٣٠ نبذ من أقوال الحكماء

باب

- ١٣٢ لعمارة بن عقيل يحض بنى كعب وبنى كلاب على بنى غنيم
- ١٣٥ لعمارة أيضا فى الحث على الأخذ بالثأر
- ١٣٧ سؤال معاوية بن أبى سفيان لدغفل بن حنظلة عن قبائل العرب
- لعمارة بن عقيل حينما أمره أبو سعد التميمى أن يضع يده فى يد أبى
- ١٣٧ نصر الطائى
- ١٤٠ لأعرابى يهجو قوما من طيئ

باب

- ١٤٢ أقوال فى المجالس والجلساء
- ١٤٤ يزيد بن معاوية والأنصار
- ١٤٥ نبذ من أقوال الحكماء

باب

- ١٤٦ لبعض الشعراء يمدح أسليم بن الأحنف
- ١٤٣ لكثير فى المدح
- ١٤٨ الفرزدق ونصيب وماقالاه من الشعر عند سليمان بن عبد الملك
- ١٥١ حديث أبى وجزة وأبى زيد الأسلمى
- ١٥٢ لأبى رباط فى ابنه
- ١٥٣ أعرابى عند عمر بن هبيرة
- ١٥٤ لصخر بن عمرو الشريد

باب

- ١٦٦ من أمثال العرب

- ١٦٧ للكلبي وقد سأله خالد القسري عن السؤدد
- ١٦٨ نبذ من أقوال الحكماء

باب

- ١٧١ لرجل من الأعراب يرثى رجلا منهم
- ١٧١ لحسان يوصى امرأته
- ١٧١ لصخر بن حنناء يعاتب أخاه
- ١٧٢ لعبدالله بن معاوية يعاتب صديقه
- ١٧٣ لعلى بن أبى طالب فى الشجاع
- ١٧٣ لعبدالله بن معاوية يمدح
- ١٧٣ لعبدالله بن الزبير الأسدى يمدح عمرو بن عثمان بن عفان
- ١٧٣ ما تمثل به على بن أبى طالب من الشعر حينما رأى طلحة فى القتلى
- ١٧٤ كلمة على بن أبى طالب فى طلحة حينما رآه مقتولا
- ١٧٥ مما قيل فى الشباب والهرم
- ١٧٧ للفرزدق يرثى ابنى مسمع
- ١٧٨ لجرير يرثى ابنه سواده
- ١٨٠ لسليمان بن قتيبة يرثى الحسين بن على
- ١٨٠ للفرزدق يرثى ابنه

باب

- ١٨٩ نبذ من أقوال الحكماء
- ١٩٠ أذب عمر بن عبدالعزيز
- ١٩١ بر على بن الحسين بأمه
- ١٩١ لعمر بن ذر فى ابنه
- ١٩٢ لأبنى المخش فى ولده
- ١٩٢ لأم ثواب الهزانية تصف عقوق ابنها
- ١٩٣ خبر مالك بن العجلان مع أبى جبيلة

للمهلب وقد سئل : من أشجع الناس؟ ١٩٤

باب

- من كلام عائشة ١٩٤
بين الحسن بن زيد والى المدينة وابن هرمة ١٩٤
من كلام مطرف بن عبدالله بن الشخير الحرشى ١٩٤
يزيد بن هبيرة ينصح المنصور ١٩٦
لأسماء بنت خارجة فى كرم الخلق ١٩٧
للأحنف بن قيس ١٩٧

باب

- لحسان بن ثابت يهجو مسافع بن عياض التيمى ١٩٩
لرجل من العرب يرثى ٢٠٣
لرجل يذكر ابنه ٢٠٤
لرجل آخر يرثى ابنه ٢٠٦
لإبراهيم بن عبدالله بن حسن يرثى أخاه ٢٠٦
لمتمم بن نويرة يرثى أخاه ٢٠٧
لعلى بن عبدالله بن العباس يفخر ٢٠٧
لهشام أخى ذى الرمة ٢٠٨
لحسان بن ثابت الأنصارى فى لهوه ٢٠٩
لجريح فى مرضه حين عادته قيس ٢٠٩
لعبدالرحمن بن ثابت يهاجى عبدالرحمن بن الحكم ٢١١
نبذ من كلام الحكماء ٢١١
مشاورة معاوية عمرو بن العاص فى أمر عبدالله بن هاشم بن عتبة ٢١٢
من كلام عمرو بن العاص لعائشة ٢١٢
مقاله عمرو بن العاص حين احتضر ٢١٣
نبذ من أقوال الحكماء ٢١٥

- ٢١٧ خطبة الحجاج فى أهل العراق
- ٢١٧ من كلام ابن الأشعث حين ظهور الحجاج عليه
- ٢١٧ كلام عرار بن شأس لعبدالمملك حينما حمل إليه رأس بن الأشعث
- ٢١٧ كتاب صاحب اليمن إلى عبدالمملك فى وقت محاربته بن الأشعث
- ٢٢٢ الحجاج ويحى بن يعمر

باب

- ٢٢٤ للراعى فى النسب
- ٢٢٧ لأعرابى يشكو حبيته
- ٢٢٨ لأعرابى فى الملح
- ٢٣٣ لقيس بن معاذ فى النسب
- ٢٣٥ لبعض القرشيين
- ٢٣٦ لعبدالرحمن بن الأشعث فى بنت معاوية

باب

- ٢٣٨ عبدالله بن الزبير بن عبدالمطلب عند رسول الله
- ٢٣٨ لرجل من بنى ضبة يخاطب بنى تميم
- ٢٣٨ خطبة عبدالله بن الزبير حين ورد عليه خبر قتل أخيه مصعب
- ٢٣٩ من كلام زياد
- ٢٣٩ بلاغة جعفر بن يحيى
- ٢٤٠ نبذ من الأقوال الحكيمة
- ٢٤١ نبذ من أخبار الحجاج
- ٢٤٤ على بن جبلة والحسن بن سهل

باب

- ٢٤٦ للمفضل بن المهلب بن أبى صفرة فى الشجاعة والنجدة
- ٢٤٧ شيخ من الأعراب وامراته
- ٢٤٩ من أقوالهم فى الفقر والغنى

٢٥٠ من أخبار حارثة بن بدر الغداني

٢٥٣ لضابىء البرجمى وهو فى السجن

باب

٢٥٧ جرير بن عبدالله البجلي عند معاوية

٢٥٧ كتاب على بن أبى طالب لمعاوية

٢٦٤ خالد بن يزيد بن معاوية عند عبدالملك بن مروان

باب

٢٦٧ لرجل من بنى أسد يمدح يحيى بن حيان

٢٦٨ لرجل فى الصبر

٢٦٨ لعبيد بن أيوب العنبرى

باب

٢٧٣ لبعض الشعراء يحرض على خالد بن يزيد

٢٧٤ لخالد بن يزيد فى رملة بنت الزبير

٢٧٤ زواج الحجاج بن يوسف بابنة عبدالله بن جعفر ثم طلاقه لها

٢٧٥ نبذ من أقوال الحكماء

٢٧٦ أعرابى فى حلقة يونس

٢٧٧ خبر الحجاج بن علاط السلمى مع قريش

٢٧٩ حديث رجل من الصيارفة افتقر

٢٨٠ رجل من أزد شنوءة بين يدى عتبة بن أبى سفيان

٢٨٠ أعرابى عند معاوية

٢٨٠ حديث السواقط

باب

٢٨٥ مما أنشد أبو محلم السعدى

٢٨٦ من كلام عمر بن عبدالعزيز لمؤدبه

٢٨٧ لرجل يخاطب آخر اسمه

٢٨٩	 للفرزدق وقد نزل به ذئب فأضافه
٢٩٢	 فى وصف الجود والحث على المبادرة به
٢٩٥	 للحارث بن حلزة اليشكرى فى الجود

باب

٢٩٨	 من خطبة لعلى بن أبى طالب
٢٩٨	 خطبة الحجاج حين قدم أميرا على العراق
٣٠٣	 خبر ضابئ البرجمى مع عثمان
٣٠٤	 حديث أبى شجرة السلمى مع عمر بن الخطاب
٣٠٦	 خطبة لعمر بن الخطاب حينما سمع أن قوما يفضلونه على أبى بكر
٣٠٧	 أبيات للحطيئة حين ارتد بعض العرب
٣١١	 الفهرس